التبيان

في تفسير القرآن

تأليف

شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي

المجلد ١٠

دار احياء التراث العربي
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحیم

التبیان فی تفسیر القرآن

کاتب:

محمدبن حسن طوسی

نشرت فی الطباعة:

موسسه النشر الاسلامی

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

التبيان فى تفسير القرآن المجلد ١٠

اشارة

سرشناسه :طوسی، محمدبن حسن، ق ۴۶۰ – ۳۸۵

عنوان و نام پدیدآور :التبیان فی تفسیر القرآن/ تالیف ابی جعفر محمدبن الحسن الطوسی؛ قدم له آغا بزرگ الطهرانی؛ تحقیق احمد حبیب قصیر العاملی

مشخصات نشر :بیروت : احیاآ التراث العربی ، [۱۹م. = ۱۴ق. =]۱۳.

مشخصات ظاهری :ج ۱۰

وضعیت فهرست نویسی : فهرستنویسی قبلی

یادداشت :کتابنامه

موضوع :تفاسیر شیعه -- قرن ق۵

شناسه افزوده :عاملی، احمد حبیب قصیر، محقق

رده بندی کنگره : BP۹۴/ط۹ت۲ ی الف ۱۳۰۰

شماره کتابشناسی ملی : م۸۱-۲۴۵۸۵

المجلد العاشر

۶۲–سورة الجمعة ..... ص: ۳

[سورة الجمعة (۶۲): الآيات ۱ الى ۵] ..... ص: ۳

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
يُسَبِّحُ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١) هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ إِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ (٢) وَ آخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣) ذلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (۴)
مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْراةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوها كَمَثَلِ الْحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِ اللَّهِ وَ اللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (۵)

خمس آيات بلا خلاف.

لا خلاف بين القراء فى هذه السورة إلا ما روى عن الأعمش انه قرأ «الجمعة» بسكون الميم. الباقون بضمها. و قد بينا معنى قوله «يُسَبِّحُ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ» و بينا وجه التكرار فيه. و إنما جاء- هاهنا- على لفظ المضارعة.

و قوله «الْمَلِكِ» يعنى المالك للأشياء كلها ليس لاحد منعه منها «الْقُدُّوسِ» المستحق التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ۴

للتعظيم بتطهير صفاته من كل صفة نقص «الْعَزِيزِ» معناه القادر الذى لا يقهر و لا يغلب «الْحَكِيمِ» فى جميع أفعاله.

و قوله «هُوَ الَّذِي بَعَثَ» يعنى اللَّه الذى وصفه بالصفات المذكورة هو الذى أرسل «فِي الْأُمِّيِّينَ» قال قتادة و مجاهد: الأميون العرب. و قال قوم: هم أهل مكة، لأنها تسمى أم القرى، و الامى منسوب إلى انه ولد من أمه لا يحسن الكتابة. و وجه النعمة فى جعل النبوة فى أمي موافقة ما تقدمت البشارة به فى كتب الأنبياء السالفة، و لما فيه من انه أبعد من توهم الاستعانة على ما أتى به من الحكمة.

و قوله «رسولا» مفعول «بعث» و «منهم» يعنى من سميتهم الأميين و من جملتهم «يَتْلُوا عَلَيْهِمْ» أى يقرأ عليهم «آياتِهِ» أى حججه و بيناته من القرآن و غيرها «وَ يُزَكِّيهِمْ» أى و يطهرهم من دنس الشرك بما يهديهم إلى الايمان فيجعلهم أزكياء. و إنما يجعلهم كذلك بأن يدعوهم إلى طاعة اللَّه التى يقع فيها الاجابة لأنه لو دعاهم و لم يجيبوا لما قيل: إنه زكاهم، «وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ» قال قتادة: يعلمهم القرآن و السنة، و الحكمة تعم الكتاب و السنة، و كل ما أراده اللَّه، فان الحكمة هى العلم الذى يعمل عليه فيما يخشى او يحبب من أمر الدين و الدنيا. «وَ إِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ» يعنى من قبل أن يبعث فيهم و يتلو عليهم القرآن «لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ» أى فى عدول عن الحق جائرين عن الصراط المستقيم مبين أى ظاهر.

و قوله «وَ آخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ» قال ابن زيد و مجاهد: هم كل من بعد الصحابة إلى يوم القيامة، فان اللَّه بعث النبى منهم و شريعته تلزمهم، و إن لم يلحقوا بزمان الصحابة. «و آخرين» نصب على تقدير و يزكى آخرين منهم، لما يلحقوا بهم. و يجوز ان يكون جرّاً، و تقديره هو الذى بعث فى الأميين و فى آخرين، «وَ هُوَ الْعَزِيزُ» الذى لا يغالب «الْحَكِيمُ» فى جميع أفعاله و ما يأمر به. التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٥

و قوله (ذلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ) (ذلك) إشارة إلى بعث الرسول بين اللَّه تعالى ان إرساله الرسول (فضل) من (اللَّه) و نعمة (يؤتيه) أى يعطيه (من يشاء) بحسب ما يعلمه من صلاحه مبعثة، و تحمل أعباء الرسالة (وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) على عباده بما يفعل بهم من التفضل و الإحسان ساعة بعد ساعة.

و قوله (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْراةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوها) معنا (مثل الذين حملوا التوراة) يعنى العمل بها و بما فيها، فحفظوها و دوّنوها فى كتبهم ثم لم يعملوا بما فيها (كَمَثَلِ الْحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفاراً) قال ابن عباس: الاسفار الكتب واحدها سفر، لأنها تكشف عن المعنى بإظهار حاله، يقال: سفر الرجل عن عمامته إذا كشف، و سفرت المرأة عن وجهها، و هى سافرة، و إنما مثلهم بالحمار لأن الحمار الذى يحمل كتب الحكمة على ظهره لا يدرى بما فيها، و لا يحس بها كمثل من يحفظ الكتاب و لا يعمل به، و على هذا من تلا القرآن و لم يفهم معناه و أعرض عن ذلك اعراض من لا يحتاج اليه كان هذا المثل لاحقاً به. و إن من حفظه و هو طالب لمعناه و قد تقدم حفظه فليس من أهل هذا المثل.

و قوله (بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِ اللَّهِ) معناه بئس القوم قوم هذا مثلهم، و هم الذين كذبوا بحجج اللَّه و بيناته.

ثم قال (وَ اللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) يعنى الذين يظلمون نفوسهم بارتكاب المعاصى لا يحكم بهدايتهم و لا يرشدهم إلى طريق الجنة.

قوله تعالى:[سورة الجمعة (٦٢): الآيات ٦ الى ١١] ..... ص: ٥

قُلْ يا أَيُّهَا الَّذِينَ هادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِياءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (٦) وَ لا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٧) قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلى عالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٨) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلى ذِكْرِ اللَّهِ وَ ذَرُوا الْبَيْعَ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٩) فَإِذا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَ ابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَ اذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠)

وَ إِذا رَأَوْا تِجارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْها وَ تَرَكُوكَ قائِماً قُلْ ما عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَ مِنَ التِّجارَةِ وَ اللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (١١)

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٦

ست آيات.

هذا أمر من اللَّه تعالى للنبى صلى اللَّهُ عليه و آله أن يخاطب اليهود، فيقول لهم (إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِياءُ لِلَّهِ) فالزعم قول عن ظن او علم، و لهذا صارت من أخوات (ظن) فى الظن و العلم و عملت ذلك العمل من الاعراب قال الشاعر:

فان تزعمينى كنت أجهل فيكم فأنى شريت الحلم بعدك بالجهل «١»

و الأولياء جمع ولى، و هو الحقيق بالنصرة التى يوليها عند الحاجة، فاللَّه ولى المؤمنين، لأنه يوليهم النصرة عند حاجتهم. و المؤمن ولى اللَّه لهـذه العلـة. و يجوز أن يكون لأنه يولى المطيع له بنصـرته عند حاجته، فقال اللَّه لهؤلاء اليهود: إن كنتم تظنون على زعمكم أنكم أنصار اللَّه و أن اللَّه ينصركم (فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ)

---

(١)مر فى ٨/ ١٦٨

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٧

فى ادعـائكم أنكم أوليـاؤه دون النـاس، فـالتمنى هو قول القائـل- لمـا كـان- ليته لم يكن، و لمـا لم يكن: ليته كان. و هو من صـفات الكلام. و قال بعضهم: هو معنى فى النفس.

ثم اخبر تعالى عن حالهم و كذبهم و اضـطرابهم فى دعواهم، و انهم غير واثقين بما يدّعونه فقال (وَ لا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ) و معنـاه لا يتمنون الموت أبـداً فيما بعـد (بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ) مما لا يرجعون فيه إلى ثقـهٔ من التكـذيب بالنبى صـلى اللَّهُ عليه و آله و التحريف لصفته فى التوراهٔ (وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) أى عالم بأحوالهم و أفعالهم، لا يخفى عليه شىء منها.

و فى الآيـهٔ دليل على النبوهٔ لأنه اخبر بأنهم لا يتمنون الموت ابـداً، و ما تمنوه فكان ذلك اخباراً بالصدق قبل كون الشـىء، و ذلك لا يعلمه إلا اللَّه تعالى.

و فيها بطلان ما ادعوه من انهم أولياء اللَّه.

ثم قـال للنبى صـلى اللَّهُ عليه و آله (قُـلْ) لهم (إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ) أى تهربون منه (فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ) و إنمـا قال (فانه) بالفاء، و سواء فروا منه او لم يفروا منه فانه ملاقيهم، مبالغهٔ فى الدلالهٔ على أنه لا ينفع الفرار منه لأنه إذا كان الفرار منه بمنزلهٔ السبب فى ملاقاته فلا معنى للتعرض له لأنه لا يباعد منه قال زهير:

و من هاب اسباب المنايا ينلنه و لو رام أن يرقى السماء بسلم «١»

و هن ينلنه هابها او لم يهبها، و لكنه إذا كانت هيبته بمنزلهٔ السبب للمنيهٔ كان لا معنى للهيبهٔ. و قال قوم: تقديره قل إن الموت هو الذى تفرون منه فجعلوا (الذى) فى موضع الخبر لا صلهٔ. و يكون (فانه) مستأنف.

و قوله (ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلى عالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ) معناه ثم ترجعون الى اللَّه تعالى

---

(١)مر فى ٥/ ٥٢۶

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٨

يوم القيامـهٔ الـذى يعلم سـركم و علاـنيتكم و ظـاهركم و بـاطنكم، لا يخفى عليه شـىء من أحوالكم (فَيُنَبِّئُكُمْ) أى يخبركم «بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» فى دار الدنيا و يجازيكم بحسبها على الطاعهٔ بالثواب و على المعاصى بالعقاب، ثم خاطب المؤمنين فقال (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلى ذِكْرِ اللَّهِ) معناه إذا سـمعتم أذان يوم الجمعـهٔ فامضوا إلى الصـلاهٔ. قال قتادهٔ: معناه امضوا إلى الصـلاهٔ مسـرعين غير متثاقلين و به قال ابن زيد و الضـحاك. و قال الزجاج: المعنى فامضوا إلى السعى الذى هو الاسراع قال و قرأ ابن مسعود (فامضوا) إلى ذكر اللَّه ثم قال: لو علمت الاسراع لأسرعت حتى يقع ردائى عن كتفى. قال: و كذلك كان يقرأ (وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلَّا ما سَعى وَ أَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرى) «١» يريد مضـى فيه دون الاسراع. و مثله قوله (إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى) «٢» و فرض الجمعهٔ لازم على جميع المكلفين إلا صاحب العذر: من سفر او مرض او عمى او عرج او آفهٔ و غير ذلك. و عند اجتماع شروط و هى:

كون سـلطان عادل او من نصـبه السلطان للصلاهٔ، و تكامل العدد- عندنا- سبعهٔ، و عند قوم أربعين. و عند آخرين أربعهٔ، و ثلاثهٔ. و قد

بينا الخلاف فى ذلك فى (خلاف الفقهاء).

و ظاهر الآيـة متوجه إلى المؤمنين و إنما يـدخل فيه الفاسق على التغليب، كما يغلب المـذكر على المؤنث، هـذا على قول من يقول إن الفـاسق ليس بمؤمن. فأمـا من قـال: إنه مؤمن مع كونه فاسـقاً، فالآيـة متوجهـة اليهم كلهم. و قال مجاهـد و سعيد ابن المسيب: المراد بالذكر موعظة الامام فى خطبته. و قال غيرهما: يعنى الصلاة التى فيها ذكر اللّه.

و قوله (وَ ذَرُوا الْبَيْعَ) معناه إذا دخل وقت الصلاة اتركوا البيع و الشراء

---

(۱)سورة ۵۳ النجم آية ۳۹

(۲)سورة ۹۲ الليل آية ۴

التبيان فى تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۹

قال الضحاك: إذا زالت الشمس حرم البيع و الشراء. و قال الحسن: كل بيع تفوت فيه الصلاة يوم الجمعة فانه بيع حرام، لا يجوز، و هو الذى يقتضيه ظاهر مذهبنا، لان النهى يدل على فساد المنهى عنه. ثم قال (ذلِكُمْ) يعنى ما ذكره من السعى الى الصلاة (خَيْرٌ لَكُمْ) فى دينكم و انفع لكم عاقبة (إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) صحة ما قلناه أى اعلموه.

و قوله تعالى (فَإِذا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ) أى إذا صليتم الجمعة فانتشروا فى الأرض طلباً لرزق اللّه. و صورته صورة الأمر و هو إباحـة و إذن و رخصـة- فى قول الحسن و الضـحاك و ابن زيـد و غيره- (وَ ابْتَغُوا مِنْ فَضْـلِ اللَّهِ) أى اطلبوا من فضـل اللّه بعمل الطاعة و الدعاء به (وَ اذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً) يا محمد على إحسانه و بالشكر على نعمه و التعظيم لصفاته (لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) و معناه لتفلحوا و تفوزوا بثواب النعيم.

ثم اخبر تعالى عن حال جماعة كانوا مع النبى صـلى اللّهُ عليه و آله و هو يخطب و هم معه يصـلى بهم، فقال (وَ إِذا رَأَوْا تِجارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْها) قـال جابر بن عبـد اللّه و الحسن: قـدم عير لدحيـة الكلبى فيها طعام المدينـة بعـد ما أصابتهم مجاعـة، فاسـتقبلوه باللهو و المزامير و الطبول- فى قول جابر بن عبد اللّه و مجاهد- و كانوا مع النبى صـلى اللّهُ عليه و آله فى الصـلاة فلما سـمعوا صوت الطبول و المزامير (انْفَضُّوا) أى تفرقوا إلى العير يبصرونه و تركوا النبى صلى اللّهُ عليه و آله وحده قائماً، فقال اللّه لنبيه صلى اللّهُ عليه و آله (قُلْ) لهم يا محمـد (ما عِنْدَ اللَّهِ) من الثواب على سـماع الخطبة و حضور الموعظة (خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَ مِنَ التِّجارَةِ) و انفع و احمد عاقبة «وَ اللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ» أى ليس يفوتهم بـترك البيع شـىء من رزق الله، و التقـدير و إذا رأوا تجـارة او لهواً انفضوا اليهـا و تركوك التبيـان فى تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۱۰

أى اليه، و إنمـا قيـل (إِلَيْهـا) لأنهـا كانت أهم اليهم، ذكره الفراء. و قيل: تقـديره و إذا رأوا لهواً او تجارة انفضوا اليها، فرد الضـمير الى اقرب المذكورين، لأنه كان أهم اليهم، و كذلك قرأ ابن مسعود فى مصحفه.

۶۳-سورة المنافقون ..... ص: ۱۰

اشارة

مدنية بلا خلاف و هو قول ابن عباس و عطا و الضحاك و هى احدى عشرة آية بلا خلاف.

[سورة المنافقون (۶۳): الآيات ۱ الى ۵] ..... ص: ۱۰

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

إذا جاءَکَ الْمُنافِقُونَ قالُوا نَشْهَدُ إِنَّکَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَ اللَّهُ یَعْلَمُ إِنَّکَ لَرَسُولُهُ وَ اللَّهُ یَشْهَدُ إِنَّ الْمُنافِقِینَ لَکاذِبُونَ (۱) اتَّخَذُوا أَیْمانَهُمْ جُنَّهًٔ فَصَدُّوا عَنْ سَبِیلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ ساءَ ما کانُوا یَعْمَلُونَ (۲) ذلِکَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ کَفَرُوا فَطُبِعَ عَلی قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا یَفْقَهُونَ (۳) وَ إِذا رَأَیْتَهُمْ تُعْجِبُکَ أَجْسامُهُمْ وَ إِنْ یَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ کَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَهٌٔ یَحْسَبُونَ کُلَّ صَیْحَهٍٔ عَلَیْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّی یُؤْفَکُونَ (۴)

وَ إِذا قِیلَ لَهُمْ تَعالَوْا یَسْتَغْفِرْ لَکُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُؤُسَهُمْ وَ رَأَیْتَهُمْ یَصُدُّونَ وَ هُمْ مُسْتَکْبِرُونَ (۵)

التبیان فی تفسیر القرآن، ج ۱۰، ص: ۱۱

خمس آیات.

قرأ «خشب» خفیفهٔ ابن کثیر و ابو عمرو و الکسائی. و قرأ الباقون «خشب» مثقل. و قرأ نافع و روح و زید «لووا رؤسهم» خفیفهٔ. الباقون «لوّوا» مشددهٔ.

یقول اللَّه تعالی لنبیه صلی اللَّهُ علیه و آله «إِذا جاءَکَ» یا محمد «الْمُنافِقُونَ» و هم الذین یظهرون الایمان و یبطنون الکفر «قالُوا نَشْهَدُ إِنَّکَ لَرَسُولُ اللَّهِ» أی أخبروا بأنهم یعتقدون إنک رسول الله. فقال الله تعالی لنبیه «وَ اللَّهُ یَعْلَمُ إِنَّکَ لَرَسُولُهُ» علی الحقیقهٔ «وَ اللَّهُ یَشْهَدُ إِنَّ الْمُنافِقِینَ لَکاذِبُونَ» فی قولهم إنهم یعتقدون إنک لرسول الله، و کان إکذابهم فی اعتقادهم و أنهم یشهدون ذلک بقلوبهم و لم یکونوا فیما یرجع الی ألسنتهم، لأنهم شهدوا بها بألسنتهم و هم صادقون فی ذلک و فی ذلک دلالهٔ علی بطلان قول من یقول إن المعرفهٔ ضروریهٔ. و کسرت (إن) لأجل اللام التی هی لام الابتداء التی فی الخبر، لان لها صدر الکلام. و إنما زحلقت عن موضعها إلی موضع الخبر لئلا تجمع بین حرفی تأکید، و کانت أحق بالتأخیر، لأنها غیر عامهٔ. و إنما کان لها صدر الکلام، لأنها نقلت الجملهٔ إلی معنی التأکید و کل حرف نقل الجملهٔ عن معنی إلی معنی کان له صدر الکلام، لئلا تختلط الجمل.

ثم اخبر تعالی عن هؤلاء المنافقین فقال «اتَّخَذُوا أَیْمانَهُمْ جُنَّهًٔ» أی سترهٔ یتسترون بها من الکفر لئلا یقتلوا و لا یسبوا و لا تؤخذ أموالهم. و الجنهٔ السترهٔ المتخذهٔ لدفع الأذیهٔ کالسلاح المتخذ لدفع الجراح، فالجنهٔ السترهٔ، و الجنهٔ البستان الذی یجنه الشجر. الجنه و الجنون الذی یغطی علی العقل. و اصل ذلک کله الستر «فَصَدُّوا عَنْ سَبِیلِ اللَّهِ» أی منعوا غیرهم عن اتباع سبیل الحق. و قال الضحاک:

التبیان فی تفسیر القرآن، ج ۱۰، ص: ۱۲

أیمانهم حلفهم إنهم لمنکم. و قرئ «إیمانهم» بکسر الهمزهٔ بمعنی أنهم اتخذوا تصدیقهم ظاهراً جنهٔ، فقال تعالی «إِنَّهُمْ ساءَ ما کانُوا یَعْمَلُونَ» و معناه بئس الذی یعملونه من اظهار الایمان مع إبطان الکفر و الصد عن السبیل. و قال زید بن أرقم: نزلت الآیهٔ فی عبد الله بن أبی بن سلول، لما قال: لا تنفقوا علی من عند رسول الله حتی ینفضوا و قال لئن رجعنا الی المدینهٔ لیخرجن الأعز منها الأذل، فلما وقف علی ذلک جحده و حلف انه ما قاله حتی نزلت السورهٔ. و قوله «ذلِکَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا» بألسنتهم عند الإقرار ب (لا إله إلا الله محمد رسول الله) «ثُمَّ کَفَرُوا» بقلوبهم لما کذبوا بهذا و هو قول قتادهٔ «فَطُبِعَ عَلی قُلُوبِهِمْ» أی ختم علیها بسمهٔ تمیز الملائکهٔ بینهم و بین المؤمنین علی الحقیقهٔ «فَهُمْ لا یَفْقَهُونَ» ذلک بجحدهم توحید الله و نفاقهم و إنکارهم نبوهٔ رسوله الذی دعاهم الی الحق.

ثم قال: «وَ إِذا رَأَیْتَهُمْ تُعْجِبُکَ أَجْسامُهُمْ» بحسن منظرهم و جمیل زیهم «وَ إِنْ یَقُولُوا» یعنی هؤلاء المنافقون «تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ» أی تصغی الیهم و تسمع ما یقولون بحسن بیانهم و بلاغهٔ لسانهم، فقال تعالی «کَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَهٌٔ» فشبههم اللَّه بالخشب المسندهٔ، قیل: إنهم شبهو بخشب نخرهٔ متأکلهٔ لا خیر فیها إلا أنها مسندهٔ یحسب من یراها أنها صحیحهٔ سلیمهٔ. و خشب جمع خشبهٔ مثل بدن و بدنهٔ فیمن سکن. و من ضم قال: مثل ثمرهٔ و ثمر. ثم وصفهم بالخور و الهلع فقال «یَحْسَبُونَ کُلَّ صَیْحَهٍٔ عَلَیْهِمْ» أی یظنون أنها مهلکتهم، و أنهم المقصودون بها جبناً و خوراً.

ثم قال لنبیه صلی اللَّهُ علیه و آله «هُمُ الْعَدُوُّ» لک و للمؤمنین «فَاحْذَرْهُمْ» و توقهم «قاتَلَهُمُ اللَّهُ» و قیل: معناه أخزاهم اللَّه. و قیل: معناه أحلهم اللَّه محل من یقاتله عدو قاهر له، و هذا أشد ما یکون من الذم و البلاء الذی ینزل بهم و أبلغ ما یکون فی البیان عن مکروههم

«أَنَّى يُؤْفَكُونَ» أى كيف يصرفون عن الحق. و إنما قال «فَاحْذَرْهُمْ» التبيان فى تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۱۳
لأنهم كانوا ينقلون الاسرار إلى الكفار و يحيون من قدروا عليه من أهل الكفر.
ثم اخبر تعالى فقال «وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ» يعنى لهؤلاء المنافقين «تَعالَوْا» أى هلموا «يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُؤُسَهُمْ» و معناه أكثروا تحريكها بالهز لها استهزاء بدعائهم الى ذلك.
فمن شدد أراد تكثير الفعل. و ممن خفف فلانه يدل على القليل و الكثير.
ثم قال: و رأيتهم يا محمد «يَصُدُّونَ» عن سبيل الحق (وَ هُمْ مُسْتَكْبِرُونَ) أى يطلبون الكبر و يتجبرون عن إتباع الحق.

قوله تعالى:[سورة المنافقون (۶۳): الآيات ۶ الى ۱۱] ..... ص: ۱۳

سَواءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ (۶) هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنْفِقُوا عَلى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَ لِلَّهِ خَزائِنُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ لكِنَّ الْمُنافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ (۷) يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَ لِلَّهِ الْعِزَّةُ وَ لِرَسُولِهِ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ لكِنَّ الْمُنافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ (۸) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوالُكُمْ وَ لا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ (۹) وَ أَنْفِقُوا مِنْ ما رَزَقْناكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْ لا أَخَّرْتَنِي إِلى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَ أَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ (۱۰)
وَ لَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذا جاءَ أَجَلُها وَ اللَّهُ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ (۱۱)
التبيان فى تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۱۴
ست آيات.
قرأ ابو عمرو وحده (و أكون) بالواو، الباقون (و أكن) و فى المصاحف بلا واو فقيل لابى عمرو: لم سقطت من المصاحف؟. فقال كما كتبوا: (كلهن) و قرأ يحيى عن أبى بكر (يعملون) بالياء، الباقون بالتاء. و من قرأ بالياء فعلى الخبر، و من قرأ بالتاء فعلى الخطاب.
لما اخبر اللَّه تعالى عن حال المنافقين، و انه «إِذا قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ» حركوا رؤسهم استهزاء بهذا القول، فقال اللَّه تعالى لنبيه صلى اللَّهُ عليه و آله (سَواءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ) أى يتساوى الاستغفار لهم و عدم الاستغفار (لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ) لأنهم يبطنون الكفر و إن أظهروا الايمان، و بين انه تعالى (لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ) الى طريق الجنة، فلهذا يجب ان ييأسوا من المغفرة بالاستغفار.
و قال الحسن: اخبر اللَّه تعالى أنهم يموتون على النفاق، فلم يستغفر لهم بعد.
و قيل: المعنى لا يحكم اللَّه بهدايتهم، و قد كان النبى صلى اللَّهُ عليه و آله يستغفر لهم على ظاهر الحال بشرط حصول التوبة و أن يكون باطن المستغفر له مثل ظاهره، فبين بها أن ذلك لا ينفع مع ابطانهم الكفر و النفاق.
ثم حكى تعالى عنهم فقال (هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ) يعنى بعضهم لبعض لا تنفقوا على من عند رسول اللَّه صلى اللَّهُ عليه و آله من المؤمنين المحتاجين (حَتَّى يَنْفَضُّوا) عنه و معناه حتى يتفرقوا عنه لفقرهم و حاجتهم. و الانفضاض التفرق، و فض الكتاب إذا فرقه و نشره، و سميت الفضة فضة لتفرقها فى أثمان الأشياء المشتراة. التبيان فى تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۱۵
فقال اللَّه تعالى (وَ لِلَّهِ خَزائِنُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ) بمعنى له مقدوراته فى السموات و الأرض، لان فيها كل ما يشاء إخراجه، و له خزائن السموات و الأرض يخرج منهما ما يشاء. و هى داخلة فى مقدوراته، و الخزانة- بكسر الخاء- موضع يخبأ فيه الامتعة، و إذا كان للَّه خزائن السموات و الأرض، فلا يضرك يا محمد ترك إنفاقهم بل لا يضرون إلا أنفسهم دون اولياء اللَّه و المؤمنين الذين يسبب اللَّه قوتهم و لو شاء الله تعالى لأغنى المؤمنين، و لكن فعل ما هو أصلح لهم و تعبدهم بالصبر على ذلك لينالوا منزلة الثواب (وَ لكِنَّ الْمُنافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ) ذلك على الحقيقة لجهلهم بعقاب الله تعالى.

ثم اخبر عنهم فقال (یَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنا إِلَی الْمَدِینَةِ لَیُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ) یعنون نفوسهم (مِنْهَا الْأَذَلَّ) یعنون رسول الله و المؤمنین. و قیل: إن القائل لذلک فی غزوة المریسیع، کان عبد الله بن أبی بن سلول، فقال الله تعالی (وَ لِلَّهِ الْعِزَّةُ وَ لِرَسُولِهِ وَ لِلْمُؤْمِنِینَ) دون المنافقین و الکفار (وَ لکِنَّ الْمُنافِقِینَ لا یَعْلَمُونَ) ذلک فیظنون ان العزة لهم، و ذلک بجهلهم بصفات الله و ما یستحقه أولیاؤه و ما یعمل بهم. و الأعز الأقدر علی منع غیره و أصل الصفة المنع فلذلک لم یکن أحد أعز من الله و لا أذل من المنافق.

ثم خاطب المؤمنین فقال (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تُلْهِکُمْ أَمْوالُکُمْ) أی لا تشغلکم أموالکم (وَ لا أَوْلادُکُمْ عَنْ ذِکْرِ اللَّهِ) قال قوم الذکر المأمور به هو ذکر الله بالحمد و الشکر و التعظیم بصفاته العلیا و أسمائه الحسنی، و یقال: ألهیته عن الأمر إذا صرفته عنه بما یمنعه قال امرؤ القیس:

فمثلک حبلی قد طرقت و مرضع فألهیتها عن ذی تمائم محول «۱»

---

(۱) دیوانه (السندوبی) ۱۴۷

و قال قوم: ذکر الله جمیع فرائضه ثم قال (وَ مَنْ یَفْعَلْ ذلِکَ) أی من شغله ماله او ولده عن ذکر الله (فَأُولئِکَ هُمُ الْخاسِرُونَ) الذین خسروا ثواب الله و حصل لهم عقابه. ثم أمرهم بأن ینفقوا مما رزقهم الله فیما تجب علیهم النفقة فیه من الزکاة و الجهاد و الحج و الکفارات و غیر ذلک من الواجبات. و فی ذلک دلیل علی ان الحرام لیس برزق من الله، لان الله لا یأمر بالمعصیة بالإنفاق، و لأنه ینهی عن التصرف فیه بلا خلاف (مِنْ قَبْلِ أَنْ یَأْتِیَ أَحَدَکُمُ الْمَوْتُ فَیَقُولَ رَبِّ لَوْ لا أَخَّرْتَنِی إِلی أَجَلٍ قَرِیبٍ) ای هلا. و قیل: معناه إنه یتمنی أن یرد الی دار الدنیا، و انما جاز التمنی ب (لو لا)، لأن أصلها التقدیر، و التمنی تقدیر الخیر للاستمتاع (فاصدق) و معناه فأتصدق، و أنفق فی سبیل الله (وَ أَکُنْ مِنَ الصَّالِحِینَ) أی من الذین یعملون الأفعال الحسنة. و فی ذلک دلیل علی ان المقدرة قبل الفعل، لأنهم تمنوا ان یؤخروا لیعملوا ما کانوا قادرین علیه متمکنین منه. و دلیل علی ان الله تعالی لا یخلق الکفر و النفاق فیهم، لأنه لو فعل ذلک کان لا معنی لتمنی التأخیر و الرد بل الواجب أن یطلبوا منه تعالی ان یکف عنهم الکفر و یخلق فیهم الایمان و قدرته بدل الکفر و قدرته.

و قوله (فاصدق) انتصب بأنه جواب التمنی بالفاء، و کل جواب بالفاء نصب، إلا جواب الجزاء، فانه رفع علی الاستئناف، لان الفاء فی الجزاء و صلة الی الجواب بالجملة من الابتداء و الخبر. و انما نصب الجواب بالفاء للإیذان بأن الثانی یجب بالأول بدلالة الفاء فی الجواب، و لیس یحتاج الی ذلک فی الجزاء من قبل ان حرف الجزاء یکفی فی الدلالة. و من قرأ (و أکن) فجزم عطف علی موضع الفاء، لأنها فی موضع جزم. و من قرأ (و أکون) عطف علی لفظ (فأصدق).

ثم قال (وَ لَنْ یُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذا جاءَ أَجَلُها) یعنی الأجل المطلق الذی
حکم بأن الحی یموت عنده. و الأجل المقید هو الوقت المحکوم بأن العبد یموت عنده ان لم یقتطع عنه او لم یزد علیه او لم ینقص منه علی ما یعلمه الله من المصلحة. ثم قال (وَ اللَّهُ خَبِیرٌ) ای عالم (بِما تَعْمَلُونَ) فمن قرأ بالیاء أراد عالم بعملهم علی لفظ الغیبة. و من قرأ بالتاء أراد بعملکم علی الخطاب أی قل لهم.

۶۴-سورة التغابن ..... ص: ۱۷

اشارة

مدنیة بلا خلاف- فی قول ابن عباس و عطاء و الضحاک- و هی ثمان عشرة آیة بلا خلاف

[سورة التغابن (٦٤): الآيات ١ الى ٥] ..... ص: ١٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
يُسَبِّحُ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَ لَهُ الْحَمْدُ وَ هُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كافِرٌ وَ مِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢) خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَ صَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ (٣) يَعْلَمُ ما فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ يَعْلَمُ ما تُسِرُّونَ وَ ما تُعْلِنُونَ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ (٤)
أَ لَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذاقُوا وَبالَ أَمْرِهِمْ وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ (٥)

خمس آيات. التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١٨

قد فسرنا معنى قوله «يُسَبِّحُ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ» و أن المراد بها ما فى خلق السموات و الأرض، و ما فيهما من الادلة الدالة على توحيده و صفاته التى باين بها خلقه، و أنه لا يشبه شيئاً و لا يشبهه شيء و أنه منزه عن القبائح و صفات النقص، فعبر عن ذلك بالتسبيح من حيث كان معنى التسبيح التنزيه للَّه عما لا يليق به.

و قوله «لَهُ الْمُلْكُ» معناه انه المالك لجميع ذلك و المتصرف فيه بما شاء، و لا أحد يمنعه منه، و له الحمد على جميع ذلك، لأن خلق ذلك أجمع للإحسان إلى خلقه به و النفع لهم فاستحق بذلك الحمد و الشكر «وَ هُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» يعنى مما يصح أن يكون مقدوراً له، فلا يدخل فى ذلك مقدور العباد، لأنه يستحيل أن يكون مقدوراً للَّه.

و قوله «هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ» معناه هو الذى اخترعكم و أنشأكم بأن أخرجكم من العدم إلى الوجود «فَمِنْكُمْ كافِرٌ وَ مِنْكُمْ مُؤْمِنٌ» معناه فمنكم من يختار الكفر بسوء اختياره و منكم مؤمن بحسن اختياره للايمان. و قال الحسن: فيه محذوف و تقديره فمنكم كافر و منكم مؤمن و منكم فاسق. و قال غيره: ليس فيه حذف، لأن الغرض ذكر الطرفين لا المنزلة بين المنزلتين كما أن قوله «خلقكم» خطاب يتوجه إلى جميع الخلق. و إن كان منهم الأطفال و المجانين الذين لا حكم لهم بالايمان و لا بالكفر.

و قال الزجاج: معناه «فَمِنْكُمْ كافِرٌ» باللَّه بأن اللَّه خلقه «وَ مِنْكُمْ مُؤْمِنٌ» بذلك.

و قوله «وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» معناه- هاهنا- أنه خلق الكافر، و هو عالم بما يكون منه من الكفر، و كذلك خلق المؤمن و علم بما يكون منه من الايمان، و كل ذلك على وجه الإحسان فى الفعل الذى يستحق به الحمد و الشكر. ثم قال «خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ» بمعنى اخترعهما و انشأهما «بِالْحَقِّ» أى للحق و هو انه التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١٩

خلق العقلاء تعريضاً لهم للثواب العظيم، و ما عداهم خلق تبعاً لهم لما فيه من اللطف. و هذا الغرض لا يتأتى إلا على مذهب العدل، و أما على مذهب الجبر فلا.

«وَ صَوَّرَكُمْ» متوجه الى البشر كلهم «فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ» معناه من الحسن الذى يقتضيه العقل لا فى قبول الطبع له عند رؤيته، لان فيهم من ليس بهذه الصفة. و قال قوم: لا بل هو من تقبل الطبع لأنه إذا قيل: حسن الصورة لا يفهم منه إلا تقبل الطبع، و سبيله كسيل قوله «لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ» «١» و إن كان فيهم المشوه الخلق لأن هذا عارض لا يعتد به فى هذا الوصف، و اللَّه تعالى خلق الإنسان على أحسن صورة الحيوان كله. و الصورة عبارة عن بنية مخصوصة كصورة الإنسان و الفرس و الطير و ما أشبه ذلك.

ثم قال «وَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ» يعنى اليه المرجع يوم القيامة و اليه المآل. ثم قال «يَعْلَمُ» يعنى اللَّه تعالى بعلم «ما فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» من الموجودات «وَ يَعْلَمُ ما تُسِرُّونَ وَ ما تُعْلِنُونَ» أى ما تظهرونه و ما تخفونه. و قيل: ما يسره بعضكم إلى بعض و ما تخفوه فى صدوركم عن غيركم. و الفرق بين الاسرار و الإخفاء أن الإخفاء أعم لأنه قد يخفى شخصه و قد يخفى المعنى فى نفسه و الاسرار و المعنى دون الشخص «وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ» معناه و هو عالم باسرار الصدور و بواطنها.

ثم خاطب نبيه صلى الله عليه و آله و المؤمنين فقال «أَ لَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ» يعنى من قبل هؤلاء الكفار «فَذاقُوا وَبالَ أَمْرِهِمْ» أى بما سلطه اللَّه عليهم بأن أهلكهم اللَّه عاجلا و استأصلهم «وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ» أى مؤلم يوم القيامة.

قوله تعالى:[سورة التغابن (٦٤): الآيات ٦ الى ١٠] ..... ص: ١٩

ذلِكَ بِأَنَّهُ كانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَقالُوا أَ بَشَرٌ يَهْدُونَنا فَكَفَرُوا وَ تَوَلَّوْا وَ اسْتَغْنَى اللَّهُ وَ اللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (٦) زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلى وَ رَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِما عَمِلْتُمْ وَ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٧) فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ النُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنا وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٨) يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذلِكَ يَوْمُ التَّغابُنِ وَ مَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَ يَعْمَلْ صالِحاً يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئاتِهِ وَ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٩) وَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآياتِنا أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ خالِدِينَ فِيها وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ (١٠)

---

(١) سورة ٩٥ التين آية ۴ [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢٠

خمس آيات.

قرأ رويس عن يعقوب «نجمعكم» بالنون على الاخبار من اللَّه عن نفسه.

الباقون بالياء على تقدير يوم يجمعكم اللَّه.

(أَ بَشَرٌ) لفظه لفظ الواحد و المراد به الجمع بدلالة قوله (يَهْدُونَنا) لأنه على طريق الجنس الذى لا يجمع و لا يثنى.

لما قرر اللَّه تعالى خلقه بأنهم جاءهم اخبار من مضى من الكفار و أن اللَّه تعالى أهلكهم بكفرهم، بين لم أهلكهم فقال (ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ) أى تجيئهم رسلهم من اللَّه بالحجج الواضحات (فَقالُوا) لهم (أَ بَشَرٌ يَهْدُونَنا) و قد بينا أن لفظ (بشر) واحد و المراد به الجمع، و معناه أخلق مثلنا يهدوننا إلى الحق؟! متعجبين من ذلك مستهزئين به (فَكَفَرُوا) باللَّه و جحدوا رسله (وَ تَوَلَّوْا) أى اعرضوا عن القبول منهم (وَ اسْتَغْنَى اللَّهُ) و معناه أن اللَّه لم يدعهم الى عبادته لحاجته اليهم، لأن اللَّه تعالى غنى عنهم و عن غيرهم، و إنما دعاهم لما يعود عليهم بالنفع حسب التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢١

ما تقتضيه حكمته فى تدبيرهم (وَ اللَّهُ غَنِيٌّ) عن جميع خلقه (حَمِيدٌ) على جميع أفعاله لأنها كلها إحسان. و قيل (حميد) يدل على أنه يجب على عباده أن يحمدوه.

ثم حكى ما يقول الكفار فقال (زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالله و جحدوا رسله فقال المؤرج: (زعم) معناه كذب فى لغة حمير. و قال شريح (زعم) كنية الكذب و الحدة كنية الجهل (أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا) أى لا يحشرهم اللَّه فى المستقبل للحساب و الجزاء ف (قل) لهم يا محمد صلى الله عليه و آله (بَلى وَ رَبِّي) أى و حق ربى، على وجه القسم (لَتُبْعَثُنَّ) أى لتحشرن (ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ) أى لتخبرن (بِما عَمِلْتُمْ) من طاعة و معصية (وَ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) سهل لا يتعذر عليه ذلك، و إن كثروا و عظموا فهو كالقليل الذى لا يشق على من يأخذه لخفة أمره، و مثله قوله (ما خَلْقُكُمْ وَ لا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ واحِدَةٍ) «١» و أصله من تيسير الشيء بمروره على سهولة.

ثم قال «فَآمِنُوا بِاللَّهِ» معاشر العقلاء «وَ رَسُولِهِ» أى و آمنوا برسوله «وَ النُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنا» يعنى القرآن، سماه نوراً لما فيه من الادلة و الحجج الموصلة الى الحق فشبهه بالنور الذى يهتدى به على الطريق «وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ» أى عالم بأعمالكم لا يخفى عليه خافية منها.

و قوله (يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ) تقديره و اذكروا يوم يجمعكم (لِيَوْمِ الْجَمْعِ) و هو يوم القيامة. و قوله (ذلِكَ يَوْمُ التَّغابُنِ) و التغابن هو التفاوت فى أخذ الشيء بدون القيمة، و الذين أخذوا الدنيا بالآخرة بهذه الصفة فى أنهم أخذوا الشيء بدون القيمة، فقد غبنوا أنفسهم بأخذ النعيم المنقطع بالدائم و اغبنهم الذين اشتروا الآخرة بترك الدنيا المنقطع اليها من هؤلاء الذين تغابنوا عليها، و قال مجاهد و قتادة: يوم التغابن غبن أهل الجنة أهل النار.

ثم قال (وَ مَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَ يَعْمَلْ صالِحاً) أى من يصدق بالله و يعترف

(۱) سورة ۳۱ لقمان آية ۲۸

التبيان فى تفسير القرآن، ج۱۰، ص: ۲۲

بوحدانيته و إخلاص العبادة له و يقرّ بنبوة نبيه و يضيف إلى ذلك أفعال الطاعات (يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئاتِهِ) أى يكفر عنه سيئاته التى هى دونها، و يتفضل عليه بإسقاط عقاب ما دونها من المعاصى (وَ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ) يعنى بساتين تجرى من تحت أشجارها الأنهار (خالِدِينَ فِيها) أى مؤبدين لا يفنى ما هم فيه من النعيم أبداً (ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) أى النجاح الذى ليس وراءه شىء من عظمه.

ثم قال (وَ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالله و جحدوا وحدانيته و أنكروا نبوّة نبيه و كذبوا بمعجزاته التى هى آيات الله (أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ خالِدِينَ فِيها وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ) أى بئس المآل و المرجع. و قرأ (نكفر، و ندخله) بالنون أهل المدينة و اهل الشام على وجه الاخبار من الله تعالى عن نفسه. الباقون بالياء على تقدير يكفر الله عنهم و يدخلهم.

قوله تعالى:[سورة التغابن (۶۴): الآيات ۱۱ الى ۱۵] ..... ص: ۲۲

ما أَصابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَ مَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (۱۱) وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّما عَلى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ (۱۲) اللَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (۱۳) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْواجِكُمْ وَ أَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَ إِنْ تَعْفُوا وَ تَصْفَحُوا وَ تَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۱۴) إِنَّما أَمْوالُكُمْ وَ أَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَ اللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (۱۵)

خمس آيات.

يقول الله تعالى مخاطباً لخلقه انه ليس يصيبكم مصيبة إلا بإذن الله. و المصيبة التبيان فى تفسير القرآن، ج۱۰، ص: ۲۳

المضرة التى تلحق صاحبها كالرمية التى تصيبه، و منه الصواب بأنه أصابه الحق كالرمية فى اصابة البغية. و قيل: إنما عمم قوله (ما أَصابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) و فى المصائب ما هو ظلم، و الله لا يأذن فى الظلم، لأنه لا يحسن فى الحكمة، الا ترى انه ليس منها إلا ما أذن الله فى وقوعه او التمكن منه و ذلك أذن للملك الموكل به كأنه قيل له لا تمنع من وقوع هذه المصيبة. و قد يكون ذلك بفعل التمكن من الله كأنه يأذن له ان يكون. و قال البلخى: معناه إلا بتخلية الله بينكم و بين من يريد فعلها. و قال قوم: هو خاص فيما يفعله الله تعالى او يأمر به، و يجوز ايضاً ان يكون المراد بالأذن- هاهنا- العلم، فكأنه قال لا يصيبكم من مصيبة إلا و الله تعالى عالم بها. ثم قال (وَ مَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ) أى من يصدق بالله و يعترف بوحدانيته (يَهْدِ قَلْبَهُ) أى يحكم بهدايته. و يجوز ان يكون المراد يشرح صدره للايمان. و قيل: معناه يهدى قلبه بأن المصيبة بإذن الله- ذكره ابن عباس و علقمة- قال هو الرجل تصيبه المصيبة فيسلم و يرضى و يعلم أنها من عند اللّه، و قال الفراء: هو أن يقول: إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ، و قال غيره: معناه إذا ابتلى صبر، و إذا أنعم عليه شكر، و إذا ظلم غفر.

و قرأ ابو بكر (يهد قلبه)- بفتح الدال- بمعنى يسكن قلبه (وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) لا يخفى عليه شىء من ذلك. ثم أمرهم فقال (وَ أَطِيعُوا اللَّهَ) فيما أمركم به (وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ) فيما أمركم به و نهاكم عنه (فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ) أى فان أعرضتم عن القبول منه و توليتم عن الحق فليس على رسولنا قهركم الى الرد إلى الحق (فَإِنَّما عَلى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ) الظاهر، و حذف ايجازاً ثم قال (اللَّهُ) الذى يحق له العبادة (لا إِلهَ إِلَّا هُوَ وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) فالتوكل هو تفويض الامر الى اللّه بأنه يتولاه على الحق فيه و قد أمر اللّه بالتوكل عليه فينبغى للمسلم أن يستشعر التبيان فى تفسير القرآن، ج۱۰، ص: ۲۴

ذلك فى سائر أحواله. و قال قوم: التوكل تفويض الأمر إلى مالكه لتدبره بالحق فيه. و الوكيل المالك للتدبير فيمن فوض الامر اليه

فيه.

ثم خاطب تعالى المؤمنين فقال (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْواجِكُمْ وَ أَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ) قال ابن عباس: نزلت الآية فى قوم اسلموا بمكة و أرادوا الهجرة فمنعوهم من ذلك، و قال عطاء بن بشار: نزلت فى قوم أرادوا البر فمنعهم هؤلاء. و قال مجاهد: هى فى قوم إذا أرادوا طاعة اللَّه منعهم أزواجهم و أولادهم فبين الله تعالى أن فى هؤلاء من هو عدوّ لكم فى الدين فاحذروهم فيه. و (من) دخلت للتبعيض لأنه ليس حكم جميع الأزواج و الأولاد هذا الحكم، و العداوة المباعدة من الخير بالبغضة و نقيضها الولاية و هى المقاربة من الخير بالمحبة. و الاذن الإطلاق فى الفعل، تقول: يسمع بالاذن، فهذا أصله، ثم قد يتسع فيه بما يقارب هذا المعنى.

ثم قال (وَ إِنْ تَعْفُوا) يعنى تتركوا عقابهم (وَ تَصْفَحُوا) و تعرضوا عما كان منهم (وَ تَغْفِرُوا) أى تستروا ذنوبهم إذا تابوا و اقلعوا عنها «فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ» أى ستار على خلقه «رَحِيمٌ» بهم.

ثم قالإِنَّما أَمْوالُكُمْ وَ أَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ»

أى محنة و ابتلاء. و قال قتادة:

يعنى بلاء. و الفتنة المحنة التى فيها مشقة تمنع النفس عما تدعو اليه الشهوةَ اللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ»

أى ثواب جزيل على الصفح و العفو و غيرهما من الطاعات.

قوله تعالى:[سورة التغابن (٦٤): الآيات ١٦ الى ١٨] ..... ص: ٢٤

فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَ اسْمَعُوا وَ أَطِيعُوا وَ أَنْفِقُوا خَيْراً لِأَنْفُسِكُمْ وَ مَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١۶) إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً يُضاعِفْهُ لَكُمْ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ وَ اللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ (١٧) عالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨)

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢٥

ثلاث آيات.

هذا أمر من الله تعالى للمكلفين يأمرهم بأن يتقوه بأن يتركوا معاصيه و يفعلوا طاعاته. فالاتقاء الامتناع من الردى باجتناب ما يدعو اليه الهوى، يقال: اتقاه بالترس إذا امتنع منه بأن جعله حاجزاً بينه و بينه. و قوله «مَا اسْتَطَعْتُمْ» معناه اتقوه بحسب طاقتكم، فان الله تعالى لا يكلف نفساً ما لا تطيقه، و إنما يكلفها ما تسعه له، و لا ينافى هذا قوله «اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقاتِهِ» «١» لان كل واحد من الأمرين إنما هو إلزام ترك جميع معاصيه فمن ترك جميع المعاصى فقد اتقى عقاب الله، لان من لم يفعل قبيحاً و لا أخل بواجب فلا عقاب عليه إلا أن فى احد الكلامين تبيين أن التكليف لا يلزم العبد إلا فيما يطيق. و هذا يقتضى أن اتقاءه فيما وقع من القبيح ليس بأن لا يكون وقع و إنما هو بالندم عليه مع العزم على ترك معاودته. و كل أمر يأمر الله به فلا بد من أن يكون مشروطاً بالاستطاعة، فان كانت الاستطاعة غير باقية على مذهب من يقول بذلك، فالأمر بما يفعل فى الثالث. و ما بعده مشروط بأن يفعل له استطاعة قبل الفعل بوقت و إلا لا يكون مأموراً بالفعل، و إن كانت ثابتة فالأمر على صفة الاستطاعة، لأنه لا يصح الشرط بالموجود، لان الشرط يحدث، فليس يخلو من ان يكون على شريطة وقوع القدرة او على صفة وجود القدرة و قال قتادة قوله تعالى «فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ» ناسخ لقوله «اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقاتِهِ» كأنه يذهب إلى أن فيه رخصة لحال التقية و ما جرى مجراها مما يعظم فيه المشقة

---

(١) سورة ٣ آل عمران آية ١٠٢

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢٦

و إن كانت معه القدرة على الحقيقة. و قال غيره: ليس بناسخ، و إنما هو مبين لإمكان العمل بهما جميعاً. و هو الصحيح، لأن تقديره: اتقوا اللَّه حق تقاته فيما استطعتم و قوله «وَ اسْمَعُوا» أى اصغوا إلى ما يأمركم اللَّه به «وَ أَطِيعُوا» فيما آمركم به «وَ أَنْفِقُوا» فيما أمركم

بالإنفاق فیه من الزكاة و الإنفاق فی سبیل اللّه و غیر ذلک «خَیْراً لِأَنْفُسِکُمْ» انتصب (خَیْراً) بفعل محذوف یدل علیه (أَنْفِقُوا) و تقدیره و أنفقوا الإنفاق خیراً لأنفسکم، و مثله انْتَهُوا خَیْراً لَکُمْ، و هو کقولهم: و ذاک أوسع لک لأنک إذا أمرته بشیء فهو مضمن بأن یأتی خیراً له.

و قوله «وَ مَنْ یُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ» أی من منع و وقی شح نفسه. و الشح منع الواجب فی الشرع. و قیل: الشح منع النفع علی مخالفة العقل لمشقة البذل، و مثله البخل یقال: شح یشح شحاً فهو شحیح و شحاح. و قال ابن مسعود: من الشح أن تعمد الی مال غیرک فتأكله.

و قوله «فَأُولئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» معناه إن من وقی شح نفسه و فعل ما أوجبه اللّه علیه فهو من جملة المنجحین الفائزین بثواب اللّه. و قوله «إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً» و القرض أخذ قطعة من المال بتملیك الآخذ له علی رد مثله و أصله القطع: من قرض الشیء یقرضه قرضاً إذا قطع منه قطعة. و ذكر القرض فی صفة اللّه تلطفاً فی الاستدعاء إلی الإنفاق فی سبیل اللّه، و هو كالقرض فی مثله مع أضعافه. و لا یجوز أن یملك اللّه- عز و جل- لأنه مالك للأشیاء من غیر تملیك و لأن المالك لا یملك ما هو مالكه. و قوله «یُضاعِفْهُ لَکُمْ» أی یضاعف ثوابه لكم بأمثاله. و من قرأ «یضعفه» بالتشدید، فلان اللّه تعالی بذل بالواحد عشرة إلی سبعین و سبعمائة «وَ یَغْفِرْ لَکُمْ» أی و یستر علیكم ذنوبكم و لا یفضحكم بها «وَ اللَّهُ شَکُورٌ حَلِیمٌ» أی یجازی علی الشكر «حلیم» لا یعاجل العباد بما یستحقونه من العقاب.

و قوله التبیان فی تفسیر القرآن، ج ۱۰، ص: ۲۷

«عالِمُ الْغَیْبِ وَ الشَّهادَةِ» أی یعلم السر و العلانیة و هو «الْعَزِیزُ» الذی لا یغالب «الْحَکِیمُ» فی جمیع أفعاله و (الشكور) فی صفة اللّه مجاز و معناه إنه یعامل المطیع فی حسن الجزاء معاملة الشاكر و (الحلم) ترك المعاجلة بالعقوبة لداعی الحكمة.

و (الغیب) كون الشیء بحیث لا یشاهده العبد. و (الغائب) نقیض الشاهد و هو «الحكیم» فی جمیع أفعاله.

و قرأ «یضعفه» بالتشدید ابن كثیر و ابن عامر. الباقون «یضاعفه» و قد مضی تفسیره.

۶۵-سورة الطلاق ..... ص: ۲۷

اشارة

مدنیة فی قول ابن عباس و عطاء و الضحاك و غیرهم و هی اثنتا عشرة آیة فی الكوفی و المدنیین و عشر فی البصری.

[سورة الطلاق (۶۵): الآیات ۱ الی ۵] ..... ص: ۲۷

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ

یا أَیُّهَا النَّبِیُّ إِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَ أَحْصُوا الْعِدَّةَ وَ اتَّقُوا اللَّهَ رَبَّکُمْ لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُیُوتِهِنَّ وَ لا یَخْرُجْنَ إِلاَّ أَنْ یَأْتِینَ بِفاحِشَةٍ مُبَیِّنَةٍ وَ تِلْکَ حُدُودُ اللَّهِ وَ مَنْ یَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لا تَدْرِی لَعَلَّ اللَّهَ یُحْدِثُ بَعْدَ ذلِکَ أَمْراً (۱) فَإِذا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِکُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَ أَشْهِدُوا ذَوَیْ عَدْلٍ مِنْکُمْ وَ أَقِیمُوا الشَّهادَةَ لِلَّهِ ذلِکُمْ یُوعَظُ بِهِ مَنْ کانَ یُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ الْیَوْمِ الْآخِرِ وَ مَنْ یَتَّقِ اللَّهَ یَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً (۲) وَ یَرْزُقْهُ مِنْ حَیْثُ لا یَحْتَسِبُ وَ مَنْ یَتَوَکَّلْ عَلَی اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِکُلِّ شَیْءٍ قَدْراً (۳) وَ اللاَّئِی یَئِسْنَ مِنَ الْمَحِیضِ مِنْ نِسائِکُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ وَ اللاَّئِی لَمْ یَحِضْنَ وَ أُولاتُ الْأَحْمالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ یَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَ مَنْ یَتَّقِ اللَّهَ یَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ یُسْراً (۴)

ذلِکَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَیْکُمْ وَ مَنْ یَتَّقِ اللَّهَ یُکَفِّرْ عَنْهُ سَیِّئاتِهِ وَ یُعْظِمْ لَهُ أَجْراً (۵)

التبیان فی تفسیر القرآن، ج ۱۰، ص: ۲۸

خمس آیات.

قرأ حفص عن عاصم و نافع «بالغ أمره» على الاضافة. الباقون «بالغ» منون «أمره» منصوب، و قد بينا نظائر ذلك فيما مضى. و قيل: إنه إذا نون معناه انه تعالى بالغ مراده، و إذا أضيف فمعناه أن أمره تعالى يبلغ، فيكون اضافة الى الفاعل.

يقول اللّه تعالى مخاطباً لنبيه و المراد به أمته «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ» و معناه إذا أردتم طلاق النساء، كما قال «إِذا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ» «١» و روى عن ابن عباس انه قال: نزل القرآن بإياك أعنى و اسمعى يا جارة، فيكون الخطاب للنبى و المراد به الأمة من ذلك. و قال قوم: تقديره يا أيها النبى قل لأمتك إذا طلقتم

---

(١) سورة ٥ المائدة آية ٧

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢٩

النساء، فعلى هذا القول: النبى يكون خارجاً من الحكم. و قال آخرون: هو على خطاب الرئيس الذى يدخل فيه الاتباع، فعلى هذا حكم النبى حكم أمته فى هذا الحكم و أجمعت الأمة على أن حكم النبى حكم الامة فى الطلاق. و الطلاق فى الشرع عبارة عن تخلية المرأة بحل عقدة من عقد النكاح بأن يقول: أنت طالق يخاطبها او يقول هذه طالق و يشير اليها أو فلانة طالق بنت فلان. و عندنا لا يقع الطلاق إلا بهذا اللفظ المخصوص، و لا يقع بشيء من الكنايات طلاق أراد بها الطلاق أو لم يرد.

و فيه خلاف ذكرناه فى الخلاف. و اما الفراق فقد يحصل بغير الطلاق، كالارتداد و اللعان و الخلع- عند كثير من أصحابنا- و إن لم يسم ذلك طلاقاً. و أما فسخ النكاح بالرد بالعيب. فقد يحصل بأشياء و لا يسمى طلاقاً. و من شرط وقوع الطلاق- عندنا- أن تكون المرأة طاهراً طهراً لم يقربها فيه بجماع بمحضر من شاهدين، و يقصد به إيقاع الطلاق، و يتلفظ بما قدمناه. فحينئذ يقع طلاقه تطليقة واحدة و هو أملك برجوعها ما لم تخرج من العدة. فان خرجت قبل ان يراجعها كان كواحد من الخطاب و متى تلفظ بثلاث تطليقات، فان كانت المرأة طاهراً مع باقى الشروط وقعت واحدة. و خالف جميع الفقهاء فى ذلك. و قالوا: يقع الثلاث. ثم اختلفوا فقال الشافعى، و من وافقه: و يكون ذلك مسنوناً. و قال اهل العراق: المسنون ان يطلقها طلقة واحدة بلفظ واحد، و متى أوقع ثنتين او ثلاثاً وقع. و أما غير المدخول بها فعند جميعهم يقع الثلاث، و لا عدة عليها، و عندنا لا يقع إلا واحدة، و فى أصحابنا من يقول: من تلفظ بالثلاث لا يقع شىء، و الاعتماد على ما قلناه أولا، و متى طلقها ثلاثاً أو واحدة، و هى حائض و كان قد دخل بها و لا يكون غائباً عنها شهراً فصاعداً لا يقع عندنا شىء أصلا. و قال جميع الفقهاء: هو بدعة.

و تبين المرأة بذلك. التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٣٠

و قوله تعالى «فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ» معناه أن يطلقها و هى طاهر من غير جماع و يستوفى باقى الشروط. و قال ابن عباس: هو أن يطلقها طاهراً من غير جماع.

و به قال مجاهد و الحسن و ابن سيرين و قتادة و الضحاك و السدى، فعلى هذا متى طلقها فى الحيض فلا يقع طلاقها، لأنه خلاف المأمور به، و هو منهى عنه، و النهى يدل على فساد المنهى عنه و عند الفقهاء إنه يقع الطلاق، و إن كان بدعة.

ثم قال «وَ أَحْصُوا الْعِدَّةَ» فالعدة قعود المرأة عن الزواج حتى تنقضى المدة المرتبة فى الشريعة، و عدة المرأة على ضروب:

أحدها- عدة التى لم تبلغ المحيض، و مثلها لا تحيض، و هى التى لم تبلغ تسع سنين، فهذه لا عدة عليها- عند اكثر أصحابنا- و فيهم من قال عدتها بالشهور، و به قال باقى الفقهاء. و عدة التى لا تحيض و مثلها تحيض ثلاثة أشهر بلا خلاف.

و عدة التى تحيض ثلاثة أقراء و هى الاطهار- عندنا و عند كثير من الفقهاء- و عند قوم انها الحيض.

و عدة التى ارتفع حيضها و مثلها تحيض ثلاثة أشهر بلا خلاف. و قد حد ذلك أصحابنا بأن يكون سنها أقل من خمسين سنة.

و عدة الآيسة من المحيض و مثلها لا تحيض، فلا عدة عليها- عند اكثر أصحابنا- و قال قوم: عدتها بالأشهر، و حد ذلك أصحابنا بأن يزيد سنها على خمسين سنة، و القرشية حدّوها بستين سنة فصاعداً.

و عـدة الحامل وضع ما فى بطنها إذا كانت عـدة الطلاق، فان كانت عدة الوفاة فأبعد الأجلين من وضع الحمل او مضـى أربعة أشـهر و عشـرة أيـام. و هو مـذهب على عليه السـلام و ابن عبـاس. و قـال الفقهاء عـدة المتوفى عنها زوجها وضع ما فى بطنها و قوله «وَ أَحْصُوا الْعِدَّةَ» يعنى مدة زمان العدة. التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٣١

ثم قال «وَ اتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ» بان لا ترتكبوا المعاصى «لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَ لا يَخْرُجْنَ» يعنى زمان العدة، لأنه لا يجوز إخراجها من بيتها- و عنـدنا و عنـد جميع الفقهاء- يجب عليه السـكنى و النفقة و الكسوة إذا كانت المطلقة رجعية، فان كانت بائناً فلا نفقة لها و لا سكنى. و قال الشافعى: فلا نفقة لها و لا سكنى إذا كانت بائناً. و قال أهل العراق: لها السكنى و النفقة.

و قوله «إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ» من فتح الياء أراد فاحشة أظهرت.

و من خفض اليـاء أراد بفاحشـة ظـاهرة. و قـال عطـاء و الضـحاك و قتـادة: لاـ يجوز ان تخرج من بيتهـا حتى تنقضـى عـدتها إلاـ عند الفاحشة. و قال الحسن و عامر و الشعبى و مجاهد و ابن زيد: الفاحشة- هاهنا- الزنا تخرج لاقامة الحد.

قال ابن عباس: الفاحشة النداء على أهلها، و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد اللَّه عليهما السلام

و قال قتادة:

الفاحشة هو النشوز. و قال ابن عمر: هو خروجها قبل انقضاء العدة- و فى رواية عن ابن عباس- ان كل معصية للَّه ظاهرة فهى فاحشة.

و قوله «وَ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ» يعنى مـا تقـدم ذكره من كيفيـة الطلاـق و العـدة و ترك إخراجهـا عن بيتهـا إلا عنـد فاحشـة حـدود اللَّه، فالحـدود نهايـات تمنع أن يـدخل فى الشـىء مـا ليس منه او يخرج منه مـا هو منه، فقـد بين اللَّه بالأمر و النهى الحـدود فى الطاعات و المعصية بما ليس لأحد ان يدخل فى شىء من ذلك ما ليس منه او يخرج عنه ما هو منه.

و قوله تعالى «وَ مَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ» معناه من يجاوز حـدود اللَّه بأن يخرج عن طاعته الى معصيته، فقـد تعـدى حداً من حدود اللَّه و كذلك من دخل فى معصـية، فقد خرج عن الطاعة. و ليس كل من دخل فى طاعة فقد خرج اليها عن معصية، لأنها قد تكون نافلة. ثم بين تعالى فقال: و من يجاوز حدود اللَّه التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٣٢

«فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ» بأن فعل ما يستحق معه العقاب و يحرم معه الثواب.

و قوله «لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذلِكَ أَمْراً» قال قوم: معناه لا تدرى لعل اللَّه يغير رأى الزوج فى محبة الطلاق، فتكون مطلقة على ما أمر اللَّه به و يملك الرجعـة فيما بين الواحدة و الثانية و ما بين الثانية و الثالثة. و قال الضـحاك و السدى و ابن زيد «لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذلِكَ أَمْراً» يعنى الرجعة فى العدة. و قيل معناه «لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذلِكَ» شهوة المراجعة.

و قوله «فَإِذا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ» معنـاه فإذا قاربن أجلهن الـذى هو الخروج عن عـدتهن، لأنه لا يجوز ان يكون المراد فإذا انقضـى أجلهن، لأنه عنـد انقضاء أجلهن لا يملك رجعتها. و قـد ملكت نفسـها و قد بانت منه بواحدة، ثم تتزوج من شاءت هو او غيره. و إنما المعنى إذا قاربن الخروج من عدتهن فأمسـكوهن بأن تراجعوهن بمعروف بما يجب لها من النفقة و الكسوة و المسـكن و حسن الصحبة «أَوْ فارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ» بأن تتركوهن حتى يخرجن من العدة.

و قوله «وَ أَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ» فعند أصـحابنا أن الاشـهاد شـرط فى وقوع الطلاق، لأن ظاهر الامر بذلك يقتضـيه. و الامر عندنا على الوجوب.

و قـال قوم: إن ذلك راجع الى الرجعـة، و تقـديره و اشـهدوا على الإمساك إن أمسـكتم ذوى عـدل منكم و هو الرجعـة- فى قول ابن عباس. و قال الشافعى:

الاشـهاد على الرجعة أولى. و يجوز عند أكثرهم بغير إشهاد، و إنما ذكر الله الاشهاد كما ذكر فى قوله «وَ أَشْهِدُوا إِذا تَبايَعْتُمْ» «١» و هو على الندب، و هذا ترك الظاهر و متى حملنا الاشهاد على الفراق، و هو الطلاق حملناه على ظاهره من الوجوب و جعلناه

---

(١) سورة ٢ البقرة آية ٢٨٢

التبيان فی تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٣٣

شرطاً فی وقوع الطلاق. ثم قال «وَ أَقِيمُوا الشَّهادَةَ لِلَّهِ» إذا طولبتم بإقامتها «ذلكم» معاشر المكلفين «يُوعَظُ بِهِ مَنْ كانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ» فالوعظ معنى يدعو الى الحق بالترغيب و الترهيب. و إنما أضاف الوعظ إلى من يؤمن بالله و اليوم الآخر دون غيره، لأنه الذی ينتفع به دون الكافر الجاحد لذلك، فالطاعة الواجبة فيها وعظ بالترغيب فيها باستحقاق الثواب و فی تركها بالعقاب. و المندوبة فيها وعظ باستحقاق المدح و الثواب على فعلها و المعاصی فيها وعظ بالزجر عنها و التخويف من فعلها باستحقاق العقاب و الذم على فعلها و الترغيب فی تركها بما يستحق على الإخلال به من الثواب.

ثم قال «وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ» يعنی باجتناب معاصيه (يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً) من عقابه (وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ) أی من حيث لا يتوقعه و لا يظنه (وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) أی من أسند أمره الى الله و وثق بحكمه و سكن إلى رحمته (فَهُوَ حَسْبُهُ) أی كافيه جميع ذلك (إِنَّ اللَّهَ بالِغُ أَمْرِهِ) أی يبلغ ما يريد و يشاء من أمره و تدبيره (قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً) أی قدر الله لكل شیء مقداراً واجلا، لا زيادة فيه و لا نقصان.

ثم بين كيفية العدد باختلاف احوال النساء، فقال (وَ اللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ) يعنی ان اليائسة من المحيض إذا كانت ترتاب بنفسها و لا تدری أرتفع حيضها لكبر او عارض (فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ) و هی التی قلنا او لا أن مثلها تحيض، لأنها لو كانت فی سنّ من لا تحيض لم يكن لريبتها معنى. و قال الزهری و عكرمة و قتادة (إِنِ ارْتَبْتُمْ) فلم تدروا: للكبر او لدم الاستحاضة، فالعدة ثلاثة أشهر. و قال قوم: ان ارتبتم فلم تدروا الحكم فی ذلك فعدتهن ثلاثة أشهر. التبيان فی تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٣٤

و قوله (وَ اللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ) تقديره و اللائی لم يحضن إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر، و حذف لدلالة الكلام الأول عليه و الكلام فيها كالكلام فی اليائسة.

و قال قتادة: اللائی يئسن الكبار، و اللائی لم يحضن الصغار.

ثم قال (وَ أُولاتُ الْأَحْمالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) بين ان عدة الحامل من الطلاق وضع الحمل الذی معها، فان وضعت عقيب الطلاق فقد ملكت نفسها، و يجوز لها أن تعقد لغيره على نفسها، غير أنه لا يجوز له وطؤها. لان نفاسها كالحيض سواء، و إذا طهرت من نفاسها حل له ذلك، فان كانت حاملا باثنين و وضعت واحداً لم تحل للأزواج حتى تضع جميع الحمل، لقوله تعالى (أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) فاما انقطاع الرجعة، فقد روى أصحابنا أنها إذا وضعت واحداً انقطعت عصمتها من الاول، و لا يجوز لها العقد بغيره حتى تضع الآخر. فاما إذا توفی عنها زوجها، فعدتها- عندنا- أبعد الأجلين إن وضعت قبل الأربعة أشهر و عشر استوفت اربعة أشهر و عشرة أيام، و إن مضى بها أربعة أشهر و عشر و لم تضع انتظرت وضع الحمل. و قال ابن عباس: الآية فی المطلقة خاصة، كما قلناه. و قال ابن مسعود و أبی بن كعب و قتادة و السدی و اكثر الفقهاء:

إن حكم المطلقة و المتوفی عنها زوجها واحد فی أنها متى وضعت حلت للأزواج. و الذی اخترناه هو مذهب علی عليه السلام.

ثم قال (وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ) باجتناب معاصيه (يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً) يعنی سهولة فی أموره و لا يعسر عليه أمره.

و قوله (ذلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ) يعنی حكم الطلاق و الرجعة و العدة فيما أنزله اللّه و حكم به و أمركم بالعمل به.

ثم قال (وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ) باجتناب معاصيه و فعل طاعاته (يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئاتِهِ) التی هی دونها و يتفضل عليه بإسقاط عقابها (وَ يُعْظِمْ لَهُ أَجْراً) على ذلك يعنی ثوابه التبيان فی تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٣٥

و نعيمه فی الجنة،

قوله تعالى:[سورة الطلاق (٦٥): الآيات ٦ الى ١٠] ..... ص: ٣٥

أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَ لا تُضآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَ إِنْ كُنَّ أُولاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَ أْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَ إِنْ تَعاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرى (۶) لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَ مَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ ما آتاها سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً (۷) وَ كَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّها وَ رُسُلِهِ فَحاسَبْناها حِساباً شَدِيداً وَ عَذَّبْناها عَذاباً نُكْراً (۸) فَذاقَتْ وَبالَ أَمْرِها وَ كانَ عاقِبَةُ أَمْرِها خُسْراً (۹) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذاباً شَدِيداً فَاتَّقُوا اللَّهَ يا أُولِي الْأَلْبابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً (۱۰)

خمس آيات فى الكوفى و البصرى و المدنى الأخير، و ست آيات فى المدنى الاول، عدّوا (يا أُولِي الْأَلْبابِ) رأس آية.

قرأ (من وجدكم) بكسر الواو، روح. الباقون بضمها، و هما لغتان.

و حكى الفراء- فتح الواو- لغة و لم يحك الكسر. و حكى الزجاج: الكسرة و لم يحك بالفتحة. و قرأ ابن كثير (و كاين) خفيفة على وزن (كاهن) الباقون التبيان فى تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۳۶

(كأين) مشددة الياء، و الأصل (أى) إلا انه حذف للتضعيف، كما يحذف من رب. و قدمت الياء و أخرت الهمزة نحو شاك و شائك. ثم قلبت الياء ألفاً، لأنها فى موضع حركة و قبلها فتحة نحو: رمى، و إنما احتمل هذا التغيير للعدول به عن معنى الاستفهام إلى معنى (كم) فى التكثير على وجه الإبهام. و قال قوم: فى (كأين) لغتان (كأين) مشددة الياء و (كاين) على وزن (قايل) و قد قرأ بهما. و حكى ان أهل الحجاز يقولون: بكاين تبيع هذا الثوب. أى بكم تبيعه.

يقول: اللَّه تعالى مخاطباً لمن طلق زوجته يأمره أن يسكنها حيث يسكنه، و قد بينا أن السكنى و النفقة يجب للرجعية بلا خلاف. فاما البائنة فلا سكنى لها و لا نفقة- عندنا- و هذا مذهب الحسن. و

قد روت فاطمة بنت قيس عن النبى صلى الله عليه و آله انه قال: لا نفقة للمبتوتة.

و قال الشافعي و مالك لها السكنى و النفقة و هو قول معاوية و ابن مسعود و عمر بن الخطاب.

و قوله (من وجدكم) قال السدى معناه من ملككم. و قال ابن زيد: هو إذا قال صاحب المسكن لا أترك هذه فى بيتى فليس من وجده. و يجوز له حينئذ أن ينقلها إلى غيره، و الوجد ملك ما يجده المالك، و ذلك أنه قد يملك المالك ما يغيب عنه. و قد يملك ما هو حاضر له، فذلك وجده، يقال: وجدت فى المال وجداً و وجدة، و وجدت الضالة وجداناً، و وجدت الرجل صالحاً وجوداً.

و قوله (وَ لا تُضآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ) معناه لا تدخلوا الضرر عليهن بالتقصير فى النفقة و السكنى و الكسوة و حسن العشرة لتضيقوا عليهن فى السكنى و النفقة، و أمر بالسعة. و المضارة المعاملة بما يطلب به إيقاع الضرر و المضارة المعاملة بما يطلب به إيقاع الضرر بصاحبه. و قد تكون المضارة من واحد كما يقال: طارقت النعل، و عافاه اللَّه، و يمكن أن يكون من كل واحد منهما لصاحبه. و التضيق تقليل التبيان فى تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۳۷

ما يحتاج إلى التصرف فيه عن مقدار الكفاية. و قد يكون التضييق فى الرزق و فى المكان و فى الأمر. و «إِنْ كُنَّ» يعنى النساء المطلقات (أُولاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) أمر من اللَّه تعالى بالإنفاق على الحامل المطلقة سواء كانت رجعية او مبتوتة، و لا خلاف فى ذلك، و إنما يجب ان ينفق عليها بسبب ما فى بطنها، و إنما تسقط نفقتها بالوضع. و الحمل- بفتح الحاء- يكون على الظهر و فى البطن، و يقال للعدل- الحمل- بكسر الحاء.

و قوله (فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ) أمر من اللَّه تعالى بأن الأم المطلقة متى ولدت و رغبت فى رضاع ولدها، كان على الأب أجرة الرضاع أجرة المثل، فان رضيت الاجنبية بشيء معلوم لاجرة الرضاع و رضيت بمثله الأم كانت الأم أولى، و إن لم ترض الأم بذلك القدر كان للأب تسليمه الى الاجنبية، و ان كان الولد لا يقبل إلا لبن الأم أجبرت عليه. و إلا أدّى الى هلاك الولد.

و الرضاع سقى المرأة من لبنها للولد. و منه

قول النبى صلى الله عليه و آله (يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب)

يعنى ان المرضعة تصير بمنزلة الام، و أمها بمنزلة الجدة و أختها خالة، و بنتها اختاً و ابنها اخاً، و هكذا سائر المحرمات.

و قوله (وَ أْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ) فالائتمار أمر كل واحد لصاحبه بفعل من الافعال كالائتمار بالمعروف الذى يصطلحان عليه.

و قوله (وَ إِنْ تَعاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرى) خطاب للرجل و لزوجته المطلقة أنهما متى اختلفا فى رضاع الصبى و أجرته أرضعته امرأة اخرى فالتعاسر التمانع يتعذر من الأمر كالتمانع بما يتعسر به رضاع الام، فمتى كان كذلك فالحكم فيه أن ترضعه امرأة اخرى ثم امر تعالى فقال «لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ ...» و معناه ان كل انسان يجب عليه النفقة بحسب حاله فالغنى ينبغى ان يوسع فى النفقة و الفقير بحسب حاله. التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٣٨

و قوله (وَ مَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ) معناه من ضيق عليه، لأنه أتى على مقدار البلغة التى تضيق عن غيره، فمن هذه صورته «فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتاهُ اللَّهُ» على حسب إمكانه و طاقته (لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا ما آتاها) يعنى إلا بقدر ما أعطاها من الطاقة.

و فى ذلك دلالة على انه تعالى لا يكلف أحداً ما لا يقدر عليه و لا يطيقه.

ثم قال (سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً) أى سيفعل اللّه بعد شدّة سهولة، فاليسر إتيان الأمر من غير مشقة، و هو سهولة الأمر، و ضده العسر، و هو صعوبة الأمر.

و قوله (وَ كَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ) معناه و (كم من قرية) على التكثير، لأنه يخبر ب (كم) عن الكثرة (عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّها) و العتو الخروج إلى فاحش الفساد. و المعنى كم من أهل قرية كفروا باللّه و تجبروا عن طاعته و خرجوا بذلك الى افحش الفساد (وَ رُسُلِهِ) معناه عتوا عن امر اللّه و امر رسوله (فَحاسَبْناها حِساباً شَدِيداً) فالحساب الاعمال مقابلة ما يستحق على الطاعة و بما يستحق على المعصية و الحساب الشديد مقابلة ذلك من غير تجاوز عن صغيرة و لا عفو عن ذنب، و ذلك أن الكافر يعاقب على كل صغيرة و كبيرة من حيث انه لا طاعة معه تكفر معاصيه. و قوله (وَ عَذَّبْناها عَذاباً نُكْراً) معناه عذبنا أهل تلك القرية العاتية عذاباً نكراً، و هو الذى ينكره الطبع و تأباه النفوس لصعوبته و شدته. و الأمر النكر الذى ينكره العقل. و قوله (فَذاقَتْ وَبالَ أَمْرِها) فالوبال عاقبة السوء، أسند الفعل الى القرية، فلذلك أنث قوله (فَذاقَتْ) و لو قال: (عتوا، عن أمر ربهم، و عذبناهم فذاقوا) على المعنى كان جائزاً. و الوبال ثقل العائد من الضرر. و قيل: ان معنى نكر أنه متجاوز فى الشدة لكل ما عرفوه فى الدنيا من العقوبة او كان عاقبة أمرها حسراً أى و كان آخر أمر تلك القرية العاتية خسراً أى هلاك أنفسهم، و أصله هلاك رأس المال.

ثم بين ما لهم فى الآخرة، فقال (أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذاباً شَدِيداً) من عذاب النار التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٣٩

يعاقبهم به على طريق التأبيد موجعاً شديد الألم (فَاتَّقُوا اللَّهَ) يا معاشر العقلاء (يا أُولِي الْأَلْبابِ الَّذِينَ آمَنُوا) يعنى المؤمنين منهم، و خصهم بالذكر و الخطاب، لأنهم المنتفعون بذلك دون الكفار. و قوله تعالى (قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً) قال قوم: أراد بالذكر القرآن لأنه سماه ذكراً فى قوله (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ) «١» ذهب اليه السدى و ابن زيد، فعلى هذا تقديره انزل اللّه إليكم ذكراً و أرسل إليكم رسولا، و سماه ذكراً لأنه يتذكر به ما يجب العمل به و الانتهاء عنه. و قيل إن معنى الذكر الشرف كأنه قال: أنزل اللّه إليكم شرفاً. و قيل: المراد بالذكر الرسول لقوله (فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ) «٢» ذهب اليه الحسن، فعلى هذا يكون (رسولا) بدلا منه، و تقديره أنزل اللّه إليكم ذكراً هو رسوله. قال الزجاج: تقديره فأنزل اللّه إليكم ان ذكر رسولا هو جبرائيل عليه السلام.

قوله تعالى:[سورة الطلاق (٦٥): الآيات ١١ الى ١٢] ..... ص: ٣٩

رَسُولاً يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آياتِ اللَّهِ مُبَيِّناتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ وَ مَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَ يَعْمَلْ صالِحاً يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقاً (١١) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ وَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً (١٢)

آيتان.

(١) سورة ١٥ الحجر آية ٩

(٢) سورة ١۶ النحل آية ٣: و سورة ٢١ الأنبياء آية ٧

قرئ (ندخله) مدنى و شامى على وجه الأخبار من اللّه تعالى عن نفسه.

الباقون بالياء بمعنى يدخل اللّه. و الياء أشبه بما قبله.

قيل فى انتصاب قوله (رسولا) وجهان:

أحدهما- أن يكون بدلا من ذكر، و هو بدلا الاشتمال، و يكون الذكر القرآن، كأنه قال رسولا ذكراً.

الثانى- ان يكون الذكر بمعنى الشرف، فيكون الذكر هو الرسول، كما قال (وَ إِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَ لِقَوْمِكَ) «١».

و فيه وجه ثالث و هو أنه لما قال: انزل ذكراً دل على انه جعل رسولا، و كأنه قيل و بعث رسولا كما قال الشاعر:

يا رب غير آيهن مع البلى إلا رواكد جمرهن هباء

و مشجج اما سواء قذاله فبدا و غيب ساره المغراء «٢»

لأنه لما قال: إلا رواكد دل على ان بها رواكد فحمل مشجج على المعنى.

و قال الزجاج: يحتمل ان يكون نصباً بذكر، كأنه قال ذكر رسول، بمعنى أن ذكراً رسولا، يكون ذكر مصدر، و الذى انزل جبرائيل لقوله «نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ» «٣» و قوله (يَتْلُوا عَلَيْكُمْ) أى يقرأ عليكم آيات اللّه يعنى دلائله و حججه مبينات أى واضحات فى من يفتح الياء و من كسرها أراد انها تبيين الآيات و التلاوة.

من قولهم جاء فلان ثم تلاه فلان أى جاء بعده، و منه قوله تعالى (وَ يَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ) «۴» أى يأتى بعده، فالتلاوة جعل كلمة بعد كلمة على ما وضعت عليه من المرتبة فى اللغة. و القراءة جمع كلمة الى كلمة بما يسمع من الحروف المفصلة، و هو قولهم

(١) سورة ۴٣ الزخرف آية ۴۴

(٢) قد مر فى ٢/ ١٢۵

(٣) سورة ٢۶ الشعراء آية ١٩٣

(۴) سورة ١١ هود آية ١٧

قرأت النجوم إذا اجتمعت و ظهرت، و يقولون: ما قرأت الناقة سلاقط أى ما جمعت رحمها على ولد. و البيان هو الأدلة. و قيل: هو ما أبان المعنى للنفس بما يفصل من غيره، و هو من قولهم: أبان العضو من غيره إذا قطعه منه.

و قوله (لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ مِنَ الظُّلُماتِ) يعنى ظلمات الكفر إلى نور الايمان، و ذلك يدل على فساد قول المجبرة: إن اللّه تعالى بعث الأنبياء ليكفر بهم قوم و يؤمن آخرون. و إنما خص (الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ) بالإخراج، لأنهم الذين خرجوا بدعائهم من الكفر إلى الايمان. و النور- هاهنا- نور الحق الذى يهدى إلى الرشد و الجنة، كما يهدى نور الشمس إلى المواضع المقصودة و الظلمة- هاهنا- الباطل الذى يعود إلى الغى، كما يعود الظلام من مر فيه من غير دليل الى الهلاك.

ثم قال (وَ مَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ) أى من يصدق بوحدانيته و إخلاص العبادة له (وَ يَعْمَلْ صالِحاً) أى يعمل الاعمال الصالحات (يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ) جزاء على ذلك و ثواباً عليه (خالِدِينَ فِيها) نصب على الحال (أَبَداً) أى مؤبدين لا آخر لنعيمهم (قَدْ أَحْسَنَ

اللَّهُ لَهُ رِزْقاً) أى أجزل اللَّه لهم مـا ينتفعون به و لا ـ يمنعون منه، فـالرزق النفع الجـارى فى الحكم، فلمـا كـان النفع للمؤمنين فى الجنة جارياً فى حكم اللَّه كان رزقاً لهم منه.

و قوله (اللَّهُ الَّذِی خَلَقَ سَـبْعَ سَـماواتٍ) اخبـار من اللَّه تعـالى انه الـذى انشأ سـبع سـموات (وَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ) أى و خلق من الأرض مثلهن فى العدد لا فى الكيفية، لأن كيفية السماء مخالفة لكيفية الأرض. و المثل ما سدّ مسدّ غيره فيما يرجع الى ذاته. التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ۴۲

و قوله (یَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَیْنَهُنَّ) معناه يتنزل الأمر بالتـدبير من اللَّه بين السـموات و بين الأرضـين، بحياة بعض و موت بعض، و غنى إنسان و فقر غيره، و سـلامة حى و هلاك آخر، و تصريف الأمور على الحكمة لا يكون إلا من قادر عالم و هو معنى قوله (لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلى کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ) فالقادر، هو من كان له مقدور يصح منه إيقاعه على بعض الوجوه كما ان السامع هو من له مسـموع موجود و القدير عبارة عمن يجب أن يكون قادراً على ما يصح ان يكون مقدوراً له ك (سـميع) يفيد أنه على صـفة يجب ان يسـمع لأجلها ما يصح ان يكون مسموعاً.

و قوله (وَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحاطَ بِکُلِّ شَیْءٍ عِلْماً) معناه إن معلوماته متميزة له بمنزلة ما قد أحاط به فلم يفته منه شىء، و مثله (وَ لا یُحِیطُونَ بِهِ عِلْماً) «۱» أى إنه ليس بمنزلة ما يحضره العلم بمكانه، فيكون كأنه قد أحاط به و قوله (وَ لا یُحِیطُونَ بِشَیْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِما شاءَ) «۲» معنـاه و لا ـ يحيطون بشـىء من معلومه إلا بما شاء أن يضـطرهم اليه أو يـدلهم عليه، فهو تـذكير بالنعمـة أى لا ينالون هـذه المنزلـة إلا بمشـيئة، و لو لا ذلك لا يعلمون شـيئاً من معلوماته إلا بما شاء، لكن لما دخل التـذكير بالنعمة حسن من هذه الجهة و ليس فى القرآن آيـة تـدل على أن الأرضـين سبع، غير هـذه- ذكره الجبـائى- و قوله (لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلى کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ) دليل على بطلان مـذهب المجبرة فى أن اللَّه أراد من قوم أن يجهلوا كونه على هذه الصـفة، لأنه تعالى بين انه ذكر ما تقدم وصفه ليعلم المكلفون أجمعون (أَنَّ اللَّهَ عَلى کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ و انه) تعالى قادر (قَدْ أَحاطَ بِکُلِّ شَیْءٍ عِلْماً) و على مـذهب المجبرة إن اللَّه تعالى أراد من جماعـة الكفار خلاف ذلك و أراد منهم ان يجهلوه و يجهلوا صفاته و ذلك خلاف الظاهر. و قوله (علماً) نصب على المصدر و دل عليه قوله تعالى

---

(۱) سورة ۲۰ طه آية ۱۱۰

(۲) سورة ۲ البقرة آية ۲۵۵

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ۴۳

(أَحاطَ بِکُلِّ شَیْءٍ عِلْماً) كأنه قال: علم كل شىء علماً.

۶۶-سورة التحريم ..... ص: ۴۳

اشارة

مدنية فى قول ابن عباس و الضحاك و غيرهما و هى اثنتا عشرة آية بلا خلاف

[سورة التحريم (۶۶): الآيات ۱ الى ۵] ..... ص: ۴۳

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

یـا أَیُّهَا النَّبِیُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أَحَلَّ اللَّهُ لَکَ تَبْتَغِی مَرْضاتَ أَزْواجِکَ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِیمٌ (۱) قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَکُمْ تَحِلَّةَ أَیْمانِکُمْ وَ اللَّهُ مَوْلاکُمْ وَ هُوَ الْعَلِیمُ الْحَکِیمُ (۲) وَ إِذْ أَسَرَّ النَّبِیُّ إِلی بَعْضِ أَزْواجِهِ حَدِیثاً فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَ أَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَیْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَ أَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا

نَبَّأَها بِهِ قالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هذا قالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (٣) إِنْ تَتُوبا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما وَ إِنْ تَظاهَرا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَ جِبْرِيلُ وَ صالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذلِكَ ظَهِيرٌ (۴)

عَسى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْواجاً خَيْراً مِنْكُنَّ مُسْلِماتٍ مُؤْمِناتٍ قانِتاتٍ تائِباتٍ عابِداتٍ سائِحاتٍ ثَيِّباتٍ وَ أَبْكاراً (۵)

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ۴۴

خمس آيات.

قرأ اهل الكوفة (تظاهرا) خفيفة. الباقون بالتشديد، يعنى (تتظاهرا) فأدغم. و من خفف حذف إحداهما. و قرأ الكسائى وحده (عرف بعضه) خفيفاً و هى قراءة الحسن و أبى عبد الرحمن، و كان أبو عبد الرحمن إذا قرأ إنسان بالتشديد خطأه. و قرأ ابن كثير (جبريل) بفتح الجيم و كسر الراء من غير همزة. و قرأ- بكسر الجيم و الراء من غير همز- نافع و ابو عمرو و ابن عامر و حفص عن عاصم.

و قرأ بفتح الجيم و الراء و كسر الهمزة مقصور على وزن (جحمرش) أبو بكر عن عاصم. و قرأ بفتح الجيم و الراء مهموزة بين الراء و الياء على وزن (خزعيل) حمزة و الكسائى و قد بينا الوجه فى ذلك فى سورة البقرة. قال ابو على: جبريل- بكسر الجيم- بلا همزة على وزن (قنديل) و بفتح الجيم و الراء و الهمزة مع المد على وزن (عندليب) و بفتح الجيم و الراء و كسر الهمزة على وزن (جحمرش) و ليس فى العربية على وزن (قنديل) بفتح القاف غير أنه جاء خارجاً على أوزان العربية.

هذا خطاب من اللَّه تعالى للنبى صلى الله عليه و آله و عتاب له على تحريم ما أباحه اللَّه له و أحله له، و لا يدل على انه وقعت منه معصية، لان العتاب قد يكون على أمر قد يكون الأولى خلافه، كما يكون على ترك الواجب.

و قيل فى سبب نزول قوله (يا أَيُّهَا النَّبِيُّ) قولان:

أحدهما-

قال زيد بن أسلم و مسروق و قتادة و الشعبى و ابن زيد و الضحاك: ان النبى صلى الله عليه و آله حرم على نفسه مارية القبطية بيمين انه لا يقربها طلباً لمرضاة حفصة زوجته، لأنها غارت عليه من أجلها.

و

قال الحسن: حرم رسول اللَّه أم ولده إبراهيم، و هى مارية القبطية على نفسه فأسر بذلك الى زوجته حفصة فأفضت به إلى التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ۴۵

عائشة و كانت حفصة بنت عمر قد زارت عائشة، فخلا بيتها، فوجه رسول اللَّه الى مارية القبطية، و كانت معه و جاءت حفصة فأسر اليها التحريم.

و القول الثانى- ما

رواه عبد اللَّه بن شداد بن الهلال: ان النبى صلى اللَّه عليه و آله كان شرب عند زينب شراب عسل كانت تصلحه له، فكان يطول مكثه عندها فكره ذلك عائشة و حفصة، فقالت له إنا نشم منك ريح المغافير، و هى بقلة متغيرة الرائحة

- فى قول المفسرين- و

قال الزجاج: هى بقلة منتنة، فحرم النبى صلى اللَّه عليه و آله شراب العسل الذى كان يشربه عند زوجته زينب بنت جحش.

و قيل: ذكرت ذلك له حفصة، فحرمه النبى صلى اللَّه عليه و آله على نفسه. و من قال: انها نزلت بسبب مارية قال:

انه قال: هى على حرام، فجعل اللَّه فيه كفارة يمين

- ذكره ابن عباس و الحسن- و من قال: إن التحريم كان فى شراب كان يعجبه قال: إنه حلف على انه لا يشربه فعاتبه اللَّه على تحريم ما أحل اللَّه له.

و التحريم تبيين ان الشيء حرام لا يجوز، و نقيضه الحلال. و الحرام هو القبيح الممنوع بالنهى عنه، و الحلال الحسن المطلق بالاذن فيه.

و عندنا أنه لا يلزم بقوله أنت على حرام شيء، و وجوده كعدمه، و هو مذهب مسروق. و فيه خلاف بين الفقهاء ذكرناه فى الخلاف. و إنما أوجب اللَّه الكفارة، لأنه صلى اللَّه عليه و آله كان حلف ألا يقرب جاريته أو لا يشرب الشراب المذكور، فعاتبه اللَّه على ذلك و أوجب عليه ان يكفر عن يمينه و يعود الى استباحة ما كان يفعله. و بين أن التحريم لا يحصل إلا بأمر اللَّه و نهيه، و ليس يصير الشيء حراماً بتحريم محرم، و لا باليمين على تركه، فلذلك قال «لِمَ تُحَرِّمُ ما أَحَلَّ اللَّهُ لَکَ».

و قوله «تَبْتَغِي مَرْضاتَ أَزْواجِکَ» معناه إنك تطلب رضاء أزواجك فى تحريم ما أحله اللَّه لك. فالابتغاء الطلب، و منه البغى طلب الاستعلاء بغير حق، التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ۴۶

و البغية معتمد الطلب و البغىّ الفاجرة لطلبها الفاحشة.

و قوله «وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» معناه ارجع الى الأولى و الأليق، فان اللَّه يرجع للتائب الى التولى، لأنه غفور رحيم.

و قوله «قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَکُمْ تَحِلَّةَ أَيْمانِکُمْ» أى قد قدر اللَّه تعالى ما تحلون به يمينكم إذا فعلتموه، و ذلك يدل على انه صلى اللَّه عليه و آله كان حلف دون ان يكون قال: هى علىّ حرام، لان ذلك ليس بيمين- عند اكثر الفقهاء- و قال الحسن: فرض اللَّه تحلة اليمين فى الكفارة للمؤمنين. فأما النبى صلى اللَّه عليه و آله فلا كفارة عليه، لان اللَّه تعالى غفر له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر. و تحلة اليمين هو فعل ما يسقط تبعته فى اليمين إما بكفارة او بتناول شيء من المحلوف عليه، فمن حلف ألا يأكل من هذا الطعام، فمتى أكله حنث، و لزمته كفارة، و ينحل اليمين بها، و من حلف أنه يأكل من هذا الطعام و أكل منه شيئاً قليلا فقد انحلت يمينه، فلذلك سمى تحلة اليمين.

و قوله «وَ اللَّهُ مَوْلاکُمْ» معناه اللَّه ناصركم، و هو أولى بكم منكم بأنفسكم، و من كل احد «وَ هُوَ الْعَلِيمُ» بجميع الأشياء «الْحَکِيمُ» فى جميع أفعاله.

و قوله «وَ إِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ» معناه و اذكروا حين أسر النبى «إِلى بَعْضِ أَزْواجِهِ حَدِيثاً» فالاسرار إلقاء المعنى إلى نفس المحدث على وجه الإخفاء عن غيره، يقال:

أسر اليه كذا و كذا إسراراً و الاسرار نقيض الإعلان. و قيل: إنه كان أسر إلى حفصة ألا تخبر عائشة بكونه مع مارية فى يوم عائشة و قال إنه حرمها على نفسه، فأطلعت عليه عائشة. و قيل: إنه كان يوم حفصة، فأطلعت عليه عائشة فاستكتمها النبى فأخبرت حفصة بذلك فانتشر الخبر فعاتبهم اللَّه على ذلك. و قال الزجاج و الفراء: أسر اليها بأنه سيلى الأمر بعده أبو بكر و عمر و عثمان فتباشروا بذلك فانتشر الخبر. و روى أصحابنا انه أسر الى عائشة بما يكون بعده من قيام من التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ۴۷

يقوم بالأمر و رفع على عليه السلام عن مقامه فبشرت بذلك أباها فعاتبهم اللَّه على ذلك.

و قوله «فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَ أَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَ أَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ» معناه لما أخبرت التى أسر اليها الذى خبرها به الى غيرها و أعلم اللَّه تعالى نبيه ذلك و أظهره له «عَرَّفَ بَعْضَهُ وَ أَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ» فمن قرأ بالتخفيف قال الفراء: معناه إنه عاتب على بعض ذلك و صفح عن الباقى. و روى انه طلق حفصة تطليقة جزاء على ذلك ثم راجعها بأمر اللَّه تعالى، و قيل: معنى قراءة من شدد أراد انه صلى اللَّه عليه و آله أعلمها جميع ذلك و عرفها إياه، فلما نبأها به يعنى لما أخبر النبى صلى اللَّه عليه و آله، زوجته بذلك و عرفها أنها افشت سره «قالَتْ» له فى الجواب «مَنْ أَنْبَأَکَ هذا» أى من أخبرك بهذا فقال النبى صلى اللَّه عليه و آله «نَبَّأَنِيَ» أى اخبرنى بذلك و اعلمنى «الْعَلِيمُ» بجميع المعلومات «الْخَبِيرُ» بسرائر الصدور الذى لا يخفى عليه شيء من أمور عباده ظاهراً و باطناً.

ثم خاطبهما يعنى عائشة و حفصة و قال قل لهما «إِنْ تَتُوبا إِلَى اللَّهِ» و ترجعا الى طاعته «فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُکُما» قال ابن عباس و مجاهد: معناه زاغت قلوبكما إلى الإثم. و قال عمر بن الخطاب و جميع أهل التأويل: انه عنى عائشة و حفصة، و قال بعضهم: معناه مالت قلوبكما الى ما كرهه اللَّه من تحريم ما حرمه. و قوله «فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُکُما» من صلة (إِنْ تَتُوبا إِلَى اللَّهِ) و الجواب محذوف، و تقديره إن تتوبا الى الله قبلت توبتكما، و قال قوم (فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُکُما) جواب كقول القائل إن تتابع المجيء إلىّ فلقد جفوتنى و قطعتنى دهراً

أى يحق لك ان تفعل ذلك، فقد صرمت فيما قبل. و إنما قال (قلوبكما) مع أن لهما قلبين، لأن كلما تثبت الاضافة فيه معنى التثنية، فلفظ الجمع أحق به، لأنه أمكن و أخف باعراب الواحد و قلة الزائد. و ذلك فى كل شيئين من شيئين، و يجوز التثنية لأنها الأصل، كما قال الراجز: التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٤٨

ظهراهما مثل ظهور الترسين «١»

فجمع المذهبين. و قوله «وَ إِنْ تَظاهَرا عَلَيْهِ» معناه و إن تعاونا على خلافه «فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ» يعنى الله الذى يتولى حفظه و حياطته و نصرته «وَ جِبْرِيلُ» ايضاً معين له و ناصره «وَ صالِحُ الْمُؤْمِنِينَ» قال الضحاك: يعنى خيار المؤمنين. و قال قتادة: يعنى أتقياء المؤمنين. و قال الزجاج: «صالِحُ الْمُؤْمِنِينَ» واحد فى موضع الجمع. و قال أبو مسلم محمد بن بحر الاصفهانى: هو صالحوا المؤمنين على الجمع، غير انه حذفت الواو للاضافة، و هذا غلط، لأن النون سقطت للاضافة، فكان يجب ان يثبت الواو فى الحظ، و فى المصاحف بلا واو.

و

روت الخاصة و العامة أن المراد بصالح المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام

و ذلك يدل على انه أفضلهم، لان القائل إذا قال: فلان فارس قومه او شجاع قبيلته او صالحهم، فانه يفهم من جميع ذلك انه افرسهم و أشجعهم و أصلحهم.

و قوله «وَ الْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذلِكَ ظَهِيرٌ» معناه إن الملائكة بعد من ذكره معينون له، فالظهير المعين الذى هو كالظهر له فى القوة.

و قوله «عَسى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ» معاشر نساء النبى «أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْواجاً خَيْراً مِنْكُنَّ» فمن خفف الدال، فلأنه يدل على القليل و الكثير، و من شدد أراد ان الله يبدلهن اكثر منهن. و معنى «خَيْراً مِنْكُنَّ» أى أفضل منكن و أصلح له. ثم وصفهن تعالى فقال «مُسْلِماتٍ» و هن اللواتى يظهرن الإسلام و الشهادتين مستسلمات لما أمر الله به «مُؤْمِناتٍ» أى مصدقات بتوحيد الله و اخلاص العبادة له مقرات بنبوة نبيه صلى اللَّه عليه و آله و قيل: معناه مصدقات فى قولهن و فعلهن «قانِتاتٍ» أى خاضعات متذللات لله تعالى. و قيل: معنى «قانِتاتٍ» راجعات الى الله بفعل ما يجب له

---

(١) مر فى ٣/ ٥١٣

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٤٩

- عز و جل- «عابِداتٍ» لله بما تعبدهن به من العبادات متذللات له «سائِحاتٍ» معناه ماضيات فى طاعة الله. و قال ابن عباس و قتادة و الضحاك: معنى سائحات صائمات. و قال زيد ابن اسلم: معنى «سائِحاتٍ» مهاجرات، و هو اختيار الجبائى و قيل: للصائم سائح، لأنه يستمر فى الإمساك عن الطعام و الشراب، كما يستمر السائح فى الأرض «ثَيِّباتٍ» و هن الراجعات من عند الأزواج بعد افتضاضهن مشتق من ثاب يثوب إذا رجع «وَ أَبْكاراً» جمع بكر، و هى التى على أول حالها قبل الافتضاض.

قوله تعالى:[سورة التحريم (٦٦): الآيات ٦ الى ١٠] ..... ص: ٤٩

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَ أَهْلِيكُمْ ناراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الْحِجارَةُ عَلَيْها مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ ما أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ (٦) يا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّما تُجْزَوْنَ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٧) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً عَسى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ وَ يُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بِأَيْمانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنا أَتْمِمْ لَنا نُورَنا وَ اغْفِرْ لَنا إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٨) يا أَيُّهَا النَّبِيُّ جاهِدِ الْكُفَّارَ وَ الْمُنافِقِينَ وَ اغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ (٩) ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَ امْرَأَتَ لُوطٍ كانَتا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبادِنا صالِحَيْنِ فَخانَتاهُما فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُما مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَ قِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ (١٠)

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٥٠

قرأ نصوحاً بضم النون حماد و يحيى الباقون بفتحها، و هما لغتان.

و قال قوم: من فتح النون جعله نعتاً للتوبة و حمله على الكثرة. و من ضمه جعله مصدراً هذا خطاب من الله تعالى للمؤمنين الذين صدقوا بتوحيد الله و اخلاص العبادة له و أقروا بنبوة نبيه صلى اللّه عليه و آله يأمرهم بأن يقوا أنفسهم أى يمنعونها، و يمنعون أهليهم ناراً، و إنما يمنعون نفوسهم بأن يعملوا الطاعات، و يمنعون أهليهم بأن يدعوهم اليها و يحثوهم على فعلها، و ذلك يقتضى أن الامر بالمعروف و النهى عن المنكر ينبغي ان يكون للأقرب فالأقرب. و قال مجاهد و قتادة: معنى «قُوا أَنْفُسَكُمْ وَ أَهْلِيكُمْ ناراً» مروهم بطاعة الله و انهوهم عن معصيته.

ثم وصف تعالى النار التى حذرهم منها فقال «وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الْحِجارَةُ» قيل حطب تلك النار الناس و الحجارة كوقود الكبريت و هو أشد ما يكون من العذاب «عَلَيْها مَلائِكَةٌ غِلاظٌ» فى الأخلاق و إن كانوا رفاق الأجسام، لان الظاهر من حال الملك انه روحانى فخروجه عن الروحانية كخروجه عن صورة الملائكة «شِدادٌ» فى القوى «لا يَعْصُونَ اللَّهَ ما أَمَرَهُمْ» به. و فى ذلك دلالة على ان الملائكة المؤكلين بالنار و بعقاب العصاة معصومون عن فعل القبيح لا يخالفون الله فى أمره و يمتثلون كل ما يأمرهم به، و عمومه يقتضى انهم لا يعصونه فى صغيرة و لا كبيرة. و قال الرمانى: لا يجوز أن يعصى الملك فى صغيرة و لا كبيرة لتمسكه بما يدعو اليه العقل دون الطبع. و كل من تمسك بما يدعو اليه العقل دون الطبع، فانه لا يقع التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٥١

منه قبيح. و قد اختارهم الله على ما فى المعلوم منهم و قيل: هم غلاظ شداد يعذبون على قدر قواهم بأنواع العذاب. و قال الجبائى قوله «لا يَعْصُونَ اللَّهَ ما أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ» يعنى- فى دار الدنيا- لان الآخرة ليست دار تكليف. و إنما هى دار جزاء. و إنما أمرهم الله بتعذيب اهل النار على وجه الثواب لهم بأن جعل سرورهم و لذاتهم فى تعذيب أهل النار، كما جعل سرور المؤمنين و لذاتهم فى الجنة.

ثم حكى ما يقال للكفار يوم القيامة فان الله تعالى يخاطبهم فيقول «يا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا» نعمتى و جحدوا ربوبيتى و أشركوا فى عبادتى من لا يستحقها، و كذبوا أنبيائى و رسلى «لا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ» فان اليوم دار جزاء لا دار توبة و اعتذار «إِنَّما تُجْزَوْنَ» على قدر «ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» فى الدنيا على الطاعات بالثواب و لا طاعة معكم، و على المعاصى بالعقاب و دخول النار، و أنتم مستحقون لذلك.

ثم عاد الى خطاب المؤمنين فى دار التكليف فقال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ» من معاصيه و أرجعوا إلى طاعته «تَوْبَةً نَصُوحاً» أى توبة خالصة لوجه اللّه. فمن قرأ- بضم النون- و هو أبو بكر عن عاصم أراد المصدر، و من فتح النون جعله صفة للتوبة و نعتاً لها. و التوبة النصوح هى التى يناصح فيها الإنسان نفسه بإخلاص الندم مع العزم على ألا يعود إلى مثله فى القبح. و قوله «عَسى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ» معناه متى تبتم توبة نصوحاً كفر الله عنكم سيئاتكم، و غفر لكم فان (عسى) من الله واجبة «وَ يُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ» مضافاً إلى تكفير السيئات و العفو عنها «يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ» و لا يخزى «الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ» أى لا يذلهم و لا يعاقبهم بل يعزهم بإدخال الجنة.

ثم وصف النبى صلى اللّه عليه و آله و المؤمنين معه فقال «يَسْعى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بِأَيْمانِهِمْ» قال ابن عباس: معناه يسعى نور كتابهم الذى فيه البشرى «يَقُولُونَ رَبَّنا» فى التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٥٢

موضع الحال، و تقديره قائلين «رَبَّنا أَتْمِمْ لَنا نُورَنا» قال: يقول ذلك المؤمنون حين يطفئ نور المنافقين و يبقون فى الظلمة فيسأل المؤمنون حينئذ إتمام نورهم «وَ اغْفِرْ لَنا» أى استر علينا معاصينا و لا تهلكنا بها «إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» لا يعجزك شىء.

ثم خاطب النبى صلى اللّه عليه و آله فقال «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ جاهِدِ الْكُفَّارَ وَ الْمُنافِقِينَ» قيل:

معناه جاهد الكفار بالقتال و الحرب، و المنافقين بالقول الذى يردع عن القبيح لا بالحرب إلا أن فيه بذل المجهود، فلذلك سماه جهاداً. و فى قراءة اهل البيت «جاهد الكفار بالمنافقين» لأنه صلى اللّه عليه و آله كان يجاهد الكفار و فى عسكره جماعة من المنافقين

يقاتلون معه.

و قوله «وَ اغْلُظْ عَلَيْهِمْ» أى اشدد عليهم. قال الحسن: اكثر من كان يصيب الحدود فى ذلك الزمان المنافقون. فأمر اللَّه أن يغلظ عليهم فى إقامة الحدود. ثم قال «وَ مَأْواهُمْ» يعنى مأوى الكفار و المنافقين و مستقرهم «جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ» لما فيها من أنواع العقاب.

و قوله «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَ امْرَأَتَ لُوطٍ كانَتا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبادِنا صالِحَيْنِ» قال ابن عباس: كانت امرأة نوح و امرأة لوط منافقتين «فَخانَتاهُما» قال ابن عباس: كانت امرأة نوح كافرة، تقول للناس انه مجنون، و كانت امرأة لوط تدل على أضيافه، فكان ذلك خيانتهما لهما، و ما زنت امرأة نبى قط، لما فى ذلك من التنفير عن الرسول و إلحاق الوصمة به، فمن نسب أحداً من زوجات النبى إلى الزنا، فقد أخطأ خطاء عظيماً، و ليس ذلك قولاً لمحصل. ثم قال «فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُما» أى لم يغن نوح و لوط عن المرأتين «مِنَ اللَّهِ شَيْئاً» أى لم ينجياهما من عقاب الله و عذابه «وَ قِيلَ» لهما يوم القيامة «ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ» من الكفار.

و قال الفراء: هذا مثل ضربه الله تعالى لعائشة و حفصة، و بين انه لا يغنيهما و لا التبيان فى تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۵۳
ينفعهما مكانهما من رسول الله إن لم يطيعا الله و رسوله، و يمتثلا أمرهما، كما لم ينفع امرأة نوح و امرأة لوط كونهما تحت نبيين. و فى ذلك زجر لهما عن المعاصى و امر لهما أن يكونا كآسية امرأة فرعون و مريم بنت عمران فى طاعتهما لله تعالى و امتثال أمره و نهيه.

قوله تعالى:[سورة التحريم (۶۶): الآيات ۱۱ الى ۱۲] ..... ص: ۵۳

وَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَ نَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَ عَمَلِهِ وَ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (۱۱) وَ مَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَها فَنَفَخْنا فِيهِ مِنْ رُوحِنا وَ صَدَّقَتْ بِكَلِماتِ رَبِّها وَ كُتُبِهِ وَ كانَتْ مِنَ الْقانِتِينَ (۱۲)

آيتان.

قرأ اهل البصرة و حفص عن عاصم و نافع فى رواية خارجة «و كتبه» على الجمع. الباقون «و كتابه» على واحد، لأنه اسم جنس يقع على القليل و الكثير.

و الفائدة فى هذه الآية، و فى الآية التى قبلها: أن احداً لا ينفعه إلا عمله و لا يؤخذ بجرم غيره، و لا يثاب على طاعة غيره، و إن كان خصيصاً به و ملازماً له. و تبين ان امرأة نوح و امرأة لوط لم ينفعهما قربهما من نبيين و اختصاصهما و التصاقهما بهما، لما كانتا كافرتين عاصيتين لله تعالى بل عاقبهما الله بالنار بكفرهما و سوء أفعالهما.

و بين فى هذه الآية أن كفر فرعون لم يتعدّ إلى زوجته لما كانت مؤمنة طائعة لله تعالى خائفة من عقابه، بل نجاها الله من عقابه و أدخلها الجنة على إيمانها و طاعتها، فضرب المثل الاول للكفار لما كانت المرأتان كافرتين، و ضرب المثل التبيان فى تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۵۴
الثانى للمؤمنين، لما كانت امرأة فرعون مؤمنة، فقال «وَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ» و اسمها آسية. و المثل قول سائر يشبه فيه حال الثانى بالأول. فهذه الآية فيها قول فيه تشبيه حال المؤمنة التى زوجها كافر بحال امرأة فرعون فى انه لا يضرها كفره مع قربها منه، كما أن امرأة نوح و امرأة لوط، لم ينفعهما نبوتهما و إيمانهما حين كانتا كافرتين.

و قوله «إِذْ قالَتْ» أى حين قالت امرأة فرعون داعية الله «رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَ نَجِّنِي» أى و خلصنى «مِنْ فِرْعَوْنَ وَ عَمَلِهِ» يعنى من مثل سوء عمله «وَ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» يعنى الذين ظلموا أنفسهم بالكفر بالله و استحقوا لذلك العقاب. و إنما دعت بالخلاص من عمل الكفار بأن سألت الله تعالى أن يلطف لها فى التمسك بالايمان، و ألا تعتر بتمكين الله لفرعون و كفار قومه و طول سلامته و سوابغ نعمته عليهم و الانس به لطول مخالطته و صحبته، فربما أفتنت من هذه الوجوه، فدعت بهذا ليلطف الله لها فى ذلك و تبقى على التمسك بالايمان.

و قوله (وَ مَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرانَ) يحتمل ان يكون عطفاً على قوله (امرأة فرعون) فلذلك نصبه. و العامل (و ضرب) فكأنه قال: و ضرب مثلا مريم ابنت عمران، و يحتمل ان يكون نصباً على تقدير و اذكر أيضاً مريم بنت عمران (الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَها) فاحصان الفرج منعه من دنس المعصية يقال: أحصن يحصن إحصاناً، و منه الحصن الحصين، لأنه بناء منيع، و الفرس الحصان الذى يمنع من ركوبه إلا مقتدراً على تلك الحال، و امرأة حصان- بفتح الحاء- لأنها تمنع من لمس الحرام.

و قوله (فَنَفَخْنا فِيهِ مِنْ رُوحِنا) قال قتادة معناه فنفخنا فی جيبها من روحنا و قال الفراء: كل شق فهو فرج فاحصنت فرجها منعت جيب درعها من جبرائيل عليه السلام و الظاهر انه أراد الفرج الذى يكنى عنه. و قوله (فيه) يعنى فی الفرج، فلذلك التبيان فی تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٥٥

ذكر فی الأنبياء (فيها) لأنه رده إلى التى أحصنت فرجها. و قيل: إن جبرائيل عليه السلام نفخ فی فرجها، فخلق الله- عز و جل- فيه المسيح (وَ صَدَّقَتْ بِكَلِماتِ رَبِّها) يعنى بما تكلم الله به، و أوحاه إلى أنبيائه و ملائكته (وَ كُتُبِهِ) أى و صدقت بكتبه التى أنزلها على أنبيائه. فمن قرأ (و كتبه) جمع لأنها كتب مختلفة. و من وحد ذهب إلى الجنس، و هو يدل على القليل و الكثير (وَ كانَتْ مِنَ الْقانِتِينَ) و إنما لم يقل من القانتات لتغليب المذكر على المؤنث، فكأنه قال من القوم القانتين، فالقانت المقيم على طاعة اللَّه. و قيل: معناه الداعى للَّه فی كل حال، و قال الحسن: رفع اللَّه آسية امرأة فرعون إلى الجنة، فهى تأكل و تشرب و تنعم فيها إلى يوم القيامة، فنجاها اللَّه أكرم النجاة. و

روى عن النبى صلى اللَّه عليه و آله انه قال (حسبك من نساء العالمين أربع: مريم ابنت عمران، و آسية امرأة فرعون، و خديجة بنت خويلد، و فاطمة بنت محمد صلى اللَّه عليه و آله)

و

روى أن فرعون امر أن تسمر آسية بأربع مسامير و يرفع فوقها حجر الرخام، فان رجعت عن قولها و إلا أرسل عليها الحجر فأراها اللَّه منزلها من الجنة، فاختارت الجنة فنزع اللَّه روحها، فلما أرسل الحجر وقع على جسد ميت.

التبيان فی تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٥۶

۶٧-سورة الملك ..... ص: ۵۶

اشارة

مكية فی قول ابن عباس و الضحاك و عطاء و غيرهم و هى ثلاثون آية فی الكوفى و البصرى و المدنى الاول واحد و ثلاثون فی المدنى الأخير و قال الفراء: سورة الملك تسمى المنجية لأنها تنجى قاريها من عذاب القبر و روى إن فی التوراة مثل (سورة الملك)

[سورة الملك (۶٧): الآيات ١ الى ۵] ..... ص: ۵۶

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
تَبارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَ هُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَ الْحَياةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (٢) الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ طِباقاً ما تَرى فِي خَلْقِ الرَّحْمنِ مِنْ تَفاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرى مِنْ فُطُورٍ (٣) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خاسِئاً وَ هُوَ حَسِيرٌ (۴)
وَ لَقَدْ زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِمَصابِيحَ وَ جَعَلْناها رُجُوماً لِلشَّياطِينِ وَ أَعْتَدْنا لَهُمْ عَذابَ السَّعِيرِ (۵)

خمس آيات.

قرأ حمزة و الكسائى (من تفوّت) بتشديد الواو بلا ألف. الباقون (تفاوت) على وزن تفاعل. و معناهما واحد. و هو مثل: تصعر و تصاعر، و تعهد و تعاهد.

و التفاوت إختلاف التناقض، و هو تباعد ما بين الشيئين فى الصحة. و التباين التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٥٧

امتناع كل واحد من المعنيين ان يصح مع الآخر.

يقول اللّه تعالى مخبراً عن عظمته و علو شأنه (تَبارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ) فمعنى تبارك بأنه الثابت الذى لم يزل و لا يزال. و أصل الصفة من الثبوت من البرك و هو ثبوت الطائر على الماء. و منه البركة ثبوت الخير بنمائه. و قيل: معناه تعاظم بالحق من لم يزل و لا يزال، و هو راجع إلى معنى الثابت الدائم. و قيل:

المعنى تبارك من ثبوت الأشياء به إذ لولاه لبطل كل شيء لأنه لا يصح شيء سواه إلّا مقدوره او مقدور مقدوره، الذى هو القدرة، لان اللّه تعالى هو الخالق لها.

و قيل: إن معناه تبارك لان جميع البركات منه، إلا ان هذا المعنى مضمن فى الصفة غير مصرح به، و إنما المصرح به تعالى باستحقاق التعظيم.

و قوله (الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ) معناه الذى يجب كونه قادراً و انه السلطان العظيم الذى كل ملك له، ليس من ملك إلا داخل فيه لان اللّه تعالى مالك الملوك، و مكنهم منها. و الملك هو اتساع المقدور لمن له السياسة و التدبير.

و قوله (وَ هُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) معناه إن الذى بيده الملك و السلطان القادر على كل شيء يصح ان يكون مقدوراً له و هو أخص من قولنا: و هو بكل شيء عليم، لأنه تعالى يعلم كل ما يصح أن يكون معلوماً فى نفسه، و لا يوصف بكونه قادراً إلا على ما يصح ان يكون مقدوراً له، لان مقدور القدرة لا يصح أن يكون مقدوراً له، و كذلك ما تقضى وقته مما لا يبقى لا يصح ان يكون مقدوراً فى نفسه.

ثم وصف تعالى نفسه فقال (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَ الْحَياةَ) أى خلق الموت للتعبد بالصبر عليه، و الحياة للتعبد بالشكر عليها. و قيل: وجه خلق الموت و الحياة للابتلاء هو ما فيها من الاعتبار المؤدى إلى تثبيت قادر على الاضداد مع التحذير التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٥٨

فى كل حال من مجيئ الموت الذى ينقطع به استدراك ما فات، و مع التسوية بين الغنى و الفقير و الملك و السوقة فى الموت بما يقتضى قاهراً للجميع قد عمهم بحسن التدبير فقد أذل اللّه ابن آدم بالموت ليكون أبعد من الطغيان فى حال التمكين من العصيان.

و فى كون الموت معنى خلاف بين الشيخين: أبى، و أبى هاشم.

و قوله (لِيَبْلُوَكُمْ) معناه ليعاملكم معاملة المختبر بالأمر و النهى فيجازى كل عامل على قدر عمله. و الابتلاء الاختبار. و قال الفراء و الزجاج: فى الكلام إضمار و تقديره ليبلوكم فيعلم أيكم، لأن حروف الاستفهام لا تشغل إلا بفعل يتعلق بالجملة على تقدير المفرد كقولك: علمت أزيد فى الدار أم عمرو، و تقديره و قد علمت ان أحدهما فى الدار (و عرفت، و نظرت) بمنزلة (علمت) فى هذا، لأنها توافقها فى (عرفت انه فى الدار) و (نظرت بقلبى انه فى الدار) و مثله (سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذلِكَ زَعِيمٌ) «١» أى سؤال من يطلب ان يعلم أيهم بذلك زعيم، و لو قلت اضرب أيهم ذهب لم يكن إلا نصباً، لأنه بمعنى الذى. و القديم تعالى و إن كان عالماً بالأشياء قبل كونها، فإنما يبتلى الخلق و يختبرهم اختبار من يطلب العلم، حتى يجازى على الفعل بحسبه، و لما كان لم يحسن الثواب و العقاب و التعظيم و الإجلال إلا بعد وجود الطاعة و المعصية لم يكن بدّ من التكليف، و الأمر و النهى فأجرى عليه الاختبار مجازاً.

و قوله (وَ هُوَ الْعَزِيزُ) فى انتقامه من أعدائه و الكافرين لنعمه، لا يقدر أحد على مغالبته و مقاهرته، غفور لمن تاب اليه، او إن يريد التفضل بإسقاط عقابه و لا يصح التكليف إلا مع الترغيب و الترغيب، لأن التمكين من الحسن و القبيح يقتضى ذلك، و التكليف تحميل المشقة فى الأمر و النهى.

ثم عاد إلى صفات نفسه فقال (الَّذِی خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ طِباقاً) أی انشأ

---

(۱) سورة ۶۸ القلم آیة ۴۰ [.....]

التبیان فی تفسیر القرآن، ج ۱۰، ص: ۵۹

و اخترع سبع سموات واحدة فوق الأخری (ما تَری فِی خَلْقِ الرَّحْمنِ مِنْ تَفاوُتٍ) یعنی من اختلاف و تناقض، و ذلک یدل علی ان ما فیه تفاوت من الکفر و المعاصی لیس من خلق اللَّه، لأنه نفی نفیاً عاماً أن یکون فیما خلقه تفاوت. و تفاوت و تفوت مثل تصاعر و تصعر.

ثم نبه تعالی العاقل علی صحة ما قاله من انه لیس فی خلق اللَّه تفاوت.

فقال (فَارْجِعِ الْبَصَرَ) أی فرد البصر و أدرها فی خلق اللَّه من السموات (هَلْ تَری مِنْ فُطُورٍ) أی من شقوق و صدوع یقال: فطره یفطره، فهو فاطر إذا شقه و منه قوله (تَکادُ السَّماواتُ یَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ) «۱» أی یتصدعن. و قال ابن عباس:

معناه هل تری من وهن، و قال قتادة: من خلل. و قال سفیان: من شقوق. ثم أکد ذلک بقوله (ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ کَرَّتَیْنِ) أی دفعة ثانیة، لان من نظر فی الشیء کرة بعد أخری بان له ما لم یکن بایناً له.

ثم بین انه إذا فعل ذلک و تردد بصره فی خلق اللَّه انقلب الیه بصره و رجع الیه خاسئاً یعنی ذلیلا صاغراً- فی قول ابن عباس- و ذلک کذلة من طلب شیئاً لم یجده و أبعد عنه «وَ هُوَ حَسِیرٌ» قال قتادة: معناه کالّ معیی، فالحسیر الکلیل، کما یحسر البعیر.

ثم أقسم اللَّه تعالی بقوله (وَ لَقَدْ زَیَّنَّا السَّماءَ الدُّنْیا ...) لان لام (لقد) هی التی یتلقی بها القسم بأنه زین السماء أی حسنها و جملها أی السماء الدنیا بالمصابیح، یعنی الکواکب و سمیت النجوم مصابیح لإضاءتها، و کذلک الصبح. و المصباح السراج و واحد المصابیح مصباح. قال قتادة: خلق اللَّه تعالی النجوم لثلاث خصال: أحدها زینة السماء. و ثانیها رجوماً للشیاطین. و ثالثها علامات یهتدی بها، فعلی هذا یکون

---

(۱) سورة ۱۹ مریم آیة ۹۱

التبیان فی تفسیر القرآن، ج ۱۰، ص: ۶۰

تقدیره و جعلنا فیها.

و قوله (وَ أَعْتَدْنا لَهُمْ عَذابَ السَّعِیرِ) معناه إنا جعلنا الکواکب رجماً للشیاطین أعتدنا لهم و ادّخرنا لأجلهم عذاب السعیر یعنی النار المسعّرة، فالسعیر النار المسعرة المشتعلة. و قیل: ینفصل من الکواکب شهاب بأن یکون رجوماً للشیاطین، فأما الکوکب نفسه، فلیس یزول إلی أن یرید اللَّه فناءه، ففی هذه الآیات بیان ما یجب من تعظیم اللَّه تعالی لم یزل و لا یزال، و أن له الملک الکبیر، و انه علی کل شیء قدیر. و فیها بیان ما یجب اعتقاده من أن جمیع ما خلقه اللَّه فللابتلاء بما یصح معه التکلیف للعمل الذی یوجب الثواب جزاء علی الإحسان مع رحمة من تاب بالغفران و شدة الانتقام ممن أقام علی معصیته. و فیها بیان ما یجب اعتقاده من أن جمیع ما خلقه اللَّه محکم لا تفاوت فیه، لأنه علی ما تقتضیه الحکمة فی المتعة و العبرة و ما یصح به الزجر من السیئة. و فیها بیان ما یجب اعتقاده مما اقتضت الحکمة فیه التلاؤم من غیر فطور، و لا عدول عن الصواب من أمر السموات و الأفلاک و النجوم، و ما خلق فیها من المصابیح زینة لها و رجوماً للشیاطین مع ان عاقبتهم إلی عذاب السعیر.

قوله تعالی:[سورة الملک (۶۷): الآیات ۶ الی ۱۱] ..... ص: ۶۰

وَ لِلَّذِینَ کَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذابُ جَهَنَّمَ وَ بِئْسَ الْمَصِیرُ (۶) إِذا أُلْقُوا فِیها سَمِعُوا لَها شَهِیقاً وَ هِیَ تَفُورُ (۷) تَکادُ تَمَیَّزُ مِنَ الْغَیْظِ کُلَّما أُلْقِیَ

فِيها فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُها أَ لَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٨) قالُوا بَلى قَدْ جاءَنا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنا وَ قُلْنا ما نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ فِي ضَلالٍ كَبِيرٍ (٩) وَ قالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ ما كُنَّا فِي أَصْحابِ السَّعِيرِ (١٠)

فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقاً لِأَصْحابِ السَّعِيرِ (١١)

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٦١

ست آيات.

قرأ ابو جعفر و الكسائى (فسحقاً) بضم الحاء مثقل. الباقون بالتخفيف، و هما لغتان.

لما ذكر اللَّه تعالى ما أعد للشياطين من عذاب السعير، ذكر عقيبه وعيد الكفار و ما أعد لهم لاتصال ذلك بوعيد النار، فقال (وَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا) يعنى بتوحيد اللَّه و إخلاص عبادته و جحدوا نبوة رسله و ما جاءوا به (عَذابُ جَهَنَّمَ) ثم قال (وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ) أى بئس المآل و المرجع. و إنما وصفه ب (بئس) و هى من صفات الذم، و العقاب حسن، لما فى ذلك من الضرر الذى يجب على كل عاقل أن يتقيه بغاية الجهد و استفراغ الوسع و مع هذا ليس يخفى المراد فى ذلك على أحد.

و لا يجوز قياساً على ذلك أن يوصف به الفاعل، لأنه لا يوصف به الفاعل إلا على وجه الذم، لأنه لا يقال: بئس الرجل إلا لمن كان مستحقاً للذم من حيث أن القادر قادر على الضدين.

و وجه الحكمة فى فعل العقاب ما فيه من الزجر المتقدم للمكلف، و لا يمكن ان يكون مزجوراً إلا به و لولاه لكان مغرى بالقبيح.

ثم قال تعالى (إِذا أُلْقُوا فِيها) و معناه إذا طرح الكفار فى النار (سَمِعُوا لَها) يعنى للنار (شَهِيقاً) و صوتاً فظيعاً بنفس كالنزع، فإذا اشتد لهيب النار سمع لها ذلك الصوت كأنها تطلب الوقود، قال رؤبة:

حشرج فى الجوف سحيلا او شهق حتى يقال ناهق و ما نهق «١»

---

(١) مر فى ٦/ ٦٧

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٦٢

و قال ابو العالية: الشهيق فى الصدر، و الزفير فى الحلق و قوله (وَ هِيَ تَفُورُ) أى ترتفع، فالفور ارتفاع الشيء بالغليان، يقال: فارت القدر تفور فوراً و منه الفوارة لارتفاعها بالماء ارتفاع الغليان. و فار الدم فوراناً، و فار الماء يفور فوراً.

و قوله (تَكادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ) أى تكاد النار تتفرق و تنقطع من شدتها، و سمى شدتها و التهابها غيظاً لأن المغتاظ هو المتقطع بما يجد من الألم الباعث على الإيقاع لغيره، فحال جهنم كحال المغتاظ، فالتميز التفرق و التمييز التفريق. و قال ابن عباس (تميز) أى تفرق، و هو قول الضحاك و ابن زيد.

و قوله (كُلَّما أُلْقِيَ فِيها فَوْجٌ) يعنى كلما طرح فى النار فوج من الكفار (سَأَلَهُمْ خَزَنَتُها أَ لَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ) يعنى تقول لهم الملائكة الموكلون بالنار على وجه التبكيت لهم فى صيغة الاستفهام: أ لم يجئكم مخوف من جهة اللَّه يخوفكم عذاب هذه النار؟! فيقولون فى جوابهم (بَلى قَدْ جاءَنا نَذِيرٌ) أى مخوف معلم (فَكَذَّبْنا) و لم نصدقه و لم نقبل منه (وَ قُلْنا ما نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ) مما تدعوننا اليه و تحذروننا منه فتقول لهم الملائكة (إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلالٍ كَبِيرٍ) أى لستم اليوم إلا فى عذاب عظيم.

(وَ قالُوا) أيضاً يعنى الكفار (لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ) من النذر ما جاءونا به (أَوْ نَعْقِلُ) ما دعونا اليه و عملنا به (ما كُنَّا فِي أَصْحابِ السَّعِيرِ) فقال اللَّه تعالى (فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ) يعنى أقر اهل النار بمعاصيهم فى ذلك الوقت الذى لم ينفعهم الاعتراف.

فالاعتراف هو الإقرار بالشيء عن معرفة، و ذلك ان الإقرار مشتق من قرّ الشيء يقرّ قراً إذا ثبت، فالمقر فى المعنى مثبت له و الاعتراف مأخوذ من المعرفة. فقال اللَّه تعالى (فَسُحْقاً لِأَصْحابِ السَّعِيرِ) أى بعداً لهم عن الخير و عن ثواب اللَّه و نعمه، فكأنه قال اسحقهم اللَّه سحقاً او ألزمهم اللَّه سحقاً عن الخير فجاء المصدر على غير التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٦٣

لفظه، كما قال اللّه تعالى (وَ اللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَباتاً) «۱» و تقديره فأسحقهم اللّه إسحاقاً لأنه مأخوذ منه فأما سحقته سحقاً فمعناه باعدته بالتفريق عن حال اجتماعه بما صار اليه كالغبار. و ليس لأحد أن يقول: ما وجه اعترافهم بالذنب مع ما عليهم من الفضيحة به؟! و ذلك أنهم قد علموا انهم قد حصلوا على الفضيحة اعترفوا او لم يعترفوا و انهم سواء عليهم أ جزعوا أم صبروا، فليس يدعوهم إلى أحد الأمرين إلا بمثل ما يدعوهم إلى الآخر فى أنه لا فرج فيه، فلا يصلح أن يقال لم جزعوا إلا بمثل ما يصلح أن يقال لم صبروا، و كذلك لم اعترفوا بمنزلة لم لم يعترفوا على ما بيناه. و الذنب مصدر لا يثنى و لا يجمع، و متى جمع فلاختلاف جنسه، كما يقال غطاء الناس و اغطيتهم.

قوله تعالى:[سورة الملك (۶۷): الآيات ۱۲ الى ۱۵] ..... ص: ۶۳

إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ كَبِيرٌ (۱۲) وَ أَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ (۱۳) أَ لا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (۱۴) هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَناكِبِها وَ كُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَ إِلَيْهِ النُّشُورُ (۱۵)

أربع آيات.

لما وصف اللّه تعالى الكفار و ما أعده لهم من أليم العقاب، ذكر المؤمنين و ما أعده لهم من جزيل الثواب، فقال (إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ) أى يخافون عذاب ربهم باتقاء معاصيه و فعل طاعاته (بِالْغَيْبِ) أى على وجه الاستسرار بذلك

---

(۱) سورة ۱۷ نوح آية ۱۷

التبيان فى تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۶۴

لان الخشية متى كانت بالغيب على ما قلناه كانت بعيدة من النفاق، و خالصة لوجه اللّه. و خشية اللّه بالغيب تنفع بأن يستحق عليها الثواب، و الخشية فى الظاهر و ترك المعاصى لا يستحق بها الثواب و إنما لا يستحق عليها العقاب. و إنما الخشية فى الغيب أفضل لا محالة.

و قوله (لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ كَبِيرٌ) أى لمن خشى اللّه و اتقاه بالغيب ستر اللّه على معاصيه و لهم ثواب كبير لا فناء له. و قيل: معنى (يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ) أى يخافونه، و هم لا يرونه. و قيل (بالغيب) أى فى سرهم و باطنهم، و من علم ضمائر الصدور علم إسرار القائل إلى غيره. و قال الحسن: معناه يخشون ربهم بالآخرة لأنها غيب يؤمنون به، و كل من خشى ربه بالغيب خشيه بالشهادة، و ليس كل من خشيه بالشهادة يخشى بالغيب.

ثم قال مهدداً للعصاة (وَ أَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ) و معناه إن شئتم أظهروه و إن شئتم ابطنوه فانه عالم بذلك ل (إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ) فمن علم ضمائر الصدور علم إسرار القول.

و قوله (أَ لا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ) معناه من خلق الصدور يعلم ما فى الصدور و يجوز ان يكون المراد أ لا يعلم من خلق الأشياء ما فى الصدور. و قيل تقديره أ لا يعلم سر العبد من خلقه يعنى من خلق العبد، و يجوز أن يكون المراد أ لا يعلم سر من خلق، و حذف المضاف و أقام المضاف اليه مقامه. و لا يجوز أن يكون المراد ألا يعلم من خلق أفعال القلوب، لأنه لو أراد ذلك لقال ألا يعلم ما خلق، لأنه لا يعبر عما لا يعقل ب (من) و لا يدل ذلك على أن الواحد منا لا يخلق أفعاله من حيث أنه لا يعلم الضمائر، و إنا بينا أن المراد ألا يعلم من خلق الصدور أى خلق الأشياء و الواحد منا لا يخلق ذلك فلا يجب أن يكون عالماً بالضمائر. التبيان فى تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۶۵

و قوله (وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) معناه هو اللطيف بعباده من حيث يدبرهم بلطف التدبير، فلطيف التدبير هو الذى يدبر تدبيراً نافذاً لا يخفو عن شيء يدبره به (الخبير) معناه العالم بهم و بأعمالهم.

ثم قال تعالى ممتناً على خلقه و معدداً لأنواع نعمه عليهم (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا) يعنى سهلا سهلها لكم تعملون فيها ما تشتهون (فَامْشُوا فِي مَناكِبِها) قال مجاهد: مناكبها طرقها و فجاجها. و قال ابن عباس و قتادة: مناكبها جبالها (وَ كُلُوا مِنْ رِزْقِهِ) صورته صورة الأمر و المراد به الاباحة و الأذن، أذن اللَّه تعالى أن يأكلوا مما خلقه لهم و جعله لهم رزقاً على الوجه الذى أباحه لهم «وَ إِلَيْهِ النُّشُورُ» أى إلى اللَّه المرجع يوم القيامة و اليه المآل و المصير فيجازى كل واحد حسب عمله. و فى ذلك تهديد.

قوله تعالى:[سورة الملك (٦٧): الآيات ١٦ الى ٢١] ..... ص: ٦٥

أَ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّماءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذا هِيَ تَمُورُ (١٦) أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّماءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حاصِباً فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ (١٧) وَ لَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كانَ نَكِيرِ (١٨) أَ وَ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صافَّاتٍ وَ يَقْبِضْنَ ما يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ الرَّحْمنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ (١٩) أَمَّنْ هذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمنِ إِنِ الْكافِرُونَ إِلاَّ فِي غُرُورٍ (٢٠)
أَمَّنْ هذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَ نُفُورٍ (٢١)

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٦٦

ست آيات.

قرأ ابن كثير (و اليه النشور و أمنتم) بواو فى الوصل قلباً لهمزة الاستفهام واواً لضم ما قبلها. و قرأ اهل الكوفة و اهل الشام بهمزتين على أصولهم. الباقون بتحقيق الأولى و تخفيف الثانية.

يقول اللَّه تعالى مهدداً للمكلفين و زاجراً لهم عن ارتكاب معاصيه و الجحد لربوبيته على لفظ الاستفهام و المراد به تفخيم الامر و تعظيم التبكيت (أَ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّماءِ) فالأمن هو اطمينان النفس إلى السلامة من الخوف، و الأمن علم بسلامة النفس من الضرر يقال أمن يأمن أمناً و أمنه يؤمنه إيماناً و أماناً، و المعنى أ أمن من فى السماء سلطانه و أمره و نهيه. كما قال (وَ هُوَ اللَّهُ فِي السَّماواتِ وَ فِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَ جَهْرَكُمْ) «١» أى و هو اللَّه فى السموات و فى الأرض معلومه، لا يخفى عليه شىء منه. و قيل: ايضاً يجوز ان يكون المراد (أَ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّماءِ) يعنى الملك الكائن فى السماء (أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ) بأمر اللَّه، فإذا هى تمور أى تردد، فالمور هو التردد فى الذهاب و المجىء، يقال: مار يمور موراً فهو مائر، و مثله ماج يموج موجاً.

و قوله (أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّماءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حاصِباً) فالحاصب الحجارة التى يرمى بها كالحصباء، حصبه بالحصباء يحصبه حصباً إذا رماه بها. و يقال للذى يرمى به حاصب أى ذو حصب كأن الحجر هو الذى يحصب. و قيل: تقديره آمنوا قبل ان يرسل عليكم حاصباً، كما أرسل على قوم لوط حجارة من السماء.

و قوله (فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ) فيه تهديد أى ستعرفون كيف تخويفى

---

(١) سورة ٦ الانعام آية ٣

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٦٧

و ترهيبى إن عصيتمونى إذا صرتم إلى عذاب النار. ثم قال مقسماً (وَ لَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) أى جحد من قبل هؤلاء الكفار من الأمم وحدانيتى و أشركوا بى غيرى فى العبادة و كذبوا رسلى (فأهلكتهم) و استأصلتهم (فَكَيْفَ كانَ نَكِيرِ) أى أ لم اهلكهم بضروب النقمات و المثلات.

ثم قال منبهاً لهم على توحيده (أَ وَ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صافَّاتٍ) أى مصطفاة فوق رؤسهم فى الجو باسطات أجنحتهم (وَ يَقْبِضْنَ) أى يضربن بها.

أى من الطير ما يضرب بجناحيه فيدف، و منه الصفيف و الدفيف (ما يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمنُ) أى ليس يمنعهن من السقوط إلى الأرض

إلا الرحمن الذى خلق لهم الآلات التى يصفون بها و يدفون، و ما خلق فيها من القدرة على ذلك، و لو لا ذلك لسقطت إلى الأرض. و قيل معنى ما يمسكهن إلا الرحمن بتوطئة الهواء لها، و لو لا ذلك لسقطت، و فى ذلك أكبر دلالة، و أوضح عبرة بأن من سخر الهواء هذا التسخير هو على كل شيء قدير. و الصف وضع الأشياء المتوالية على خط مستقيم، و القبض جمع الشيء من حال البسط. و الإمساك اللزوم المانع من السقوط.

و قوله (إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ) اخبار منه تعالى انه عالم بجميع الأشياء لا يخفى عليه شيء منها (بصير) بما للخلق من النفع و الضر. ثم قال (أَمَّنْ هـذَا الَّذِی هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمنِ) أى من لكم معاشر الكفار يدفع عنكم عذاب اللّه إذا حل بكم (إِنِ الْكافِرُونَ إِلَّا فِی غُرُورٍ) معناه ليس الكافرون باللّه العابدون للأوثان إلا فى غرور أى يتوهمون أن ذلك أنفع لهم و الأمر على خلاف ذلك من المكروه.

ثم قال (أَمَّنْ هـذَا الَّذِی يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ) اللّه (رزقه) بأن يزيله و يمنعه منكم، فينزل عليكم رزقه (بَلْ لَجُّوا فِی عُتُوٍّ وَ نُفُورٍ) فاللجاج تقحم الامر التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ۶۸

كثيراً رداً للصارف عنه، يقال لجج فى الأمر يلج لجاجاً، و قد لاجه ملاجة و لجج فلان فى الحرب فهو يلج تلجيجاً. و لما كان لهؤلاء المشركين صوارف كثيرة من عبادة الأوثان و هم يتقحمون على ذلك العصيان كانوا قد لجوا فى عتوهم. و العتو الطغيان و هو الخروج الى فاحش الفساد، يقال: عتا يعتو عتواً فهو عات و جمعه عتاة. و النفور الخروج عن الشيء هرباً من الشعور بضرره، و نقيض النفور القبول و قال الجبائى: قوله (أَمَّنْ هـذَا الَّذِی) إلى قوله (إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ) تعريف حجة عرفها اللّه لعباده فعرفوا و أقروا بها، و لم يردوا لها جواباً فقال اللّه (بَلْ لَجُّوا فِی عُتُوٍّ وَ نُفُورٍ).

قوله تعالى:[سورة الملك (٦٧): الآيات ٢٢ الى ٢٦] ..... ص: ۶۸

أَ فَمَنْ يَمْشِی مُكِبًّا عَلى وَجْهِهِ أَهْدى أَمَّنْ يَمْشِی سَوِيًّا عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ (٢٢) قُلْ هُوَ الَّذِی أَنْشَأَكُمْ وَ جَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصارَ وَ الْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً ما تَشْكُرُونَ (٢٣) قُلْ هُوَ الَّذِی ذَرَأَكُمْ فِی الْأَرْضِ وَ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢۴) وَ يَقُولُونَ مَتى هـذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (٢۵) قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَ إِنَّما أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢۶)

خمس آيات.

قوله (أَ فَمَنْ يَمْشِی ...) مثل ضربه اللّه قال ابن عباس: هو مثل ضربه اللّه عز و جل للكافر و شبهه بمن يمشى مكباً على وجهه. و المؤمن شبهه بمن يمشى سوياً على صراط مستقيم. و قال قتادة: الكافر يحشر يوم القيامة يمشى على وجهه مكباً، و المؤمن يمشى على صراط مستقيم. التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ۶۹

و فى الآية دلالة على وجوب النظر فى الدين، لأنه تعالى ضرب المثل بالناظر فى ما يسلكه حتى خلص إلى الطريق المستقيم فمدحه بهذا و ذم التارك للنظر مكباً على وجهه لا يثق بسلامة طريقه، يقال: اكبّ يكبّ اكباباً فهو مكب فى ما لا يتعدى قال الأعشى:

مكباً على روقيه يحفر عرقها على ظهر عريان الطريقة أهيما «١»

.فإذا تعدى قيل: كببت فلاناً على وجهه، و أكبه اللّه لوجهه. ثم قال تعالى لنبيه صلى الله عليه و آله (قُلْ) لهؤلاء الكفار إن اللّه تعالى (هُوَ الَّذِی أَنْشَأَكُمْ) بأن أخرجكم من العدم إلى الوجود و اخترعكم (وَ جَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصارَ) تسمعون بالسمع المسموعات و تبصرون بالبصر المبصرات (وَ الْأَفْئِدَةَ) يعنى القلوب تعقلون فيها أى بما فيها من المعلوم تعلمون بها و تميزون بها، فهذه نعم من اللّه تعالى يجب عليكم أن تشكروها و تحمدوا اللّه عليها فأنتم (قَلِيلًا ما تَشْكُرُونَ) أى قليلاـ شكركم، و يجوز أن يكون المعنى إنكم تشكرون قليلا.

ثم قال (قُلْ) لهم يا محمد (هُوَ) اللّه تعالى (الَّذِی ذَرَأَكُمْ فِی الْأَرْضِ) أى خلقكم أولا و أوجدكم (وَ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) أى تبعثون اليه يوم

القيامة فيجازيكم على أعمالكم على الطاعة بالثواب و على المعصية بالعقاب. ثم حكى تعالى ما كان يقوله الكفار فإنهم كانوا (يَقُولُونَ) مستهزئين مكذبين بأنه من عند اللَّه (مَتى هذَا الْوَعْدُ) الذى تعدوننا به من العذاب و الهلاك (إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ) معاشر المؤمنين و المسلمين، فقال اللَّه تعالى (قُلْ) لهم يا محمد (إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ) يعنى علم وقت قيام الساعة على اليقين عند اللَّه لم يطلع عليه احداً من البشر، كما قال (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) «۲» (وَ إِنَّما أَنَا نَذِيرٌ) لكم مخبر مخوف من عقاب اللَّه تعالى

---

(۱) ديوانه (دار بيروت) ۱۸۸

(۲) سورة ۳۱ لقمان آية ۳۴

التبيان فى تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۷۰

(مُبِينٌ) ما لكم فيه من الصلاح و النجاة من العقاب. و النذير هو الدال على موضع المخافة فكل من دعا إلى حق إما رغبة أو رهبة فهو نذير إلا انه صار علماً فى صفات الأنبياء عليهم السلام.

قوله تعالى:[سورة الملك (۶۷): الآيات ۲۷ الى ۳۰] ..... ص: ۷۰

فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ قِيلَ هذَا الَّذِى كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ (۲۷) قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَ مَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنا فَمَنْ يُجِيرُ الْكافِرِينَ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ (۲۸) قُلْ هُوَ الرَّحْمنُ آمَنَّا بِهِ وَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْنا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ (۲۹) قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ ماؤُكُمْ غَوْراً فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِماءٍ مَعِينٍ (۳۰)

أربع آيات.

قرأ يعقوب (تدعون) خفيفة. الباقون بالتشديد. و قرأ الكسائى (فسيعلمون من هو) بالياء على الغيبة. الباقون بالتاء على الخطاب، أى قل لهم.

لما حكى اللَّه تعالى عن الكفار أنهم استبطئوا عذاب اللَّه و إهلاكه لهم مستهزئين بذلك، فقالوا متى هذا الوعد، قال اللَّه تعالى حاكياً عنهم إذا رأوا ما يوعدون به (فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً) قال الحسن: معناه معاينة. و قال مجاهد: يعنى قريباً. و الزلفة المنزلة القريبة و الأصل فيه القرب، يقال: أزدلف اليه ازدلافاً إذا تقرب اليه، و منه (مزدلفة) لأنها منزلة قريبة من مكة، و جمع زلفة زلف، قال العجاج:

ناج طواه الأين مما وجفا طىّ الليالى زلفا فزلفا

التبيان فى تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۷۱

سماوة الهلال حتى احقوقفا «۱»

و قوله «سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا»، أى ظهر فيها ما يفهم من الكآبة و الحزن تقول: ساء يسوء سوءا، و منه السوائى، و منه أساء يسيء إساءة، فهو مسيء إذا فعل قبيحاً يؤدى إلى الغم «وَ قِيلَ هذَا الَّذِى كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ» أى و يقال لهؤلاء الكفار إذا شاهدوا العذاب «هذَا الَّذِى كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ» أى تطلبون به خلاف ما وعدتم به على طريق التكذيب بالوعد، كأنه قيل هذا الذى كنتم به تكذبون فى ادعائكم انه باطل. و الادعاء الاخبار بما يوعد اليه القائل دون المعنى، فإذا ظهر دليله خرج من الادعاء لأنه حينئذ يدعو إليه المعنى، و كذلك الاخبار بما يدعو إلى نفسه فى الفعل ليس بدعوى، قال الزجاج: «تدّعون» يجوز ان يكون يريد يفعلون من الدعاء، و يجوز أن يكون من الدعوى، قال الفراء: و التشديد و التخفيف واحد مثل تذكرون و تذكرون و تدخرون و تدخرون.

ثم قال للنبى صلى الله عليه و آله «قُلْ» لهم يا محمد «أَ رَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَ مَنْ مَعِيَ» بان يميتنا «أَوْ رَحِمَنا» بتأخير آجالنا ما الذى ينفعكم من ذلك فى رفع العذاب الذى استحققتموه من اللَّه فلا تعللوا فى ذلك بما لا يغنى عنكم شيئاً. و قيل إن الكفار كانوا يتمنون موت النبى و موت أصحابه فقيل لهم «أَ رَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ» باماتتى و إماتة اصحابى فما الذى ينفعكم ذلك فى النجاة من عذاب

أليم. و قل لهم «فَمَنْ» الذى «يُجِيرُ الْكافِرِينَ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ» حتى لا يعذبوا و لا يعاقبوا، فلا يمكنهم الاحالة على من يجيرهم من اللَّه و يخلصهم من عذابه.

ثم قال «قُلْ» لهم على وجه الإنكار عليهم و التوبيخ لهم على فعلهم «هُوَ الرَّحْمنُ» يعنى اللَّه تعالى هو الذى عمت نعمه جميع الخلائق و استحق الوصف بالرحمن

---

(۱) مر فى ۶/ ۷۹ و ۸/ ۲۹ و ۹/ ۲۸۰، ۳۷۰

التبيان فى تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۷۲

«آمَنَّا بِهِ» أى صدقنا بوحدانيته «وَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْنا» أى اعتمدنا عليه و فوضنا أمورنا اليه، فالتوكل الاعتماد على تفضل اللَّه و حسن تدبيره و قل لهم «فَسَتَعْلَمُونَ» معاشر الكفار «الرَّحْمنُ» الذى «هُوَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ» أى بين. و من قرأ بالياء معناه فسيعلم الكفار ذلك.

ثم قال «قُلْ» لهم يا محمد «أَ رَأَيْتُمْ» معاشر الكفار «إِنْ أَصْبَحَ ماؤُكُمْ غَوْراً» أى غائراً وصف الغائر بالغور الذى هو المصدر مبالغة، يقال ماء غور، و ماءان غور، و مياه غور كما يقال: هؤلاء زور فلان و ضيفه، لأنه مصدر- فى قول الفراء و غيره- «فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِماءٍ مَعِينٍ» معناه من الذى يجيئكم بماء معين إذا غارت مياهكم. قال قوم:

الماء المعين الذى تراه العيون. و قال قتادة و الضحاك: هو الجارى، فالأول مفعول من العين، كمبيع من البيع، و الثانى من الإمعان فى الجرى، و وزنه (فعيل) كأنه قال ممعن فى الجرى و الظهور، و قال الحسن أصله من العيون. قال الجبائى قوله «قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ ماؤُكُمْ غَوْراً» تعريف حجة اللَّه لعباده عرفوها و أقروا بها و لم يردوا لها جواباً.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۷۳

۶۸-سورة القلم ..... ص: ۷۳

اشارة

مكية فى قول ابن عباس و الضحاك و غيرهما و هى اثنتان و خمسون آية بلا خلاف

[سورة القلم (۶۸): الآيات ۱ الى ۱۶] ..... ص: ۷۳

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
ن وَ الْقَلَمِ وَ ما يَسْطُرُونَ (۱) ما أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (۲) وَ إِنَّ لَكَ لَأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ (۳) وَ إِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ (۴)
فَسَتُبْصِرُ وَ يُبْصِرُونَ (۵) بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ (۶) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (۷) فَلا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ (۸)
وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (۹)
وَ لا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ (۱۰) هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ (۱۱) مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (۱۲) عُتُلٍّ بَعْدَ ذلِكَ زَنِيمٍ (۱۳) أَنْ كانَ ذا مالٍ وَ بَنِينَ (۱۴)
إِذا تُتْلى عَلَيْهِ آياتُنا قالَ أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ (۱۵) سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ (۱۶)
ست عشرة آية.

قرأ الكسائى و ابو بكر عن عاصم «ن و القلم» بالإخفاء. الباقون بالإظهار.

و الاظهار أقوى، لان النية بها الوقف إذ هى حرف هجاء. و يجوز ادغام النون الثانية التبيان فى تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۷۴

فى الواو المقارنـة على قيـاس (من واقـد) و لم يقرأ به احـد. و قرأ «آن كـان ذا مـال» بهمزة واحـدة ممـدودة يعقوب و ابو جعفر و ابن عامر- و بهمزتين- حمزة و ابو بكر، الباقون بهمزة واحدة. و اختلفوا فى معنى (ن) فى هذا الموضع.

فقال قوم: هو اسم من أسـماء السورة مثل (حم، و الم و ص، و ق) و ما أشبه ذلك. و هو الذى قلنا إنه أقوى الأقوال. و قال ابن عباس- فى رواية عنه- إن النون الحوت الذى عليه الأرضون. و فى رواية أخرى عنه إن النون الدواة.

و هو قول الحسن و قتادة، و

روى فى خبر عن النبى صلى اللَّه عليه و آله انه قال: (نون) لوح من نور.

و قال قوم: تقـديره و رب نون و القلم. و القلم آلة مبرية للكتابة. و المقلمة وعاء القلم، و جمعه أقلام، و منه قلامة الظفر، لأنه يؤخذ منه كالأخـذ بالقط. و انجرّ القلم بالقسم. و قوله «وَ ما يَسْطُرُونَ» (ما) فى موضع جر بالعطف على (و القلم) و كان القسم بالقلم و ما يسـطر بـالقلم، و يجـوز ان تكون (مـا) مصدريـة، و تقـديره: ن و القلم و سـطركم، فيكون القسم بالكتابـة، و على الأـول بـالمكتوب و السـطر الكتابة، و هو وضع الحروف على خط مستقيم: سطر يسطر سطراً إذا كتب، و أسطر إذا كتب.

و جمع السطر سطور و اسطار، قال رؤبة:

انى و أسطار سطرن سطراً «١»

و المسـطرة آلـة التسـطير. و قوله «ما أَنْتَ بِنِعْمَـةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ» هو المحلوف عليه، و هو جواب القسم، و معناه لست يا محمد بمجنون بنعمـة ربـك، كمـا تقول مـا انت بنعمـة ربـك بجاهـل، و جاز تقـديم معمولها بعـد الباء، لأنها زائـدة مؤكـدة فى ما أنت بنعمـة ربك بمجنون، و تقـديره انتفى عنك الجنون بنعمة ربك، و إنما قال «ما أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ» مع ان الجنة قد تكون نعمة، لأن الجنة لا تكون

---

(١) مر فى ٤/ ١١٠

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٧٥

نعمة من حيث هى جنة، و إنما تكون نعمة من حيث تؤدى إلى مصلحة فى الدين.

و العافيـة تكون نعمـة من حيث هى عافيـة، فلهـذا حسن مـا أنت بنعمـة ربك بمجنون و الجنون غمور العقل بستره عن الإدراك به بما يخرج عن حكم الصحيح، و أصله الستر من قوله «جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ» «١» إذا ستره. و قيـل إن قوله «ما أَنْتَ بِنِعْمَـةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ» جواب لقول المشركين حين قالوا «يا أَيُّهَا الَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ» «٢» فقال اللَّه تعالى «ما أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ».

و قوله «و إن لـك» خطـاب للنبى صـلى اللَّه عليه و آله يقول له «وَ إِنَّ لَكَ» يـا محمـد «لَأَجْراً» أى ثوابـاً من اللَّه على قيامـك بالنبوة و تحملك بأعبائها «غَيْرَ مَمْنُونٍ» أى غير مقطوع من قولهم منه السـير يمنه مناً إذا قطعه، و يقال: ضـعفت منتى عن السفر، و رجل منين أى ضعيف، و يجوز ان يكون المراد به إنه غير مكـدر بالمن الـذى يقطع عن لزوم الشـكر، من قولهم: المنة تكدر الصـنيعة. و قال الحسن: معنـاه لاـ يمن عليـك بأجرك. ثم وصف النبى صـلى اللَّه عليه و آله فقال «وَ إِنَّكَ» يا محمـد «لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ» قال الحسن: على دين عظيم، و هو الإسلام. و قيل أدب القرآن. و قال المؤرج:

معناه على دين عظيم بلغـة قريش. و قالت عائشة: كانت خلق النبى صـلى اللَّه عليه و آله ما تضـمنه العشـر الاول من سورة (المؤمنون)، فالخلق المرور فى الفعل على عادة، فالخلق الكريم الصبر على الحق و سعة البذل، و تدبير الأمور على مقتضى العقل. و فى ذلك الرفق و الأناة و الحلم و المداراة. و من وصفه اللَّه بأنه على خلق عظيم فليس وراء مدحه مدح. و قيل: و إنك لعلى خلق عظيم بحكم القرآن و كل ذلك عطف على جواب القسم.

و قوله «فَسَتُبْصِـرُ وَ يُبْصِـرُونَ» معناه فسـتعلم يا محمـد يوم القيامة و يعلمون، يعنى هؤلاء الكفار الذين يرمونك بالجنون تارة و بالكهانة

أخرى «بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ»

(١) سورة ۶ الانعام آية ٧۶

(٢) سورة ١٥ الحجر آية ۶

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٧۶

و قيل فى معناه قولان:

أحدهما- باى فرقكم المفتون بما يجرى مجرى الجنون.

و الثانى- ان يكون معنى «بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ» كما يقال: ليس له معقول أى عقل و تقديره ستعلم و يعلمون بمن منكم الجنون، و قيل: معنى الباء (فى) و كأنه قال فى أيكم الجنون المفتون المبتلى بتخييل الرأى كالمجنون، و ذلك كما يبتلى بشدة الهوى المجنون. فيقال: فتن فلان بفلانة، و على هذا المعنى قال ابن عباس: بأيكم المجنون و قال قتادة: معناه أيكم اولى بالشيطان جعل الباء زائدة كما قال الراجز:

نحن بنو جعدة اصحاب الفلج نضرب بالسيف و نرجو بالفرج «١»

و معناه و نرجو الفرج. و قال مجاهد: معناه أيكم المفتون كأنه قال فى أيكم المفتون. ثم قال «إِنَّ رَبَّكَ يا محمد هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ» الذى هو سبيل الحق أى بمن عدل عنها و جار عن السلوك فيها «وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ» أى بمن اهتدى اليها و عمل بموجبها. ثم نهى النبى صلى اللَّه عليه و آله فقال له «فَلا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ» بتوحيد اللَّه و الجاحدين لنبوتك و لا توافق ما يريدونه. و قوله «وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ» قال ابن عباس: معناه ودوا لو تكفر فيكفرون، و هو قول الضحاك، و فى رواية أخرى عن ابن عباس: إن معناه ود هؤلاء الكفار لو تلين فى دينك، فيلينون فى دينهم، فشبه التليين فى الدين بتليين الدهن. و قيل: معناه ودوا لو تركن إلى عبادة الأوثان فيمالونك. و الادهان الجريان فى ظاهر الحال على المقاربة مع إضمار العداوة. و هو مثل النفاق. و رفع «فَيُدْهِنُونَ» بالعطف على قوله «لَوْ تُدْهِنُ» و لم يجعله جواب التمنى.

ثم قال له صلى اللَّه عليه و آله «وَ لا تُطِعْ» يا محمد «كُلَّ حَلَّافٍ» أى من يقسم كثيراً

(١) مر فى ٧/ ١١٨، ٣٥٨ و ٨/ ٨١

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٧٧

بالكذب «مَهِينٍ» يعنى مكثار فى الشر- فى قول الحسن و قتادة- و المهين الوضيع بإكثاره من القبيح، و من عرف بأنه يحلف على الكذب، فهو مهين. و قال البلخى:

المهين الفاجر- فى هذا الموضع-.

و قوله «هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ» أى وقاع فى الناس بما ليس له أن يعيبهم به.

و الأصل فيه الدفع بشدة اعتماد، و منه الهمزة حرف من حروف المعجم، و هى همزة تخرج من الصدر بشدة اعتماد، و قال ابن عباس: الهماز المغتاب. و قوله «مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ» فالنميم التضريب بين الناس بنقل الكلام يغلظ لقلوب بعضهم على بعض و منه النمام المشموم، لأنه يجد ريحه كالمخبر عن نفسه، و النميم و النميمة مصدران، و هو نقل الأحاديث بالتضريب: نم ينم نمياً و نميمة «مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ» أى يمنع خيره و نفعه، فلا ينتفع أحد به «مُعْتَدٍ» قال قتادة: معناه متجاوز للحد فى المعاملة «أَثِيمٍ» أى آثم فهو (فعيل) بمعنى (فاعل) و هو الذى فعل ما يأثم به «عُتُلٍّ بَعْدَ ذلِكَ» فالعتل الجافى الغليظ. و منه قوله «خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلى سَواءِ الْجَحِيمِ» «١» أى اذهبوا به بعنف و غلظة يقال: عتله يعتله و يعتله عتلا إذا زعزعه بغلظ و جفاء. و قال ذو الإصبع:

و الدهر يغدو معتلا جذعاً «٢»

و

قيل: العتل الفاحش اللئيم. و روى عن النبى صلى اللّه عليه و آله ذلك.

و «الزنيم» الدعى و هو الملصق بالقوم، و ليس منهم. و أصله الزنمة و هى الهينة التى تتحرك تحت حلق الجدى و قال حسان:

و انت زنيم نيط فى آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد «٣»

---

(١) سورة ۴۴ الدخان آية ۴۷

(٢) مجاز القرآن ٢/ ٢۶۴

(٣) ديوانه ١۶٠ اللسان (زنم) [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٧٨

و (بعد) هاهنا معناه (مع) و قال آخر:

زنيم ليس يعرف من أبوه بغى الأم ذو حسب لئيم «١»

و يقال للتيس: زنيم له زنمتان، و الزنيم الدعى- عن ابن عباس- و قيل:

هو الذى يعرف بالشر، كما تعرف الشاة بزنمتها.

و قوله «أَنْ كانَ ذا مالٍ وَ بَنِينَ» من قرأ على الاستفهام، و هو حمزة و ابو بكر عن عاصم أراد، ألان كان ذا مال و بنين؟! على وجه التوبيخ له «إِذا تُتْلى عَلَيْهِ آياتُنا قالَ أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ» و يحتمل ان يكون المراد لأن كان ذا مال و بنين يطاع. و قيل: كان له ألف دينار و عشرة بنين «إِذا تُتْلى عَلَيْهِ آياتُنا قالَ أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ» أى أحاديث الأولين التى سطرت و كتبت لا أصل لها و واحد الأساطير أسطورة- فى قول الزجاج. و قرأ حمزة و ابو بكر عن عاصم «أ أن كان ذا مال و بنين» بهمزتين. و قرأ ابن عامر بهمزة ممدودة. الباقون بهمزة واحدة. و قد فسرناه. فقال اللّه تعالى مهدداً له و متوعداً «سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ» أى سنعلم على أنفه علامة يعرف بها الملائكة انه من أهل النار، فالسمة العلامة المفرقة بالرؤية بين الأشياء المختلطة، كسمة الخيل إذا أرسلت فى المروج، و سمه يسمه وسماً و سمة.

فهو موسوم. و الخرطوم الانف، و هو الناتئ فى الوجه الذى يقع به الشم. و منه خرطوم الفيل، و خرطمه إذا قطع أنفه و جعله خراطيم.

و قال ابن عباس: معنى «سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ» نحطمه بالسيف فى القتال، كما فعل بهم يوم بدر. و قال قتادة: معناه سنعلمه بشيء يبقى على الأبد. و قال بعضهم معناه: سنسوّد وجهه فعبر عن الوجه بالخرطوم، لأنه فيه.

و قيل: نزلت هذه الآيات فى الوليد بن المغيرة المخزومى، و قيل: نزلت

---

(١) تفسير الطبرى ٢٩/ ١۴ و القرطبى ١٨/ ٢٣۴

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٧٩

فى الأخنس بن شريق الثقفى، كانت به زنمة يعرف بها- ذكره ابن عباس-

قوله تعالى:[سورة القلم (۶٨): الآيات ١٧ الى ٢۵] ..... ص: ٧٩

إِنَّا بَلَوْناهُمْ كَما بَلَوْنا أَصْحابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّها مُصْبِحِينَ (١٧) وَ لا يَسْتَثْنُونَ (١٨) فَطافَ عَلَيْها طائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَ هُمْ نائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠) فَتَنادَوْا مُصْبِحِينَ (٢١)

أَنِ اغْدُوا عَلى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صارِمِينَ (٢٢) فَانْطَلَقُوا وَ هُمْ يَتَخافَتُونَ (٢٣) أَنْ لا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ (٢۴) وَ غَدَوْا عَلى حَرْدٍ

قادِرِينَ (۲۵)

تسع آيات.

يقول اللَّه تعالى «إِنَّا بَلَوْناهُمْ» يعنى هؤلاء الكفار أى اختبرناهم «كَما بَلَوْنا أَصْحابَ الْجَنَّةِ» يعنى البستان «إِذْ أَقْسَمُوا» أى حين اقسموا فيما بينهم «لَيَصْرِمُنَّها مُصْبِحِينَ» و وجه الكلام إنا بلونا أهل مكة بالجدب و القحط، كما بلونا اصحاب الجنة بهلاك الثمار التى كانت فيها حين

دعا النبى صلى اللَّه عليه و آله عليهم، فقال (اللهم أشدد وطأتك على مضر و اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف)

فالبلوى المحنة بشدة التعبد على ما يقتضيه الحال فى صحة التكليف. و الصرم قطع ثمر النخل: صرم النخلة يصرمها صرماً، فهو صارم، و منه الصريمة القطيعة عن حال المودة. و هم عشرة أولاد كانوا لرجل من بنى إسرائيل، و كان يأخذ من بستانه كفاية سنته و يتصدق بالباقى، فقال أولاده: ليس يكفينا، و حلفوا أنهم يصرمون بستانهم ليلا و ابى عليهم أبوهم، فأقسموا أنهم ليصرمون ثمر نخل البستان إذا أصبحوا، و لم يستثنوا، و معناه لم يقولوا إن شاء اللَّه فقول القائل: لأفعلن كذا إلا أن يشاء اللَّه استثناء و معناه إن شاء اللَّه منعى او تمكين مانعى، فقال اللَّه تعالى «فَطافَ عَلَيْها» يعنى على التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٨٠

تلك الجنة «طائِفٌ مِنْ رَبِّكَ» أى طرقها طارق من أمر اللَّه، فالطائف الطارق ليلا، فإذا قيل أطاف به صلح فى الليل و النهار، و انشد الفراء:

أطفت به نهاراً غير ليلى و الهى ربها طلب الرخال «۱»

الرخال أولاد الضان واحدها رخل و فى الأنثى رخلة «وَ هُمْ نائِمُونَ» أى فى حال نومهم «فَأَصْبَحَتْ» يعنى الجنة «كَالصَّرِيمِ» أى كالليل الأسود- فى قول ابن عباس- و انشد ابو عمرو بن العلا:

ألا بكرت و عاذلنى تلوم تجهلنى و ما انكشف الصريم «۲»

و قال:

تطاول ليلك الجون البهيم فما ينجاب عن صبح صريم

إذا ما قلت اقشع او تناهى جرت من كل ناحية غيوم «۳»

و قال قوم: الصريم هو المصروم، و قال سعيد بن جبير: الصريم أرض معروفة باليمين لا نبات فيها تدعى صروان، و إنما قيل لليل صروم، لأنه يقطع بظلمته عن التصرف فى الأمور. و قيل: إنما فعل اللَّه بهم ذلك لأنهم منعوا الحقوق اللازمة من ثمار هذه الجنة. و الصرم قطع الثمر. و الصريم المصروم جميع ثماره.

و قوله «فَتَنادَوْا مُصْبِحِينَ» اخبار عن حالهم أنهم لما أصبحوا نادى بعضهم بعضاً يا فلان يا فلان، و التنادى دعاء بعض الناس بعضاً بطريقة يا فلان و أصله من الندى بالقصر، لأن النداء الدعاء بندى الصوت الذى يمتد على طريقة يا فلان، لان الصوت إنما يمتد للإنسان بندى حلقه. و النادى مجلس الرفد و هو الندى «أَنِ اغْدُوا عَلى حَرْثِكُمْ» أى نادى بعضهم بعضاً بأن اغدوا، او قالوا: «اغْدُوا عَلى حَرْثِكُمْ» و الحرث الزرع الذى قد حرثت له الأرض، حرث يحرث حرثاً و الحراث

(۱، ۲، ۳) تفسير الطبرى ۱۹/ ۱۷ و اللسان (صرم)

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٨١

الذى يحرث الأرض، و منه الحارث، و منه الحرث، كناية عن الجماع. و يقال:

احترث لأهله إذا اكتسب بطلب الرزق، كما يطلب الحراث «إِنْ كُنْتُمْ صارِمِينَ» أى قاطعين لثماركم، فالصارم قاطع ثمر الشجر على الاستئصال. و اكثر ما يستعمل ذلك فى النخل، و يجوز فى الشجر، و أصله القطع. و قد تصرم النهار إذا مضى قطعة قطعة حتى انقضى.

و قيل: معناه إن كنتم حاصدين زرعكم. ثم قال «فَانْطَلَقُوا» أى ذهبوا، و هم «يَتَخافَتُونَ» فالتخافت التقابل فى إخفاء الحركة، و أصله الخفاء من خفت فلان يخفت إذا أخفى نفسه و معناه- هاهنا- يتسارون بينهم «ألا يدخلنها اليوم عليكم مسكين» في- قول قتادة- و قوله (وَ غَدَوْا عَلى حَرْدٍ) فالحرد القصد، حرد يحرد حرداً فهو حارد. قال الشاعر:

اقبل سيل جاء من أمر اللَّه يحرد حرد الجنة المغلة «۱»

أي يقصد، و قال الحسن: معناه على جهة من الفاقة. و قال مجاهد: معناه على جد من أمرهم، و هو قول قتادة و ابن زيد. و قال سفيان: معناه على حنق، و ذلك من قول الأشهب بن رميلة:

اسود شرى لاقت اسود خفية فساقوا على حرد دماء الأساود «۲»

أي على غضب. و قيل: معناه على منع من قولهم حاردت السنة إذا منعت قطرها، و حاردت الناقة إذا منعت لبنها. و الأصل القصد.

و قوله (قادِرِينَ) معناه مقدرين انهم يصرمون ثمارهم، و يجوز ان يكون المراد و غدوا على حرد قادرين عند أنفسهم على صرام جنتهم.

---

(۱) مر فى ۶/ ۲۱۷

(۲) اللسان (حرد)

التبيان فى تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۸۲

قوله تعالى:[سورة القلم (۶۸): الآيات ۲۶ الى ۳۳] ..... ص: ۸۲

فَلَمَّا رَأَوْها قالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ (۲۶) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (۲۷) قالَ أَوْسَطُهُمْ أَ لَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْ لا تُسَبِّحُونَ (۲۸) قالُوا سُبْحانَ رَبِّنا إِنَّا كُنَّا ظالِمِينَ (۲۹) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ (۳۰)

قالُوا يا وَيْلَنا إِنَّا كُنَّا طاغِينَ (۳۱) عَسى رَبُّنا أَنْ يُبْدِلَنا خَيْراً مِنْها إِنَّا إِلى رَبِّنا راغِبُونَ (۳۲) كَذلِكَ الْعَذابُ وَ لَعَذابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ (۳۳)

ثمان آيات.

يقول اللَّه تعالى مخبراً إن أولئك الكفار بنعم اللَّه لما نادى بعضهم بعضاً و انطلقوا إلى صرم ثمارهم و تساروا ألا يدخل عليهم مسكين يطلب منهم (فَلَمَّا رَأَوْها) أي حين جاءوا وجدوا البستان كالليل الأسود قالوا أهلكه اللَّه و طرقه طارق من أمر اللَّه فأهلكه، فلما رأوا تلك الجنة على تلك الصورة (قالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ) أى اعترفوا بأنهم قد عدلوا عن طريق الحق و جازوا عن سبيل الواجب و ذهبوا عن طريق الرشاد. ثم استدركوا فقالوا (بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ) ما كان لنا فى جنتنا، و تقديره إنا لضالون عن الحق فى أمرنا فلذلك عوقبنا بذهاب ثمرها، و الضلال الذهاب عن طريق الرشاد إلى طريق الهلاك بالفساد. و الحرمان منع الخير الذى كان ينال لو لا ما حدث من سبب الانقطاع، يقال: حرمه يحرمه حرماناً فهو محروم فى خلاف المرزوق. و قال قتادة: معنى قوله (إِنَّا لَضَالُّونَ) أى اخطأنا الطريق ما هذه جنتنا، فقال بعضهم لبعض (بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ) و قوله (قالَ أَوْسَطُهُمْ) معناه قال أعدلهم قولا- فى قول ابن عباس و الحسن و مجاهد و قتادة و الضحاك- و الأوسط التبيان فى تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۸۳

الكائن بين الأكبر و الأصغر. و المراد هاهنا بين الأكبر و الأصغر فى الخروج عن القصد (أَ لَمْ أَقُلْ لَكُمْ) على وجه التهجين لهم أما قلت لكم (لَوْ لا تُسَبِّحُونَ) أى هلا تستثنون، و التسبيح التنزيه للَّه عما لا يجوز عليه من صفة، و هو التنزيه عن كل صفة ذم و نقص، فلذلك جاز أن يسمى الاستثناء بأن يشاء اللَّه تسبيحاً. و قيل معناه لو لا تصلون.

ثم حكى انهم (قالُوا سُبْحانَ رَبِّنا إِنَّا كُنَّا ظالِمِينَ) و معناه إنهم اعترفوا أن اللَّه لم يظلمهم و انهم ظلموا أنفسهم فى عزمهم على حرمان

المساكين من حصتهم عند الصرام من غير استثناء، فحرموا قطعها و الانتفاع بها.

ثم قال (فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ) أى يلوم بعضهم بعضاً و يذم بعضهم بعضاً. ثم (قالُوا يا وَيْلَنا) و الويل غلظ المكروه الشاق على النفس، و الويس دونه، و الويح وسط بينهما، و إنما نودى بالويل بياناً عن حال الشدة، كأنه يقول يا ويل تعال فانه من أحيانك (إِنَّا كُنَّا طاغِينَ) أى علونا فى الظلم و تجاوزنا الحد فيه، فالطغيان العلو فى الظلم و الداعى اليه طلب الارتفاع بغير استحقاق بالقهر و الاعتصاب. و قيل: الطاغى المتجاوز للحد فى الفساد. و قال عمرو بن عبيد: يجوز أن يكون ذلك منهم توبة و إيماناً، و يجوز أن يكون ذلك على حد ما يقول الكافر إذا وقع فى الشدة. ثم قالوا (عَسى رَبُّنا أَنْ يُبْدِلَنا خَيْراً مِنْها) أى لما تابوا و رجعوا إلى اللّه قالوا لعل اللّه تعالى يخلف علينا و يولينا خيراً من الجنة التى هلكت (إِنَّا إِلى رَبِّنا راغِبُونَ) أى نرغب اليه و نسأله و نتوب اليه مما فعلناه. فالتبديل تثبيت شىء مكان غيره مما ينافيه، بدّله تبديلا فهو مبدل. و مثله التغير إلا أن التبديل لا يكون إلا فى شيئين و التغير قد يكون للشىء الواحد.

و قرئ بالتشديد و التخفيف، فالتخفيف من الابدال، و التشديد من التبديل التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٨۴

و معناهما واحد.

و قوله (كَذلِكَ الْعَذابُ) معناه مثل ما فعلنا بهؤلاء هذا العذاب عاجلا فى دار الدنيا. ثم قال (وَ لَعَذابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ) إن هناك عقاباً و عذاباً. و خير من كذا أى أعظم نفعاً منه و أحسن فى العقل، و مثله الأصلح و الاولى و الأجل، و الأكبر هو الذى يصغر مقدار غير عنه بالاضافة اليه. و قد يكون أكبر شأناً و اكبر شخصاً.

قوله تعالى:[سورة القلم (۶۸): الآيات ٣۴ الى ۴٠] ..... ص: ٨۴

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٣۴) أَ فَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣۵) ما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣۶) أَمْ لَكُمْ كِتابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ (٣٧) إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَما تَخَيَّرُونَ (٣٨)

أَمْ لَكُمْ أَيْمانٌ عَلَيْنا بالِغَةٌ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَما تَحْكُمُونَ (٣٩) سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذلِكَ زَعِيمٌ (۴٠)

سبع آيات لما اخبر اللّه تعالى ما حل بالكفار، و ما هو معد لهم فى الآخرة أخبر بما للمؤمنين من أهل الطاعات، فقال (إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ) يعنى للذين أمنوا عقاب اللّه باتقاء معاصيه و فعل طاعاته (عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ) أى بساتين يتنعمون فيها و يتلذذون بها.

ثم قال على وجه الإنكار على الكفار و انه لا يسوى بينهم و بين المؤمنين فقال (أَ فَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ) الذين أسلموا للّه و انقادوا لطاعته و امتثلوا ما أمرهم به (كَالْمُجْرِمِينَ) أى مثل من عصاه و خرج عن طاعته و ارتكب ما نهاه عنه؟! فهذا لا يكون أبداً.

و قوله (ما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) تهجين لهم و توبيخ. و معناه أعلى حال الصواب أم التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٨۵

على حال الخطاء؟ و على حال الرشاد أم الغى، فعلى أى حال تحكمون فى الأحوال التى تدعون إلى الفعل أحال الباطل أم حال الحق؟ و قوله (أَمْ لَكُمْ كِتابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ) معناه أ لكم كتاب تدرسون فيه خلاف ما قد قامت عليكم الحجة به فأنتم متمسكون به و لا تلتفتون إلى خلافه؟! و ليس الأمر على ذلك فإذ قد عدمتم الثقة بما أنتم عليه، و فى هذا عليكم أكبر الحجة و أوكد الموعظة، لأن الكتاب الذى تقوم به الحجة حتى لا يجوز خلافه إلى أن تقوم الساعة هو الذى تشهد له المعجزة من غير اجازة نسخ له فى حال ثانية، و هو القرآن الذى فيه معنى الاعجاز من غير نسخ له فيما بعد فى باقى الزمان.

و قوله (إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَما تَخَيَّرُونَ) يحتمل أمرين:

أحدهما- أن يكون تقديره أم لكم كتاب فيه تدرسون بأن لكم ما تخيرون إلا انه حذفت الباء و كسرت (إن) لدخول اللام فى الخبر.

الثانى- أن يكون ذلك خرج مخرج التوبيخ، و تقديره و إن لكم لما تخيرون عند أنفسكم، و الأمر بخلاف ظنكم، لأنه لا يجوز ان يكون ذلك خبراً مطلقاً.

و قوله (أَمْ لَكُمْ أَيْمانٌ عَلَيْنا بالِغَةٌ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَما تَحْكُمُونَ) كسرت (إن) لدخول اللام فى الخبر، و الحكم خبر بمعنى يفصل الأمر على جهة القهر و المنع و أصله المنع من قول الشاعر:

ابنى حنيفة احكموا سفهاءكم إنى أخاف عليكم ان اغضبا «۱»

أى امنعوهم. و منه الحكمة، لأنها معرفة تمنع الفساد لصرفها عنه بما يذم به.

و الحكمة فى الفعل المنعة من الفساد منه، و منه حكمة الدابة لمنعها إياها من الفساد.

و قوله (سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذلِكَ زَعِيمٌ) قال ابن عباس و قتادة: زعيم أى كفيل

---

(۱) مر تخريجه فى ۲/ ۱۸۸

التبيان فى تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۸۶

و الزعيم و الكفيل و الضمين و القبيل نظائر. و المعنى سلهم أيهم زعيم ضامن يدعى علينا ان لهم علينا أيماناً بالغة؟ فلا يمكنهم ادعاء ذلك.

قوله تعالى:[سورة القلم (۶۸): الآيات ۴۱ الى ۴۵] ..... ص: ۸۶

أَمْ لَهُمْ شُرَكاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكائِهِمْ إِنْ كانُوا صادِقِينَ (۴۱) يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ وَ يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ (۴۲) خاشِعَةً أَبْصارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَ قَدْ كانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَ هُمْ سالِمُونَ (۴۳) فَذَرْنِي وَ مَنْ يُكَذِّبُ بِهذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ (۴۴) وَ أُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (۴۵)

خمس آيات.

قوله (أَمْ لَهُمْ شُرَكاءُ) توبيخ لهؤلاء الكفار و إنكار عليهم اتخاذ إله مع اللّه و توجيه عبادتهم اليه، فقال (أَمْ لَهُمْ شُرَكاءُ) فى العبادة مع اللّه (فَلْيَأْتُوا بِشُرَكائِهِمْ إِنْ كانُوا صادِقِينَ) أى شركاؤهم الذين تقوم بهم الحجة، فلا سبيل لهم إلى ذلك فالحجة لازمة عليهم لأن كل دعوى لم يمكن صاحبها أن يقيم البينة عليها فيلزمه أن يقيمها بغيره. و الشريك عبارة عمن يختص بمعنى هو له و لغيره من غير انفراد به.

و إنما قلنا من غير انفراد به لنفرق بين ما هو له و لغيره و هو له ايضاً كالغفران هو لهذا التائب و لتائب آخر، و لهذا التائب مطلقاً، فليس فيه شريک، و كذلك هذا العبد هو ملک للّه تعالى، و لهذا المولى، و هو للّه على الإطلاق، فليس فى هذا شركة و إنما قيل الشركاء فى الدعوى، لأنها مما لو انفرد بعضهم عن ان يدعيها لم يدعها الآخر، كأنهم تعاونوا عليها، فعلى هذا يحتمل أن يكون المعنى فى الآية أم لهم التبيان فى تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۸۷

شركاء يدعون مثل ما يدعيه هؤلاء الكفار، فليأتوا بهم إن كانوا صادقين أى شركاءهم الذين تقوم بهم الحجة، و لا سبيل لهم إلى ذلک فهو لازم عليهم.

و قوله (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ) قال الزجاج: هو متعلق بقوله «فَلْيَأْتُوا بِشُرَكائِهِمْ ... يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ» و قال ابن عباس و الحسن و مجاهد و سعيد بن جبير و قتادة و الضحاك: معنا يوم يبدو عن الامر الشديد كالقطيع من هول يوم القيامة.

و الساق ساق الإنسان و ساق الشجرة لما يقوم عليه بدنها و كل نبت له ساق فهو شجر قال الشاعر:

للفتى عقل يعيش به حيث يهدى ساقه قدمه «۱»

فالمعنى يوم يشتد الامر كما يشتد ما يحتاج فيه إلى ان يقوم على ساق، و قد كثر فى كلام العرب حتى صار كالمثل فيقولون: قامت الحرب على ساق و كشفت عن ساق قال [زهير بن جذيمة].

فإذا شمرت لك عن ساقها فويهاً ربيع و لا تسأم «٢»

و قال جدّ أبى طرفة:

كشفت لهم عن ساقها و بدا من الشر الصراح «٣»

و قال آخر:

قد شمرت عن ساقها فشدوا وجدت الحرب بكم فجدوا

و القوس فيها وتر غرد «۴»

و قوله (وَ يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ) قيل: معناه إنه يقال لهم على وجه التوبيخ: اسجدوا (فَلا يَسْتَطِيعُونَ) و قيل: معناه إن شدة الامر و صعوبة الحال تدعوهم

---

(١) اللسان (سوق)

(٢) مجاز القرآن ٢/ ٢۶۶

(٣) اللسان (سوق) و القرطبى ١٨/ ٢۴٨

(۴) القرطبى ١٨/ ۴٨

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٨٨

إلى السجود، و إن كانوا لا- ينتفعون به. ثم قال (خاشِعَةً أَبْصارُهُمْ) أى ذليلة أبصارهم لا- يرفعون نظرهم عن الأرض ذلة و مهانة (تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ) معناه تغشاهم ذلة يقال: رهقه يرهقه رهقاً، فهو راهق إذا غشيه، و رهقه الفارس إذا أدركه، و راهق الغلام إذا أدرك.

و قوله (وَ قَدْ كانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَ هُمْ سالِمُونَ) يعنى دعاهم اللَّه تعالى إلى السجود و الخضوع له فى دار الدنيا و زمان التكليف، فلم يفعلوا، فلا ينفعهم السجود فى ذلك الوقت.

و قوله (فَذَرْنِي وَ مَنْ يُكَذِّبُ بِهذَا الْحَدِيثِ) تهديد، و معناه ذرنى و المكذبين أى أوكل أمرهم إلى كما يقول القائل: دعنى و إياه.

و قوله (سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ) معناه سآخذهم إلى العقاب حالا بعد حال.

و قوله (وَ أُمْلِي لَهُمْ) أى و أطيل آجالهم و أؤخرها (إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ) أى قوى، فكأنه قال سنستدرج أعمالهم إلى عقابهم و إن أطلناها لهم نستخرج ما عندهم قليلا قليلا. و أصله من الدرجة، لان الراقى ينزل منها مرقاة مرقاة فأشبه هذا.

و وجه الحكمة فى ذلك أنهم لو عرفوا الوقت الذى يؤخذون فيه لكانوا آمنين إلى ذلك الوقت، و صاروا مغريين بالقبيح، و اللَّه تعالى لا يفعل ذلك.

قوله تعالى: [سورة القلم (۶٨): الآيات ۴۶ الى ۵٢] ..... ص: ٨٨

أَمْ تَسْئَلُهُمْ أَجْراً فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ (۴۶) أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ (۴٧) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَ لا تَكُنْ كَصاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نادى وَ هُوَ مَكْظُومٌ (۴٨) لَوْ لا أَنْ تَدارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَراءِ وَ هُوَ مَذْمُومٌ (۴٩) فَاجْتَباهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (۵٠)

وَ إِنْ يَكادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَ يَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ (۵١) وَ ما هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعالَمِينَ (۵٢)

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٨٩

ست آيات.

قرأ نافع وحده (ليزلقونك) بفتح الياء من زلقت. الباقون بضمها من أزلقت، و هما لغتان: زلقت، و أزلفت. قال الفراء: يقولون: زلقت شعره و أزلقته إذا حلقته. و المعنى ليرمون بك و يلقونك.

يقول اللَّه تعالى لنبيه محمـد صـلى اللَّه عليه و آله على وجه التوبيـخ للكفار (أَمْ تَسْـئَلُهُمْ) اى هل تسألهم (أَجْراً) يعنى ثواباً و جزاء على دعائك إياهم إلى اللَّه و تخويفك إياهم من المعاصـى و أمرك إياهم بطاعهٔ اللَّه (فَهُمْ مِنْ مَغْرَم) أى هم من لزوم ذلك (مُثْقَلُونَ) أى محملون، فالأجر القسط من الخير الـذى يسـتحق بالعمل. و المغرم ما يلزم من الـدين الذى يلج فى اقتضائه. و أصـله اللزوم بالالحاح، و منه قوله (إِنَّ عَذابَها كانَ غَراماً) «١» أى لازماً ملحاً قال الشاعر:

يوم الجفار و يوم النسار كانا عذاباً و كانا غراما «٢»

و قولهم دفع مغرم أى دفع الاقتضـاء بالالحـاح، و الغرم مـا يلزم بالاقتضـاء على وجه الإلحـاح فقط. و المثقل المحمل للثقل و هو ما فيه مشقهٔ على النفس كالمشقهٔ بالحمل الثقيل على الظهر، يقال: هو مثقل بالدين، و مثقل بالعيال و مثقل بما عليه من

---

(١) سورهٔ ٢٥ الفرقان آيهٔ ٦٥

(٢) مر فى ٧/ ٥٠٥ و ٩/ ٥٠٥

التبيان فى تفسير القرآن، ج١٠، ص: ٩٠

الحقوق اللازمهٔ و الأمور الواجبهٔ.

و قوله (أَمْ عِنْـدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ) معنـاه هـل عنـدهم علم اختصوا به لاـ يعلمه غيرهم، فهم يكتبونه و يتوارثونه بصـحهٔ ما يـدعونه فينبغى ان يبرزوه.

ثم قـال للنبى صـلى اللَّه عليه و آله (فَـاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ) الـذى حكم عليـك بالصبر و أمهلهم إلى وقت آجالهم (وَ لا تَكُنْ كَصاحِبِ الْحُوتِ) يعنى و لا تكن فى اسـتعجال عقابهم مثل يونس حين طلب من اللَّه تقديم عقاب قومه و إهلاكهم، و لا تخرج من بين ظهرانى قومـك قبـل ان يـأذن اللَّه لـك فى ذلك كما فعل يونس (إِذْ نادى وَ هُوَ مَكْظُومٌ) قال ابن عباس و مجاهـد: معناه مغموم، كأن الغم قد حبسه عن الانبساط فى أمره، و المكظوم المحبوس عن التصرف فى الأمور، و منه كظمت رأس القربهٔ إذا شددت رأسها، و كظم غيظه إذا حبسه بقطعه عما يدعو اليه. و قال قتادهٔ: لا تكن مثله فى العجلهٔ و المغاضبهٔ، حتى نادى يونس و هو ممنوع بقطعه عن شفاء غيظه، و الذى نادى به (لا إِلهَ إِلَّا أَنْتَ سُـبْحانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) فجعله اللَّه من الصالحين، بما بين لعباده من صلاحه، و يجوز بما لطف له حتى صـلح فى كـل ما أمره اللَّه به. و فى الكلام حـذف، و تقـديره: و لا تكن كصاحب الحوت فى اسـتعجاله الخروج من بين قومه انتظـاراً لنزول العـذاب بهم، فلمـا رفع اللَّه عنهم العـذاب مضـى على وجهه، فعـاتبه على ذلـك و حبسه فى بطن الحوت، فلجأ إلى اللَّه تعـالى. و قوله (إذ نـادى) متعلق بتقـدير: اذكر يـا محمـد حـاله إذ نادى. و لا يجوز ان يكون متعلقاً بقوله (وَ لا تَكُنْ كَصاحِبِ الْحُوتِ) حين نادى، لان اللَّه لا ينهى نبيه أن يقول مثل ما قال يونس من الدعاء.

و قوله (لَوْ لا أَنْ تَدارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ) معناه لو لا أن اللَّه رحم يونس و لحقته نعمهٔ من جهته (لَنُبِذَ بِالْعَراءِ) أى لطرح بالصحراء الواسعهٔ (وَ هُوَ مَذْمُومٌ) قالوا التبيان فى تفسير القرآن، ج١٠، ص: ٩١

هى الأرض العاريهٔ من النبات و الأبنيهٔ و كل حال ساترهٔ. و قال الفراء: الفضاء من الأرض العارى، قال الشاعر و هو قيس بن جعدهٔ:

و رفعت رجلًا لا أخاف عثارها و نبذت بالبلد العراء ثيابى «١»

و قوله (وَ هُوَ مَـذْمُومٌ) قال ابن عباس: و هو مليم أى أتى بما يلام عليه، و لكن اللَّه تعالى تـداركه برحمـهٔ من عنده، فطرح بالعراء و هو غير مذموم. و قوله (فَاجْتَباهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ) معناه اختار اللَّه يونساً فجعله من جملهٔ الصالحين المطيعين للَّه التاركين لمعاصيه.

و قوله (وَ إِنْ يَكادُ الَّذِينَ كَفَرُوا) قال النحويون: (إن) هذه المخففهٔ عن الثقيلهٔ، لأنها لو كانت للشرط لجزم (يكد) و تقديره، و إن يكاد الذين كفروا أى قارب الذين كفروا (لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصارِهِمْ) أى يرمون بك عند نظرهم غيظاً عليك قال الشاعر:

يتلاحظون إذا التقوا فى محفل نظراً يزيل مواقع الاقدام «٢»

و يكاد يصرعه بحدة نظره. و قيل كان الرجل إذا أراد ان يصيب صاحبه بالعين تجوّع ثلاثة أيام ثم نظره فيصرعه بذلك، و المفسرون كلهم على ان المراد بازلاقهم له بأبصارهم من الاصابة بالعين. و قال الجبائى منكراً لذلك: إن هذا ليس بصحيح، لان هذا من نظر العداوة و ذلك عندهم من نظر المحبة على أن إصابة العين ليس بصحيح. قال الرمانى: و هذا الذى ذكره ليس بصحيح، لأنه لا يمتنع أن يكون اللّه تعالى أجرى العادة بصحة ذلك لضرب من المصلحة، فلا وجه للامتناع من ذلك، و عليه اجماع المفسرين، و هو المعروف بين العقلاء و المسلمين و غيرهم، فينبغى ان يكون مجوّزاً. و

روى أن اسماء بنت عميس قالت: يا رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله

---

(١) مر فى ٨/ ٥٣٠

(٢) القرطبى ١٨/ ٢٥٦ و هو مروى مع اختلاف.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٩٢

إن بنى جعفر يصيبهم العين، فأسترقى لهم، قال: نعم، فلو كان شيء سابق القدر سبقة العين.

و قيل: إنهم كانوا يقولون ما اظهر حججه، و ما افصح كلامه، و ما ابلغ خطابه، يريدون بذلك ان يعينوه به، قال البلخى: المعنى إنهم كانوا ينظرون اليه نظر عداوة و توعد، و نظر من بهم به، كما يقول القائل: يكاد يصرعنى بشدة نظره قال الشاعر:

يتعارضون إذا التقوا فى موطن نظراً يزيل مواضع الاقدام «١»

أى ينظر بعضهم إلى بعض نظراً شديداً بالبغضاء و العداوة، و نظر يزيل الاقدام عن مواضعها أى يكاد يزيل.

و قوله (لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ) يعنى القرآن (وَ يَقُولُونَ) مع ذلك (إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ) قد غلب على عقله، قالوا ذلك فيه مع علمهم بوقارة عقله تكذباً عليه و معاندة له، فقال اللّه تعالى رداً عليهم (وَ ما هُوَ) أى ليس هذا القرآن (إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعالَمِينَ) أى شرف إلى ان تقوم الساعة.

---

(١) مر فى الصفحة التى قبلها. و قد روى فى غير هذا الكتاب مع هذا الاختلاف فى الكلمات. [.....]

بيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٩٣

٦٩-سورة الحاقة: ..... ص: ٩٣

اشارة

مكية فى قول ابن عباس و الضحاك و غيرهما و هى اثنتان و خمسون آية فى الكوفى و المدنيين. و احدى و خمسون فى البصرى.

[سورة الحاقة (٦٩): الآيات ١ الى ١٠] ..... ص: ٩٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الْحَاقَّةُ (١) مَا الْحَاقَّةُ (٢) وَ ما أَدْراكَ مَا الْحَاقَّةُ (٣) كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَ عادٌ بِالْقارِعَةِ (۴)

فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (۵) وَ أَمَّا عادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عاتِيَةٍ (۶) سَخَّرَها عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيالٍ وَ ثَمانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيها صَرْعى كَأَنَّهُمْ أَعْجازُ نَخْلٍ خاوِيَةٍ (٧) فَهَلْ تَرى لَهُمْ مِنْ باقِيَةٍ (٨) وَ جاءَ فِرْعَوْنُ وَ مَنْ قَبْلَهُ وَ الْمُؤْتَفِكاتُ بِالْخاطِئَةِ (٩)

فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رابِيَةً (١٠)

عشر آيات.

قرأ أهل البصرة و الكسائى (و من قبله) بكسر القاف. الباقون بفتحها.

قال ابن عباس و قتادة و الضحاك و ابن زيد و غيرهم: إن الحاقة اسم من اسماء القيامة و سميت بذلك لأنها الساعة التى يحق فيها الجزاء على الاعمال: الضلال و الهدى.

و قال الفراء: تقول العرب الحقة متى هربت و الحقة و الحاقة، كل ذلك بمعنى واحد.

و العامل فى (الْحَاقَّةُ) أحد شيئين: التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٩٤

أحدهما- الابتداء، و الخبر (مَا الْحَاقَّةُ) كأنه قال: الحاقة أى شيء هى.

الثانى- أن يكون خبر ابتداء محذوف، كأنه قيل هذه الحاقة، ثم قيل أى شيء الحاقة، تفخيماً لشأنها، و تقديره هذه سورة الحاقة و قوله (ما أَدْراكَ مَا الْحَاقَّةُ) قال سفيان: يقال للمعلوم ما أدراك، و لما ليس بمعلوم: و ما يدريك فى جميع القرآن.

و إنما قال لمن يعلمها: ما أدراك لأنه إنما يعلمها بالصفة، فعلى ذلك قال تفخيماً لشأنها أى كأنك لست تعلمها إذا لم تعاينها و ترى ما فيها من الأهوال.

و قوله (كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَ عادٌ بِالْقارِعَةِ) اخبار من اللَّه تعالى أن ثمود- و هم قوم صالح- و عاداً- و هم قوم هود- كذبوا بيوم القيامة فأنكروا البعث و النشور و الثواب و العقاب. قال ابن عباس و قتادة: القارعة اسم من اسماء القيامة، و سميت القارعة، لأنها تقرع قلوب العباد بالمخافة إلى أن يصير المؤمنون إلى الأمن. و إنما حسن أن يوضع القارعة موضع الكناية لتذكر بهذه الصفة الهائلة بعد ذكرها بأنها الحاقة، و إلا كان يكفى ان يقول: كذبت ثمود و عاد بها. و قوله الحاقة، و الطامة «١» و الصاخة «٢»، اسماء يوم القيامة. و الوقف على الحاقة حسن و أتم منه (ما الحاقة) و (ما أدراك) كل ما فى القرآن بلفظ الماضى، فقد أدراه صلى الله عليه و آله، و ما كان بلفظ يدريه، فلم يعلمه، يقال: دريت الشيء دراية أى علمته، و دريت الصيد أى ختلته و درأته دفعته.

ثم اخبر تعالى عن كيفية إهلاكهم، فقال (فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ) فالطاغية مصدر مثل العاقبة، و المعنى فأهلكوا بطغيانهم- فى قول أبى عبيدة- و قيل:

معناه أهلكوا بالخصلة المتجاوزة لحال غيرها فى الشدة، أهلك اللَّه تعالى بها اهل الفساد. و قد مضى فيما تقدم أن اللَّه أهلك ثمود بالصيحة العظيمة التى أصبحوا بها

---

(١) سورة ٧٩ النازعات آية ٣۴

(٢) سورة ٨٠ عبس آية ٣٣

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٩٥

جاثمين «١» أى ميتين هالكين. قال الزجاج: تقديره فأهلكوا بالرجفة الطاغية.

ثم اخبر تعالى عن كيفية هلاك عاد، فقال «وَ أَمَّا عادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ» فالريح عبارة عن الهواء إذا كانت فيها حركة باعتماد ظاهرة فإذا سكن لا يسمى ريحاً و اشتقاقه من راح يروح روحاً إذا رجع إلى منزله. و الصرصر الريح الشديدة الصوت بما يسمع لها من الصرير فى شدة حركتها، يقال: صر و صرصر، كأنه مضاعف منه فالصرصر الشديد العصوف المجاوزة لحدّها المعروف و قال قتادة: صرصر باردة فكأنه يصطل الأسنان بما يسمع من صوتها لشدة بردها، و يقال: صرصر و صلصل إذا تكرر الصوت، و هو مضاعف صر و صل- فى قول الزجاج-.

و قوله (عاتِيَةٍ) قيل عتت تلك الرياح على خزّانها فى شدة الهبوب. و العاتى الخارج الى غلظ الأمر الذى يدعو اليه قساوة القلب، يقال: عتا يعتو عتواً فهو عات و الريح عاتية تشبيهاً بحال العاتى فى الشدة.

و قوله (سَخَّرَها عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيالٍ وَ ثَمانِيَةَ أَيَّامٍ) اخبار منه تعالى انه أهلكهم بهذه الريح فى مدة سبع ليال، و ثمانية أيام، لما فى ذلك من

الإرهاب و التخویف، و ما یتعلق به من المصلحهٔ لغیرهم فی التکلیف.

و قوله (حُسُوماً) أی قاطعهٔ قطع عذاب الاستئصال، و أصله القطع حسم طمعه من کذا إذا قطعه، حسم یحسم حسماً إذا قطع، و انحسم الشر إذا انقطع.

و قال عبد اللّه بن مسعود و ابن عباس و مجاهد و قتادهٔ: معنی (حسوماً) تباعاً متوالیهٔ مأخوذاً من حسم الداء بمتابعهٔ الکی علیه، فکأنه تتابع الشر علیهم حتی استأصلهم. و قیل (حسوماً) قطوعاً لم یبق منهم أحد، و نصب (حسوماً) علی المصدر أی یحسمهم حسوماً.

---

(۱) انظر ۴/ ۴۸۵ و ۶/ ۲۲

التبیان فی تفسیر القرآن، ج ۱۰، ص: ۹۶

ثم قال (فَتَرَی الْقَوْمَ فِیها) أی تشاهد القوم الهلکی فی تلک الأیام و اللیالی صرعی مطرحین (کَأَنَّهُمْ أَعْجازُ نَخْلٍ خاوِیَهٍٔ) أی کأنهم أصول نخل نخرهٔ- فی قول قتادهٔ- و قال السدی: الخاوی الفارغ.

و قوله (فَهَلْ تَری لَهُمْ مِنْ باقِیَهٍٔ) أی من نفس باقیهٔ، و قیل: معناه فهل تری لهم من بقاء، فالباقیهٔ بمعنی المصدر مثل العافیهٔ و الطاغیهٔ. و معناه فهل تری لهم من بقیهٔ.

و قوله (وَ جاءَ فِرْعَوْنُ وَ مَنْ قَبْلَهُ) أی جاء فرعون و من معه من قومه، علی قراءهٔ من قرأ (قبله) بکسر القاف و فتح الباء، و من قرأ بفتح القاف و سکون الباء أراد و الذین قبله من الکفار (وَ الْمُؤْتَفِکاتُ) یعنی و جاء اهل القری المؤتفکات أی المنقلبات بأهلها- فی قول قتادهٔ- و هی قری قوم لوط (بِالْخاطِئَهِٔ) أی بالافعال الخاطئهٔ أو بالنفس الخاطئهٔ، و قیل بالخاطئهٔ أی اخطأت الحق إلی الباطل و الفساد (فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ) اللّه علی کفرهم و عصیانهم (أَخْذَهً رابِیَهً) أی زائدهٔ فی الشدهٔ من ربا یربو إذا زاد، و قرأ ابو عمرو، و الکسائی، و ابو بکر عن عاصم (و من قبله) بکسر القاف و فتح الباء. الباقون بفتح القاف و سکون الباء. و حجهٔ أبی عمرو أن فی قراءهٔ أبی (جاء فرعون و من معه). و قرأ ابو موسی (و من تلقاه).

و أراد الباقون انه جاء فرعون و من قبل فرعون من الکفار.

قوله تعالی:[سورهٔ الحاقهٔ (۶۹): الآیات ۱۱ الی ۱۸] ..... ص: ۹۶

إِنَّا لَمَّا طَغَی الْماءُ حَمَلْناکُمْ فِی الْجارِیَهِٔ (۱۱) لِنَجْعَلَها لَکُمْ تَذْکِرَهً وَ تَعِیَها أُذُنٌ واعِیَهٌٔ (۱۲) فَإِذا نُفِخَ فِی الصُّورِ نَفْخَهٌٔ واحِدَهٌٔ (۱۳) وَ حُمِلَتِ الْأَرْضُ وَ الْجِبالُ فَدُکَّتا دَکَّهً واحِدَهً (۱۴) فَیَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْواقِعَهُٔ (۱۵)

وَ انْشَقَّتِ السَّماءُ فَهِیَ یَوْمَئِذٍ واهِیَهٌٔ (۱۶) وَ الْمَلَکُ عَلی أَرْجائِها وَ یَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّکَ فَوْقَهُمْ یَوْمَئِذٍ ثَمانِیَهٌٔ (۱۷) یَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفی مِنْکُمْ خافِیَهٌٔ (۱۸)

التبیان فی تفسیر القرآن، ج ۱۰، ص: ۹۷

ثمان آیات.

قرأ (لا یخفی) بالیاء أهل الکوفهٔ، لان تأنیث (خافیهٔ) لیس بحقیقی.

و قد فصل بینها و بین الفعل فاصل. الباقون بالتاء علی لفظ التأنیث. و التقدیر لا یخفی علیه شیء منکم نفس خافیهٔ.

یقول اللّه تعالی مخبراً عما فعل بقوم نوح و فرعون و قومه علی وجه الامتنان علی خلقه بما فعل بهم من الهلاک الذی فیه زجر لغیرهم عن الکفر و ارتکاب المعاصی (إِنَّا لَمَّا طَغَی الْماءُ) و معناه لما تجاوز الماء الحد المعروف فی العظم حتی غرقت الأرض بمن علیها إلا من شاء اللّه نجاته، و ذلک فی زمن نوح علیه السلام و غرق فرعون و قومه بانطباق البحر علیهم، و قال ابن عباس و مجاهد: معنی طغی الماء کثر، و غرّق اللّه- عز و جل- قوم نوح. و قال قتادهٔ: ارتفع علی کل شیء خمس عشرهٔ ذراعاً. و قوله (حَمَلْناکُمْ فِی الْجارِیَهِٔ) أی

حملنا أباكم نوحاً و من كان معه من ولده المؤمنين فى السفينة، فالجارية السفينة التى من شأنها أن تجرى على الماء، و منه قوله (وَ لَهُ الْجَوارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلامِ) «١» و الجارية المرأة الشابة تسمى بذلك، لأنها يجرى فيها ماء الشباب. و الحمل إمساك الشيء بالوضع على غيره، تقول حملته حملاً، و الحمل- بفتح الحاء- ما كان فى البطن او الشجر- و بكسر الحاء- ما كان على الظهر.

---

(١) سورة ۵، الرحمن آية ٢۴

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٩٨

و وجه التذكرة بذلك أن نجاة من فيها و تغريق من سواهم يقتضى أنه من مدبر مختار و فى امر لم تجر به عادة، فيلتبس انه من فعل الطبيعة. ثم بين تعالى الغرض بما فعله فقال (لِنَجْعَلَها)

يعنى السفينة (لَكُمْ تَذْكِرَةً)

تتذكرون بها أنعم اللَّه و تشكرونه عليها و تتفكرون فيها «وَ تَعِيَها أُذُنٌ واعِيَةٌ»

أي و تحفظها اذن حافظة، يقال: وعيت العلم، و أوعيت المتاع فى الوعاء، و يقال: وعى قلبه العلم يعيه وعياً، و قال الشاعر

إذا لم تكن واعياً حافظاً فجمعك للكتب لا ينفع

فمعنى «واعية» ممسكة ما يحصل فيها. و قال ابن عباس: حافظة. و قيل قابلة سامعة. و

قيل: إنه لما نزلت هذه الآية قال النبى صلى اللَّه عليه و آله (اللهم اجعلها اذن على عليه السلام) و رواه الطبرى بإسناده عن مكحول. ثم قال على عليه السلام (فما سمعت من رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله شيئاً فنسيته)

و روى الحلوانى عن ابن كثير «و تعيها» بسكون العين جعله مثل فخذ و فخذ. الباقون بكسرها، لأنه مضارع وعى يعى. و أصله يوعى فحذفت الواو لوقوعها بين فتحة و كسرة، و معنى الآية تحفظها كل أذن ليكون عظة لمن يأتى بعدهم.

روى الطبرى بإسناده عن عكرمة عن بريدة قال: سمعت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله يقول لعلى عليه السلام (يا على ان اللَّه أمرنى ان أدنيك و لا أقصيك و أن أعلمك)

و قوله «فَإِذا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ واحِدَةٌ» فهى النفخة الأولى التى يصعق لها من فى السموات و من فى الأرض «وَ حُمِلَتِ الْأَرْضُ وَ الْجِبالُ فَدُكَّتا دَكَّةً واحِدَةً» قال: ابن زيد: ضرب بعضها على بعض حتى صارتا غباراً. و قيل: معناه بسطتا بسطة واحدة، و منه الدكان، و يقال: اندك سنام البعير إذا انفرش فى ظهره.

و قيل: المعنى حملت الأرض و الجبال فصك بعضها على بعض حتى تندك، و إنما قيل:

فدكتا لأنه جعل الجبال جملة و الأرض جملة. و مثله «أَنَّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ كانَتا التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٩٩

رَتْقاً»

«١» لان السموات جملة واحدة.

ثم قال «فيومئذ» أي يوم تدك السموات و الأرض و تنفخ النفخة الواحدة «وَقَعَتِ الْواقِعَةُ» يعنى القيامة و سميت واقعة لشدة وقعتها بما ليس لغيرها مثل تلك الشدة.

ثم قال «وَ انْشَقَّتِ السَّماءُ» أي انفرج بعضها عن بعض، يقال: انشق الشيء ينشق انشقاقاً، و تشقق تشققاً إذا تفطر و اشتق منه كذا اشتقاقاً، و منه اشتقاق الصفة من المصدر، لان معناه و حروفه فيها دون صورته، فهى مأخوذة منه على هذا الوجه.

و قوله «فَهِيَ يَوْمَئِذٍ واهِيَةٌ» أي شديدة الضعف بانتقاض بنيتها و لا ينظر أهول من رؤية السماء فى هذه الهيأة، يقال: و هى الشيء يهى وهياً، فهو واه أي لا يستمسك لضعفه بنقض بنيته. و قيل: هو تغير السماء بعد صلابتها بمنزلة الصوف فى الوهى و الضعف، و قيل: السماء مكان الملائكة، فإذا وهت صارت فى نواحيها.

و قوله «وَ الْمَلَكُ عَلى أَرْجائِها» فالارجاء النواحى واحدها رجا، مقصور و تثنى رجوان بالواو، و الرجا جانب البئر قال الشاعر:

فلا ترمى بى الرجوان انى أقل القوم من يغنى مكانى «٢»

و هو من رجوت، لان الجانب يرجى فيه السلامة مع خوف السقوط، و الملائكة ذلك اليوم على جوانب السماء تنتظر ما تؤمر به فى اهل النار من السوق اليها، و فى اهل الجنة من التحية و التكرمة فيها.

و قوله «وَ يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمانِيَةٌ» يعنى فوق الخلائق «يَوْمَئِذٍ» يعنى يوم القيامة «ثَمانِيَةٌ» من الملائكة. و قيل: على أرجائها، لأن الناس إذا رأوا

---

(١) سورة ٢١ الأنبياء آية ٣٠

(٢) تفسير القرطبى ١٨/ ٢٦۶

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١٠٠

جهنم بدروا هاربين فتردهم الملائكة- فى قول الضحاك- و قال الحسن و قتادة و سفيان «عَلى أَرْجائِها» يعنى نواحيها. و قال ابن عباس «يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمانِيَةٌ» صفوف من الملائكة لا يعلم عددهم إلا اللّه. و

روى فى خبر مرفوع عن النبى صلى اللّه عليه و آله أنه يحمل العرش ثمانية أملاك

، و هو قول ابن زيد، و المعنى فى حمل العرش بثمانية أملاك. هو الاخبار بأنه عظيم محتاج أن يحمله من كل زاوية ملكان، لا يفى به لعظمه أقل من ذلك، و بهذا يتصور عظمه فى النفس.

و قوله «يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ» يعنى يوم القيامة تعرضون معاشر المكلفين «لا تَخْفى مِنْكُمْ خافِيَةٌ» فروى فى خبر مرفوع- ذكره ابن مسعود و قتادة- ان الخلق يعرضون ثلاث عرضات اثنتان فيها معاذير و جدال، و الثالثة تطاير الصحف فى الايدى فآخذ بيمينه و آخذ بشماله، و ليس يعرض اللّه الخلق ليعلم من حالهم ما لم يعلمه بل هو عالم بجميع ما كان منهم، لأنه عالم لنفسه لكن ليظهر ذلك لخلقه.

قوله تعالى:[سورة الحاقة (٦٩): الآيات ١٩ الى ٢۴] ..... ص: ١٠٠

فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هاؤُمُ اقْرَؤُا كِتابِيَهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسابِيَهْ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ راضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُها دانِيَةٌ (٢٣)

كُلُوا وَ اشْرَبُوا هَنِيئاً بِما أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخالِيَةِ (٢۴)

ست آيات قال الفراء: نزلت هذه الآية فى أبى سلمة بن عبد الأسود، و كان مؤمناً، و كان أخوه الأسود بن عبد الأسود كافراً، نزلت فيه الآية التى بعدها.

قسم اللّه تعالى حال المكلفين يوم القيامة، فقال «فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ» أى اعطى التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١٠١

«كِتابِيَهْ» الذى فيه أعماله «بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هاؤُمُ اقْرَؤُا» قال ابن زيد: يقول المكلف تعالوا اقرأوا «كِتابِيَهْ» ليعلمهم انه ليس فيه إلا الطاعات. فلا يستحيون أن ينظر فيها غيرهم، و اهل الحجاز يقولون: ها يا رجل، و للاثنين هاؤما، و للجمع هاءموا، و للمرأة هاء- بهمزة- و ليس بعدها ياء، و للمرأتين هاؤما، و للجماعة هاؤن يا نسوة. و تميم و قيس يقولون: ها يا رجل مثل قول أهل الحجاز، و للاثنين هاءا، و للثلاثة هاءوا، و للمرأة هائى، و ربما قالوا: هاء يا هذه، و للثلاثة هان.

و بعض العرب يجعل مكان الهمزة كافاً، فيقول: هاك بغير همزة، و يؤمر بها و لا ينهى و (هاء) بمنزلة خذ و تناول. و وقف الكسائى على «هاؤُمُ» و ابتدأ «اقْرَؤُا كِتابِيَهْ» و يقول أيضاً «إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسابِيَهْ» قال ابن عباس و مجاهد و قتادة: معناه إنى علمت، و إنما حسن هذا فيما يلزم العمل به لتأكد أمره بالظن، كما يلزم بالعلم مع مقاومة الظن للعلم بالقوة فى النفس إلا أن العلم معه قوة ينتهى إلى

الثقـة الثابتـة بسـكون النفس. و المعنى انى كنت متيقناً فى دار الـدنيا بـأنى ألقى حسـابى يوم القيامـة، و اعلم أنى أجـازى على الطاعة بالثواب و على المعاصى بالعقاب، و أعمل بما يجب علىّ من الطاعات و اجتناب المعاصى.

ثم اخبر تعالى عن حال من أعطى كتابه بيمينه فقال «فَهُوَ فِي عِيشَةٍ راضِيَةٍ» أى فى عيشة مرضية تقول: عاش يعيش عيشاً و عيشة، و هى الحالة التى تستمر بها الحياة و منه المعاش الذى يطلب التصرف له بعائد النفع عليه، و راضية معناه مرضية.

ف (فاعلة) بمعنى (مفعولة) لأنه فى معنى ذات رضاً، كما قيل: لابن و تامر، أى ذو لبن و ذو تمر. قال النابغة:

كلينى لهم يا أميمة ناصب و ليل اقاسيه بطيء الكواكب «١»

---

(١) مر فى ٥/ ٣۶٨ و ۶/ ٩٠، ٣٢٩ و ٨/ ١٢٢، ۵۶٧

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١٠٢

أى ذو نصب، فكأن العيشـة أعطيت حتى رضـيت، لأنها بمنزلة الطالبة كما أن الشـهوة بمنزلة الطالبة للمشـتهى. و قيل: هو كقولهم: ليل نائم و سر كاتم و ماء دافق، على وجه المبالغـة فى الصـفة من غير التباس فى المعنى: فعلى هـذا جاء عيشـة راضـية و لا يجوز على هذا القياس زيد ضارب بمعنى مضروب لأنه يلتبس به.

و قوله «فِي جَنَّةٍ عالِيَةٍ» أى بستان أجنه الشجر مرتفعة، فالعلو الجهة المقابلة لجهة السفل. و العلو و السفل متضمن بالاضافة. فيكون العلو سفلا إذا أضـفته إلى ما فوقه، و يكون علواً إذا أضـيف إلى ما تحته، و قوله «قُطُوفُها دانِيَةٌ» أى أخذ ثمرها، فالقطف أخذ الثمرة بسـرعة من موضـعها من الشجر، و هو قطوفها، كأنه قال دانية المتناول، قطف يقطف قطفاً فهو قاطف، و قطف تقطيفاً. و الدنو القرب، دنا يدنو دنواً فهو دان، و تدانيا تدانياً و أحدهما أدنى إلينا من الآخر. و قال قتادة: معناه قطوفها دانية لا يرد أيديهم عن ثمرها بُعْدٌ و لا شوك.

ثم حكى تعـالى مـا يقال لهم فانه يقال لهم «كُلُوا وَ اشْـرَبُوا هَنِيئاً بِما أَسْـلَفْتُمْ» و صورته صورة الأمر و المراد به الاباحـة، كما قال «وَ إِذا حَلَلْتُمْ فَاصْطادُوا» «١» و قال قوم: انه أمر على الحقيقة، لان اللّه يريد من أهل الجنة الأكل و الشـرب لما لهم فى ذلك من زيادة السرور إذا علموا ذلك. و إنما لا يريد ذلك فى الدنيا، لأنه عبث لا فائدة فيه.

و قوله «هَنِيئاً» معناه مريئاً ليس فيه ما يؤذى، فليس يحتاج فيه الى إخراج فضل لغائط و لا بول.

و قوله «بِما أَسْلَفْتُمْ» أى جزاء على ما عملتموه من الطاعة «فِي الْأَيَّامِ الْخالِيَةِ»

---

(١) سورة ۵ المائدة آية ٣

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١٠٣

أى الماضية فى دار التكليف.

قوله تعالى:[سورة الحاقة (۶٩): الآيات ٢۵ الى ٣٧] ..... ص: ١٠٣

وَ أَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِشِمالِهِ فَيَقُولُ يا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتابِيَهْ (٢۵) وَ لَمْ أَدْرِ ما حِسابِيَهْ (٢۶) يا لَيْتَها كانَتِ الْقاضِيَةَ (٢٧) ما أَغْنى عَنِّي مالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطانِيَهْ (٢٩)

خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُها سَبْعُونَ ذِراعاً فَاسْلُكُوهُ (٣٢) إِنَّهُ كانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣) وَ لا يَحُضُّ عَلى طَعامِ الْمِسْكِينِ (٣۴)

فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هاهُنا حَمِيمٌ (٣۵) وَ لا طَعامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ (٣۶) لا يَأْكُلُهُ إِلاَّ الْخاطِؤُنَ (٣٧)

ثلاث عشرة آية.

لما حكى اللَّه تعالى قصة أهل الجنة و شرح أحوالهم، حكى- هاهنا- قصة أهل النار و شرح أحوالهم، فقال «وَ أَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ» يعنى من أعطى كتابه الذى فيه أعماله مثبتة «بشماله» و إنما يعطى اللَّه هؤلاء كتابهم بشمالهم، لأنه جعل ذلك إمارة للملائكة و الخلائق على أن صاحبه من أهل النار، فهو إذا اعطى كتابه فى شماله يقول عند ذلك متمنياً متحسراً على ما فرط «يا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتابِيَهْ ....»

أي ليتنى لم أعط هذا الكتاب، و التمنى هو قول القائل لما كان: ليته لم يكن، و لما لم يكن: ليته كان، فهو من صفات الكلام. و قال قوم: هو معنى فى النفس فهؤلاء الذين يعطون كتابهم بشمالهم يتمنون أن لم يعطوا كتابهم أصلا، و لم يعلموا التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١٠۴

ما لهم و ما عليهم، لان أعمالهم كلها معاصى، و هم يستحقون العقاب لا غير فلذلك يتمنون أن لا يعرفوا حسابهم، و الحساب إخراج الكثير مما تضمن معنى العدة، و هو محتمل الزيادة و النقصان. و التمنى فى قول الكفار معناه التحسر و التندم و إن خرج مخرج التمنى. ثم حكى تعالى أنهم لعظم ما دفعوا اليه من العقاب و الأهوال ينتدمون و يتحسرون و يتمنون أن لو كانت القاضية بدلا مما هم فيه. قال الفراء: معناه ليت الموتة الأولى التى متناها لم نجئ بعدها. و القاضية الفاصلة بالاماتة، يقال: قضى فلان إذا مات، و أصله فصل الأمر، و منه قضية الحاكم، و جمعها قضايا، و منه قضاء اللَّه و هو الاخبار بأنه يكون على القطع، و الهاء فى «يا ليتها» كناية عن الحالة التى هم فيها، و قيل كناية عن الموتة. قال قتادة: يعنى الموت و لم يكن عنده فى الدنيا شيء اكره منه.

ثم حكى انه يقول «ما أَغْنى عَنِّي مالِيَهْ» و معناه ما كفانى فى صرف المكروه و لا صرف عنى شيئاً من عقاب اللَّه تعالى يقال: أغنى يغنى غنى و إغناء، قال ابن زيد: معناه ما نفعنى ملكى الذى كان لى فى الدنيا.

و قوله «هَلَكَ عَنِّي سُلْطانِيَهْ» قال ابن عباس و مجاهد و الضحاك: هلك عنى حجتى. و قال الحسن: قد جعل اللَّه لكل إنسان سلطاناً على نفسه و دينه و عيشه.

و قال قوم: معناه هلك عنى تسلطى و أمرى و نهيي فى دار الدنيا على ما كنت مسلطاً عليه لا أمر لى و لا نهى، فالهلاك ذهاب الشيء بحيث لا يقع عليه احساس، هلك يهلك هلوكاً، فهو هالك، قال الزجاج: و الوجه أن يوقف على هذه الهاءات، و لا توصل، لأنها ادخلت للوقف، و قد حذفها قوم. و فى ذلك مخالفة المصحف، فلا أحب حذفها. قال: و لا أحب ان اصل و أثبت الهاء، فان هذه رؤوس الآى فالوجه التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١٠۵

الوقف عندها. و كذلك قوله «وَ ما أَدْراكَ ما هِيَهْ» و قد وصل بلا هاء الكسائى.

الباقون بالهاء فى الحالين.

ثم حكى ما يقول اللَّه تعالى للملائكة و يأمرهم به، فانه يقول لهم «خذوه» يعنى الكافر الذى أعطى كتابه بشماله «فغلوه» أى أوثقوه بالغل، و هو أن يشد احدى يديه او رجليه إلى عنقه بجامعة «ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ» فالجحيم هى النار الغليظة لأن النار قد تكون ضعيفة كنار السراج و نار القدح، و قد تكون قوية كنار الحريق فلا يقال لنار السراج: جحيم، و هو اسم علم على نار جهنم التى أعدها اللَّه للكفار و العصاة، و التصلية إلزام النار، و منه الاصطلاء و هو القعود عند النار للدفا، و أصله لزوم الأمر، فمنه المصلى الذى فى أثر السابق و منه قول الشاعر:

و صلى على دنها و ارتسم «١»

أي لزم الدعاء لهاء. و قوله «ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُها سَبْعُونَ ذِراعاً فَاسْلُكُوهُ» تقديره: ثم اسلكوه فى سلسلة طولها سبعون ذراعاً فاسلكوه فيها، فالسلسلة حلق منتظمة كل واحدة منها فى الأخرى، و منه يقال: سلسل كلامه إذا عقده شيئاً بعد شيء، و تسلسل إذا استمر شيئاً قبل شيء على الولاء و الانتظام. و الذرع أخذ قدر الذراع مرة او أكثر، ذرع الرجل الثوب يذرعه ذرعاً، فهو ذرّاع، و الثوب مذروع، مأخوذ من الذراع و هو العضو الذى يكون فى طرف الكف من الإنسان.

و قیل: اسلکوه فی السلسلة، لأنه یأخذ عنقه فیها، ثم یجرّ بها. و قال الضحاک:

إنها تـدخل فی فیه و تخرج من دبره. و قیل: المعنی ثم اسـلک السلسـلة فیه فقلب کما یقال: ادخلت القلنسوة فی رأسـی، و إنما أدخل رأسه فیها، و کما قال الأعشی:

(۱) مر تخریجه فی ۲/ ۴۱

التبیان فی تفسیر القرآن، ج ۱۰، ص: ۱۰۶

[غضوب من السوط زیّافة] إذا ما ارتدی بالسراة الاکم «۱»

و إنما السـراة ترتدی بالاکم، و لکنه قلب، فهو یجری مجری التقدیم و التأخیر اتساعاً فی اللغة من غیر إخلال بالمعنی. و یقولون أیضاً: ادخلت الخاتم فی یدی، و الخف فی رجلی، و إنما تدخل الید و الرجل فی الخاتم و الخف، فقلب.

ثم بین تعـالی لم فعـل به ذلـک؟ و علی أی شـیء اسـتحقه، فقال «إِنَّهُ کانَ لا یُؤْمِنُ بِاللَّهِ» أی لم یکن یوحـد اللَّه فی دار التکلیف و لم یصدق باللَّه «العظیم» فی صـفاته التی لا یشارکه فیها غیره «وَ لا یَحُضُّ عَلی طَعامِ الْمِسْـکِینِ» أی لا یحث علی ذلک مما یجب علیه من الزکاة و الکفارات و النذور.

ثم قال تعالی «فَلَیْسَ لَهُ» یعنی للکافر «الْیَوْمَ هاهُنا» یعنی یوم القیامـة «حَمِیمٌ» و هو القریب الذی یحمی لغضب صاحبه «وَ لا طَعامٌ إِلَّا مِنْ غِسْـلِینٍ» یعنی من صدیـد أهـل النار و ما یجری منهم، فالطعام هو ما هیئ للأکل، فلـذلک لا یسـمی التراب طعاماً للإنسان، و الخشـب طعام الأرضة، و لیس من طعام أکثر الحیوان.

فلمـا هیئ الصدیـد لأکـل أهـل النـار کان ذلک طعاماً لهم. و الغسـلین هو الصدیـد الـذی یتغسل بسـیلانه من أبـدان أهل النار. و وزنه (فعلین) من الغسل. و قال ابن عباس:

هو صدیـد أهل النار. و قیل: اهل النار طبقات منهم من طعامه الضـریع، و منهم من طعامه الغسـلین، لأنه قال فی موضع آخر «لَیْسَ لَهُمْ طَعامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِیعٍ» «۲» و قال قطرب: یجوز أن یکون الضریع هو الغسلین، فعبر عنه بعبارتین، و قال قوم:

یجوز ان یکون المراد لیس لهم طعام إلا من ضریع و لا شراب الا من غسلین، فسماه طعاماً کما قال الشاعر:

(۱) دیوانه (دار بیروت) ۱۹۷

(۲) سورة ۸۸ الغاشیة آیة ۶

التبیان فی تفسیر القرآن، ج ۱۰، ص: ۱۰۷

علفتها بتنا و ماء بارداً «۱»

ثم قـال تعـالی «لا یَأْکُلُهُ» أی لا یأکـل هـذا الغسـلین «إِلَّا الْخاطِؤُنَ» و هم الجـائرون عن طریق الحق عامـدین، و الفرق بین الخاطئ و المخطئ أن المخطئ قد یکون من غیر تعمد لما وقع به من ترک اصابة المطلوب، و خطئ یخطئ خطأ فهو خاطئ قال امرؤ القیس:

یا لهف نفسی إذ خطئن کاهلا القائلین الملک الحلا حلا «۲»

فهؤلاء الکفار قد جاروا عن طریق الحق و ضلوا عن الصراط المستقیم و تبعوا الضلال فی الدین.

قوله تعالی:[سورة الحاقة (۶۹): الآیات ۳۸ الی ۵۲] ..... ص: ۱۰۷

فَلا أُقْسِمُ بِما تُبْصِـرُونَ (۳۸) وَ ما لا تُبْصِـرُونَ (۳۹) إِنَّهُ لَقَـوْلُ رَسُولٍ کَرِیمٍ (۴۰) وَ مـا هُوَ بِقَوْلِ شـاعِرٍ قَلِیلًا ما تُؤْمِنُونَ (۴۱) وَ لا بِقَوْلِ کاهِنٍ قَلِیلًا ما تَذَکَّرُونَ (۴۲)

تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ (۴۳) وَ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا بَعْضَ الْأَقاوِيلِ (۴۴) لَأَخَذْنا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (۴۵) ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الْوَتِينَ (۴۶) فَما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حاجِزِينَ (۴۷)

وَ إِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ (۴۸) وَ إِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ (۴۹) وَ إِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكافِرِينَ (۵۰) وَ إِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (۵۱) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (۵۲)

---

(۱) مر فى ۱/ ۶۵ و ۳/ ۴۵۶ و ۵/ ۴۶۹ و عجزه: حتى شتت همالة عيناها

(۲) ديوانه ۱۷۶ و اللسان (حلل)

التبيان فى تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۱۰۸

خمس عشرة آية.

قرأ «قليلا ما يؤمنون، و يذكرون» بالياء فيهما مكى شامى و يعقوب، و سهل على الخبر عن الكفار. الباقون بالتاء على الخطاب لهم أى قل لهم.

و قيل فى قوله «فَلا أُقْسِمُ» ثلاثة اقوال:

أحدها- قال الفراء: انه ردّ لكلام قائل، فكأنه قال: ليس الأمر على ما يقال أقسم إنه «لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ».

و الثانى- قال قوم (لا) صلة مؤكدة و تقديره فأقسم.

الثالث- قال قوم: إنها نفى للقسم، و معناه لا يحتاج إلى القسم لوضوح الحق فى انه «لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ» و فى هذا الوجه يقع جوابه كجواب غيره من القسم.

و قيل: هو كقول القائل: لا و اللَّه لأفعل ذاك، و لا و اللَّه لأفعلن ذاك. و قال قتادة:

أقسم تعالى بالأشياء كلها ما يرى و ما لا يرى، و قال الجبائى: إنما أراد انه لا يقسم بالأشياء المخلوقات ما يرى و ما لا يرى، و إنما يقسم بربها، لأن القسم لا يجوز إلا باللَّه. و قوله «إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ» جواب القسم، قال الجبائى: هو قول اللَّه على الحقيقة، و إنما الملك و جبرائيل و الرسول يحكون ذلك، و إنما أسنده إليهم من حيث أن ما يسمع منهم كلامهم و لما كان حكاية كلام اللَّه قيل: هو كلام اللَّه على الحقيقة فى العرف، و قرئ «إنه من قول رسول كريم» جواب القسم. و قال الحسن: فالرسول الكريم محمد صلى اللَّه عليه و آله الذى أتى بهذا القرآن. و قال غيره: هو جبرائيل عليه السلام و الاول اظهر، و الكريم الخليق بالخير الواسع من قبله، يقال: كرم يكرم كرماً فهو كريم، و ضده لؤم يلؤم لؤماً، فهو لئيم.

و لما اقسم تعالى أن هذا القرآن هو قول رسول كريم نفى بعده أن يكون التبيان فى تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۱۰۹

قول شاعر فقال «وَ ما هُوَ بِقَوْلِ شاعِرٍ» فالشاعر هو المبتدئ بإنشاء الشعر، و لا يكون حاكى الشعر شاعراً، كما يكون حاكى الكلام متكلماً، لأنه يحكى شعراً انشأه غيره، و إنما نزه اللَّه تعالى نبيه عن الشعر و منعه منه، لان الغالب من حال الشاعر أنه يدعو إلى الهوى، و الرسول يأتى بالحكمة التى يدعو اليها العقل للحاجة إلى العمل عليها و الاهتداء بها، مع انه بين أن القرآن صنف من الكلام خارج عن الأنواع المعتادة، و ذلك أدل على إعجازه لبعده عما جرت به العادة فى تأليف الكلام، قال قتادة: طهر اللَّه نبيه من الشعر و الكهانة و عصمه منهما.

و قوله تعالى «قَلِيلًا ما تُؤْمِنُونَ» معناه قليلا بما ذكرناه إيمانكم (و ما) مصدرية و قال قوم (ما) صلة، و تقديره قليلا تؤمنون بما ذكرناه أى لستم تؤمنون به.

و قوله «وَ لا بِقَوْلِ كاهِنٍ» فالكاهن هو الذى يسجع فى كلامه على ضرب من التكلف لتشاكل المقاطع، و هو ضد ما توجبه الحكمة فى الكلام، لأنها تقتضى أن يتبع اللفظ المعنى، لأنه إنما يحتاج إلى الكلام للبيان به عن المعنى، و إنما البلاغة فى الفواصل التى يتبع

اللفظ فيها المعنى، فتشاكل المقاطع على ثلاثة أضرب: فواصل بلاغة، و سجع كهانة، و قواف تتبع الزنة، و الكاهن الذى يزعم ان له خدمة من الجن تأتيه بضرب من الوحى. و قوله «قَلِيلًا ما تَذَكَّرُونَ» أى تتفكرون قليلا فيما ذكرناه، فلذلك لا تعلمون صحة ما قلناه، و لو انعمتم النظر لعلمتم صحته.

ثم قال «تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ» أى هو تنزيل نزله اللّٰه رب العالمين على رسوله.

و قوله «وَ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا بَعْضَ الْأَقاوِيلِ» اخبار من اللّٰه تعالى على وجه القسم أن هذا الرسول الذى حكى بأن القرآن نزل عليه من عند اللّٰه و هو محمد صلى اللّٰه عليه و آله لو تقول على اللّٰه فى بعض كلامه، و معناه لو كذب علينا فى بعض ما لم يؤمر به، التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١١٠

فالتقول تكلف القول من غير رجوع إلى حق، و التقول و التكذب و التزيد بمعنى واحد «لَأَخَذْنا مِنْهُ بِالْيَمِينِ» جواب القسم، و معناه أحد وجهين:

أحدهما- لأخذنا بيده التى هى اليمين على وجه الاذلال، كما يقول السلطان يا غلام خذ بيده فانه على وجه الاهانة، قال الحسن: معناه لقطعنا يده اليمين.

و الثانى- لأخذنا منه بالقوة كما قال الشاعر:

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين «١»

و قوله «لَقَطَعْنا مِنْهُ الْوَتِينَ» قال ابن عباس و سعيد بن جبير: الوتين نياط القلب. و قال مجاهد و قتادة و الضحاك: هو عرق فى القلب متصل بالظهر إذا قطع مات الإنسان، قال الشماخ بن ضرار الثعلبى:

إذا بلغتنى و حملت رحلى عرابة فأشر فى ندم الوتين «٢»

و قوله «فَما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حاجِزِينَ» معناه ليس أحد يمنع غيره من عقاب اللّٰه بأن يكون حائلا بينه و بينه، فالحاجز هو الحائل بين الشيئين. و إنما قال «حاجزين» بلفظ الجمع، لان (أحداً) يراد به الجمع و إن كان بصيغة الواحد.

ثم قال «وَ إِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ» قسم من اللّٰه تعالى أن هذا القرآن تذكرة و عظة للمتقين، و هو قول قتادة، و إنما اضافه إلى المتقين، لأنهم المنتفعون به، فالتذكرة العلامة التى يذكر بها المعنى، ذكره تذكرة، فهو مذكر، كقولك جزاه تجزية و جزاه تجزية، فالمتقى يتذكر القرآن بأن يعمل عليه فى أمر دينه فى اعتقاد او عمل به فيتميز الجائز مما لا يجوز، و الواجب مما ليس بواجب، و الصحيح مما لا يصح.

و قوله «وَ إِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ» عطف على جواب القسم، و معناه

---

(١) مر فى ٨/ ٥١٢ و ٩/ ٤٦ و قائله الشماخ [.....]

(٢) مجاز القرآن ٢/ ٢٦٨ و الطبرى ٢٩/ ٣٧

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١١١

التحذير من التكذيب بالحق و أنه ينبغى أن يتذكر أن اللّٰه تعالى يعلمه و يجازى عليه.

و قوله «وَ إِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكافِرِينَ» معناه إن هذا القرآن حسرة على الكافرين يوم القيامة حيث لم يعملوا به فى الدنيا، فالحسرة الغم من أجل ما انحسر وقته كيف فات العمل الذى كان ينبغى فيه أن يفعل، فيحسر السرور عن النفس إلى الغم بانحساره. و قيل: إن التكذيب به حسرة على الكافرين.

ثم اقسم تعالى فقال «وَ إِنَّهُ» يعنى القرآن الذى أنزله و الاخبار بما اخبر به و ذكره «لَحَقُّ الْيَقِينِ» و معناه الحق اليقين، و إنما اضافه إلى نفسه، و الحق هو اليقين، كما قيل مسجد الجامع و دار الآخرة و بارحة الاولى و يوم الخميس و ما أشبه ذلك، فيضاف الشىء إلى

نفسه إذا اختلف لفظه كما اختلف الحق و اليقين. و الحق هو الذى معتقده على ما اعتقده، و اليقين هو الذى لا شبهة فيه.

ثم قال لنبيه «فَسَبِّحْ» يا محمد و المراد به جميع المكلفين و معناه نزه اللّه تعالى «بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ» و معناه نزهه عما لا يجوز عليه من صفات خلقه و (العظيم) هو الجليل الذى يصغر شأن غيره فى شأنه بما يستحق من أوصافه. و

روى انه لما نزلت هذه الآية قال النبى صلى اللّه عليه و آله: اجعلوها فى ركوعكم.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١١٢

٧٠-سورة المعارج: ..... ص: ١١٢

اشارة

مكية فى قول ابن عباس و الضحاك و غيرهما و هى أربع و أربعون آية بلا خلاف.

[سورة المعارج (٧٠): الآيات ١ الى ١٠] ..... ص: ١١٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

سَأَلَ سائِلٌ بِعَذابٍ واقِعٍ (١) لِلْكافِرينَ لَيْسَ لَهُ دافِعٌ (٢) مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعارِجِ (٣) تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَ الرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (۴)

فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً (۵) إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً (۶) وَ نَراهُ قَرِيباً (٧) يَوْمَ تَكُونُ السَّماءُ كَالْمُهْلِ (٨) وَ تَكُونُ الْجِبالُ كَالْعِهْنِ (٩)

وَ لا يَسْئَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً (١٠)

عشر آية.

قرأ اهل المدينة و أهل الشام (سال) بغير همز و هو يحتمل أمرين:

أحدهما- ان يكون من السيل تقول: سال يسيل سيلا فهو سائل، و سايل واد فى جهنم، كما قال (أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) و الفلق جب فى جهنم. و اجمعوا على همزة (سائل) لأنه و لو كان من (سال) بغير همز، فالياء تبدل همزة إذا وقعت بعد الالف مثل البائع و السائر من (باع، و سار).

و الثاني- بمعنى سأل بالهمزة، لأنها لغة يقولون سلت أسال، و هما يتسالان التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١١٣

قال الشاعر:

سالت هذيل رسول اللّه فاحشة ضلت هذيل بما سالت و لم تصب «١»

فهى لغة أخرى، و ليست مخففة من الهمزة الباقون بالهمز من السؤال الذى هو الطلب. و قرأ الكسائى وحده (يعرج) بالياء، لان تأنيث الملائكة ليس بحقيقى، الباقون- بالتاء. و قرأ ابن كثير- فى رواية البزى- و عاصم فى رواية البرجمى عن أبى بكر (و لا يسأل) بضم الياء. الباقون بفتح الياء اسندوا السؤال إلى الحميم.

حكى اللّه تعالى انه (سَأَلَ سائِلٌ بِعَذابٍ واقِعٍ) قال الفراء: الداعى بالعذاب هو النضر بن كلدة أسر يوم بدر و قتل صبراً، هو و عقبة بن أبى معيط. و قال:

تقديره سأل سائل بعذاب (واقع للكافرين) قال ابن: خالويه قال النحويون:

إن الباء بمعنى (عن) و تقديره: سأل سائل عن عذاب واقع و انشد:

دع المعمر لا تسأل بمصرعه و اسأل بمصقله البكرى ما فعلا «٢»

أى لا تسأل عن مصرعه، و هذا الذى سأل العذاب الواقع إنما تجاسر عليه لما كذب بالحق ليوهم أنه ليس فيه ضرر، و لم يعلم انه لازم له من اللّه. و قال مجاهد:

سؤاله فى قوله (اللَّهُمَّ إِنْ كانَ هـذا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ) «٣» و قال الحسن: سأل المشركون، فقالوا: لمن هذا العذاب الذى يذكره محمد؟ فجاء جوابهم بأنه (لِلْكافِرينَ لَيسَ لَهُ دافِعٌ) و قيل: معناه دعا داع بعذاب للكافرين، و ذلك الداعى هو النبى صلى اللّه عليه و آله، و اللام فى قوله (للكافرين) قيل فى

---

(١) تفسير القرطبى ١٨/ ٢٨٠

(٢) قائله الأخطل اللسان (صقل)

(٣) سورة ٨ الانفال آية ٣٢

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١١٤

معناها قولان:

أحدهما- إنها بمعنى (على) و تقديره سأل سائل بعذاب واقع على الكافرين، ذهب اليه الضحاك.

و الثانى- إنها بمعنى (عن) أى ليس له دافع عن الكافرين، و إنما ذكر وعيد الكافر- هاهنا- مع ذكره فى غير هذا الموضع، لأن فيه معنى الجواب لمن سأل العذاب الواقع، فقيل له: ليس لعذاب الكافرين دافع، فاعمل على هذا، و تقدم نظيره و تأخر، و الدافع هو الصارف للشيء عن غيره باعتماد يزيله، عنه دفعه عن كذا يدفعه دفعاً، فهو دافع و ذاك مدفوع.

و قوله (مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعارِجِ) يعنى مصاعد الملائكة. و قيل: معناه ذى الفواضل العالية، فيكون وصفاً للّه تعالى، و تقديره من اللّه ذى المعالى التى هى الدرجات التى يعطيها أولياءه من الأنبياء و المؤمنين فى الجنة، لأنه يعطيهم درجات رفيعة و منازل شريفة، و المعارج مواضع العروج، واحدها معرج، عرج يعرج عروجاً و العروج الصعود مرتبة بعد مرتبة، و منه الأعرج لارتفاع احدى رجليه عن الأخرى و قال قتادة: معنى ذى المعارج ذى الفواضل و النعم، لأنها على مراتب. و قال مجاهد: هى معارج السماء. و قيل: هى معالى الدرجات التى يعطيها اللّه تعالى أولياءه فى الجنة. و قال الحسن: معناه ذى المراقى إلى السماء. و الذى اقتضى ذكر المعارج البيان عن العقاب الذى يجب ان يخافه، على خلاف هذا الجاهل الذى سأل العذاب الواقع على من كفر نعمته.

و قوله (تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ) معناه تصعد الملائكة (وَ الرُّوحُ) أى يصعد الروح أيضاً معهم (إِلَيْهِ) و المعنى تعرج الملائكة و الروح الذى هو جبرائيل إلى الموضع الذى يعطيهم اللّه فيه الثواب فى الآخرة (فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) لعلوّ التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١١٥

درجاتهم، و إنما قال (إِلَيْهِ) لأنه هناك يعطيهم الثواب، كما قال فى قصة إبراهيم (إِنِّي ذاهِبٌ إِلى رَبِّي) «١» أى الموضع الذى وعدنى ربى، و كذلك الموضع الذى وعدهم اللّه بالثواب فيه. و قيل: تعرج الملائكة و الروح إليه فى يوم كان مقداره من عروج غيرهم خمسين الف سنة، و ذلك من أسفل الأرضين السبع الى فوق السماوات السبع- ذكره مجاهد- و قوله (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّماءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) «٢» فهو لما بين السماء الدنيا و الأرض فى الصعود و النزول الف سنة: خمسمائة صعوداً و خمسمائة نزولا- ذكره مجاهد- ايضاً. و قيل: المعنى ان يوم القيامة يفعل فيه من الأمور ما لو فعل فى الدنيا كان مقداره خمسين الف سنة.

و قال قوم: المعنى إنه من شدته و هو له و عظم العذاب فيه على الكافرين كأنه خمسون الف سنة، كما يقول القائل: ما يومنا إلا شهر أى فى شدته، و على هذا قول امرئ القيس:

ألا ايها الليل الطويل ألا انجل بصبح و ما الإصباح منك بأمثل

و يا لك من ليل كأن نجومه بكل مغار الفتل شدت بيذبل «٣»

و يؤكد هذا ما

روى عن النبى صلى اللَّه عليه و آله أنه لما نزلت هذه الآية قيل له ما أطول هذا اليوم؟! فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله (و الذى بعثنى بالحق نبياً إنه ليخف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها فى الدنيا)

و قال الضحاك و قتادة:

هو يوم القيامة. و قال الزجاج: يجوز أن يكون (يوماً) من صلة (واقع) فيكون المعنى سأل سائل بعذاب واقع فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة و ذلك العذاب يقع يوم القيامة. و قال الحسن: تعرج الملائكة بأعمال بنى آدم فى الغمام، كما قال

---

(١) سورة ٣٧ ص آية ٩٩

(٢) سورة ٣٢ ألم السجدة آية ٥

(٣) ديوانه ١٥٢

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١١٦

(وَ يَوْمَ تَشَقَّقُ السَّماءُ بِالْغَمامِ) «١» و قال الزجاج: سماه يوماً، لأن الملائكة تعرجه فى مقدار يوم واحد. ثم أمر نبيه فقال (فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلًا) أى لا شكوى فيه على ما تقاسيه من أذى قومك، و تكذيبهم إياك فيما تخبر به من أمر الآخرة. قال الزجاج: ذلك قبل أن يؤمر بالقتال.

و قوله تعالى (إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً وَ نَراهُ قَرِيباً) اخبار من اللَّه تعالى أنه يعلم مجيء يوم القيامة و حلول العقاب بالكفار قريباً، و يراه أى يظنه الكفار بعيداً، لأنهم لا يعتقدون صحته، و كل ما هو آت قريب، و هذا على وجه الإنكار عليهم استبعادهم يوم الجزاء، و توهمهم أنه بعيد. و بين أنه تعالى يراه قريباً بما يعلمه من حصوله، و إنما جاز أن يقال فى توهمهم: يرونه لأنهم يتوهمونه، و هم عند أنفسهم يرونه، فجاء على مزاوجة الكلام الذى ينبئ عن المعنى من غير إخلال. و قيل: معنى إنهم يرون العذاب الذى سألوا عنه بعيداً، لأنهم لا يؤمنون به، و نراه قريباً لان كل ما هو آت قريب.

ثم وصف اللَّه تعالى يوم القيامة فقال (يَوْمَ تَكُونُ السَّماءُ كَالْمُهْلِ) قال الزجاج:

المهل دردى الزيت، و قال مجاهد: هو عكر الزيت. و قال قوم: هو الصفر المذاب.

و قال قوم: المهل هو الجارى بغلظة و عكرة على رفق: من أمهله إمهالا، و تمهل تمهلا. (وَ تَكُونُ الْجِبالُ كَالْعِهْنِ) فالعهن الصوف المنفوش، و ذلك ان الجبال تقطع حتى تصير بهذه الصفة، كما أن السماء تشقق بالغمام و تكون كالمهل.

و قوله (وَ لا يَسْئَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً) فالحميم القريب النسب إلى صاحبه الذى يحمى لغضبه و أصله القرب قال الشاعر:

أحم اللَّه ذلك من لقاء أحاد أحاد فى الشهر الحلال «٢»

---

(١) سورة ٢٥ الفرقان آية ٢٥

(٢) مر ٨/ ٥٠٣، ٥٧٥

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١١٧

و قال مجاهد: لا يسأل حميم حميماً لشغل كل إنسان بنفسه عن غيره. و قال الحسن: لا يسأله ان يحمل عنه من أوزاره ليأسه من ذلك فى الآخرة. و قيل (لا يَسْئَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً) لأنه (يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيماهُمْ) «١» و من ضم الياء أراد لا يطالب قريب بأن يحضر قريبه كما يفعل أهل الدنيا بأن يؤخذ الحميم بحميمه و الجار بجاره، لأنه لا جور هناك، و يجوز أن يكون المراد لا يسأل حميم عن حميمه

ليعرف شأنه من جهته، كما يتعرف خبر الصديق من جهة صديقه، و القريب من قريبه.

ثم يحذف الجار و يوصل الفعل إلى المفعول به، و يقوى ذلك قوله (يُبَصَّرُونَهُمْ) أى يبصر الحميم حميمه. و الفعل فيه قبل تضعيف العين بصرت به، كما قال حكاية عن السامرى (بَصُرْتُ بِما لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ) «٢».

قوله تعالى: [سورة المعارج (٧٠): الآيات ١١ الى ٢٥] ..... ص: ١١٧

يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (١١) وَ صاحِبَتِهِ وَ أَخِيهِ (١٢) وَ فَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (١٣) وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنْجِيهِ (١٤) كَلَّا إِنَّها لَظى (١٥)

نَزَّاعَةً لِلشَّوى (١۶) تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَ تَوَلَّى (١٧) وَ جَمَعَ فَأَوْعى (١٨) إِنَّ الْإِنْسانَ خُلِقَ هَلُوعاً (١٩) إِذا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً (٢٠)

وَ إِذا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً (٢١) إِلاَّ الْمُصَلِّينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلى صَلاتِهِمْ دائِمُونَ (٢٣) وَ الَّذِينَ فِي أَمْوالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (٢۴) لِلسَّائِلِ وَ الْمَحْرُومِ (٢۵)

---

(١) سورة ۵۵ الرحمن آية ۴١

(٢) سورة ٢٠ طه آية ٩۶

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١١٨

خمس عشرة آية.

قرأ (نزاعة)- بالنصب- حفص عن عاصم على الحال. الباقون بالضم جعلوه بدلا من (لظى) و (لظى) اسم من اسماء جهنم معرفة، و (نزاعة) نكرة فلذلك نصبه حفص على الحال و من جعلها بدلا من (لظى) و تقديره كلا إنها لظى، كلا إنها نزاعة للشوى، و ضعف أبو على نصبه على الحال، قال: لأنه ليس فى الكلام ما يعمل فى الحال، و لظى اسم معرفة لا يمكن أن يكون بمعنى التلظى، فلا يعمل فيه الأعلى وجه ضعيف بأن يقال: مع انها معرفة فمعناها بمعنى التلظى. قال و الأجود أن ينصب بفعل آخر، و تقديره أعنى نزاعة.

لما وصف اللَّه تعالى القيامة و أهوالها، و اخبر أن الحميم لا يسأل حمياً لشغله بنفسه، قال (يبصرونهم) قال ابن عباس و قتادة: يعرف الكفار بعضهم بعضاً، ثم يفر بعضهم عن بعض، و قال مجاهد: يعرفهم المؤمنون، و قال قوم: يعرف اتباع الضلال رؤساءهم، و قول ابن عباس أظهر، لأنه عقيب ذكر الكفار. و قال هو كناية ينبغى ان يرجع اليهم.

و قوله (يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ) أى يتمنى العاصى، فالمودة مشتركة بين التمنى و بين المحبة تقول: وددت الشيء إذا تمنيته و وددته إذا أحببته أود فيهما جميعاً، و صفة ودود من المحبة. و قوله (لَوْ يَفْتَدِي)، فالافتداء افتداء الضرر عن الشيء يبدل منه، فهؤلاء تمنوا سلامتهم من العذاب النازل بهم بإسلام كل كريم عليهم. و الفرق بين (يود لو يفتدى) و (يود أن يفتدى) أن (لو) تدل على التمنى من جهة أنها لتقدير المعنى، و ليس كذلك (أن) لأنها لاستقبال الفعل و (لو) للماضى، فلما كان الاعتماد على تصور المعنى صار فى حكم التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١١٩

الواقع، فلو قال قائل: حسبت أن يقوم زيد، لما دل على التمنى، و لو قال حسبت لو يقوم زيد لدل على التمنى فبان الفرق بينهما.

و قوله (بِبَنِيهِ) يعنى بأولاده الذكور (وَ صاحِبَتِهِ) يعنى زوجته (وَ أَخِيهِ) يعنى ابن أبيه و أمه (وَ فَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ) فالفصيلة هى المنقطعة عن جملة القبيلة برجوعها إلى ابوة خاصة، و هى الجماعة التى ترجع إلى أبوة خاصة عن ابوة عامة (وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنْجِيهِ) أى يتمنى هذا الكافر بان يتخلص من بعذاب اللَّه بأن يفتدى بهؤلاء كلهم، فقال اللَّه تعالى (كَلَّا) أى ليس ينجيه من عقاب اللَّه شيء و قال الزجاج (كلا) ردع و تنبيه أى لا ينجيه احد من هؤلاء فارتدعوا.

و قوله (إِنَّها لَظى) فلظى اسم من اسماء جهنم مأخوذ من التوقد، و منه قوله (فَأَنْذَرْتُكُمْ ناراً تَلَظَّى) «١» و موضع (لظى) رفع، لأنها خبر

(ان) و (نَزَّاعَةً لِلشَّوی) خبر آخر- علی قول من رفع- و من نصب جعله حالا، و یجوز أن تکون الهاء فی (إنها) عماداً، و (لظی) ابتداء و خبرها (نزاعة) إذا رفع. قال الزجاج:

و یجوز أن یکون کقولهم: هذا حلو حامض، و تقدیره النار لظی، و هی نزاعة ایضاً.

و معنی نزاعة کثیرة النزع و هو اقتلاع عن شدة. و الاقتلاع أخذ بشدة اعتماد، و الشوی جلدة الرأس. و الشوی الکوارع و الاطراف، و الشوی ما عدا المقتل من کل حیوان، یقال: رمی فأشوی إذا أصاب غیر المقتل، و رمی فأصمی إذا أصاب المقتل، و منه الشوی، لان النار تأخذ الجلدة و الاطراف بالتغیر. و الشوی الخسیس من المال. و قیل: ان جهنم تنزع جلدة الرأس و أطراف البدن، و الشوی جمع شواة قال الأعشی:

قالت قتیلة ماله قد حللت شیباً شواته «۲»

---

(۱) سورة ۹۲ اللیل آیة ۱۴

(۲) اللسان (شوا)

التبیان فی تفسیر القرآن، ج ۱۰، ص: ۱۲۰

و قال ابن عباس: نَزَّاعَةً لِلشَّوی للجلد و أم الراس. و قال ابو صالح: لحم الساق، و قال قتادة: الهام و الاطراف. و قال الفراء: کل ما کان غیر مقتل فهو شوی. و قال ابو عمر الدوری: کان الکسائی لا یقف علی (کلا) فی شیء من القرآن إلا علی هذین فی هذه السورة. و قال ابن خالویه: أعلم أن فی القرآن ثلاثاً و ثلاثین موضعاً (کلا) فلیس فی النصف الأول منه شیء، فمن وقف علیه جعله رد للکلام. و من لم یقف جعله بمعنی حقاً، قال الشاعر:

یقلن لقد بکیت فقلت کلا و هل تبکی من الطرب الجلید «۱»

فالطرب خفة تصیب الإنسان لشدة الخوف قال الشاعر:

و أرانی طرباً فی أثرهم طرب الواله أو کالمختبل «۲»

و قال فی السرور:

اطربا و أنت قنسری و الدهر بالإنسان دواری «۳»

یقول أ طربا و أنت شیخ. و قوله تعالی (تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَ تَوَلَّی) قیل فی معناه قولان:

أحدهما- إنه لا یفوت هذه النار کافر، فکأنها تدعوه فیجیبها کرها.

و الثانی- ان یخرج لسان من النار فیتناوله کأنها داعیة بأخذها، و هو کقوله (تَکادُ تَمَیَّزُ مِنَ الْغَیْظِ) «۴» و قال الفراء: و غیره: إن النار تدعو الکافر و الفاسق، فتقول إلیّ إلیّ، و هذا یجوز إذا فعل اللّه تعالی فیها الکلام، و یضاف الیها مجازاً.

و قال قتادة: تدعو من أدبر و تولی عن طاعة اللّه. و قال مجاهد: من تولی عن الحق و قیل: معناه تدعو زبانیتها من أدبر و تولی عن طاعة اللّه. و قوله (وَ جَمَعَ فَأَوْعی)

---

(۱) مقاییس اللغة ۳/ ۴۵۴ [.....]

(۲) مر فی ۳/ ۲۱ و ۵/ ۲۴۷

(۳) مر فی ۴/ ۳۷۷، ۵۰۵ و ۸/ ۶۳

(۴) سورة ۶۷ الملک آیة ۸

التبیان فی تفسیر القرآن، ج ۱۰، ص: ۱۲۱

معناه عمل فجمع المال فى الدنيا و أدبر عن الحق و تولى، فالنار تدعوه بما يظهر فيها من انه أولى بها. و قال مجاهد (جمع) المال (فأوعى) و لم يخرج حق اللّه منه، فكأنه جعله فى وعاء على منع الحقوق منه.

و قوله (إِنَّ الْإِنْسانَ خُلِقَ هَلُوعاً) اخبار منه تعالى بان الإنسان خلق هلوعاً و الهلوع هو الشديد الحرص، الشديد الجزع من الضجر- فى قول ابن عباس و عكرمة- و قيل: معناه خلق ضعيفاً عن الصبر على الجزع و الهلع، لأنه لم يكن فى ابتداء خلقه بهلع و لا يجزع و لا يشعر بذلك حال الطفولية، و إنما جاز ان يخلق الإنسان على هذه الصفة المذمومة، لأنها تجرى مجرى خلق سهوه القبيح ليجتنب المشتهى، لان المحنة فى التكليف لا تتم إلا بمنازعة النفس إلى القبيح ليجتنب على وجه الطاعة للّه تعالى، كما لا يتم إلا بتعريف الحسن من القبيح فى العقل ليجتنب أحدهما و يفعل الآخر (إِذا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً) لو كان منقطعاً عن الاول لكان مرفوعاً، و الجزع ظهور الفزع بحال تنبئ عنه (وَ إِذا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً) معناه إذا نال الإنسان الخير و السعة فى الدنيا منع حق اللّه فيه من الزكاة و غيرها مما فرض اللّه عليه، فالمس الملاقاة من غير فعل، و يقال: مسه يمسه، و تماسا إذا التقيا من غير فعل، و ماسه مماسة. و المنع هو القطع عن الفعل بما لا يمكن وقوعه معه، و هو على وجهين: أحدهما- منع القادر ان يفعل. و الآخر- منع صاحب الحق أن يعطى حقه. و البخل منع الحق صاحبه.

و لما وصف اللّه تعالى الإنسان بالصفات المذمومة استثنى من جملتهم من لا يستحق الذم، لان الإنسان عبر به عن الناس، فهو لعموم الجنس، كما قال (إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ) «١» و كذلك- هاهنا- قال (إِلَّا الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَلى صَلاتِهِمْ دائِمُونَ)

(١) سورة ١٠٣ العصر آية ٢

و معناه الذين يستمرون على أداء الصلاة التى أوجبها اللّه عليهم لا يخلون بها و لا يتركونها. و

روى عن أبى جعفر عليه السلام أن ذلك فى النوافل يديمون عليها

و قوله (وَ الَّذِينَ هُمْ عَلى صَلَواتِهِمْ يُحافِظُونَ) «١» فى الفرائض و الواجبات (وَ الَّذِينَ فِي أَمْوالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ) فالحق وضع الشيء فى موضعه على ما يقتضيه العقل و الشرع من قولهم: حق الشيء يحق حقاً، و حقه كقولك تحققه. و المال عبارة فى الشرع عن مقدار معين من العين أو الورق يتعلق به وجوب الزكاة و اكثر ما يستعمل فى اللغة فى المواشى من الإبل و البقر و الغنم. و قال ابن عباس: الحق المعلوم هو البرّ الذى يخرج فى صدقة أو صلة رحم. و قال قتادة: هو الزكاة المفروضة (لِلسَّائِلِ وَ الْمَحْرُومِ) و السائل هو الذى يسأل و يطلب. وَ الْمَحْرُومِ، قال ابن عباس: هو المحارف و قال الحسن: هو الذى حرم أن يعطى الصدقة بتركه المسألة. و قيل: هو الذى قد حرم الرزق و هو لا يسأل الناس.

و قوله (عَذابِ يَوْمِئِذٍ) قرئ بالفتح و الكسر من «يَوْمِئِذٍ» فمن كسر الميم فعلى أصل الاضافة، لان الذى أضيف اليه الاول مخفوض أيضاً بالاضافة فهذا مضاف إلى مضاف. و من فتح فلأنه مضاف إلى غير متمكن مضاف إلى (إذ) و (إذ) مبهمة و معناه يوم إذ يكون كذا و يكون كذا فلما كانت مبهمة و أضيف اليها بنى المضاف اليها على الفتح و انشد:

لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت حمامة فى غصون ذات او قال «٢»

لما أضاف (غير) إلى (ان) بناها على الفتح، و هى فى موضع رفع، و روى (غير أن) نطقت بالرفع.

(١) سورة ٢٣ المؤمنون آية ٩

(٢) مر فى ۴/ ۴۷۹ و ۸/ ۵۱ و ۹/ ۳۸۳

قوله تعالى:[سورة المعارج (٧٠): الآيات ٢۶ الى ٣۵] ..... ص: ١٢٣

وَ الَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (٢۶) وَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (٢٧) إِنَّ عَذابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (٢٨) وَ الَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ (٢٩) إِلَّا عَلى أَزْواجِهِمْ أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٣٠)

فَمَنِ ابْتَغى وَراءَ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ العادُونَ (٣١) وَ الَّذِينَ هُمْ لِأَماناتِهِمْ وَ عَهْدِهِمْ راعُونَ (٣٢) وَ الَّذِينَ هُمْ بِشَهاداتِهِمْ قائِمُونَ (٣٣) وَ الَّذِينَ هُمْ عَلى صَلاتِهِمْ يُحافِظُونَ (٣۴) أُولئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ (٣۵)

عشر آيات.

قرأ (شهاداتهم) على الجمع حفص و يعقوب و عياش و سهل، لاختلاف الشهادات. الباقون (بشهادتهم) على التوحيد، لأنه لفظ جنس يقع على القليل و الكثير. و قرأ ابن كثير وحده (لامانتهم) على التوحيد، لأنه اسم جنس. الباقون على الجمع لاختلاف الأمانات.

عطف اللَّه تعالى على صفات المؤمنين و زاد فى مدحهم، فقال (وَ الَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ) أى يؤمنون بأن يوم الجزاء و الحساب يوم القيامة حق، و لا يشكون فى ذلك، و التصديق الإقرار بأن الخبر صادق، فلما كان المؤمنون قد أقروا ان كل من اخبر بصحة يوم الدين فهو صادق، كانوا مصدقين به، فأما المصدق بيوم الدين تقليداً، فمن الناس من قال: هو ناج. و منهم من قال: لا يطلق عليه مصدق بيوم الدين، لأنها صفة مدح، و ذلك أنه من أخلص هذا المعنى على جهة الطاعة للَّه تعالى التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١٢۴

به استحق المدح و الثواب، و المقلد عاص بتقليده، لأنه لا يرجع فيه إلى حجة.

و قوله (وَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ) فالاشفاق رقة القلب عن تحمل ما يخاف من الأمر، فإذا قسا قلب الإنسان بطل الإشفاق، و كذلك إذا أمن كحال أهل الجنة إذ قد صاروا إلى غاية الصفة بحصول المعارف الضرورية. و قيل:

من اشفق من عذاب اللَّه لم يتعد له حداً و لم يضيع له فرضاً.

و قوله (إِنَّ عَذابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ) اخبار منه تعالى بأن عذاب اللَّه لا يوثق بأنه لا يكون، بل المعلوم أنه كائن لا محالة. و المعنى إن عذاب اللَّه غير مأمون على العصاة، يقال: فلان مأمون على النفس و السر و المال، و كل ما يخاف انه لا يكون، و نقيضه غير مأمون.

و قوله (وَ الَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ إِلَّا عَلى أَزْواجِهِمْ أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ) و معناه إنهم يمنعون فروجهم على كل وجه و سبب إلا على الازواج و ملك الايمان فكأنه قال: لا يبذلون الفروج إلا على الازواج أو ملك الايمان، فلذلك جاز ان يقول (حافِظُونَ إِلَّا عَلى أَزْواجِهِمْ) و هم حافظون لها على الازواج، فإنما دخلت (إلا) للمعنى الذى قلناه. و قال الزجاج تقديره: إلا من أزواجهم ف (على) بمعنى (من) او تحمله على المعنى، و تقديره فإنهم غير ملومين على أزواجهم و يلامون على غير أزواجهم، و قال الفراء: لا يجوز أن تقول: ضربت من القوم إلا زيداً، و انت تريد إلا أنى لم اضرب زيداً. و الوجه فى الآية أن نحملها على المعنى، و تقديره و الذين هم لفروجهم حافظون، فلا يلامون إلا على غير أزواجهم. و مثله أن يقول القائل:

أصنع ما شئت إلا على قتل النفس، فإنك غير معذب، فمعناه إلا إنك معذب فى قتل النفس.

و قوله (فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ) أى لا يلامون هؤلاء إذا لم يحفظوا فروجهم التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١٢۵

من الازواج، و ما ملكت أيمانهم من الإماء على ما أباحه اللَّه لهم.

ثم قال (فَمَنِ ابْتَغى وَراءَ ذلِكَ) و معناه فمن طلب وراء ما أباحه اللَّه له من الفروج إما بعقد الزوجية أو بملك اليمين (فَأُولئِكَ هُمُ العادُونَ) الذين تعدوا حدود اللَّه و خرجوا عما أباحه اللَّه لهم فالابتغاء الطلب و معنى (وَراءَ ذلِكَ) ما خرج عن حده من أى جهة كان، و قد يكون وراءه بمعنى خلفه نقيض أمامه إلا أنه- هاهنا- الخارج عن حده كخروج ما كان خلفه. و العادى الخارج عن الحق، يقال: عدا فلان فهو عاد إذا اعتدى، و عدا فى مشيه يعدو عدواً إذا أسرع فيه، و هو الأصل. و العادى الظالم بالاسراع إلى الظلم.

و قوله (وَ الَّذِينَ هُمْ لِأَماناتِهِمْ وَ عَهْدِهِمْ راعُونَ) فالامانة المعاقدة بالطمأنينة على حفظ ما تدعو اليه الحكمة. و قيل: الأمانة معاقدة بالثقة على ما تدعو اليه الحكمة.

و قد عظم اللَّه أمر الامانة بقوله (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمانَةَ عَلَى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ الْجِبالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها وَ أَشْفَقْنَ مِنْها وَ حَمَلَهَا الْإِنْسانُ) «١» و من وحد لفظ الامانة، فلأنها للجنس تقع على القليل و الكثير، و من جمع أراد اختلاف ضروبها. و قال قوم: المراد بالأمانة الايمان و ما أخذه اللَّه على عباده من التصديق بما أوجب عليهم و العمل بما يجب عليهم العمل به، و يدخل فى ذلك الايمان و غيره، و قوله (راعُونَ) معناه حافظون.

و قوله (وَ الَّذِينَ هُمْ بِشَهاداتِهِمْ قائِمُونَ) مدح للمؤمنين بأنهم يقيمون الشهادة التى يلزمهم إقامتها. و من وحد لفظ الشهادة، فكما قلناه فى الامانة سواء، و الشهادة الاخبار بالشيء على أنه على ما شاهده، و ذلك أنه يكون عن مشاهدة للخبر به، و قد يكون عن مشاهدة ما يدعو اليه.

و قوله (وَ الَّذِينَ هُمْ عَلى صَلاتِهِمْ يُحافِظُونَ) وصف لهم بأنهم يحافظون على

---

(١) سورة ٣٣ الأحزاب آية ٧٢

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١٢٦

صلاتهم فلا يضيعونها و قيل إنهم يحافظون على مواقيتها فلا يتركونها حتى تفوت ثم قال «أُولئِكَ» يعنى المؤمنين الذين وصفهم بالصفات المتقدمة «فِي جَنَّاتٍ» أى بساتين يجنها الشجر (مكرمون) أى معظمون مبجلون بما يفعل بهم من الثواب و الإكرام و هو الإعظام على الإحسان، و الإكرام قد يكون بالإحسان، و قد يكون بكبر الشأن فى صفة العالم القادر الغنى الذى لا يجوز عليه صفات النقص، فالاعظام بالإحسان و بكبر الشأن فى أعلى المراتب للَّه تعالى لا يستحقه سواه.

قوله تعالى:[سورة المعارج (٧٠): الآيات ٣٦ الى ٤٤] ..... ص: ١٢٦

فَما لِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ (٣٦) عَنِ الْيَمِينِ وَ عَنِ الشِّمالِ عِزِينَ (٣٧) أَ يَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ (٣٨) كَلَّا إِنَّا خَلَقْناهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ (٣٩) فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشارِقِ وَ الْمَغارِبِ إِنَّا لَقادِرُونَ (٤٠)

عَلى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْراً مِنْهُمْ وَ ما نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٤١) فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَ يَلْعَبُوا حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٤٢) يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْداثِ سِراعاً كَأَنَّهُمْ إِلى نُصُبٍ يُوفِضُونَ (٤٣) خاشِعَةً أَبْصارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كانُوا يُوعَدُونَ (٤٤)

تسع آيات.

قرأ (نصب) بضمتين أهل الشام، و حفص عن عاصم، و سهل، على انه جمع (نصب) مثل رهن و رهن- فى قول أبى عبيدة- و قال غيره: هما لغتان، مثل ضَعف و ضُعف. الباقون بفتح النون خفيفة. و النصب الصنم الذى كانوا يعبدونه، التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١٢٧

سمى بذلك. و قيل: النصب نصب الصنم الذى كانوا يعبدونه. و قيل: معناه إلى علم يسبقون اليه قد نصب لهم. و قرأ الأعشى (يخرجون) بضم الياء. الباقون بفتحها أضافوا الخروج اليهم.

يقول اللَّه تعالى على وجه الإنكار على الكفار (فَما لِ الَّذِينَ كَفَرُوا) و معناه أى شيء للذين كفروا بتوحيد اللَّه و جحدوا نبوتك (قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ) أى نحوك مسرعين- فى قول أبى عبيدة- و قال الحسن: معناه منطلقين. و قال قتادة: عامدين و قال ابن زيد: معناه لا يطرقون أى شاخصون. و جميع ذلك بمعنى الاسراع الى الشيء، فمرة بتشوقه و مرة بقصده و مرة بشخوصه. و قال الزجاج: المهطع المقبل ببصره على الشيء لا يزايله، و ذلك من نظر العدو، و إنما أنكر عليهم الاسراع اليه لأنهم أسرعوا اليه ليأخذوا الحديث منه ثم

يتفرقون عزين بالتكذيب عليه- ذكره الحسن- و قيل: أسرعوا اليه شخوص المتعجب منه. و قيل: أسرعوا اليه لطلب عيب له. و قيل: معناه فما للذين كفروا مسرعين فى نيل الجنة مع الإقامة على الكفر و الاشراك باللّه فى العبادة.

و قوله (عَنِ الْيَمِينِ وَ عَنِ الشِّمالِ عِزِينَ) قال ابن عباس: عن اليمين و الشمال معرضين يستهزؤن، و معنى (عزين) جماعات فى تفرقة نحو الكراريس واحدهم عزة، و جمع بالواو و النون، لأنه عوض مما حذف منه، و مثله سنة و سنون.

و أصل عزة عزوة من عزاه يعزوه إذا أضافه إلى غيره، و كل واحدة من هذه الجماعة مضافة إلى الاخرى، و قال الراعى:

أ خليفة الرحمن إن عشيرتى أمسى سوامهم عزين فلو لا «۱»

و قوله (أَ يَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ) فمن ضم الياء،

---

(۱) مجاز القرآن ۲/ ۲۷۰ و الطبرى ۲۹/ ۴۷

التبيان فى تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۱۲۸

و هم أكثر القراء جعل الفعل لما لم يسم فاعله. و فتح الحسن الياء لأنهم إذا أدخلوا فقد دخلوا. و معنى الآية الإنكار عليهم قولهم: إن دخل أصحاب محمد الجنة، فانا ندخلها قبلهم لا محالة، فقيل و أى شىء لكم عند اللّه يوجب هذا؟ و لم تحتقرون هؤلاء؟ و قد خلقناهم جميعاً مما يعلمون أى من تراب.

و قوله (كَلَّا إِنَّا خَلَقْناهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ) قال الحسن: خلقناهم من النطفة، و قال قتادة: إنما خلقت من قذر يا بن آدم فاتق اللّه. و قال الزجاج: أى من تراب، ثم من نطفة، فأى شىء لهم يدخلون به الجنة، و هم لك على العداوة، و هذا حجاج لأن خلقهم من ماء مهين يقتضى أنهم خلقوا للعبادة، فجعل فى خلقهم من هذا عبرة، و لو لا ذلك لابتدأهم فى نعيم الجنة، و لم يكن لتنقلهم فى الصور و الأحوال معنى فى الحكمة، و قال بعضهم: المعنى خلقناهم من الذين يعلمون أو من الخلق أو الجنس الذى يعلمون و يفقهون، و تلزمهم الحجة، و لم يخلقهم من الجنس الذى لا يفقه كالبهائم و الطير، و إنما قال (مِمَّا يَعْلَمُونَ) فجمع، لأنه قال قبل ذلك (خلقناهم) فجمع (يعلمون) و وجه أخر و هو أنه خلقهم من أجل ما يعلمون من الثواب و العقاب و التكليف للطاعات تعريضاً للثواب، كما يقول القائل: غضبت عليك مما تعلم أى من أجل ما تعلم قال الأعشى:

أ أزمعت من آل ليلى ابتكاراً و شطت على ذى هوى أن تزاوا «۱»

على انه لم يزمع من عندهم، و إنما أزمع من أجلهم للمصير اليهم.

و قوله (فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشارِقِ وَ الْمَغارِبِ) قسم من اللّه تعالى برب المطالع و المغارب، و (لا) مفخمة و قد بينا القول فى ذلك. و قال ابن عباس: الشمس لها ثلاثمائة و ستون مطلعاً كل يوم مطلع لا تعود اليه إلا إلى قابل. و قوله (إِنَّا لَقادِرُونَ)

---

(۱) ديوانه ۸۰ و اللسان (زمع)

التبيان فى تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۱۲۹

جواب القسم و فيه إخبار من اللّه تعالى بأنه قاد (عَلى أَنْ نُبَدِّلَ) بالكفار (خَيْراً مِنْهُمْ) فالتبديل تصيير الشىء موضع غيره، بدله تبديلا و أبدله إبدالا. و البدل الكائن فى موضع غيره. و قوله (وَ ما نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ) عطف على جواب القسم، و معناه إن هؤلاء الكفار لا يفوتون بأن يتقدموا على وجه يمنع من لحاق العذاب بهم فلم يكونوا سابقين، و لا العقاب مسبوقاً منهم، فالسبق تقدم الشىء فى وقت قبل وقت غيره. و التقدير و ما نحن بمسبوقين بفوت عقابنا إياهم، و كأنه لو فاتهم عقابنا لكنا قد سبقنا، و ما نحن بمسبوقين. و قيل: معناه و ما أهل سلطاننا بمسبوقين. و قيل:

و ما نحن بمغلوبين بالفوت. ثم قال على وجه التهديد لهم بلفظ الامر للنبى صلى الله عليه و آله (فَذَرْهُمْ) أى اتركهم (يَخُوضُوا وَ

يَلْعَبُوا) فان وبال ذلك عائد عليهم و العقاب المستحق على كفرهم حال بهم، و اللعب عمل للترويح عن النفس بما هو حقير فى العقل، كلعب الصبيان و من جرى مجراهم من ناقصى العقل، و لا يجوز من الحكيم أن يفعل اللعب لغيره، لأنه عمل وضيع فى الحكمة (حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِى يُوعَدُونَ) و معناه حتى يروا اليوم الذى يوعدون فيه بالعقاب على المعاصى و الثواب على الطاعات ثم بين صفة ذلك اليوم، فقال (يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْداثِ) يعنى من القبور و أحدها جدث و جدث. و نصب (سراعاً) على الحال، و معناه مسرعين (كَأَنَّهُمْ إِلى نُصُبٍ يُوفِضُونَ) شبههم فى إسراعهم من قبورهم إلى أرض المحشر بمن نصب له علم أو صنم يستبقون اليه، و الايفاض الاسراع أو فض يوفض ايفاضاً إذا أسرع قال رؤبة.

يمشى بنا الجد على أوفاض «۱»

---

(۱) اللسان (و فض)

التبيان فى تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۱۳۰

أى على عجلة. و النصب نصب الصنم الذى كانوا يعبدونه. و قيل اسم الصنم نصب و جمعه نصب مثل رهن و رهن- فى قول أبى عبيدة- و أنشد الفراء فى الايفاض:

لأنعتن نعامة ميفاضا خرجاء ظلت تطلب الافاضا «۱»

فخرجاء ذات لونين، و يقال للقميص المرقع برقعة حمراء أخرج، لأنه خرج عن لونه، و الافاض طلب ملجأ يلجأ اليه، و قال بشر بن أبى حازم:

أهاجك نصب أم بعينك منصب

و قال الأعشى:

و ذا النصب المنصوب لا تنسكنه لعافية و اللَّه ربك فاعبدا «۲»

و قوله (خاشِعَةً أَبْصارُهُمْ) أى ذليلة خاضعة (تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ) أى يغشاهم و يركبهم ذل و صغار و خزى لما يرون نفوسهم مستحقة للعقاب و اللعن من اللَّه.

ثم قال تعالى (ذلِكَ الْيَوْمُ الَّذِى كانُوا يُوعَدُونَ) به فى دار التكليف فلا يصدقون به و يجحدونه، و قد شاهدوه فى تلك الحال.

و قوله (إِنَّا لَقادِرُونَ عَلى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْراً مِنْهُمْ) لا يدل على أنه تعالى قادر على ان يبدل بالكفار من هو خيراً منه و لم يخلقهم، فيكون قد أخل بالأصلح لأنه اخبر عن انه قادر على خير منهم و قد خلق قوماً آمنوا بالنبى صلى الله عليه و آله و بذلوا نفوسهم و أموالهم.

---

(۱) اللسان (و فض)

(۲) مر فى ۱/ ۴۶۵ و ۴/ ۱۸

التبيان فى تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۱۳۱

۷۱-سورة نوح: ..... ص: ۱۳۱

اشارة

مكية فى قول ابن عباس و الضحاك و غيرهما. و هى ثمان و عشرون آية فى الكوفى، و تسع و عشرون فى البصرى، و ثلاثون فى المدنيين

[سورة نوح (٧١): الآيات ١ الى ٦] ..... ص: ١٣١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
إِنَّا أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ (١) قالَ يا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢) أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ اتَّقُوهُ وَ أَطِيعُونِ (٣) يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَ يُؤَخِّرْكُمْ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذا جاءَ لا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٤)
قالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَ نَهاراً (٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعائِي إِلاَّ فِراراً (٦)

ست آيات.

قرأ «ان اعبدوا اللَّه» بكسر النون عاصم و حمزة و ابو عمرو، على اصل التقاء الساكنين. الباقون بالضم اتباعاً للضمة على الباء فى (اعبدوا اللَّه) و قرأ الفراء «دعائى» ممدوداً إلا شبلا عن ابن كثير، فانه قصر، و فتح الياء مثل عصاى.

قال ابو على: فتح الياء و إسكانها حسنان، فاما قصر الكلمة فلم أسمعها، و يجوز أن التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١٣٢
تكون لغة.

يقول اللَّه تعالى مخبراً عن نفسه «إِنَّا أَرْسَلْنا نُوحاً» أى بعثنا نوحاً نبياً «إِلى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ» أى بأن انذر قومك، فموضع (أن) نصب بسقوط الباء.

و قال قوم: موضعه الجر لقوة حذفها مع (أن). و قال آخرون: يجوز أن تكون (أن) بمعنى أى المفسرة، فلا يكون لها موضع من الاعراب. و قرأ ابن مسعود «أرسلنا نوحاً إلى قومه أنذر» بلا (أن) لأن معنى الإرسال معنى القول فكأنه قال: قلنا له: أنذر قومك. و الانذار التخويف بالاعلام بموضع المخافة ليتقى.

و نوح عليه السلام قد انذر قومه بموضع المخافة و هى عبادة غير اللَّه، و انتهاك محارمه، و أعلمهم وجوب طاعته و إخلاص عبادته. و قوله «مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ» معناه أعلمهم وجوب عبادة اللَّه و خوفهم خلافه من قبل أن ينزل عليهم العذاب المؤلم، فانه إذا نزل بهم العذاب لم ينتفعوا بالإنذار و لا تنفعهم عبادة اللَّه حينئذ، لأنهم يكونون ملجئين إلى ذلك. و قال الحسن: أمره بأن ينذرهم عذاب الدنيا قبل عذاب الآخرة.

ثم حكى أن نوحاً عليه السلام امتثل ما أمره اللَّه به و (قالَ) لقومه «يا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ اتَّقُوهُ» أى مخوفكم عبادة غير اللَّه او أحذركم معصية اللَّه مظهر ذلك لكم (وَ اتَّقُوهُ) بترك معاصيه «وَ أَطِيعُونِ» فيما أمركم به لأن طاعتى مقرونة بطاعة اللَّه، و تمسككم بطاعتى لطف لكم فى التمسك بعبادة اللَّه، و اتقاء معاصيه، فلذلك وجب عليكم ما أدعوكم اليه على وجه الطاعة، و طاعة اللَّه واجبة عليكم لمكان النعمة السابغة عليكم التى لا يوازيها نعمة منعم.

ثم بين لهم ما يستحقون على طاعة اللَّه و طاعة رسوله فقال متى فعلتم ذلك «يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ» و دخلت (من) زائدة و قيل (من) معناها (عن) التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١٣٣

و التقدير يصفح لكم عن ذنوبكم، و تكون عامة. و قيل: إنها دخلت للتبعيض، و معناها يغفر لكم ذنوبكم السالفة، و هى بعض الذنوب التى تضاف اليهم، فلما كانت ذنوبهم التى يستأنفونها لا يجوز الوعد بغفرانها مطلقاً- لما فى ذلك من الإغراء بالقبيح- قيدت هذا التقييد. و قيل: معناها «يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ» بحسب ما تكون التوبة متعلقة بها، فهذا على التبعيض إن لم يقلعوا إلا عن البعض. و هذا على مذهب من يقول: تصح التوبة من قبيح مع المقام على قبيح آخر يعلم قبحه. و قال الزجاج:

دخلت (من) لتخص الذنوب من سائر الأشياء، لا لتبعيض الذنوب.

و أكثر النحويين و أكثر القراء على إظهار الراء عند اللام فى (يَغْفِرْ لَكُمْ) و أختار ابو عمرو الإدغام، لان إذهاب التكرير لا يخل، لان الثانى مثل الأول.

و إنما يخل إذهاب ما له حس فى المسموع، كالذى لحروف الصفير و بحروف المدّ و اللين و قوله «وَ يُؤَخِّرْكُمْ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى»

عطف على الجزاء فلذلك جزمه، و المعنى إنكم إن أطعتم اللَّه و رسوله غفر لكم ذنوبكم و أخركم إلى الأجل المسمى عنده. و فى الآية دليل على الأجلين، لان الوعد بالأجل المسمى مشروط بالعبادة و التقوى، فلما لم يقع اقتطعوا بعذاب الاستئصال قبل الأجل الأقصى بأجل أدنى. و كل ذلك مفهوم هذا الكلام. و قيل تقديره إن الأجل الأقصى لهم إن آمنوا، و ليس لهم إن لم يؤمنوا، كما أن الجنة لهم إن آمنوا و ليست لهم إن لم يؤمنوا.

ثم اخبر «إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ» الأقصى إذا جاء لا يؤخر «لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» صحة ذلك و تؤمنون به، و يجوز ذلك أن يكون اخباراً من اللَّه عن نفسه، و يجوز ان يكون حكاية عن نوح أنه قال ذلك لقومه.

ثم حكى تعالى ما قال نوح للَّه تعالى فانه قال يا «رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَ نَهاراً» الى عبادتك و خلع الأنداد من دونك و الى الإقرار بنبوتى «فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعائِي التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١٣۴

إِلَّا فِراراً»

أى لم يزدادوا بدعائى الا فراراً عن قبوله و بعداً عن استماعه، و انما سمى كفرهم عند دعائه زيادة فى الكفر، لأنهم كانوا على كفر باللَّه و ضلال عن حقه، ثم دعاهم نوح إلى الإقرار به و حثهم على الاقلاع عن الشرك، فلم يقبلوا، فكفروا بذلك، فكان ذلك زيادة فى الكفر، لأن الزيادة اضافة شيء إلى مقدار بعد حصوله منفرداً، و لو حصلا ابتداء فى وقت واحد لم يكن أحدهما زيادة على الآخر، و لكن قد يكون زيادة على العطية. قيل: و إنما جاز أن يكون الدعاء الى الحق يزيد الناس فراراً منه للجهل الغالب على النفس، فتارة يدعو الى الفرار مما نافره، و تارة يدعو الى الفساد الذى يلائمه و يشاكله فمن هاهنا لم يمتنع وقوع مثل هذا، و الفرار ابتعاد عن الشيء رغبة عنه او خوفاً منه، فلما كانوا يتباعدون عن سماع دعائه رغبة عنه كانوا قد فروا منه.

قوله تعالى: [سورة نوح (٧١): الآيات ٧ الى ١۴] ..... ص: ١٣۴

وَ إِنِّي كُلَّما دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصابِعَهُمْ فِي آذانِهِمْ وَ اسْتَغْشَوْا ثِيابَهُمْ وَ أَصَرُّوا وَ اسْتَكْبَرُوا اسْتِكْباراً (٧) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهاراً (٨) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَ أَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْراراً (٩) فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كانَ غَفَّاراً (١٠) يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً (١١)
وَ يُمْدِدْكُمْ بِأَمْوالٍ وَ بَنِينَ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهاراً (١٢) ما لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقاراً (١٣) وَ قَدْ خَلَقَكُمْ أَطْواراً (١۴)

ثمان آيات. التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١٣۵

لما حكى اللَّه تعالى عن نوح أنه قال يا رب انى دعوت قومى الى طاعتك ليلا و نهاراً فلم يزدادوا عند دعائى إلا بعداً عن القبول قال «وَ إِنِّي كُلَّما دَعَوْتُهُمْ» إلى اخلاص عبادتك «لِتَغْفِرَ لَهُمْ» معاصيهم جزاء على ذلك «جَعَلُوا أَصابِعَهُمْ فِي آذانِهِمْ» لئلا يسمعوا كلامى و دعائى «وَ اسْتَغْشَوْا ثِيابَهُمْ» أى طلبوا ما يستترون به من الثياب و يختفون به لئلا يرونه. و قال الزجاج: معناه إنهم كانوا يسدون آذانهم و يغطون وجوههم لئلا يسمعوا كلامه. فالاستغشاء طلب الغشى، فلما طلبوا التغشى بثيابهم فراراً من الداعى لهم، كانوا قد استغشوا «و أصروا» أى أقاموا على كفرهم و معاصيهم عازمين على فعل مثله، فالإصرار الاقامة على الأمر بالعزيمة عليه فلما كانوا مقيمين على الكفر بالعزم عليه كانوا مصرّين. و قيل إن الرجل منهم كان يذهب بابنه إلى نوح، فيقول لابنه: احذر هذا لا يغوينك، فان أبى قد ذهب بى اليه و أنا مثلك، فحذرنى كما حذرتك، ذكره قتادة. و قوله «وَ اسْتَكْبَرُوا اسْتِكْباراً» أى طلبوا بامتناعهم من القبول منى و اخلاص عبادتك تجبراً فى الأرض و علواً فيها.

ثم حكى أنه قال «ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهاراً» أى اعلاناً «ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ» أى أظهرت الدعاء لهم الى عبادتك تارة «وَ أَسْرَرْتُ لَهُمْ» أى و أخفيت لهم الدعاء الى مثل ذلك كرة أخرى «فَقُلْتُ» لهم «اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ» أى اطلبوا المغفرة على كفركم و معاصيكم من اللَّه تعالى «إِنَّهُ كانَ غَفَّاراً» لكل من طلب منه المغفرة و يغفر فيما بعد لمن يطلب منه ذلك و متى فعلتم ذلك و اطعمتموه و رجعتم عن كفركم و معاصيكم «يُرْسِلِ» اللَّه تعالى «السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً» أى كثيرة الدرور بالغيث و المطر، و قيل: إنهم كانوا قحطوا و أجدبوا و

هلكت أولادهم و مواشيهم، فلذلك رغبهم فى ترك ذلك بالرجوع الى اللّه، و الدرور تجلب الشيء حالا بعد حال على الاتصال يقال: درّ درّاً و دروراً فهو دار، و المطر الكثير الدّرور مدراراً. و قيل: التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١٣٦

ان عمر لما خرج يستسقى لم يزد على الاستغفار و تلا هذه الآية. و قوله «وَ يُمْدِدْكُمْ بِأَمْوالٍ وَ بَنِينَ» عطف على الجزاء. و تقديره إنكم متى أطعتموه و عبدتموه مخلصين أرسل عليكم المطر مدراراً و أمدكم بأموال و بنين، فالامداد إلحاق الثانى بالأول على النظام حالا بعد حال، يقال: أمده بكذا يمده امداداً، و مد النهر و أمده نهر آخر. و الأموال جمع المال، و هو عند العرب النعم. و البنون جمع ابن، و هو الذكر من الولد «وَ يَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ» أى بساتين تجنها الأشجار «وَ يَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهاراً» و هو جمع نهر و هو المجرى الواسع للماء دون سعة البحر و فوق الجدول فى الاتساع لان الجدول النهر الصغير يرى شدة جريه لضيقه و يخفى فى النهر ضرباً من الخفاء لسعته ثم قال لهم على وجه التبكيت «ما لَكُمْ» معاشر الكفار «لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقاراً» أى عظمة- فى قول ابن عباس و مجاهد و الضحاك- و المراد- هاهنا- سعة مقدوراته تعالى، و أصل الوقار ثبوت ما به يكون الشيء عظيماً من الحكم و العلم الذى يمتنع معه الخرق. و منه قرّه فى السمع و وعاه فى القلب إذا ثبت فى السمع و حفظه القلب. و قيل: معنى ترجون تخافون. قال أبو ذؤيب:

إذا لسعته النحل لم يرج لسعها و خالفها فى بيت نوب عوامل «١»

أى لم يخف، و كأنه قال: ما لكم لا ترجون للّه عاقبة عظيمة من الثواب بالخلود فى النعيم أو تخافون عاقبة عصيانه بالدخول فى عذاب النار «وَ قَدْ خَلَقَكُمْ أَطْواراً» فالاطوار انتقال الأحوال حالا بعد حال. و قيل: معناه صبياً ثم شاباً ثم شيخاً ثم غير عاقل ثم عاقلا و ضعيفاً ثم قوياً. و قال: ابن عباس و قتادة و مجاهد و الضحاك و ابن زيد: نطفة ثم علقة ثم مضغة. و قيل: معناه على ألوان مختلفة بيضاء و سوداء و شقراء و صفراء.

---

(١) مر فى ٢/ ٢١٠ و ٣/ ٣١٥ و ٧/ ٤٩١ و ٨/ ١٨٧

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١٣٧

قوله تعالى:[سورة نوح (٧١): الآيات ١٥ الى ٢٠] ..... ص: ١٣٧

أَ لَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَماواتٍ طِباقاً (١٥) وَ جَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَ جَعَلَ الشَّمْسَ سِراجاً (١٦) وَ اللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَباتاً (١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيها وَ يُخْرِجُكُمْ إِخْراجاً (١٨) وَ اللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِساطاً (١٩)

لِتَسْلُكُوا مِنْها سُبُلاً فِجاجاً (٢٠)

ست آيات.

يقول اللّه تعالى مخاطباً لخلقه المكلفين، و منبهاً لهم على توحيده و إخلاص عبادته «أَ لَمْ تَرَوْا» و معناه أ لم تعلموا «كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَماواتٍ» أى اخترع سبع سموات «طِباقاً» أى واحدة فوق الأخرى فالطباق مصدر طابقت مطابقة و طباقاً.

و الطباق منزلة فوق منزلة. و نصب (طِباقاً) على احد وجهين:

أحدهما- على الفعل و تقديره و جعلهن طباقاً.

و الآخر- جعله نعتاً ل (سَبْعَ). و جعل «الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً»

روى أن الشمس يضيء ظهرها لما يليها من السموات، و يضيء وجهها لأهل الأرض، و كذلك القمر.

و المعنى و جعل الشمس و القمر نوراً فى السموات و الأرض. و قال قوم: معنى «فِيهِنَّ» معهن، و حروف الصفات بعضها يقوم مقام بعض. و قال قوم: معناه فى حيزهن، و إن كان فى واحدة منها، كما يقول القائل: إن فى هذه الدور لبئراً و إن كان فى واحدة منها، و كذلك يقولون: هذا المسجد فى سبع قبائل و إن كان فى إحداها. و الجعل حصول الشيء على المعنى بقادر عليه. و قد يكون التبيان

فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١٣٨

ذلك بحدوث نفسه. و قد يكون بحدوث غيره له. و الجعل على أربعة أوجه:

أولها- أحداث النفس، كجعل البناء و النساجة و غير ذلك.

و الثانى- بقلبه، كجعل الطين خزفاً.

و الثالث- بالحكم كجعله كافراً أو مؤمناً.

و الرابع- بالدعاء إلى الفعل كجعله صادقاً و داعياً.

و النور جسم شعاعى فيه ضياء كنور الشمس، و نور القمر، و نور النار، و نور النجوم، و شبه بذلك نور الهدى الى الحق. فاللَّه تعالى جعل القمر ضياء فى السموات السبع- فى قول عبد اللَّه بن عمر- و قيل: جعله نوراً فى ناحيتهن «وَ جَعَلَ الشَّمْسَ سِراجاً» فالسراج جسم يركبه النور للاستصباح به، فلما كانت الشمس قد جعل فيها النور للاستضاءة به كانت سراجاً، و هى سراج العالم كما أن المصباح سراج هذا الإنسان.

و قوله «وَ اللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَباتاً» فالانبات إخراج النبات من الأرض حالا بعد حال. و النبات هو الخارج بالنموّ حالا بعد حال، و التقدير فى «أنبتكم نباتاً» أى فنبتم نباتاً، لان أنبت يدل على نبت، من جهة انه متضمن به.

و قوله «ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيها» فالاعادة النشأة الثانية، فالقادر على النشأة الأولى قادر على الثانية، لأنه باق قادر على اختراعه من غير سبب يولده. و المعنى إن اللَّه يردّكم فى الأرض بأن يميتكم فتصيروا ترابا كما كنتم أول مرة «وَ يُخْرِجُكُمْ إِخْراجاً» منها يوم القيامة كما قال «مِنْها خَلَقْناكُمْ وَ فِيها نُعِيدُكُمْ وَ مِنْها نُخْرِجُكُمْ تارَةً أُخْرى» «١» ثم قال «وَ اللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِساطاً» أى مبسوطة يمكنكم المشى عليها و الاستقرار فيها. و بين أنه إنما جعلها، كذلك «لِتَسْلُكُوا مِنْها سُبُلًا فِجاجاً» فالفجاج

---

(١) سورة ٢٠ طه آية ٥٥ [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١٣٩

جمع (فج) و هى الطريقة المتسعة المتفرقة، و قيل: طرقاً مختلفة- ذكره ابن عباس- و الفج المسلك بين جبلين، و منه الفج الذى لم يستحكم أمره، كالطريق بين جبلين.

و إنما عدد تعالى هذه الضروب من النعم امتناناً على خلقه و تنبيهاً لهم على استحقاقه للعبادة الخالصة من كل شرك، و دلالة لهم على انه عالم بمصالح خلقه، و مدبر لهم على ما تقتضيه الحكمة، فيجب أن يشكروه على هذه النعمة و لا يقابلونها بالكفر و الجحود.

قوله تعالى:[سورة نوح (٧١): الآيات ٢١ الى ٢٨] ..... ص: ١٣٩

قالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَ اتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مالُهُ وَ وَلَدُهُ إِلَّا خَساراً (٢١) وَ مَكَرُوا مَكْراً كُبَّاراً (٢٢) وَ قالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَ لا تَذَرُنَّ وَدًّا وَ لا سُواعاً وَ لا يَغُوثَ وَ يَعُوقَ وَ نَسْراً (٢٣) وَ قَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً وَ لا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلالاً (٢٤) مِمَّا خَطِيئاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا ناراً فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصاراً (٢٥)

وَ قالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكافِرِينَ دَيَّاراً (٢٦) إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبادَكَ وَ لا يَلِدُوا إِلَّا فاجِراً كَفَّاراً (٢٧) رَبِّ اغْفِرْ لِي وَ لِوالِدَيَّ وَ لِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ وَ لا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَباراً (٢٨)

قرأ «ماله و ولده» بالفتح نافع و عاصم و ابن عامر. و الباقون بضم الواو و سكون اللام، و هما لغتان مثل حزن و حزن و نخل و نخل و عدم و عدم. و قال قوم:

الولد- بالضم- جمع ولد مثل رهن و رهن و عرب و عرب و عجم و عجم. و قرأ نافع التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١٤٠

«ودّاً» بضم الواو. الباقون بفتحها، و هما لغتان، و هو اسم الصنم. و قال قوم:

بالضم المحبة، و بالفتح الصنم. و السواع- هاهنا- صنم، و فى غير هذا الساعة من الليل. و مثله السعواء. و قرأ ابو عمرو «خطاياهم» على جمع التكسير. الباقون «خطيئاتهم» على جمع السلامة.

حكى اللّه تعالى عن نوح أنه «قالَ» داعيا اللّه «يا رَبِّ إِنَّهُمْ» يعنى قومه «عَصَوْنِی» فيما آمرهم به و أنهاهم عنه، فالمعصية مخالفة المراد إلى المكروه المزجور عنه.

و مخالفة ما أراده الحكيم تكون على وجهين:

أحدهما- على المأذون فيه من غير أن يريده.

و الآخر- إلى المكروه المزجور عنه، فهو بالأول مقصر عن ما هو الأولى فعله.

و بالثانى عاص.

و قوله «وَ اتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مالُهُ وَ وَلَدُهُ إِلَّا خَساراً» تمام الحكاية عن نوح أنه وصف به قومه بأنهم عصوه فيما دعاهم اليه و اتبعوا الذى لم يزده ماله و ولده إلا- خساراً يعنى هلاكاً، فالخسار الهلاك بذهاب رأس المال ففيه معنى الهلاك و ليس كذلك الخسران، لأنه محتمل للقليل الذى لا يجحفه ذهابه و الكثير الذى يجحف و أما الخسار ففيه معنى ذهاب الكثير، و لهذا بنى على صفة الهلاك.

و قوله «وَ مَكَرُوا مَكْراً كُبَّاراً» فالمكر الفتل بالحيلة الخفية إلى خلاف الجهة الموافقة بما فيها من المضرة، مكر يمكر مكراً، فهو ماكر، و الشيء ممكور به، قال ذو الرمة:

عجزاء ممكورة خمصانة قلق عنها الوشاح و تم الجسم و القصب «١»

أى ملتفة مفتولة. و الكبار الكبير- فى قول مجاهد و ابن زيد- يقولون عجيب

---

(١) مر فى ۴/ ۵۱۳، ۵۴۱ و ۵/ ۱۲۸

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌١٠، ص: ١٤١

و عجاب بالتخفيف و التشديد. و مثله جميل و جمال و جمال و حسن و حسان. «وَ قالُوا» يعنى الكفار بعضهم لبعض «لا- تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ» أى لا تتركوا عبادة أصنامكم «وَ لا تَذَرُنَّ وَدًّا وَ لا سُواعاً» و هما صنمان لهم كانوا يعبدونهما، فكانت (ود) لكلب (و سواع) لهمدان «و يغوث» لمذحج «و يعوق» لكنانة «و نسرا» لحمير- فى قول قتادة-.

و قوله «قَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً» معناه ضل بهم خلق كثير. و قيل: معناه إن عبادتهم أضلت خلقاً عن الثواب لمن استحق العقاب، و أضلهم بالذم و التحسر عن حال أهل الفلاح، و إنما جمع الأصنام بالواو لما أسند اليها ما يسند إلى العالم من استحقاق العبادة، و لم يصرفوا (يغوث) و (يعوق) لأنه على لفظ المضارع من الأفعال، و هى معرفة، و قد نونهما الأعمش، و أخرجهما مخرج النكرات أى صنماً من الأصنام.

ثم قال نوح «وَ لا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلالًا» و معناه إلا عذاباً و سمى العذاب ضلالا كقوله «إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِی ضَلالٍ وَ سُعُرٍ» «١» و قيل: كانت هذه الأصنام المذكورة يعبدها قوم نوح، ثم عبدتها العرب فيما بعد- فى قول ابن عباس و قتادة و الضحاك و ابن زيد- و لا يجوز فى صفة الحكيم الإضلال عن الايمان.

و قوله «مِمَّا خَطِيئاتِهِمْ» (ما) صلة و تقديره من خطاياهم بمعنى من أجل ما ارتكبوه من الخطايا و الكفر «أغرقوا» على وجه العقوبة «فادخلوا» بعد ذلك «ناراً» ليعاقبوا فيها «فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصاراً» أى من يدفع عنهم ما نزل بهم من العقاب المستحق على كفرهم.

ثم حكى ما قال نوح أيضاً فانه قال «رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكافِرِينَ دَيَّاراً»

(١) سورة ۵۴ القمر آیة ۴٧

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١۴٢

قال قتادة: ما دعا عليهم إلا بعد ما أنزل عليه «أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ» «١» فلذلك قال (إِنَّكَ) يا رب (إِنْ تَذَرْهُمْ) يعنى تتركهم و لا تهلكهم (يُضِلُّوا عِبادَكَ) عن الدين بالاغواء عنه و الدعاء إلى خلافه (وَ لا يَلِدُوا إِلَّا فاجِراً كَفَّاراً) و إلا فلم يعلم نوح الغيب، و إنما قال ذلك بعد أن اعلمه اللّه ذلك و إنما جاز أن يقول (وَ لا يَلِدُوا إِلَّا فاجِراً كَفَّاراً) فيسيمهم بالكفر و الفجور قبل أن يعملوه، لأنه على وجه الحكاية و الاخبار بما يكون منهم لو وجدوا لا على وجه الذم لهم، لاقتضاء العقل على أنه لا يذم على الكفر من لم يكن منه كفر، فكأنه قال و لا يلدوا إلا من إذا بلغ كفر، و (الديار) فيعال من الدوران، أى و لا تذر على الأرض منهم أحداً يدور فى الأرض بالذهاب و المجىء قال الشاعر:

و ما نبالى إذا ما كنت جارتنا ألا يجاورنا إلا ك ديار «٢»

أى إلا إياك، فجعل المتصل موضع المنفصل ضرورة. و قال الزجاج: تقول ما فى الدار أحد، و لا بها ديار، و أصله ديوار (فيعال) فقلبت الواو ياء. و أدغمت إحداهما فى الاخرى. و الفاجر من فعل الفجور، و هى الكبيرة التى يستحق بها الذم. و (الكفار) من اكثر من فعل الكفر لأنه لفظ مبالغة. و كافر يحتمل القليل و الكثير.

ثم حكى ان نوحاً سأل اللّه تعالى فقال (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَ لِوالِدَيَّ وَ لِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ) قيل المراد بالبيت مسجده. و قيل أراد سفينته.

و ذلك على وجه الانقطاع اليه تعالى، لأنه لا يفعل معصية يستحق بها العقاب.

فأما والداه و المؤمنون و المؤمنات الذين استغفر لهم فيجوز أن يكون منهم معاص يحتاج أن يستغفرها لهم.

(١) سورة ١١ هود آية ٣۶

(٢) أوضح المسالك ١/ ۶٠

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١۴٣

و قوله (وَ لا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَباراً) فالتبار الهلاك و العقاب، و كل من أهلك فقد تبر، و لذلك سمى كل شىء مكسر تبراً، و يجوز أن يكون معناه لا تزدهم إلا ضلالا أى عذاباً على كفرهم. و قال البلخى: لا تزدهم إلا منعاً من الطاعات عقوبة لهم على كفرهم، فإنهم إذا ضلوا استحقوا منع الألطاف التى يفعل بالمؤمنين فيطيعون عندها، و يمتثلون أمر اللّه، و لا يجوز أن يفعل بهم الضلال عن الحق، لأنه سفه فتعالى اللّه عن ذلك علواً كبيراً.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١۴۴

٧٢-سورة الجن ..... ص: ١۴۴

اشارة

مكية فى قول قتادة و ابن عباس و الضحاك و غيرهم و هى ثمان و عشرون آية ليس فيها اختلاف. قال الحسن: نزلت هذه السورة فقرأها رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله على نفر من الجن فآمنوا به فأتوا قومهم فقالوا «إِنَّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً» و كان يقول بعث اللّه محمداً إلى الجن و الانس و قال غيره من المفسرين: لما رميت الشياطين بالشهب و منعوا من صعود السماء، قال لهم إبليس ما هذا

الحادث؟ فبث شياطينه فى الأرض فبعث قوماً من جن اليمن فلقوا النبى صلى اللّه عليه و آله بمكة يصلى بأصحابه و يقرأ القرآن فأعجبهم ذلك و آمنوا به، و أخبروا قومهم فقال إبليس لهذا رجمتم.

[سورة الجن (٧٢): الآيات ١ الى ١٠] ..... ص: ١۴۴

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقالُوا إِنَّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَ لَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنا أَحَداً (٢) وَ أَنَّهُ تَعالى جَدُّ رَبِّنا مَا اتَّخَذَ صاحِبَةً وَ لا وَلَداً (٣) وَ أَنَّهُ كانَ يَقُولُ سَفِيهُنا عَلَى اللَّهِ شَطَطاً (۴)
وَ أَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِباً (۵) وَ أَنَّهُ كانَ رِجالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزادُوهُمْ رَهَقاً (۶) وَ أَنَّهُمْ ظَنُّوا كَما ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَداً (٧) وَ أَنَّا لَمَسْنَا السَّماءَ فَوَجَدْناها مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَ شُهُباً (٨) وَ أَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْها مَقاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهاباً رَصَداً (٩)
وَ أَنَّا لا نَدْرِي أَ شَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً (١٠)

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١۴۵

عشر آيات.

قال الفراء: قرأ حوبة بن عابد (قل أحى إلى) أراد وحى الى مثل وعد فقلبت الواو همزة، كما قلبها فى قوله (وَ إِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ) «١» و أصله وقتت.

و العرب تقول: وحيت اليه، و أوحيت بمعنى واحد و ومأت اليه و أومات، قال الراجز:

وحى لها القرار فاستقرت «٢»

و قرأ ابن كثير و ابو عمرو (قل أوحى الى أنه استمع) و (أن لو استقاموا) (و أن المساجد للّه) و (أنه لما قام عبد اللّه) أربعة أحرف- بفتح الالف- و الباقى من أول السورة الى هاهنا بكسر الالف. و قرأ نافع و عاصم فى رواية أبى بكر كذلك، إلا قوله (و انه لما قام عبد اللّه) فانه قرأ بالكسر. الباقون بفتح جميع ذلك إلا ما جاء بعد (قول) او (فاء جزاء) فإنهم يكسرونه. من فتح جميع ذلك جعله عطفاً على (أوحى إلى انه) و أنه. و من كسر عطف على قوله (إنا) و إنا. قال

---

(١) سورة ٧٧ المرسلات آية ١١

(٢) مر فى ٢/ ۴۵٩ و ٣/ ٨۴ و ۴/ ۶١ و ۶/ ۴٠٣

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١۴۶

قوم: و من نصب فعلى تقدير آمنا به و بكذا فعطف عليه. قال الزجاج: إن عطف على الهاء كان ضعيفاً، لان عطف المظهر على المضمر ضعيف، و من جعله مفعول (آمنا) فنصبه به كأنه قال: آمنا بكذا و كذا، و أسقط الباء فنصب على المعنى، لأن معنى (آمن) صدق، فكأنه قال: صدقنا بكذا و كذا، و حذف الجار. و من كسر من هؤلاء بعد القول أو فاء الجزاء، فلأنه لا يقع بعد القول و الفاء إلا ما هو ابتداء، أو ما هو فى حكم الابتداء. و من كسر جميع ذلك جعله مستأنفاً، و لم يوقع (آمنا) عليه، و ما نصب من ذلك جعله مفعولا بإيقاع فعل عليه. فأما قوله (أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ) فمفعول (أُوحِيَ) لا غير بلا خلاف. و قرأ ابو جعفر (أن لن تقوّل الانس) على معنى تكذب. الباقون بتخفيف الواو من القول.

يقول اللّه تعالى آمراً لمحمد نبيه صلى اللّه عليه و آله (قُلْ) يا محمد لقومك و من بعثت اليه (أُوحِيَ إِلَيَّ) فالايحاء إلقاء المعنى إلى النفس خفياً كالالهام، و انزال الملائكة به لخفائه عن الناس إلا على النبى الذى انزل اليه كالايماء الذى يفهم به المعنى. و المراد-

هاهنا- انزال الملك به عليه. ثم بين ما أوحى اليه فقال (أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ) فالاستماع طلب سماع الصوت بالاصغاء اليه، و هو تطلب لفهم المعنى، و تطلب ليستدل به على صاحبه. و قيل: ان الجن لما منعوا من استراق السمع طافوا فى الأرض، فاستمعوا القرآن، فآمنوا به، فانزل بذلك الوحى على النبى صلى اللَّه عليه و آله ذكره ابن عباس و مجاهد و الضحاك و غيرهم. و النفر الجماعة. و الجن جيل رقاق الأجسام خفية على صور مخصوصة بخلاف صورة الملائكة و الناس. و قيل: العقلاء من الحيوان ثلاثة اصناف: الملائكة، و الناس، و الجن. و الملك مخلوق من النور، و الانس من الطين و الجن من النار.

ثم ذكر انه قالت الجن بعضها لبعض (إِنَّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً) و العجب هو التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١٤٧

كل شىء لا يعرف سببه. و قيل: هو ما يدعو إلى التعجب منه لخفاء سببه و خروجه عن العادة فى مثله، فلما كان القرآن قد خرج بتأليفه عن العادة فى الكلام، و خفى سببه عن الأنام كان عجباً.

و قوله (يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ) حكاية ما قالت الجن و وصفت به القرآن، فإنهم قالوا: هذا القرآن يهدى إلى ما فيه الرشاد و الحق (فَآمَنَّا بِهِ) أى صدقنا بأنه من عند اللَّه (وَ لَنْ نُشْرِكَ) فيما بعد (بِرَبِّنا أَحَداً) فنوجه العبادة اليه بل نخلص العبادة له تعالى (وَ أَنَّهُ تَعالى جَدُّ رَبِّنا) من كسر الهمزة عطفه على قوله (إِنَّا سَمِعْنا) و حكى أنهم قالوا (أَنَّهُ) و يجوز أن يكون استأنف الاخبار عنهم. و من فتح فعلى تقدير فآمنا بأنه تعالى جدّ ربنا، و معناه تعالى عظمة ربنا، لانقطاع كل شىء عظمة عنها لعلوها عليه. و منه الجد ابو الأب، و الجد الحظ لانقطاعه بعلو شأنه. و الجد ضد الهزل لانقطاعه عن السخف، و منه الجديد لأنه حديث عهد بالقطع فى غالب الأمر. و قال الحسن- فى رواية- و مجاهد و قتادة: معناه تعالى جلالته و عظمته، و فى رواية اخرى عن الحسن: تعالى غنى ربنا، و كل ذلك يرجع الى معنى وصفه بأنه عظيم غنى. و يقال: جد فلان فى قومه إذا عظم فيهم. و

روى عن أحدهما عليهم السلام انه قال: ليس للَّه جدّ و إنما قالت ذلك الجن بجهلها فحكاه كما قالت.

و قال الحسن:

ان اللَّه تعالى بعث محمداً صلى اللَّه عليه و آله إلى الانس و الجن، و انه لم يرسل رسولا قط من الجن و لا من أهل البادية، و لا من النساء، لقوله (وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرى) «١».

و قوله (مَا اتَّخَذَ صاحِبَةً وَ لا وَلَداً) على ما قال قوم من الكفار.

و قوله (وَ أَنَّهُ كانَ يَقُولُ سَفِيهُنا عَلَى اللَّهِ شَطَطاً) من كسر استأنف. و من

---

(١) سورة ١٢ يوسف آية ١٠٩

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١٤٨

نصب عطف على قوله (وَ أَنَّهُ تَعالى جَدُّ رَبِّنا) و نصب ذلك بتقدير آمنا، و قدر للباقى فعلا يليق به، و يمكن أن يعمل فيه، كما قال الشاعر:

إذا ما الغانيات برزن يوماً و زججن الحواجب و العيونا «١»

على تقدير: و كحلن العيون، و قال مجاهد و قتادة: أرادوا ب (سفيههم) إبليس و (الشطط) السرف فى ظلم النفس و الخروج عن الحق، فاعترفوا بأن إبليس كان يخرج عن الحد بما يغرى به الخلق و يدعوهم إلى الضلال.

و قوله (وَ أَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِباً) اخبار عن اعترافهم بأنهم ظنوا أن لا يقول أحد من الجن و الانس كذباً على اللَّه فى اتخاذ الشريك معه و الصاحبة و الولد، و أن ما يقولونه من ذلك صدق حتى سمعنا القرآن و تبينا الحق به.

و قوله (وَ أَنَّهُ كانَ رِجالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجالٍ مِنَ الْجِنِّ) قال البلخى:

قال قوم: المعنى إنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الانس من أجل الجن، لأن الرجال لا يكون إلا فى الناس دون الجن. و

من قال بالأول قال فى الجن رجال مثل ما فى الانس. و قال الحسن و قتادة و مجاهد: كان الرجل من العرب إذا نزل الوادى فى سفره قال: أعوذ بعزيز هذا الوادى من شر سفهاء قومه. و معنى (يَعُوذُونَ) يستجيرون، و هذا اخبار من اللّه تعالى عن نفسه دون الحكاية عن الجن. و العياذ الاعتصام و هو الامتناع بالشىء من لحاق الشر. و الرجال جمع رجل و هو الذكر البالغ من الذكران. و الإنسان يقع على الذكر و المرأة، و الصغير و الكبير ثم ينفصل كل واحد بصفة تخصه و تميزه من غيره.

و قوله (فَزادُوهُمْ رَهَقاً) أى اثماً الى اثمهم الذى كانوا عليه من الكفر و المعاصى- فى قول ابن عباس و قتادة- و قال مجاهد: يعنى طغياناً. و قال الربيع و ابن زيد:

---

(١) مر فى ٩/ ۴٩٢

يعنى فرقاً. و قيل سفهاً. قال الزجاج: يجوز ان يكون الجن زادوا الانس، و يجوز أن يكون الانس زادوا الجن رهقاً. و الرهق لحاق الإثم، و أصله اللحوق. و منه راهق الغلام إذا لحق حال الرجال قال الأعشى:

لا شىء ينفعنى من دون رؤيتها هل يشتفى وامق ما لم يصب رهقاً «١»

أى لم يعش اثماً. ثم حكى تعالى (وَ أَنَّهُمْ ظَنُّوا كَما ظَنَنْتُمْ) معاشر الانس (أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَداً) أى لا يحشره يوم القيامة و لا يحاسبه. و قال الحسن:

ظن المشركون من الجن، كما ظن المشركون من الانس (أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَداً) لجحدهم بالبعث و النشور، و استبعدوا ذلك مع اعترافهم بالنشأة الأولى، لأنهم رأوا إمارة مستمرة فى النشأة الأولى، و لم يروها فى النشأة الثانية، و لم ينعموا النظر فيعلموا أن من قدر على النشأة الأولى يقدر على النشأة الاخرى.

و قال قتادة: ظنوا أن لا يبعث اللّه احداً رسولا.

ثم حكى ان الجن قالت (أَنَّا لَمَسْنَا السَّماءَ) أى مسسناها بأيدينا. و قال الجبائى: معناه إنا طلبنا الصعود الى السماء، فعبر عن ذلك باللمس مجازاً، و انما جاز من الجن تطلب الصعود مع علمهم بأنهم يرمون بالشهب لتجويزهم أن يصادفوا موضعاً يصعدون منه ليس فيه ملك يرميهم بالشهب، او اعتقدوا أن ذلك غير صحيح، و لم يصدقوا من أخبرهم بأنهم رموا حين أرادوا الصعود (فَوَجَدْناها مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَ شُهُباً) نصب (حرساً) على التمييز و (شديداً) نعته و (شهباً) عطف على (حرساً) فهو نصب ايضاً على التمييز. و تقديره ملئت من الحرس.

و الشهب جمع شهاب، و هو نور يمتد من السماء من النجم كالنار. قال اللّه تعالى «وَ لَقَدْ زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِمَصابِيحَ وَ جَعَلْناها رُجُوماً لِلشَّياطِينِ» «٢» و الحرس جمع

---

(١) ديوانه (دار بيروت) ١٢۴

(٢) سورة ۶٧ الملك آية ۵

حارس. و قيل: إن السماء لم تحرس قط إلا لنبوة أو عقوبة عاجلة عامة.

ثم حكى أنهم قالوا ايضاً (أَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْها مَقاعِدَ لِلسَّمْعِ، فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهاباً رَصَداً) أى لم يكن فيما مضى منع من الصعود فى المواضع التى يسمع منها صوت الملائكة و كلامهم، و يسمع ذلك، فالآن من يستمع منا ذلك يجد له شهاباً يرمى به و يرصد و (شهاباً) نصب على أنه مفعول به و (رصداً) نعته.

ثم حكى انهم قالوا (وَ أَنَّا لا نَدْرِی) بما ظهر من هـذه الآيـة العجيبـة (أَ شَرٌّ أُرِیدَ بِمَنْ فِی الْأَرْضِ) من الخلق أی اهلاكاً لهم بكفرهم و عقوبة على معاصيهم (أَمْ أَرادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً) و هداية إلى الحق بأن بعث نبياً، فان ذلک خاف عنا و قال قوم: إن الشهب لم تكن قبل النبی صلى اللَّه عليه و آله و إنما رموا به عند بعثه صلى اللَّه عليه و آله و قال آخرون: الشهب معلوم أنها كانت فيما مضى من الزمان، و لكن كثرت فی زمن النبی صلى اللَّه عليه و آله و عمت لا أنها لم تكن أصلا. قال البلخی: الشهب كانت لا محالة غير انه لم تكن تمتنع بها الجن عن صعود السماء، فلما بعث النبی صلى اللَّه عليه و آله منع الجن من الصعود

قوله تعالى: [سورة الجن (٧٢): الآيات ١١ الى ٢٠] ..... ص: ١٥٠

وَ أَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَ مِنَّا دُونَ ذلِکَ كُنَّا طَرائِقَ قِدَداً (١١) وَ أَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِی الْأَرْضِ وَ لَنْ نُعْجِزَهُ هَرَباً (١٢) وَ أَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلا يَخافُ بَخْساً وَ لا رَهَقاً (١٣) وَ أَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَ مِنَّا الْقاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولئِکَ تَحَرَّوْا رَشَداً (١۴) وَ أَمَّا الْقاسِطُونَ فَكانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً (١۵)

وَ أَنْ لَوِ اسْتَقامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْناهُمْ ماءً غَدَقاً (١۶) لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَ مَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذاباً صَعَداً (١٧) وَ أَنَّ الْمَساجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً (١٨) وَ أَنَّهُ لَمَّا قامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً (١٩) قُلْ إِنَّما أَدْعُوا رَبِّی وَ لا أُشْرِکُ بِهِ أَحَداً (٢٠)

التبيان فی تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١٥١

عشر آيات.

قرأ اهل الكوفة و يعقوب و سهل (يسلكه) بالياء بمعنى يسلكه اللَّه. الباقون بالنون على وجه الاخبار منه تعالى عن نفسه بنون العظمة. و قرأ ابو جعفر و عاصم و حمزة (قل إنما ادعوا ربی) بلفظ الامر. الباقون (قال) على فعل ماض. و قرأ هشام بن عماد عن ابن عامر (لبداً) بضم اللام. الباقون بكسر اللام. و اللبد و اللبد بمعنى واحد، و جمع اللبدة لبد، مثل ظلمة و ظلم. و يقال: لا بد و لبد، مثل راكع و ركع.

يقول اللَّه تعالى فی تمام الحكاية عما قالته الجن الذين آمنوا عند سماع القرآن فإنهم قالوا (وَ أَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ) و هم الذين عملوا الصالحات و سمی صالحاً، لأنه عمل ما يصلح به حاله فی دينه. و أما المصلح فهو فاعل الصلاح الذی يقوم به أمر من الأمور، و لهذا وصف تعالى بأنه مصلح، و لم يجز وصفه بأنه صالح. و الصلاح يتعاظم استحقاق المدح عليه و الثواب كما يختلف استحقاق الشكر بالنعم، ففی النعم ما يستحق به العبادة و فيها ما لا يستحق به ذلک و إن استحق به الشكر، فلذلک قال (وَ مِنَّا دُونَ ذلِکَ) و المعنى ان منا الصالحين فی مراتب عالية و منا دون ذلک فی الرتبة.

و قوله (كُنَّا طَرائِقَ قِدَداً) قال ابن عباس و مجاهد و قتادة: يعنی على مذاهب مختلفة: مسلم، و كافر، و صالح، و دون الصالح. و الطرائق جمع طريقة و هی الجهة التبيان فی تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١٥٢

المستمرة مرتبة بعد مرتبة. و المعنى فيها إنا كنا فی طرق مختلفة. و القدد جمع قدة.

و هی المستمرة بالقد فی جهة واحدة. و القدد مضمن بجعل جاعل، و هو القادّ، و ليس كذلک الطريقة فی تضمن الصفة، و إنما هی كالمذهب الذی يمكن فيه على استمرار الى حيث انتهى اليه. و المعنى إنا كنا على طرائق متباينة كل فرقة يتباين صاحبها كما بين المقدود بعضه من بعض.

و قوله (وَ أَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِی الْأَرْضِ) فالظن- هاهنا- بمعنى العلم و المعنى اعترافهم بأن علموا أنه لا يفوت اللَّه شیء يذهب فی الأرض، و لا إذا هرب منه بسائر ضروب الهرب، و اعترفوا ايضاً فقالوا (وَ أَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدى) يعنون القرآن الذی فيه هدى كل حی (آمَنَّا بِهِ) أی صدقناه. ثم قالوا (فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ) أی من يصدق بتوحيد اللَّه و عرفه على صفاته (فَلا يَخافُ بَخْساً) أی نقصاناً فيما يستحقه من الثواب (وَ لا رَهَقاً) أی و لا يخاف ظلماً، فالرهق لحاق السرف فی الامر، و كأنه قال لا يخاف نقصاً قليلا و لا كثيراً، و

ذلـك أن اجره و ثوابه موفر على أتم ما يكون فيه. و قال ابن عباس: معناه لا يخاف نقصاً من حسـناته و لا زيادة فى سـيئاته، و هو قول الحسن و قتادة و ابن زيـد، و التقدير فمن يؤمن بربه فانه لا يخاف ثم قالوا ايضاً (وَ أَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ) يعنى الذين استسـلموا لما أمرهم اللَّه به، و انقادوا له (وَ مِنَّا الْقاسِطُونَ) يعنى الجائرون عن طريق الحق. و القاسط الجائر عن طريق الحق (فَمَنْ أَسْلَمَ) أى استسلم لأمر اللَّه (فَأُولئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً) أى طلبوا الهدى إلى الحق، أَمَّا الْقاسِطُونَ فَكانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً)

أى استحقوا بذلك أن يكونوا وقود النار يوم القيامة يحرقون بها. و قوله (وَ أَنْ لَوِ اسْتَقامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ) اخبار من اللَّه تعالى عن نفسه. و قيـل (ان) يجوز أن تكون المخففـة من الثقيلـة، فيكون محمولا على الوحى، فكأنه قال (اوحى الى أن لو اسـتقاموا) و فصل لو بينها و بين التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١٥٣

الفعـل، كما فصل (السين) و (لا) فى قوله (عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضى) «١» و قـوله (أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ) «٢» و يحتمـل أن تكون (لو) بمنزلـة اللام فى قوله (لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ) «٣» فيسقط مرة و يلحق أخرى، لان (لو) بمنزلة فعل الشـرط، فكما لحقت اللام زائدة قبل (إن) الداخلة على الشـرط قبل فعل الشرط، كذلك لحقت (أن) هذه قبل (لو) و معنى «وَ أَنْ لَوِ اسْتَقامُوا» أحد أمرين:

أحـدهما- لو اسـتقاموا على طريقـة الهـدى بدلالة قوله (وَ لَوْ أَنَّهُمْ أَقامُوا التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِيلَ وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ) «۴» و قوله (وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرى آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ وَ لكِنْ كَذَّبُوا) «۵».

الثانى- لو استقاموا على طريقة الكفر بدلالة قوله (وَ لَوْ لا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً لَجَعَلْنا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِنْ فِضَّةٍ) «۶» و قيل: انه دخلت (ان) فى (وَ أَنْ لَوِ اسْتَقامُوا) لأنه جواب القسم. و يجوز أن يحذف، كما قال الشاعر:

فأقسم لو شيء أتانا رسوله سواك و لكن لم نجد لك مدفعا «٧»

و قال آخر:

---

(١) سورة ٧٣ المزمل آية ٢٠

(٢) سورة ٢٠ طه آية ٨٩

(٣) سورة ٣٣ الأحزاب ۶٠

(۴) سورة ۵ المائدة آية ۶۹ [.....]

(۵) سورة ٧ الاعراف آية ٩۵

(۶) سورة ۴٣ الزخرف آية ٣٣

(٧) مر فى ۵/ ۵٢٩ و ۶/ ٢۵٣ و ٧/ ٣۴١ و ٩/ ١٢

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١۵۴

اما و اللَّه إن لو كنت حراً و ما بالحر أنت و لا العتيق «١»

و الاسـتقامة الاسـتمرار فى جهة العلو. و المستقيم من الكلام المستمر على طريقة الصواب. و هو نقيض المحال. و الاستقامة على طريق الحق التى يـدعو اليها العقل طاعـة اللَّه. و المعنى- هاهنا- فى قول أكثر المفسـرين: إنه لو اسـتقام العقلاء على طريقة الهدى و اسـتمروا عليها و عملوا بموجبها لجازاهم على ذلك بأن اسـقاهم ماء غدقاً، يعنى كثيراً. و الغدق بفتح الدال للمصدر، و بكسـرها اسم الفاعل، و فى ذلـك ترغيب فى الهـدى. قال الفراء: معناه و أن لو اسـتقاموا على طريقـة الكفر لفعلنا بهم ما ذكرناه تغليظاً للمحنـة فى التكليف، و لـذلك قال (لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ) أى نختبرهم بـذلك و نبلوهم به. و غـدق المكان يغدق غدقاً إذا كثر فيه الماء و الندى، و هو غدق- فى قول الزجاج- و قوله (لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ) معناه لنختبرهم و نعاملهم معاملة المختبر فى شدة التعبد بتكليف الانصـراف عما تدعو شهواتهم اليه، على

ما تقتضيه الحكمة فى ذلك و الفتنة المحنة الشديدة، و المثوبة على قدر المشقة فى الصبر عما تدعو اليه الشهوة.

ثم قال تعالى مهدداً لهم و متوعداً (وَ مَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ) و المعنى من يعدل عن الفكر فيما يؤديه الى معرفة اللَّه و توحيده و اخلاص عبادته، فالذكر حضور المعنى الدال على المذكور للنفس، و ضده السهو، و مثله حضور المعنى بالقلب. و الفكر فى وجوه السؤال عن المعنى طلب للذكر له. و الفكر فى البرهان طلب للعلم بصحة المعنى المذكور و أنه حق و نقيضه باطل. و قوله «يَسْلُكْهُ عَذاباً صَعَداً» اى متصعداً فى العظم. و قيل: متصعداً قد غمره و أطبق عليه. و معناه عذباً أشهد العذاب من قوله «سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً» «٢» فاما قول العرب: تنفس الصعداء على وزن (فعلاء) أكثر كلامهم، و منه قيل تنفس صعداً على وزن غرب و الصعود العقبة الشاقة. و قال الفراء:

---

(١) تفسير القرطبى ١٨/ ١٧

(٢) سورة ٧٤ المدثر آية ١٧

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١٥٥

الصعود صخرة ملساء فى النار و يكلف الصعود عليها، فكلما بلغ رأسها أحد هوى الى أسفلها وقوعاً.

و قوله «وَ أَنَّ الْمَساجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً» عطف عند جميع المفسرين على قوله «أوحى» كأنه قال: أوحى الى أن المساجد للَّه، و قال الخليل: التقدير، و لأن المساجد للَّه فلا تدعوا مع اللَّه أحداً مثل قوله «وَ إِنَّ هذِهِ أُمَّتُكُمْ» و تقديره:

و لأن هذه أمتكم «أُمَّةً واحِدَةً وَ أَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ» «١» و المعنى الاخبار منه تعالى بأن لا يذكر مع اللَّه فى المساجد- و هى المواضع التى وضعت للصلاة- أحد على وجه الاشتراك فى عبادته، كما يدعوا النصارى فى بيعهم و المشركون فى الكعبة. و قال الحسن: من السنة إذا دخل المسجد أن يقول: لا إله الا اللَّه، لا أدعو مع اللَّه أحداً. و قيل: معناه إنه يجب أن يدعوه بالوحدانية. و قال الفراء و الزجاج: المساجد مواضع السجود من الإنسان: الجبهة، و اليدان، و الرجلان. و زاد أصحابنا عينى الركبتين. و المعنى إنه لا ينبغى أن يسجد بهذه الأعضاء لأحد سوى اللَّه تعالى.

و قوله «وَ أَنَّهُ لَمَّا قامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً» معناه إنه لما قام محمد صلى اللَّه عليه و آله يدعو اللَّه، فيقول: لا إله الا اللَّه كادوا يكونون عليه جماعات متكاثفات بعضها فوق بعض ليزيلوه بذلك عن دعوته بإخلاص الالهية. و قال ابن عباس و الضحاك: معناه إن الجن كادوا يركبونه حرصاً على سماع القرآن منه.

و قال الحسن و قتادة: معناه تلبدت الانس و الجن على هذا الامر ليطفئوه فأبى اللَّه الا أن ينصره و يظهره على من ناواه، كما قال «يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُا نُورَ اللَّهِ بِأَفْواهِهِمْ وَ اللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ» «٢» و قال ابن عباس: هذا من قول الجن، لما رجعوا الى قومهم أخبروهم بما رأوا من طاعة أصحاب رسول اللَّه و ائتمامهم به فى الركوع

---

(١) سورة ٢١ الأنبياء آية ٩٢

(٢) سورة ٦١ الصف آية ٨

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١٥٦

و السجود، و هو قول سعيد بن جبير. و اللبد القطع المتكاثفة على الشيء واحدها لبدة، و منه اللبد لتكاثف صفوفه بعضه على بعض. و لبد رأسه إذا ألصق بعض شعره ببعض قال عبد مناف بن ربع:

صابوا بستة أبيات و اربعة حتى كأن عليهم جابياً لبدا. «١»

فالجابى الجراد الذى يجبى كل شيء يأكله.

ثم
حكى ان النبى صلى اللَّه عليه و آله قال «إِنَّما أَدْعُوا رَبِّی»
و من قرأ (قل) فمعناه إن اللَّه أمره بأن يقول: إنما أدعو ربى وحده و لا أشرك به أحداً من الأصنام و الأوثان.
و المعنيان متقاربات، لأن اللَّه تعالى إذا أمره بأن يقول فانه يقول لا محالة فقد حصل الأمران.

قوله تعالى:[سورة الجن (٧٢): الآيات ٢١ الى ٢٨] ..... ص: ١٥۶

قُلْ إِنِّی لا أَمْلِکُ لَکُمْ ضَرًّا وَ لا رَشَداً (٢١) قُلْ إِنِّی لَنْ یُجِیرَنِی مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَ لَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً (٢٢) إِلاَّ بَلاغاً مِنَ اللَّهِ وَ رِسالاتِهِ وَ مَنْ یَعْصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نارَ جَهَنَّمَ خالِدِینَ فِیها أَبَداً (٢٣) حَتَّى إِذا رَأَوْا ما یُوعَدُونَ فَسَیَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ ناصِراً وَ أَقَلُّ عَدَداً (٢۴) قُلْ إِنْ أَدْرِی أَ قَرِیبٌ ما تُوعَدُونَ أَمْ یَجْعَلُ لَهُ رَبِّی أَمَداً (٢۵)
عالِمُ الْغَیْبِ فَلا یُظْهِرُ عَلى غَیْبِهِ أَحَداً (٢۶) إِلاَّ مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ یَسْلُکُ مِنْ بَیْنِ یَدَیْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصَداً (٢٧) لِیَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسالاتِ رَبِّهِمْ وَ أَحاطَ بِما لَدَیْهِمْ وَ أَحْصى کُلَّ شَیْءٍ عَدَداً (٢٨)

---

(١) اللسان (لبد)

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١٥٧
ثمان آيات.
قرأ «ليعلم» بضم الياء يعقوب. الباقون بفتح الياء. أمر اللَّه تعالى نبيه محمد صلى اللَّه عليه و آله أن يقول للمكلفين «إِنِّی لا أَمْلِکُ لَکُمْ ضَرًّا وَ لا رَشَداً» و معناه إنى لا أقدر على دفع الضرر عنكم و لا إيصال الخير إليكم، و انما يقدر على ذلك اللَّه تعالى.
و انما أقدر على أن أدعوكم الى الخير و أهديكم الى طريق الرشاد، فان قبلتم نلتم الثواب و النفع، و ان رددتموه نالكم العقاب و أليم العذاب. ثم قال ايضاً «قُلْ» لهم يا محمد «إِنِّی لَنْ یُجِیرَنِی مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ» أى لا يقدر أن يجير على اللَّه حتى يدفع عنه ما يريده به من العقاب «وَ لَنْ أَجِدَ» أيضاً انا «مِنْ دُونِهِ» أى من دون اللَّه «مُلْتَحَداً» يعنى ملتجأ ألجأ اليه أطلب به السلامة مما يريد اللَّه تعالى فعله من العذاب و الألم. و أضافه الى نفسه، و المراد به أمته، لأنه لا يفعل قبيحاً فيخاف العقاب. و المعنى ليس من دون اللَّه ملتحد أى ملجأ.
و قوله «إِلَّا بَلاغاً مِنَ اللَّهِ وَ رِسالاتِهِ» معناه لكن املك البلاغ من اللَّه الذى هو بلاغ الحق لكل من ذهب عنه و أعرض عن اتباعه بأن أرشده الى الأدلة التى نصبها اللَّه له و أمر بالدعاء إليها سائر عباده المكلفين، كما أمر أنبياءه بتبليغ رسالاته، فيكون التقدير لا أملك إلا بلاغاً من اللَّه و رسالاته. و قيل يجوز ان يكون المراد لن يجيرنى من اللَّه أحد إن لم أبلغ رسالاته، فيكون نصب البلاغ على إضمار فعل من الجزاء، كقولك إن لا قياماً فقعوداً و ان لا عطاء فرداً جميلًا فتكون (لا) منفصلة من (إن) و تقديره إن لا أبلغ بلاغاً من اللَّه و رسالاته.
ثم قال «وَ مَنْ یَعْصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ» بأن خالف ما أمراه به و ارتكب ما نهياه التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١٥٨
عنه «فَإِنَّ لَهُ نارَ جَهَنَّمَ» جزاء على ذلك «خالِدِینَ فِیها أَبَداً» أى مقيمين فيها على وجه التأبيد. و القراء على كسر (فان) على الابتداء. و روى عن طلحة بن مصروف انه فتح على تقدير فجزاؤه أن له. و قال ابن خالويه: سألت ابن مجاهد عن ذلك، فقال: هو لحن. و قال بعض أهل النظر: زعم ابو عبيدة: ان ما كان من قول الجن فهو مكسور نسقاً على قوله «إِنَّا سَمِعْنا» و من فتح فعلى قوله «قُلْ أُوحِیَ إِلَیَّ» و هو اختيار ابن خالويه.
و قوله «حَتَّى إِذا رَأَوْا ما یُوعَدُونَ» يعنى ما يوعدون به من العقاب على المعاصى «فَسَیَعْلَمُونَ» عند ذلك «مَنْ أَضْعَفُ ناصِراً» يدفع عنه عقاب اللَّه و من «أَقَلُّ عَدَداً» يستنصر بهم الكفار أم المؤمنون؟. و قيل معناه أجند اللَّه أم الذين عبده المشركون؟ و إنما قال «مَنْ

أَضْعَفُ ناصِراً» و لا ناصر لهم فی الآخرة، لأنه جاء علی جواب من توهم انه إن كانت لهم أخوة فناصرهم أقوی و عددهم اكثر.

ثم قال لنبيه صلی الله عليه و آله «قُلْ إِنْ أَدْرِی» أی قل لهم لست اعلم «أ قَرِيبٌ ما تُوعَدُونَ» به من العقاب «أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّی أَمَداً» أی غاية ينتهی اليها بعينها أم يؤخره اللَّه تعالی إلی مدة لا يعلمها بعينها إلا اللَّه تعالی الذی هو «عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلی غَيْبِهِ أَحَداً» ثم قال «إِلَّا مَنِ ارْتَضی مِنْ رَسُولٍ» فانه ربما أطلعه علی ما غاب عن غيره من الخلائق بأن يوحی اليهم بما شاء من الغيب- ذكره قتادة- «فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصَداً» و معناه إن اللَّه إذا نزل الملك بالوحی أرسل معه رصداً يحفظون الملك من أن يأتی احد من الجن و يسمع الوحی، و نصب «رصداً» علی المفعول، كأنه قال يجعل رصداً يسلك من بين يديه و من خلفه «لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا» معناه ليظهر المعلوم من التبليغ. و قال قتادة: معناه ليعلم محمد أن الرسل قبله قد ابلغوا رسالات ربهم. و قال سعيد بن جبير: ليعلم الرسل أن قد ابلغوا رسالات التبيان فی تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١٥٩

ربهم علی احاطة بهم و تحصين لما بلغوا من رسالاته. و قال الزجاج: ليعلم اللَّه أن قد ابلغوا.

و قوله «وَ أَحاطَ بِما لَدَيْهِمْ» معناه انه يعلم ما عندهم فيحيط بما لديهم فيصير فی معلومه بمنزلة ما احيط به «وَ أَحْصی كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً» معناه انه يعلم الأشياء مفصلة بمنزلة من يحصيها ليعلمها كذلك. و قال الزجاج: نصب «عدداً» يحتمل شيئين:

أحدهما- و احصی كل شیء فی حال العدد، فيكون العدد بمعنی المعدود، كما يقال: للمنقوص نقص، فلا يخفی عليه شیء من الأشياء، لا سقوط ورقة، و لا حبة فی ظلمات الأرض.

و الثانی- ان يكون بمعنی المصدر، و تقديره و أحصی كل شیء احصاء. و قال الجبائی معنی «لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا» أی ليبلغوا (رِسالاتِ رَبِّهِمْ) فعبر عن المعلوم بالعلم كما يقال: ما علم اللَّه منی ذلك أی ما فعلته، لأنه لو فعله لعلم الله ذلك (وَ أَحْصی كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً) معناه انه لا شیء يعلمه عالم او يذكره ذاكر إلا و هو تعالی عالم به و محص له. و الإحصاء فعل، و ليس هو بمنزلة العلم، فلا يجوز ان يقال احصی ما لا يتناهی كما يجوز ان يقال: علم ما لا يتناهی، لان الإحصاء مثل المحصی لا يكون إلا فعلا متناهياً، فإذا لم يجز ان يفعل ما لا يتناهی لم يجز ان يقال يحصی ما لا يتناهی.

و الفرق بينهما واضح.

التبيان فی تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١٦٠

٧٣-سورة المزمل: ..... ص: ١٦٠

اشارة

مكية فی قول ابن عباس و الضحاك و هی عشرون آية فی الكوفی و المدنی الاول و تسع عشرة فی البصری و ثمانی عشرة فی المدنی الأخير

[سورة المزمل (٧٣): الآيات ١ الی ١٠] ..... ص: ١٦٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

يا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً (٢) نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً (٤)

إِنَّا سَنُلْقِی عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً (٥) إِنَّ ناشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَ أَقْوَمُ قِيلاً (٦) إِنَّ لَكَ فِی النَّهارِ سَبْحاً طَوِيلاً (٧) وَ اذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَ تَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً (٨) رَبُّ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً (٩)

وَ اصْبِرْ عَلی ما يَقُولُونَ وَ اهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً (١٠)

عشر آيات.

قرأ ابن عامر و ابو عمرو «و طاء» بكسر الواو و المدّ جعله مصدراً ل (واطأ) يواطئ مواطأة، و وطاء. و معناه إن ناشئة الليل و عمل ناشئة الليل يواطئ لسمع القلب اكثر مما يواطئ ساعات النهار، لأن البال افرغ للانقطاع عن كثير مما يشغل التبيان فى تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۱۶۱

بالنهار. الباقون- بفتح الواو- مقصورة، و روى عن الزهرى- بكسر الواو- مقصورة، و منه قوله صلى اللَّه عليه و آله: اللهم اشدد وطاءك على مضر، و قرأ «رب المشرق» بالجر كوفى غير حفص و يعقوب بدلا من (ربك). الباقون بالرفع على الاستئناف، فيكون رفعاً بالابتداء و خبره (لا إِلهَ إِلَّا هُوَ) و يجوز أن يكون خبر الابتداء بتقدير هو رب المشرق.

هذا خطاب من اللَّه تعالى للنبى صلى اللَّه عليه و آله و قيل: إن المؤمنين داخلون فيه على وجه التبع. يقول اللَّه له «يا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ» و معناه الملتف فى ثيابه، يقال تزمّل فى ثيابه، فهو متزمل إذا التف. و الأصل «متزمل» فأدغم التاء فى الزاى، لان الزاى قريبة المخرج من التاء، و هو أبدى فى المسموع من التاء. و قال قتادة: معناه المتزمل بثيابه، و قال عكرمة: المتزمل بعباء النبوة، و كل شيء لفف، فقد تزمل، قال امرؤ القيس:

كأن اباناً فى أفانين ودقه كبير أناس فى بجاد مزمل «۱»

يعنى كبير أناس مزمل فى بجاد و هو الكساء، و جره على المجاورة للبجاد.

و قوله «قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا» أمر من اللَّه تعالى للنبى صلى اللَّه عليه و آله بقيام الليل إلا القليل منه، و قال الحسن: إن اللّه فرض على النبى و المؤمنين أن يقوموا ثلث الليل فما زاد، فقاموه حتى تورمت أقدامهم، ثم نسخ تخفيفاً عنهم. و قال غيره: هو نفل لم ينسخ، لأنه لو كان فرضاً لما كان مخيراً فى مقداره- ذكره الجبائى- و إنما بين تخفيف النفل. و قال قوم: المرغب فيه قيام ثلث الليل او نصف الليل او الليل كله إلا القليل. و لم يرغب بالآية فى قيام جميعه لأنه تعالى قال

---

(۱) ديوانه (السندوبى) ۱۵۸

التبيان فى تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۱۶۲

«إِلَّا قَلِيلًا نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ» يعنى على النصف. و قال الزجاج (نصفه) بدل من (الليل) كقولك ضربت زيداً رأسه. و المعنى: قم نصف الليل إلا قليلا او انقص منه قليلا. و المعنى قم نصف الليل او انقص من نصف الليل أو زد على نصف الليل، و ذلك قبل ان يتعبد بالخمس صلوات. و قال ابن عباس و الحسن و قتادة:

كان بين أول السورة و آخرها- الذى نزل فيه التخفيف- سنة. و قال سعيد بن جبير:

عشر سنين. و قال الحسن و عكرمة: نسخت الثانية بالأولى. و الاولى أن يكون على ظاهره، و يكون جميع ذلك على ظاهره مرغباً فى جميع ذلك إلا أنه ليس بفرض و إن كانت سنة مؤكدة. و النصف أحد قسمى الشيء المساوى للآخر فى المقدار.

و القليل من الشيء الناقص عن قسمه الآخر، و كلما كان أنقص كان أحق بإطلاق الصفة، و ما لا يعتد به من النقصان لا يطلق عليه.

«وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا» أمر من اللَّه تعالى له بأن يرتل القرآن و الترتيل ترتيب الحروف على حقها فى تلاوتها، و تثبت فيها، و الحدر هو الاسراع فيها و كلاهما حسنان إلا أن الترتيل- هاهنا- هو المرغب فيه. و قال مجاهد: معناه ترسل فيه ترسلا. و قال الزجاج: معناه بينه تبييناً أى بين جميع الحروف، و ذلك لا يتم بأن يعجل فى القراءة.

و قوله «إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا» اخبار من اللَّه تعالى لنبيه أنه سيطرح عليه قولا ثقيلا. و قال الحسن و قتادة: إنه يثقل العمل به لمشقة فيه. و قال ابن زيد: معناه العمل به ثقيل فى الميزان و الأجر، ليس بشاق. و قيل: معناه قول عظيم الشأن، كما تقول هذا الكلام رزين، و هذا قول له وزن إذا كان واقعاً موقعه.

و قوله «إِنَّ ناشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً» قال مجاهد: ناشئة الليل التهجد فى الليل. و قال الحسن و قتادة: هو ما كان بعد العشاء الآخرة. و عن أبى جعفر التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١۶٣

و أبى عبد اللّه عليهما السلام أنهما قالا: هو القيام آخر الليل إلى صلاة الليل.

و قال قوم:

ناشئة الليل ابتداء عمل الليل شيئاً بعد شيء إلى آخره. و الناشئة الظاهرة بحدوث شيء بعد شيء، و اضافته إلى الليل توجب انه من عمل الليل الذى يصلح أن ينشأ فيه.

و قوله «هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً» من قرأ- بالفتح- مقصوراً، قال معناه: لقوة الفكر فيه أمكن موقعاً. و قيل: هو أشد من عمل النهار، و قال مجاهد: معناه واطأ اللسان القلب مواطأة و وطاء و الوطاء المهاد المذلل للتقلب عليه، فكذلك عمل الليل الذى هو أصلح له فيه تمهيد للتصرف فى الدلائل و ضروب الحكم و وجوه المعانى.

و قوله «وَ أَقْوَمُ قِيلًا» أى أشد استقامة و صواباً لفراغ البال، و انقطاع ما يشغل القلب. و المعنى إن عمل الليل أشد ثباتاً من عمل النهار، و أثبت فى القلب من عمل النهار. و الأقوم الأخلص استقامة، لأنه القول يشمل المعنى على ما فيه استقامة و فيه اضطراب. و قد يقل ذلك و يكثر، و هو فى القول ظاهر كما هو فى الخط، ففيه الحرف المقوم و فيه الحرف المضطرب. و قال ابن زيد: معناه أقوم قراءة لفراغه من شغل الدنيا، و قال أنس: معناه أصوب. و قال مجاهد: معناه اثبت.

و قوله «إِنَّ لَكَ فِي النَّهارِ سَبْحاً طَوِيلًا» قال قتادة: معناه إن لك يا محمد فى النهار متصرفاً و منقلباً أى ما تقضى فيه حوائجك. و قرأ يحيى ابن معمر بالخاء، و كذلك الضحاك، و معناه التوسعة. يقال اسبخت القطن إذا وسعته للندف، و يقال لما تطاير من القطن و تفرق عند الندف سبائخ، و السبح المر السهل فى الشيء، كالمر فى الماء، و السبح فى عمل النهار هو المر فى العمل الذى يحتاج فيه إلى الضياء. و أما عمل الليل فلا يحتاج فيه إلى ضياء لتمكن ذلك العمل كالفكر فى وجوه البرهان و تلاوة القرآن. و قال الجبائى فى نوادره «لَكَ فِي النَّهارِ سَبْحاً» أى نوماً، و قال الزجاج: التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١۶۴

معناه إن فاتك شيء بالليل فلك فى النهار فراغ تقضيه.

ثم قال لنبيه صلى اللّه عليه و آله «وَ اذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ» يعنى اسماء اللّه الحسنى التى تعبد بالدعاء بها «وَ تَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا» أى انقطع اليه انقطاعاً، فالتبتل الانقطاع إلى عبادة اللّه، و منه مريم البتول و فاطمة البتول، لانقطاع مريم الى عبادة اللّه، و انقطاع فاطمة عن القرين، و منه قول الشاعر:

كأن لها فى الأرض نسياً تقصه إذا ما غدت و إن تكلمك تبلت «١»

أى بقطع كلامها رويداً رويداً، و قيل: الانقطاع إلى الله تأميل الخير من جهته دون غيره، و جاء المصدر على غير الفعل، كما قال (أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَباتاً) «٢» و قيل: تقديره تبتل نفسك اليه تبتيلا، فوقع المصدر موقع مقاربه. و قوله (رَبُّ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ) من رفع فعلى انه خبر مبتدإ محذوف، و تقديره: هو رب المشرق، و من جر جعله بدلا من قوله (ربك) و تقديره اذكر اسم رب المشرق و هو مطلع الشمس موضع طلوعها و رب المغرب، يعنى موضع غروبها، و هو المتصرف فيها و المدبر لما بينهما (لا إِلهَ إِلَّا هُوَ) أى لا احد تحق له العبادة سواه (فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا) أى حفيظاً للقيام بأمرك فالوكيل الحفيظ بأمر غيره. و قيل:

معناه اتخذه كافلا لما وعدك به.

ثم قال (وَ اصْبِرْ) يا محمد (على ما يقول) هؤلاء الكفار من أذاك و ما يشغل قلبك (وَ اهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلًا) فالهجر الجميل اظهار الجفوة من غير ترك الدعاء إلى الحق على وجه المناصحة.

---

(١) مر فى ٧/ ١١٧

(٢) سورة ٧١ نوح آية ١٧

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١٦٥

قوله تعالى:[سورة المزمل (٧٣): الآيات ١١ الى ١٩] ..... ص: ١٦٥

وَ ذَرْنِي وَ الْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَ مَهِّلْهُمْ قَلِيلاً (١١) إِنَّ لَدَيْنا أَنْكالاً وَ جَحِيماً (١٢) وَ طَعاماً ذا غُصَّةٍ وَ عَذاباً أَلِيماً (١٣) يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَ الْجِبالُ وَ كانَتِ الْجِبالُ كَثِيباً مَهِيلاً (١٤) إِنَّا أَرْسَلْنا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شاهِداً عَلَيْكُمْ كَما أَرْسَلْنا إِلى فِرْعَوْنَ رَسُولاً (١٥)
فَعَصى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْناهُ أَخْذاً وَبِيلاً (١٦) فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدانَ شِيباً (١٧) السَّماءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً (١٨) إِنَّ هذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ إِلى رَبِّهِ سَبِيلاً (١٩)

تسع آيات.

لما امر اللَّه تعالى النبى صلى اللَّه عليه و آله بالصبر على أذى قومه، و أن يهجرهم هجراً جميلا قال على وجه التهديد للكفار (وَ ذَرْنِي) يا محمد (وَ الْمُكَذِّبِينَ) الذين يكذبونك فيما تدعوهم اليه من التوحيد و إخلاص العبادة و الاعتراف بالبعث و النشور، و الثواب و الجزاء، كما يقول القائل: دعنى و إياه إذا أراد أن يهدده، يقال: يذر بمعنى يترك، و يدع، و لا يستعمل ماضيه، و لا ماضى (يدع) و لا يقال: و ذر، و لا ودع، استغناء بقولهم ترك عن ذلك، لان الابتداء بالواو عندهم مكروه، و لذلك أبدلوا منها الهمزة فى قولهم (أقتت) و الأصل (وقتت)، و قالوا (تخمة) و الأصل (وخمة) و كذلك كل ما يصرف منه مما فى أوله واو إلا قولهم: و ادع من الدعة فلم يستغنوا عنه بتارك. التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١٦٦

و قوله (أُولِي النَّعْمَةِ) معناه ذوى النعمة أى اصحاب النعمة، و النعمة- بفتح النون- لين الملمس و ضدها الخشونة، و معناه (وَ ذَرْنِي وَ الْمُكَذِّبِينَ) أى ارض بعقاب المكذبين لست تحتاج إلى اكثر من ذلك كما يقال: دعنى و إياه، فانه يكفيه ما ينزل به من غير تقصير مما يقع به، و هذا تهدد شديد.

و قوله (وَ مَهِّلْهُمْ قَلِيلًا) أى اخرهم فى المدة قليلا. فالتمهيل التأخير فى المدة، و قد يكون التأخير فى المكان، فلا يسمى تمهيلا، فإذا كان فى المدة فهو تمهيل كما ان التأخير فى الأجل تأجيل آخر.

و قوله (إِنَّ لَدَيْنا أَنْكالًا) أى قيوداً- فى قول مجاهد و قتادة- واحدها نكل (وَ جَحِيماً) أى ناراً عظيمة، و جحيم اسم من اسماء جهنم (وَ طَعاماً ذا غُصَّةٍ) قال ابن عباس: معناه ذا غصة بشوك يأخذ الحلق، فلا يدخل و لا يخرج. و قيل:

معناه يأخذ بالحلقوم لخشونته و شدة تكرهه (وَ عَذاباً أَلِيماً) أى عقاباً موجعاً مؤلماً.

ثم بين متى يكون ذلك فقال (يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ) أى اعتدنا هذه الأنواع من العذاب فى يوم ترجف الأرض أى تتحرك باضطراب شديد (وَ الْجِبالُ) أى و ترجف الجبال معها أيضاً (وَ كانَتِ الْجِبالُ كَثِيباً مَهِيلًا) قال ابن عباس: تصير الجبال رملا سائلا متناثراً، فالكثيب الرمل المجتمع الكثير، و مهيل مفعول من هلت الرمل اهيله و ذلك إذا حرك أسفله فسال أعلاه، و يقال: مهيول كما يقال مكيل و مكيول، و انهال الرمل انهيالا و (الغصة) تردد اللقمة فى الفم لا يسيغها الذى يروم أكلها قال الشاعر:

لو بغير الماء حلقى شرق كنت كالغصان بالماء اعتصارى «١»

---

(١) مر فى ١/ ١٣٠، ٤٢١ و ٦/ ١٥١

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١٦٧

يقال غص بريقه يغص غصصاً، و فى قلبه غصة من كذا، و هى كاللذغة التى لا يسيغ معها الطعام و لا الشراب.

و قوله (إِنَّا أَرْسَلْنا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شاهِداً عَلَيْكُمْ) اخبار من اللَّه تعالى و خطاب للمكلفين فى عصر النبى صلى اللَّه عليه و آله و من بعده

بأنه أرسل اليهم رسولا يدعوهم إلى عبادته و إخلاص توحيده (شاهِداً عَلَيْكَمْ) بقبولهم إن قبلوا و عليهم إن لم يقبلوا (كَما أَرْسَلْنا) أى أرسلناه إليكم مثل ما أرسلنا (إِلى فِرْعَوْنَ رَسُولًا) يعنى موسى ابن عمران عليه السلام. ثم اخبر عن فرعون فقال (فَعَصى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ) يعنى موسى، فلم يقبل منه ما أمره به و دعاه اليه (فَأَخَذْناهُ أَخْذاً وَبِيلًا) أى اخذاً ثقيلًا شديداً عقوبة له على عصيانه موسى رسول اللَّه، و كل ثقيل وبيل، و منه: كلأ مستوبل أى متوخم لا يستمرء لثقله، و منه الوبل، و الوابل، و هو المطر العظيم القطر، و منه الوبال و هو ما يغلظ على النفس و أصله الغلظ قال طرفة:

فمرت كهاة ذات خيف جلالة عقيلة شيخ كالوبيل يلندد «۱»

الوبيل- هاهنا- الغليظ من العصى و (كهاة) ناقة مسنة و (الخيف) جلد الضرع و (يلندد) شديد الخصومة.

قوله (فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدانَ شِيباً) أى إن كفرتم باللَّه و جحدتم نعمه، و كذبتم رسوله، و إنما يجعل الولدان، و هم الأولاد الصغار شيباً لشدته، و عظم أهواله، كما يقال: قد حدث أمر تشيب منه النواصى. و قيل:

(يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدانَ شِيباً) على وجه المثل، و الشيب جمع أشيب، يقال: شاب الإنسان يشيب شيباً إذا ابيض شعره. ثم زاد فى صفة شدة ذلك اليوم أيضاً فقال (السَّماءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ) أى متصدع بشدة ذلك اليوم، و إنما لم يقل منفطرة، لأنه جرى

---

(۱) ديوانه ۳۸ و تفسير القرطبى ۱۸/ ۴۸

التبيان فى تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۱۶۸

على طريق النسبة أى ذات انفطار، و لم يجر على طريق (فاعلة) كما قالوا للمرأة:

مطفل أى ذات طفل. و قال الزجاج: تقديره السماء منفطر باليوم مثقلة به. و قال الحسن: معناه السماء مثقل به. و قال غيره: السماء مثقلة بذلك اليوم من شدته.

و قال قوم: معناه متشقق بالأمر الذى يجعل الولدان شيباً. و السماء يؤنث و يذكر، فمن ذكر أراد السقف.

و قوله (كانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا) معناه إن ما وعد اللَّه به فلا بد من كونه، فلذلك عبر عنه بلفظ الماضى فكأنه قد وجد. ثم قال (إِنَّ هذِهِ تَذْكِرَةٌ) أى هذه القصة التى ذكرناها و بيناها (تَذْكِرَةٌ) أى عظة لمن أنصف من نفسه و فكر فيها، فالتذكرة التبصرة، و هى الموعظة التى يذكر بها ما يعمل عليه.

و قوله (فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ إِلى رَبِّهِ سَبِيلًا) معناه إن من شاء من المكلفين اتخذ إلى ثواب ربه سبيلا، لأنه قادر على الطاعة التى لو فعلها وصل الى الثواب. و اللَّه تعالى قد دعاه إلى ما يوصله اليه و رغبه فيه، و بعث رسولا- يدعوه ايضاً اليه. و إن لم يفعل فبسوء اختياره انصرف عنه.

قوله تعالى:[سورة المزمل (۷۳): آية ۲۰] ..... ص: ۱۶۸

إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَ نِصْفَهُ وَ ثُلُثَهُ وَ طائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَ اللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَؤُا ما تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضى وَ آخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَ آخَرُونَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَؤُا ما تَيَسَّرَ مِنْهُ وَ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ آتُوا الزَّكاةَ وَ أَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً وَ ما تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً وَ أَعْظَمَ أَجْراً وَ اسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۲۰)

التبيان فى تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۱۶۹

آية واحدة.

قرأ نافع و ابو عمرو و ابن عامر (و نصفه و ثلثه) بكسر الفاء و الثاء بمعنى إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل و من نصفه و

من ثلثه أى و ادنى من نصفه و أدنى من ثلثه. الباقون بالنصب بمعنى أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل و تقوم نصفه و ثلثه. و الثلث يخفف و يثقل، لغتان، و مثله ربع و عشر. و قال ابو عبيدة:

الاختيار الخفض فى (ثلثه و نصفه) لأنه قال (عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ) و كيف يقدرون على أن يقوموا نصفه أو ثلثه، و هم لا يحصونه، و قال غيره: ليس المعنى على ما قال و إنما المعنى علم أن لن يطيقوه، يعنى قيام الليل، فخفف اللّه ذلك، قال و الاختيار النصب، لأنها أوضح فى النظر، لأنه قال لنبيه صلى اللّه عليه و آله (قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا) ثم نقله عن الليل كله إلا شيئاً يسيراً ينام فيه، و هو الثلث. و الثلث يسير عند الثلثين.

ثم قال (نِصْفَهُ) أى قم نصفه (أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا) أى قم نصفه، و اكتفى بالفعل الأول من الثانى، لأنه دليل عليه أو انقص من النصف قليلا إلى الثلث (أو زد) هكذا إلى الثلثين جعله موسعاً عليه. و فى الناس من قال: هذه الآية ناسخة لما ذكره فى أول السورة من الأمر الحتم بقيام الليل إلا قليلا أو نصفه او انقص منه. و قال آخرون: إنما نسخ ما كان فرضاً إلى ان صار نفلا، و قد قلنا: ان الأمر فى أول السورة على وجه الندب، فكذلك- هاهنا- فلا وجه للتنافى حتى ينسخ بعضها ببعض يقول اللّه تعالى لنبيه ان ربك يا محمد ليعلم انك التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١٧٠

تقوم اقل من ثلثى الليل و اقل من نصفه و من ثلثه فيمن جرّ ذلك، و من نصب فمعناه إنك تقوم أقل من ثلثى الليل و تقوم نصفه و ثلثه و تقوم طائفة من الذين معك على الايمان (وَ اللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ) لتعملوا فيه بالصواب على ما يأمركم به (عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ) قال الحسن: معناه علم أن لن تطيقوه (فَتابَ عَلَيْكُمْ) أى لم يلزمكم إثماً كما لا يلزم التائب أى رفع التبعة فيه كرفع التبعة عن التائب. و قوله (فَاقْرَؤُا ما تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضى) فتاب عليكم بما رغبتم فيه و ذلك يقتضى التخفيف عنكم (وَ آخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ) أى و منكم قوم آخرون يضربون أى يسافرون فى الأرض و منكم قوم (آخَرُونَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) و كل ذلك يقتضى التخفيف عنكم (فَاقْرَؤُا ما تَيَسَّرَ مِنْهُ وَ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ آتُوا الزَّكاةَ) و معناه أقيموا الصلاة بحدودها التى أوجبها اللّه عليكم و استمروا عليها و أعطوا ما وجب عليكم من الزكاة المفروضة (وَ أَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً) أى و أنفقوا فى سبيل اللّه و الجهات التى أمركم بها و ندبكم إلى النفقة فيها، و سمى ذلك (قرضاً) تلطفاً فى القول، لان اللّه تعالى من حيث أنه يجازيهم على ذلك بالثواب، فكأنه استقرض منهم ليرد عوضه و إنما قال (حسناً) أى على وجه لا يكون فيه وجه من وجوه القبح.

ثم قال (وَ ما تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ) أى ما فعلتم من الطاعات (تَجِدُوهُ) أى تجدوا ثوابه و جزاءه (عِنْدَ اللَّهِ) و قوله (هُوَ خَيْراً وَ أَعْظَمَ أَجْراً) أى تجدوه خيراً لكم، و هو أفضل و أعظم ثواباً، و هو عطف على (خَيْرٍ). ثم قال (وَ اسْتَغْفِرُوا اللَّهَ) على معاصيكم معاشر المكلفين (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ) أى ستار لذنوبكم صفوح لاجرامكم إذا تبتم و أقلعتم و رجعتم اليه (رَحِيمٌ) بكم منعم عليكم. و قال ابن زيد: القرض فى الآية النوافل سوى الزكاة.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١٧١

٧٤- سورة المدثر: ..... ص: ١٧١

اشارة

مكية فى قول ابن عباس و قال الضحاك هى مدنية و هى خمسون و ست آيات فى الكوفى و البصرى و المدنى الأول، و خمس فى المدنى الأخير. و قال ابو سلمة ابن عبد الرحمن أول ما نزل من القرآن (يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) و

حكى ذلك ابو سلمة عن جابر بن عبد اللّه. قال قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله جاوزت بحراء فنوديت فنظرت عن يمينى فلم أر شيئاً فنظرت عن شمالى فلم أر شيئاً فنظرت أمامى فلم أر شيئاً فنظرت خلفى فلم أر شيئاً، فرفعت رأسى فلم أر شيئاً، فأتيت خديجة

فقلت دثرونی و صبوا علی ماء بارداً قال فدثرونی فصبوا علی ماء بارداً فنزلت (یا أَیُّهَا الْمُدَّثِّرُ)
و قال الزهری: أول ما نزل قوله (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ الَّذِی خَلَقَ)

[سورة المدثر (۷۴): الآیات ۱ الی ۱۰] ..... ص: ۱۷۱

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ
یا أَیُّهَا الْمُدَّثِّرُ (۱) قُمْ فَأَنْذِرْ (۲) وَ رَبَّکَ فَکَبِّرْ (۳) وَ ثِیابَکَ فَطَهِّرْ (۴)
وَ الرُّجْزَ فَاهْجُرْ (۵) وَ لا تَمْنُنْ تَسْتَکْثِرُ (۶) وَ لِرَبِّکَ فَاصْبِرْ (۷) فَإِذا نُقِرَ فِی النَّاقُورِ (۸) فَذلِکَ یَوْمَئِذٍ یَوْمٌ عَسِیرٌ (۹)
عَلَی الْکافِرِینَ غَیْرُ یَسِیرٍ (۱۰)

عشر آیات. التبیان فی تفسیر القرآن، ج ۱۰، ص: ۱۷۲

هذا خطاب من اللَّه تعالی لنبیه محمد صلی اللَّه علیه و آله یقول له (یا أَیُّهَا الْمُدَّثِّرُ) و أصله المتدثر بثیابه، فأدغمت التاء فی الدال، لأنها من مخرجها مع أن الدال أقوی بالجهر فیها، یقال: تدثر تدثراً و دثره تدثیراً، و دثر الرسم یدثر دثوراً إذا محی أثره، فکأنه قال: یا ایها الطالب صرف الأذی بالدثار اطلبه بالإنذار.

و قوله «قُمْ فَأَنْذِرْ» أمر من اللَّه تعالی له أن یقوم و ینذر قومه، و الانذار الاعلام بموضع المخافة لیتقی، فلما کان لا مخافة أشد من الخوف من عقاب اللَّه کان الانذار منه اجلّ الانذار، و تقدیره قم إلی الکفار فأنذر من النار.

و قوله «وَ رَبَّکَ» منصوب ب «کبر» و التکبیر وصف الأکبر علی اعتقاد معناه کتکبیر المکبر فی الصلاة بقوله اللَّه اکبر، و التکبیر نقیض التصغیر، و مثله التعظیم. و الکبیر الشأن هو المختص باتساع المقدور و المعلوم من غیر مانع من الجود.

فاللَّه تعالی قادر لا یعجزه شیء، و عالم لا یخفی علیه شیء لا یمنعه من الجود علی عباده شیء، فهو اکبر من کل کبیر بما لا یساویه شیء، و اختصاصه بالمقدور و المعلوم بأنه ما صح من مقدور او معلوم فهو قادر علیه عالم به فهو لنفسه کبیر و اکبر من کل کبیر سواه.

و قوله «وَ ثِیابَکَ فَطَهِّرْ» أی و طهر ثیابک فهو منصوب به. و الطهارة النظافة بانتفاء النجاسة، لأن النظافة قد تکون بانتفاء الوسخ من غیر نجاسة، و قد تکون بانتفاء النجاسة. فالطهارة فی الآیة هو القسم الأخیر. و قال ابن عباس «وَ ثِیابَکَ فَطَهِّرْ» معناه من لبسها علی معصیته، کما قال سلامة بن غیلان الثقفی- أنشده ابن عباس:

و إنی بحمد اللَّه لا ثوب فاجر لبست و لا من غدة أتقنع «۱»

---

(۱) مر فی ۶/ ۴۸۹ [.....]

التبیان فی تفسیر القرآن، ج ۱۰، ص: ۱۷۳

و قال الزجاج: معناه لم أکن غادراً، قال یقال: للغادر دنس الثیاب أی لم أعص قط و قیل: معناه شمر ثیابک- و فی روایة عن ابن عباس و إبراهیم و قتادة- ان معناه و ثیابک فطهر من الذنوب. و قال ابن سیرین و ابن زید: اغسلها بالماء.

و قیل معناه شمر ثیابک، و قیل: معناه و ثیابک فطهر للصلاة فیها.

و قوله «وَ الرُّجْزَ» منصوب بقوله «فَاهْجُرْ» و قال الحسن: کل معصیة رجز و قال ابن عباس و مجاهد و قتادة و الزهری: معناه فاهجر الأصنام. و قال ابراهیم و الضحاک: الرجز الإثم. و قال الکسائی: الرجز- بکسر الراء- العذاب، و بفتحها الصنم و الوثن. و قالوا: المعنی اهجر ما یؤدی إلی العذاب، و لم یفرق احد بینهما.

و بالضم قرأ حفص و یعقوب و سهل. الباقون بالکسر إما لأنهما لغتان مثل الذکر و الذکر او بما قاله الکسائی. و قال قوم: الرجز بالضم

الصنم. و قال: كان الرجز صنمين: أساف و نائلة، نهى اللّه تعالى عن تعظيمهما.
و قوله «وَ لا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ» قال ابن عباس و ابراهيم و الضحاك و قتادة و مجاهد: معناه لا تعط عطية لتعطى أكثر منها، و قال الحسن و الربيع و انس: معناه لا تمنن حسناتك على اللّه مستكثراً لها، فينفصل ذلك عند اللّه. و قال ابن زيد:
معناه لا تمنن ما أعطاك اللّه من النبوة و القرآن مستكثراً به الأجر من الناس، و قال ابن مجاهد: معناه لا تضعف فى عملك مستكثراً لطاعتك، و قال قوم: معناه لا تمنن على الناس بما تنعم به عليهم على سبيل الاستكثار لذلك. و قال جماعة من النحويين:
إن (تستكثر) فى موضع الحال و لذلك رفع. و أجاز الفراء الجزم على أن يكون جواباً للنهى، و الرفع هو الوجه. و المن ذكر النعمة بما يكدرها، و يقطع حق الشكر بها، يقال: منّ بعطائه يمنّ مناً إذا فعل ذلك، فأما من على الأسير إذا أطلقه، فهو قطع أسباب الاعتقال عنه.
و يقال: لمن أنعم على وجه المن، لأنه بهذه المنزلة. و أصله التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١٧٤
القطع من قوله «فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ» «١» أى غير مقطوع. و الاستكثار طلب الكثرة يقال: استكثر فلان من المال و العلم، و المراد- هاهنا- هو طلب ذكر الاستكثار للعطية.
و قوله «وَ لِرَبِّكَ فَاصْبِرْ» قال ابراهيم: من أجل ربك فاصبر على عطيتك.
و قال مجاهد: لأجل اللّه فاصبر على أذى المشركين. و قيل: معناه «وَ لِرَبِّكَ فَاصْبِرْ» على ما أمرك به من أداء الرسالة و تعليم الدين، و ما ينالك من الأذى و التكذيب، فاحتمله لتنال الفوز من اللّه بالنعيم و الصبر الذى هو طاعة اللّه هو الصبر على الضرر الذى يدعو اليه العقل، لان ما يدعو اليه العقل فخالق العقل يريده، لأنه بمنزلة دعاء الأمر الى الفعل، و السبب الذى يتقوى به على الصبر هو التمسك بداعى العقل دون داعى الطبع، لان العقل يدعو بالترغيب فيما ينبغى أن يرغب فيه. و الطبع داعى الهوى يدعو إلى خلاف ما فى العقل.
و قوله (فَإِذا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ) معناه إذا نفخ فى الصور، و هو كهيأة البوق- فى قول مجاهد- و قيل: ان ذلك فى أول النفختين، و هو أول الشدة الهائلة العامة، و الناقور على وزن (فاعول) من النقر، كقولك: هاضوم من الهضم و حاطوم من الحطم، و هو الذى من شأنه أن ينقر فيه للتصويت به.
و قوله (فَذلِكَ يَوْمَئِذٍ) يعنى اليوم الذى ينفر فيه فى الناقور (يَوْمٌ عَسِيرٌ) أى يوم شديد عسر «عَلَى الْكافِرِينَ» لنعم اللّه الجاحدين لآياته «غَيْرُ يَسِيرٍ» فاليسير القليل الكلفة، و منه اليسار و هو كثرة المال لقلة الكلفة به فى الإنفاق، و منه تيسر الامر لسهولته و قلة الكلفة فيه. و قال الزجاج: قوله «يَوْمٌ عَسِيرٌ» مرتفع بقوله «فَذلِكَ» و المعنى فذلك يوم عسير يوم النفخ فى الصور، و يومئذ يجوز أن يكون

---

(١) سورة ٩٥ التين آية ۶

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١٧٥
نصباً على معنى فذلك يوم عسير فى يوم ينفخ فى الصور، و يجوز الرفع، و إنما بنى على الفتح لاضافته إلى (إذ) لأن (إذ) غير متمكنة.

قوله تعالى:[سورة المدثر (٧۴): الآيات ١١ الى ٢٥] ..... ص: ١٧٥

ذَرْنِي وَ مَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً (١١) وَ جَعَلْتُ لَهُ مالاً مَمْدُوداً (١٢) وَ بَنِينَ شُهُوداً (١٣) وَ مَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً (١۴) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١۵)
كَلاَّ إِنَّهُ كانَ لِآياتِنا عَنِيداً (١۶) سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً (١٧) إِنَّهُ فَكَّرَ وَ قَدَّرَ (١٨) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠)
ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَ بَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَ اسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقالَ إِنْ هذا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢۴) إِنْ هذا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ (٢۵)
خمس عشرة آية.
يقول اللّه تعالى لنبيه صلى اللّه عليه و آله على وجه التهديد للكافر الذى وصفه «ذَرْنِي وَ مَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً» و معناه دعنى و إياه فانى

كاف في عقابه كما تقول العرب: دعنى و إياه لا أن اللَّه تعالى يجوز عليه المنع حتى يقول: ذرنى و إياه، و لكن المعنى ما قلناه.

و قوله «وحيداً» قال الزجاج: يحتمل ان يكون من صفة الخالق، و يحتمل أن يكون من صفة المخلوق، فإذا حملناه على صفة الخالق كان معناه دعنى و من خلقته متوحداً بخلقه لا شريك لى فى خلقه و جعلته على الأوصاف التى ذكرتها، و إذا حمل على صفه المخلوق، كان معناه و من خلقته فى بطن أمه وحده لا شيء له ثم جعلت له كذا و كذا- ذكره مجاهد و قتادة- و قوله «وَ جَعَلْتُ لَهُ مالًا مَمْدُوداً» أى مالا كثيراً له مدد يأتى شيئاً بعد شيء، فوصفه بأنه ممدود يقتضى هذا المعنى. و قال مجاهد التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١٧٦

و سعيد بن جبير: نزلت الآية فى الوليد بن المغيرة المخزومى. و قالا: كان ماله الف دينار. و قال سفيان: كان ماله أربعة آلاف دينار. و قال النعمان بن سالم: كان أبرص. و قال عطاء عن عمر: كان غلة شهر شهر. و قال مجاهد: كان بنوه عشرة «وَ بَنِينَ شُهُوداً» أى و اولاداً ذكوراً معه يستمتع بمشاهدتهم، و ينتفع بحضورهم. و قيل كان بنوه لا يغيبون عنه لغنائهم عن ركوب السفر فى التجارة بخلاف من هو غائب عنهم.

و قوله «وَ مَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً» أى سهلت له التصرف فى الأمور تسهيلا و قد يكون التسهيل من المصيبة ليخف الحزن بها، و قد يكون لما يتصرف فيه من المبالغة.

و قوله «ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ» أى لم يشكرنى على هذه النعم، و هو مع ذلك يطمع أن أزيد فى إنعامه. و التمهيد و التوطئة و التذليل و التسهيل نظائر.

ثم قال تعالى على وجه الردع و الزجر «كَلَّا» كأنه قال: ارتدع عن هذا و انزجر كما ان (صه) بمنزلة اسكت (و مه) بمنزلة اكفف. و إنما هى أصوات سمى الفعل بها، فكأنه قال: انزجر، فليس الأمر على ما تتوهم.

ثم بين لم كان كذلك فقال «إِنَّهُ كانَ لِآياتِنا» أى إنما لم أفعل به ذلك، لأنه لحجتنا و أدلتنا «عَنِيداً» أى معانداً، فالعنيد الذاهب عن الشيء على طريق العداوة له، يقال عند العرق يعند عنوداً، فهو عاند إذا نفر، و هو من هذا، و المعاندة منافرة المضادة، و كذلك العناد، و هذا الكافر يذهب عن آيات اللَّه ذهاب نافر عنها. و قيل معنى «عنيد» عنود أى جحود بتكذيب المعاندة- فى قول ابن عباس و قتادة- و قيل: معناه معاند، و بعير عنود أى نافر قال الشاعر:

إذا نزلت فاجعلونى وسطا إنى كبير لا أطيق العندا «١»

---

(١) مر فى ۶/ ۱۴، ٢٨٣

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١٧٧

أى نفراً، و قوله «سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً» فالارهاق الاعجال بالعنف و الصعود العقبة التى يصعب صعودها، و هى الكئود و الكدود فى ارتقائها و نقيض الصعود الهبوط، و قيل: صعود جبل من نار فى جهنم يؤخذون بارتقائه، فإذا وضع يديه ذابت، فإذا رفعها عادت و كذلك رجلاه، فى خبر مرفوع. و قيل: صعود جبل فى جهنم من نار يضرب بالمقامع حتى يصعد عليه، ثم يضرب حتى ينزل ذلك دأبه ابداً.

ثم قال «إِنَّهُ فَكَّرَ» أى فكر فكراً يحتال به للباطل، لأنه لو فكر على وجه طلب الرشاد لم يكن مذموماً بل كان ممدوحاً، و لذلك مدح اللَّه قوماً فقال «إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» «١» أى على وجه طلب الحق. و قوله «وَ قَدَّرَ» أى قدر فقال: إن قلنا شاعر كذبتنا العرب باعتبار ما أتى به، و إن قلنا كاهن لم يصدقونا، لان كلامه لا يشبه كلام الكهان، فنقول ساحر يأثر ما أتى به عن غيره من السحرة. فقال اللَّه تعالى «فَقُتِلَ» أى لعن «كَيْفَ قَدَّرَ» هذا. ثم كرر تعالى فقال «ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ» أى عوقب بعقاب آخر كيف قدر من إبطال الحق تقديراً آخر. و قيل: لعن بما يجرى مجرى القتل، و مثله «قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ» «٢» و قال الحسن: هو شتم من اللَّه لهذا الكافر.

و قوله «ثُمَّ نَظَرَ» نظر من ينكر الحق و يدفعه، و لو نظر طلباً للحق كان ممدوحاً و كان نظره صحيحاً. و قوله «ثُمَّ عَبَسَ» أى قبض وجهه

تكرها للحق، يقال: عبس يعبس عبوساً، فهو عابس و عباس فالعبوس و التكليح و التقطيب نظائر

---

(١) سورة ١٣ الرعد آية ٣ و سورة ٣٠ الروم آية ٢١ و سورة ٣٩ الزمر آية ٤٢ و سورة ٤٥ الجاثية آية ١٢

(٢) سورة ٥١ الذاريات آية ١٠

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١٧٨

فى اللغة، و ضده الطلاقة و البشاشة. و قوله «وَ بَسَرَ» فالبسور بدوّ التكره الذى يظهر فى الوجه و أصله من قولهم: بسر بالأمر إذا عجل به قبل حينه، و منه البسر لتعجيل حاله قبل الارطاب قال توبة:

و قد رابنى منها صدود رأيته و إعراضها عن حاجتى و بسورها «١»

فكأنه قيل: قبض وجهه و بدى التكره فيه. و قوله «ثُمَّ أَدْبَرَ» فالادبار الأخذ فى جهة الدبر خلاف جهة الإقبال، فذلك ادبار و هذا إقبال، يقال: دبر يدبر دبوراً و أدبر إدباراً، و تدبر نظر فى عاقبة الأمر، و دبره أى عمله على إحكام العاقبة و كل مأخوذ من جهة الخلف مدبر. و قوله «وَ اسْتَكْبَرَ فَقالَ إِنْ هذا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ» أى طلب كبراً ليس له، و لو طلب كبراً هو له لم يكن مذموماً، و فى صفات اللَّه تعالى «الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ» «٢» لان له الكبرياء، و هو كبير الشأن فى أعلى المراتب لاختصاصه باتساع مقدوراته و المعلوم فى أعلى المراتب. و قيل: ان الوليد قال فى القرآن: و اللَّه ليعلو و ما يعلى و ما هو بشعر و لا كهانة، و لكنه سحر يؤثر من قول البشر، و السحر حيلة يخفى سببها فيوهم الشيء على خلاف ما هو به و ذلك منفى عن كل ما يشاهد و يعلم انه قد خرج عن العادة مما لا يمكن عليه معارضة، و لو كان القرآن من قول البشر لأمكنهم أن يأتوا بمثله، كما لو كان قلب العصا حية من فعل ساحر لأمكن السحرة أن يأتوا بمثله. ثم قال يعنى الوليد «إِنْ هذا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ» أى ليس هذا إلا قول البشر و ليس من كلام اللَّه عناداً منه و بهتاناً.

---

(١) مجاز القرآن ٢/ ٢٧٥ و القرطبى ١٩/ ٧٤

(٢) سورة ٥٩ الحشر آية ٢٣

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١٧٩

قوله تعالى:[سورة المدثر (٧٤): الآيات ٢٦ الى ٣٥] ..... ص: ١٧٩

سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (٢٦) وَ ما أَدْراكَ ما سَقَرُ (٢٧) لا تُبْقِي وَ لا تَذَرُ (٢٨) لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ (٢٩) عَلَيْها تِسْعَةَ عَشَرَ (٣٠)
وَ ما جَعَلْنا أَصْحابَ النَّارِ إِلَّا مَلائِكَةً وَ ما جَعَلْنا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ وَ يَزْدادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيماناً وَ لا يَرْتابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ لِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْكافِرُونَ ما ذا أَرادَ اللَّهُ بِهذا مَثَلًا كَذلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشاءُ وَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ وَ ما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَ ما هِيَ إِلَّا ذِكْرى لِلْبَشَرِ (٣١) كَلَّا وَ الْقَمَرِ (٣٢) وَ اللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (٣٣) وَ الصُّبْحِ إِذا أَسْفَرَ (٣٤) إِنَّها لَإِحْدَى الْكُبَرِ (٣٥)

عشر آيات.

قرأ نافع و حمزة و حفص عن عاصم «إذ أدبر» بإسكان الذال و قطع الهمزة من (أدبر) الباقون بفتح الذال و الالف معها «دبر» بغير الف. و قرأ ابن مسعود بزيادة الف، و من قال (دبر، و أدبر) فهما لغتان. قيل: هو مثل قبل و اقبل و الاختيار عندهم (أدبر) لقوله «إِذا أَسْفَرَ» و لم يقل إذا سفر، لان ابن عباس، قال لعكرمة: حين دبر الليل، لان العرب تقول: دبر فهو دابر، و حجة نافع و حمزة

قول النبى صلى اللَّه عليه و آله (إذا اقبل الليل من هاهنا و أدبر النهار من هاهنا فقد أفطر الصيام)

ثم قال ابو عبيدة: أدبر ولى، و دبرتى جاء خلفى.

لما حكى اللَّه تعالى صفات الكافر الذى ذكره و هو الوليد بن المغيرة، و انه التبيان فى تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۱۸۰

فكر و قدر إلى ان قال: هذا القرآن سحر مأثور، و هو قول البشر، قال اللَّه تعالى مهدداً له و متوعداً «سَأُصْلِيهِ سَقَرَ» أى ألزمه جهنم، و الاصلاء إلزام موضع النار أصلاه يصليه إصلاء و اصطلى فهو يصطلى اصطلاء، و صلاه يصليه، و أصله اللزوم.

و سقر اسم من اسماء جهنم، و لم يصرف للتعريف و التأنيث و أصله من سقرته الشمس تستقره سقراً إذا آلمت دماغه. و قد سميت النار سقر لشدة إيلامها، و منه الصقر بالسين و الصاد، لأن شدته فى نفسه كشدة الألم فى أذى صيده.

و قوله «وَ ما أَدْراكَ ما سَقَرُ» إعظاماً للنار و تهويلا لها أى و لم يعلمك اللَّه سقر على كنهها و صفتها، ثم وصف بعض صفاتها فقال «لا تُبْقِي وَ لا تَذَرُ» و قال مجاهد: معناه لا تبقى من فيها حياً، و لا تذره ميتاً. و قال غيره: لا تبقى احداً من أهلها إلا تناولته، و لا تذره من العذاب. و الإبقاء ترك شيء مما أخذ، يقال أبقى شيئاً يبقيه إبقاء، و أبقاه اللَّه أى أطال مدّته. و الباقى هو المستمر الوجود.

و قوله «لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ» أى مغيرة لجلد الإنسان الذى هو البشرة- فى قول مجاهد- و قال المؤرج: لواحة بمعنى حرّاقة، و به قال الفراء. و قال غيرهما: معناه تلوح لجميع الخلق حتى يروها، كما قال «وَ بُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرى» «۱» لأنه لا يجوز أن يصفها بأنها تسودّ البشرة مع قوله «إنها لا تُبْقِي وَ لا تَذَرُ» و التلويح تغير اللون إلى الأحمر و التلويح بالنار تغير بشرة أهلها إلى الاحمرار، يقال: لوحته الشمس تلوحه تلويحا فهى لواحة على المبالغة فى كثرة التلويح، و البشر جمع بشرة، و هى ظاهر الجلدة، و منه سمى الإنسان بشراً، لأنه ظاهر الجلدة، بتعريه من الوبر و الريش و الشعر الذى يكون فى غيره من الحيوان فى غالب أمره.

و قوله «عَلَيْها تِسْعَةَ عَشَرَ» أى على سقر تسعة عشر من الملائكة. و إنما خص بهذه العدة لتوافق صحة الخبر لما جاء به الأنبياء قبله صلى اللَّه عليه و آله، و يكون فى

---

(۱) سورة ۷۹ النازعات آية ۳۶

التبيان فى تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۱۸۱

ذلك مصلحة للمكلفين. و قد بين ذلك بقوله «وَ ما جَعَلْنا أَصْحابَ النَّارِ إِلَّا مَلائِكَةً وَ ما جَعَلْنا عِدَّتَهُمْ» أى لم نجعل من يتولى تدبير النار إلا من الملائكة و لم نجعلهم على هذه العدة «إِلَّا فِتْنَةً» و محنة و تشديداً فى التكليف «لِلَّذِينَ كَفَرُوا» نعم اللَّه و جحدوا ربوبيته ليلزمهم النظر فى ذلك، فلما كانت هذه العدة التى جعلت عليها الملائكة يظهر عندها ما كان فى نفس الكافر مما يقتضيه كفره، كان فتنة له، لان الفتنة هى المحنة التى تخرج ما فى النفس من خير او شر بإظهار حاله كإظهار الحكاية للمحكى. و الملك عبارة عما كان على خلاف صورة الجن و الانس من المكلفين. و قال قوم: لا يكون ملكا إلا رسولا لأنه من الرسالة، كما قال الهذلى:

الكنى اليها و خير الرسو ل أعلمهم بنواحى الخبر «۱»

و أصله ملأك بالهمز كما قال الشاعر:

فلست لانسى و لكن بملإك تنزل من جو السماء يصوب «۲»

و الملك عظيم الخلق شديد البطش كريم النفس. و الأصل نفسه منشرحة بالطاعة انشراح الكريم بالجود، و أصله من النور. و وجه دلالة هذه العدة من الملائكة على نبوة النبى صلى اللَّه عليه و آله هو انه إذا كان اللَّه- عز و جل- قد اخبر به فى الكتب المتقدمة و لم يكن محمد صلى اللَّه عليه و آله ممن قرأها و لا تعلمها من أحد من الناس دل على أن اللَّه أعلمه و انزل عليه به وحياً أبانه به من جميع الخلق ليدل على صدقه مع انه احد الأشياء التى أخبر بها على هذه الصفة «لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ» و التقدير ليعلم أهل الكتاب يقيناً ان محمداً صادق من حيث اخبر بما هو فى كتبهم من غير قراءة لكتبهم و لا تعلم منهم «وَ يَزْدادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيماناً» أى و يزداد بذلك ايضاً المؤمنون الذين عرفوا اللَّه إيماناً مضافاً الى ايمانهم. و وجه المحنة على الكفار بتكليفهم ان يستدلوا حتى

---

(١) مر فى ٨/ ١١، ٢٩٩

(٢) اللسان (ملك)

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١٨٢

يعرفوا ان اللّه تعالى قادر ان يقوى هـذه العـدة من الملائكـة بما يفى بتعـذيب أهل النار على ما هم عليه من الكثرة «وَ لا يَرْتابَ» أى لا يشك «الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ» فى خبره و لا يرتاب أيضاً «الْمُؤْمِنُونَ» فى خبره.

و قوله «وَ لِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْكافِرُونَ» و معناه لئلا يقول الـذين فى قلوبهم شك و نفاق (ما ذا أَرادَ اللَّهُ بِهذا مَثَلًا) اى أى شىء أراد اللّه بهـذا مثلاً و قيـل اللام فى قوله (وَ لِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) لام العاقبـة كما قال (فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَناً) «١» فقال اللّه تعالى (كَذلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشاءُ وَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ) أى مثل ما فضح اللّه هؤلاء الكفار و ذمهم مثل ذلك يضـل من يشـاء من الكفـار. و الإضـلال- هاهنـا- اظهـار فضـيحة الكفار بما يوجب الـذم، و معناه الحكم عليهم بالضـلال عن الحق، و الاخبار بأنهم يسـتحقون اللعن بتكـذيبهم النبى صـلى اللّه عليه و آله، و ما انزل عليه. و نقيضه الهداية أى و يحكم بهداية المؤمنين إلى الحق و مصيرهم الى الطاعة، و تصديقهم بالحق عند نزوله و قبولهم له و قال ابن عباس و قتادة و الضحاك:

عدة الملائكة الموكلين بالنار فى التوراة و الإنجيل تسعة عشر.

ثم اخبر تعـالى فقـال (وَ ما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ) أى لا يعلم جنود اللّه إلا اللّه. ثم قال (وَ ما هِيَ إِلَّا ذِكْرى لِلْبَشَرِ) قيل معناه إن النار فى الـدنيا تذكير بالنار فى الآخرة. و قال قتادة و مجاهد: النار الموصوفة بهذه الصـفة ذِكْرى لِلْبَشَرِ و عظة لهم. و قال البلخى: إِلَّا ذِكْرى لِلْبَشَرِ أى الجنود ذكرى أى عظة للبشر، لان اللّه تعالى لا يحتاج الى ناصر و معين.

ثم قال (كَلَّا وَ الْقَمَرِ) أى حقاً ثم اقسم بالقمر (وَ اللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ) قيل معناه إذا ولى يقال: دبر و أدبر، و قد قرئ بهما. و قيل: إنما دبر الليل بان جاء

---

(١) سورة ٢٨ القصص آية ٨

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١٨٣

بعـده النهـار و آخره. و تقول العرب: قبـح اللّه مـا قبل منك و ما دبر (وَ الصُّبْحِ إِذا أَسْفَرَ) أى أضاء و أنار- فى قول قتادة- و هو قسم آخر. و قال قوم: التقـدير و رب هـذه الأشـياء، لان اليمين لا يكون إلا باللّه. و قال قوم: معنى قوله (وَ الصُّبْحِ إِذا أَسْفَرَ) أى كشف عن الظلام و أنـار الاشـخاص. و قوله (إِنَّها لَإِحْدَى الْكُبَرِ) جواب القسم، و قـال ابن عبـاس و مجاهـد و قتـادة و الضـحاك: معناه إن النار لإحـدى الكبر. و قال قوم: ان هـذه الآيـة لَإِحْدَى الْكُبَرِ. و الكبر جمع الكبرى، و هى العظمى و روى عن ابن كثير أنه (قرأ إنها لحـدى الكبر) لا يهمزه و لا يكسر يسقط الهمزة تخفيفاً، كقولهم فى زيد الأحمر زيد لحمر. و فى أصحاب الايكة اصحاب ليكة.

و الاختيار قطع الألف، لأن العرب إذا حـذفت مثل هـذا نقلت حركـة الهمزة إلى ما قبلها، و اللام قبل هـذه الهمزة متحركـة، و اللام فى الأحمر لام التعريف ساكنة.

قوله تعالى:[سورة المدثر (٧٤): الآيات ٣٦ الى ٥٦] ..... ص: ١٨٣

نَذِيراً لِلْبَشَرِ (٣٦) لِمَنْ شاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (٣٧) كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) إِلاَّ أَصْحابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَتَساءَلُونَ (٤٠)

عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١) ما سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَ لَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَ كُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخائِضِينَ (٤٥)

وَ كُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (۴۶) حَتَّى أَتانَا الْيَقِينُ (۴۷) فَما تَنْفَعُهُمْ شَفاعَةُ الشَّافِعِينَ (۴۸) فَما لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ (۴۹) كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ (۵۰)

فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ (۵۱) بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتى صُحُفاً مُنَشَّرَةً (۵۲) كَلاَّ بَلْ لا يَخافُونَ الْآخِرَةَ (۵۳) كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ (۵۴) فَمَنْ شاءَ ذَكَرَهُ (۵۵)

وَ ما يَذْكُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَشاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوى وَ أَهْلُ الْمَغْفِرَةِ (۵۶)

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١٨۴

احدى و عشرون آية قرأ نافع و ابن عامر و ابو جعفر (مستنفرة) بفتح الفاء. الباقون بكسرها و معناهما متقارب، لان من فتح الفاء أراد أنه نفرها غيرها، و من كسر الفاء أراد أنها نافرة، و انشد الفراء:

امسك حمارك إنه مستنفر فى أثر أحمرة عمدن لغرّب «١»

و النفور الذهاب عن المخوف بانزعاج، نفر عن الشىء ينفر نفوراً فهو نافر، و التنافر خلاف التلاؤم، و استنفر طلب النفور (و مستنفرة) طالبة للنفور. و قرأ نافع و يعقوب (و ما تذكرون) بالتاء على الخطاب. الباقون بالياء على الخبر لما اخبر اللَّه تعالى ان الآية التى ذكرها لإحدى الكبر، بين أنه بعث النبى (نَذِيراً لِلْبَشَرِ) أى منذراً مخوفاً معلماً مواضع المخافة، و النذير الحكيم بالتحذير عما ينبغى ان يحذر منه، فكل نبى نذير، لأنه حكيم بتحذيره عقاب اللَّه تعالى على معاصيه (و نذيراً) نصب على الحال. و قال الحسن: إنه وصف النار و قال ابن زيد: هو وصف النبى. و قال أبو رزين: هو من صفة اللَّه تعالى، فمن قال: هو للنبى قال كأنه قيل: قم نذيراً. و قوله (لِمَنْ شاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ) معناه إن هذا الانذار متوجه إلى من يمكنه ان يتقى عذاب النار بأن يجتنب معاصيه و يفعل طاعاته، فيقدر

---

(١) اللسان (نفر)

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١٨۵

على التقدم و التأخر فى أمره بخلاف ما يقوله المجبرة الذين يقولون بتكليف ما لا يطاق لمنع القدرة. و قال قتادة: معناه لمن شاء منكم أن يتقدم فى طاعة اللَّه أو يتأخر عنها بمعصيته. و المشيئة هى الارادة.

و قوله (كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهِينَةٌ) معناه إن كل نفس مكلفة مطالبة بما عملته و كسبته من طاعة او معصية، فالرهن أخذ الشىء بأمر على أن لا يرد إلا بالخروج منه رهنه يرهنه رهناً قال زهير:

و فارقتك برهن لافكاك له يوم الوداع فأمسى الرهن قد غلقا «١»

و كذلك هؤلاء الضلال قد أخذوا برهن لافكاك له. قال الرمانى: فى ذلك دلالة على القائلين باستحقاق الذم، لأنه عم الارتهان بالكسب فى هذا الموضع، و هم يزعمون انه يرتهن بأن لم يفعل ما وجب عليه من غير كسب شىء منه، فكانت الآية حجة على فساد مذهبهم. و هذا الذى ذكره ليس بصحيح، لان الذى فى الظاهر ان الإنسان رهن بما كسبت يداه. و لم يقل: و لا يرهن إلا بما كسب له إلا من جهة دليل الخطاب الذى هو فاسد عند اكثر الأصوليين، على ان الكسب هو ما يجتلب به نفع او يدفع به ضرر، و يدخل فى ذلك الفعل، و ألا يفعل، فلا تعلق فى الآية.

و لما ذكر تعالى أن (كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهِينَةٌ) استثنى من جملة النفوس فقال (إِلَّا أَصْحابَ الْيَمِينِ) و الاستثناء منقطع، لان اصحاب اليمين ليسوا من الضلال الذين هم رهن بما كسبوه، و تقديره لكن أصحاب اليمين (فِي جَنَّاتٍ) أى بساتين أجنها الشجر، و اصحاب اليمين هم كل من لم يكن من الضالين. و قال الحسن:

هم اصحاب الجنة. و قال قوم: هم الذين ليس لهم شىء من الذنوب. و قال قوم:

---

(١) ديوانه ٣٩ (دار بيروت)

التبيان فی تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١٨۶

هم أطفال المؤمنين. و قوله (يَتَساءَلُونَ) أی يسأل بعضهم بعضاً (عَنِ الْمُجْرِمِينَ) العصاة فی طاعة اللَّه، فيقولون لهم (ما سَلَكَكُمْ فِی سَقَرَ) أی ما أدخلكم فی جهنم فالمجرم هو القاطع بالخروج عن أمر اللَّه و نهيه الی ارتكاب الكبائر من القبيح، و الجارم القاطع. و السلوك الدخول. و سقر اسم من اسماء جهنم. ثم حكی ما يجيبهم به اصحاب النار فإنهم يقولون لهم: أدخلنا فی النار لأنا (لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ) أی لم نك نصلی ما أوجب علينا من الصلاة المفروضة علی ما قررها الشرع، و فی ذلك دلالة علی ان الإخلال بالواجب يستحق به الذم و العقاب، لأنهم لم يقولوا انا فعلنا تركاً للصلاة بل علقوا استحقاقهم للعقاب بالإخلال بالصلاة و فيها دلالة علی أن الكفار مخاطبون بالعبادة لان ذلك حكاية عن الكفار بدلالة قوله فی آخر الآية (وَ كُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ).

و قوله (وَ لَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ) أی لم نكن نخرج الزكوات التی وجبت علينا، و الكفارات التی يلزمنا دفعها الی المساكين. و هم الفقراء، فالمسكين الذی سكنته الحاجة الی ما فی ايدی الناس عن حال النشط. و حال الفقير أشد من حال المسكين. قال اللَّه تعالی (أَمَّا السَّفِينَةُ فَكانَتْ لِمَساكِينَ يَعْمَلُونَ فِی الْبَحْرِ) «١» فسماهم اللَّه مساكين مع أن لهم مركباً فی البحر قال الشاعر:

أنا الفقير الذی كانت حلوبته وفق العيال فلم يترك له سبد «٢»

(وَ كُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخائِضِينَ) قال قتادة: معناه كلما غوی غاوياً لدخول فی الباطل غوينا معه أی كنا نلوث أنفسنا بالمرور فی الباطل كتلويث الرجل بالخوض فلما كان هؤلاء يخرجون مع من يكذب بالحق مشيعين لهم فی القول كانوا خائضين معهم (وَ كُنَّا) مع ذلك (نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ) ای كنا نجحد يوم الجزاء و هو يوم القيامة، فالتكذيب تنزيل الخبر علی انه كذب باعتقاد ذلك فيه أو الحكم به،

---

(١) سورة ١٨ الكهف آية ٨٠

(٢) مر تخريجه فی ۵/ ٢٨٣ [.....]

التبيان فی تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١٨٧

فهؤلاء اعتقدوا ان الخبر بكون يوم الدين كذب. و الدين الجزاء، و هو الإيصال إلی كل من له شیء او عليه شیء ما يستحقه، فلذلك يوم الدين، و هو يوم الجزاء و هو يوم أخذ المستحق بالعدل. و قوله (حَتَّی أَتانَا الْيَقِينُ) معناه حتی جاءنا العلم و اليقين الذی يوجد برد الثقة به فی الصدر أو دليله، يقال: وجد فلان برد اليقين و ثلج فی صدره، و لذلك لا يوصف اللَّه تعالی بأنه متيقن، فقال اللَّه تعالی لهم «فَما تَنْفَعُهُمْ شَفاعَةُ الشَّافِعِينَ» الذين يشفعون لهم، لأن عذاب الكفر لا يسقطه اللَّه بالشفاعة، بالإجماع. ثم قال «فَما لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ» أی أی شیء لهم؟ و لم أعرضوا و تولوا عن النبوة و الرشد؟! و لم يتعظوا به إلی ان صاروا الی جهة الضلال علی وجه الإنكار عليهم. ثم شبههم، فقال «كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ» أی مثلهم فی النفور عما تدعوهم اليه من الحق و اعراضهم، مثل الحمر إذا نفرت و مرت علی وجهها إذا «فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ» و هو السبع يعنی الأسد، يقال نفر، و استنفر، مثل علا متنه و استعلاه و سمع إعرابی رجلا يقرأ (كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ) فقال: طلبها قسورة، فقيل له:

ويحك إن فی القرآن (فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ) قال (مستنفرة) إذاً، فالفرار الذهاب عن الشیء خوفاً منه، فر يفر فراً و فراراً، فهو فار إذا هرب و الفار الهارب.

و الهرب نقيض الطلب، و اصل الفرار الانكشاف عن الشیء، و منه فر الفرس يفره فراً إذا كشف عن سنه. و القسورة الأسد. و قيل: هو الرامی للصيد. و أصله الأخذ بالشدة من قسره يقسره قسراً أی قهره. و قال ابن عباس: القسورة الرماة و قال سعيد بن جبير: هم القناص. و فی رواية أخری عن ابن عباس: جماعة الرجال و قال ابو هريرة: هو الأسد. و هو قول زيد بن اسلم، و فی رواية عن ابن عباس و أبی زيد: القسور بغير هاء تأنيث.

و قوله (بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتى صُحُفاً مُنَشَّرَةً) اخبار من اللَّه التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١٨٨
تعالى بأنهم ليسوا كالحمر المستنفرة الفارة من القسورة، بل لأن كل رجل منهم يريد أن يعطى صحفاً منشرة. قال الحسن و قتادة و مجاهد: انهم يريدون صحفاً منشرة أى كتباً تنزل من السماء كتاباً إلى فلان و كتاباً الى فلان: أن آمنوا بمحمد صلى اللَّه عليه و آله. و قيل: إنهم قالوا كانت بنو إسرائيل إذا أذنب منهم مذنب أنزل اللَّه كتاباً أن فلاناً أذنب فما بالنا لا ينزل علينا مثل ذلك إن كنت صادقاً به؟ و الصحف جمع صحيفة، و هى الورقة التى من شأنها ان تقلب من جهة إلى جهة، لما فيها من الكتابة، و تجمع الصحيفة صحفاً و صحائف، و منه مصحف و مصاحف. و النشر بسط ما كان مطوياً او ملتفاً من غير التحام. و قيل: معناه إنهم يريدون صحفاً من اللَّه. تعالى بالبراءة من العقوبة و إسباغ النعمة حتى يؤمنوا و إلا أقاموا على أمرهم. و قيل: تفسيره ما ذكره اللَّه تعالى فى قوله (وَ لَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنا كِتاباً نَقْرَؤُهُ) «١» فقال اللَّه تعالى (كلا) أى حقاً ليس الأمر على ما قالوه (بَلْ لا يَخافُونَ) هؤلاء الكفار (الْآخِرَةَ) بجحدهم صحته. ثم قال (إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ) يعنى القرآن تبصرة و موعظة لمن عمل به و اتعظ بما فيه، و هو قول قتادة. ثم قال (فَمَنْ شاءَ ذَكَرَهُ) أى من شاء أن يتعظ بما فيه و هو يتذكر به، فعل، لأنه قادر عليه. ثم قال (وَ ما يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ) من قرأ بالتاء، فعلى الخطاب، و من قرأ بالياء، فعلى الاخبار عنهم. و معناه ليس يتذكرون و لا يتعظون بالقرآن إلا ان يشاء اللَّه، و معناه إلا و اللَّه شاءه له، لأنه طاعة و اللَّه يريد الطاعات من خلقه. و قوله (هُوَ أَهْلُ التَّقْوى وَ أَهْلُ الْمَغْفِرَةِ) معناه هو اهل ان يتقى عقابه، و اهل ان يعمل بما يؤدى الى مغفرته. و قيل: معناه هو اهل ان يغفر المعاصى إذا تاب المذنب من معاصيه.

---

(١) سورة ١٧ الإسراء آية ٩٣

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١٨٩

٧٥-سورة القيامة: ..... ص: ١٨٩

اشارة

مكية فى قول ابن عباس و الضحاك و هى أربعون آية فى الكوفى و تسع و ثلاثون فى البصرى و المدنيين

[سورة القيامة (٧٥): الآيات ١ الى ١٠] ..... ص: ١٨٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيامَةِ (١) وَ لا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (٢) أَ يَحْسَبُ الْإِنْسانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظامَهُ (٣) بَلى قادِرِينَ عَلى أَنْ نُسَوِّيَ بَنانَهُ (٤)
بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسانُ لِيَفْجُرَ أَمامَهُ (٥) يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيامَةِ (٦) فَإِذا بَرِقَ الْبَصَرُ (٧) وَ خَسَفَ الْقَمَرُ (٨) وَ جُمِعَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ (٩)
يَقُولُ الْإِنْسانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ (١٠)
عشر آيات.
قرأ (برق) بفتح الراء اهل المدينة و أبان عن عاصم، الباقون بكسر الراء و قرأ القواس عن ابن كثير (لأقسم) بإثبات القسم جعل اللام لام تأكيد، و اقسم، و الاختيار لمن قصد هذا (لأقسمن) و قد روى ذلك عن الحسن، قال: لان اللَّه تعالى اقسم بيوم القيامة، و لم يقسم بالنفس اللوامة. و قال مقاتل: لم يقسم اللَّه تعالى التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١٩٠
بالقيامة إلا فى هذه السورة فقط. الباقون (لا اقسم) التقدير بنفى اليمين فى اللفظ و اختلف فى ذلك النحويون فقال ابو عبيدة و الكسائى (لا) صلة و التقدير اقسم.

و قال قوم (لا) تزيدها العرب لا ابتداء، لكن (لا) هاهنا رد لقوم أنكروا البعث و كفروا بالتنزيل. فقال اللَّه (لا) أى ليس كما تقولون. ثم قال (أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيامَةِ) قال ابن خالويه: (لا) تنقسم أربعين قسما ذكرته فى كل مفرد.

قوله (لا أُقْسِمُ) معناه اقسم و (لا) صلهٔ فى قول سعيد بن جبير. و قال ابن عباس (لا) تأكيد كقولك: لا و اللَّه. بلى و اللَّه ما كان كذا، فكأنه قال لا، اقسم بيوم القيامهٔ ما الأمر على ما توهموه. و القسم تأكيد الخبر بما جعله فى حيز المتحقق. و المعنى اقسم بيوم القيامهٔ و يوم القيامهٔ هو النشأة الاخيرة التى تقوم فيها الناس من قبورهم للمجازاة، و بذلك سميت القيامهٔ، و يومها يوم عظيم، على خطر عظيم جسيم.

و قوله (وَ لا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ) قسم ثان، و معناه معنى الاول. و قال الحسن: أقسم تعالى بيوم القيامهٔ و لم يقسم بالنفس اللوامهٔ، بل نفى ان يقسم بها.

قال الرمانى: و هذا يضعف، لأنه يخرج عن تشاكل الكلام. و قيل: ان جواب القسم محذوف، و تقديره ما الامر على ما تتوهمون. و قال قوم: جواب القسم قوله (بَلى قادِرِينَ).

و اللوامهٔ الكثيرة اللوم لقلهٔ رضاها بالأمر و تمييز ما يرضى مما لا يرضى، و ما يلام عليه مما لا يلام عليه. و قال ابن عباس: اللوامهٔ من اللوم.

و قال مجاهد: تلوم على ما مضى وفات. و قال قتادة: اللوامهٔ الفاجرة، كأنه قال ذات اللوام الكثير. و قال سعيد بن جبير: هى التى تلوم على الخير و الشر و قيل: معناه لا صبر لها على محن الدنيا و شدائدها، فهى كثيرة اللوم فيها. و قال التبيان فى تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۱۹۱

الحسن: اللوامهٔ هى التى تلوم نفسها على ما ضيعت من حق اللَّه يوم القيامهٔ، و هى نفس الكافر. و قيل: معناها أنها تلوم نفسها فى الآخرة على الشر لم عملته و على الخير هلا استكثرت منه.

و قوله (أَ يَحْسَبُ الْإِنْسانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظامَهُ) صورته صورة الاستفهام و معناه الإنكار على من أنكر البعث و النشور، فقال اللَّه له ا يظن الإنسان الكافر أن لن نجمع عظامه و نعيده إلى ما كان أولا عليه. ثم قال: ليس الأمر على ما ظنه (بَلى قادِرِينَ عَلى أَنْ نُسَوِّيَ بَنانَهُ) قال ابن عباس: يجعل بنانه كالخف و الحافر فيتناول المأكول بفيه، و لكننا مننا عليه. و قال قتادة كخف البعير او حافر الدابهٔ. و نصب (قادرين) على أحد وجهين:

أحدهما- على تقدير بلى نجمعها قادرين.

و الآخر- بلى نقدر قادرين إلا أنه لم يظهر (نقدر) لدلالهٔ (قادرين) عليه، فاستغنى به. و قيل: معناه بلى قادرين على ان نسوى بنانه حتى نعيده على ما كان عليه خلقاً سوياً.

و قوله (بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسانُ لِيَفْجُرَ أَمامَهُ) اخبار منه ان الإنسان يفجر أمامه و معناه يمضى أمامه راكباً رأسه فى هواه- فى قول مجاهد- أى فهذا الذى يحمله على الاعراض عن مقدورات ربه، فلذلك لا يقر بالبعث و النشور. و قال الزجاج:

إنه يسوف بالتوبهٔ و يقدم الاعمال السيئهٔ. قال: و يجوز أن يكون المراد ليكفر بما قدامه من البعث بدلالهٔ قوله (يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيامَةِ) فهو يفجر أمامه بأن يكذب بما قدامه من البعث. و قوله (يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيامَةِ) معناه ان الذى يفجر أمامه يسأل متى يكون يوم القيامهٔ؟ فمعنى (أيان) (متى) إلا أن السؤال ب (متى) اكثر من السؤال ب (أيان)، فلذلك حسن ان يفسر بها لما دخلها من الإبهام الذى يحتاج التبيان فى تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۱۹۲

فيه الى بيان ما يتصل بها من الكلام. و السؤال على ضربين: سؤال تعجيز، و سؤال طلب للتبيين.

و قوله (فَإِذا بَرِقَ الْبَصَرُ) فالبرق اللمعان بالشعاع الذى لا يلبث، لأنه مأخوذ من البرق، يقال: برق يبرق برقاً، و إنما قيل (برق البصر) لان ذلك يلحقه عند شدة الأمر، و البارقهٔ الذين تلمع سيوفهم إذا جردوها كالبرق، و انشد ابو عبيدهٔ للكلابى:

لما اتانى ابن عمير راغباً أعطيته عيساً صهاباً فبرق «١»

بكسر الراء و انشد الفراء:

نعانى حنانة طوباً له يسف يبساً من العشرق

فنفسك قانع و لا تنعنى ودا و الكلوم و لا تبرق «٢»

بالفتح، أى لا- تفزع من هول الجراح، و (حنانة) اسم رجل و (طوبا) له نعجة، و قال ابن خالويه: من كسر قال: لان (برق) بالفتح لا يكون إلا فى الضوء يقال برق البرق إذا لمع، و برق الحنظل، فاما برق بالكسر، فمعناه تحير، و الذى قاله اهل اللغة إنهما لغتان، و تقول العرب، لكل داخل: برقة أى دهشة. و قال الزجاج: برق إذا فزع و برق إذا حار.

و قوله (وَ خَسَفَ الْقَمَرُ) أى ذهب نوره بغيبة النور عن البصر، و خسف و كسف بمعنى كأنه يذهب نوره فى خسف من الأرض فلا يرى.

و قوله (وَ جُمِعَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ) أى جمعا فى ذهاب نورهما بما يراه الإنسان و الجمع جعل احد الشيئين مع الآخر. و الجمع على ثلاثة اقسام: جمع فى المكان، و جمع

---

(١) مجاز القرآن ٢/ ٢٧٧ و القرطبى ١٩/ ٩۴

(٢) قائله طرفة بن العبد ديوانه ٧٠ (دار بيروت) البيت الثانى فقط

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١٩٣

فى الزمان، و جمع الاعراض فى المحل. و جمع الشيئين فى حكم او صفة مجاز.

و قوله (يَقُولُ الْإِنْسانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ) اخبار من اللَّه تعالى بأن الإنسان يقول فى ذلك الوقت: اين المهرب؟ و الفرار بفتح الفاء. و روى عن ابن عباس (أين المفر) بكسر الفاء، قال الزجاج: المفر بفتح الفاء مصدر، و بالكسر مكان الفرار. و هذا سؤال تعجيز عن وجود مفر يهرب اليه من عذاب اللَّه فى ذلك اليوم.

و قيل فيه معنى جواب هذا السائل، كأنه قيل يوم القيامة إذا برق البصر و خسف القمر و جمع الشمس و القمر. و المفر مصدر. و يجوز فيه الكسر، و مثله مدب و مدب و قال البصريون: الكسر لمكان الفرار. و قال الفراء الفتح و الكسر لغتان.

قوله تعالى:[سورة القيامة (٧٥): الآيات ١١ الى ٢٥] ..... ص: ١٩٣

كَلَّا لا وَزَرَ (١١) إِلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ (١٢) يُنَبَّؤُا الْإِنْسانُ يَوْمَئِذٍ بِما قَدَّمَ وَ أَخَّرَ (١٣) بَلِ الْإِنْسانُ عَلى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١۴) وَ لَوْ أَلْقى مَعاذِيرَهُ (١۵)

لا- تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١۶) إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ (١٧) فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ (١٩) كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعاجِلَةَ (٢٠)

وَ تَذَرُونَ الْآخِرَةَ (٢١) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ (٢٢) إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ (٢٣) وَ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ باسِرَةٌ (٢۴) تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِها فاقِرَةٌ (٢۵)

خمس عشرة آية قرأ (كلا بل يحبون العاجلة و يذرون الآخرة) بالياء فيهما ابن كثير التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١٩۴

و ابو عمرو و ابن عامر على وجه الاخبار عنهم. الباقون بالتاء على وجه الخطاب لهم، لما حكى اللَّه تعالى عن الكافر انه يقول يوم القيامة (اين المفر) و المهرب حكى ما يقال له، فانه يقال له (كَلَّا لا وَزَرَ) أى لا ملجأ. و الوزر الملجأ من جبل يتحصن به او غيره من الحصون المنيعة. و منه الوزير المعين الذى يلجأ اليه فى الأمور، يقال وزرت الحائط إذا قويته بأساس يعتمد عليه. و قال ابن عباس و مجاهد: لا وَزَرَ، معناه لا ملجأ. و قال الحسن: لا جبل، لان العرب إذا دهمتهم الخيل بغتة، قالوا: الوزر، يعنون الجبل، قال ابن الدمينة:

لعمرك ما للفتى من وزر من الموت ينجو به و الكبر «١»

و قال الضحاك: معناه لا حصن. و قيل معناه لا منجا ينجو اليه، و هو مثل الملجأ. ثم قال تعالى (إِلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ)

أي المرجع الذى يقر فيه. و مثله المأوى و المثوى، و خلافه المرتحل. و المستقر على وجهين: مستقر إلى أمد، و مستقر على الأبد.

و قوله (يُنَبَّؤُا الْإِنْسانُ يَوْمَئِذٍ بِما قَدَّمَ وَ أَخَّرَ)

أي يخبر بجميع ما عمله، و ما تركه من الطاعات و المعاصى، فالنبأ الخبر بما يعظم شأنه، و حسن فى هذا الموضع لان ما جرى مجرى اللغو و المباح لا يعتد به فى هذا الباب. و إنما الذى يعظم شأنه من عمل الطاعة و المعصية هو ما يستحق عليه الجزاء. فأما ما وجوده كعدمه، فلا اعتبار به. و التقديم ترتيب الشيء قبل غيره، و ضده التأخير و هو ترتيب الشيء بعد غيره، و يكون التقديم و التأخير فى الزمان، و فى المكان، و فى المرتبة، كتقديم المخبر عنه فى المرتبة، و هو مؤخر فى الذكر، كقولك: فى الدار زيد، و كذلك الضمير فى (غلامه ضرب زيد) و هو مقدم فى اللفظ و مؤخر فى المرتبة. و قال ابن عباس: ينبأ بما قدم

---

(١) مجاز القرآن ٢/ ٢٧٧ و القرطبى ١٩/ ٩٦

من المعصية و أخرّ من الطاعة. و قال مجاهد: يعنى بأول عمله و آخره. و قال ابن زيد: ما أخذ و ترك. و فى رواية عن ابن عباس، و هو قول ابن مسعود: بما قدم قبل موته، و ما اخر من سنة يعمل بها بعد موته، و قيل ما قدم و أخر جميع أعماله التى يستحق بها الجزاء.

و قوله «بَلِ الْإِنْسانُ عَلى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ»

أي شاهد على نفسه بما تقوم به الحجة- ذكره ابن عباس- كما يقال: فلان حجة على نفسه. و قد قال تعالى «اقْرَأْ كِتابَكَ كَفى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً» «١» و قال الزجاج: معناه بل الإنسان تشهد عليه جوارحه كما قال «يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ» «٢» و الهاء فى (بصيرة) مثل الهاء فى (علامة) للمبالغة. و قيل شهادة نفسه عليه أولى من اعتذاره. و قيل تقديره بل الإنسان على نفسه من نفسه بصيرة: جوارحه شاهدة عليه يوم القيامة و لو اعتذر كان شاهداً عليه من يكذب عذره. و قوله «وَ لَوْ أَلْقى مَعاذِيرَهُ»

معناه و لو اقام الاعتذار عند الناس، و فى دار التكليف و استسر بالمعاصى بإرخاء الستر. و قال ابن عباس: معناه و لو اعتذر. و قال السدى: معناه و لو ارخى الستور و أغلق الأبواب. و قال الزجاج:

معناه لو أتى بكل حجة عنده. و المعاذير التنصل من الذنوب بذكر العذر، واحدها معذرة من قوله «لا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ» «٣» و قيل: المعاذير ذكر مواقع تقطع عن الفعل المطلوب. و العذر منع يقطع عن الفعل بالأمر الذى يشق، و الاعتذار الاجتهاد فى تثبيت العذر.

و قوله «لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ»

قال ابن عباس و سعيد بن جبير و الضحاك: كان النبى صلى اللّه عليه و آله إذا نزل عليه القرآن عجل بتحريك لسانه لحبه إياه،

---

(١) سورة ١٧ الإسراء آية ١٤

(٢) سورة ٢۴ النور آية ٢۴

(٣) سورة ۴٠ المؤمن آية ۵٢

فنهاه اللّه عن ذلك.

و التحريك تغيير الشيء من مكان إلى مكان او من جهة الى جهة بفعل الحركة فيه، و الحركة ما به يتحرك المتحرك. و المتحرك

هو المنتقل من جهة الى غيرها. و اللسان آلة الكلام. و العجلة طلب عمل الشـيء قبل وقته الذى ينبغى أن يعمل فيه، و نقيضه الإبطاء، و السرعة عمل الشيء فى أول وقته الذى هو له، و ضده الاناة.

و قوله «إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ»

قـال ابن عباس و الضـحاك: معناه ان علينا جمعه فى صـدرك، و قراءته عليك حتى يمكنك تلاوته. و قال قتادة: معناه إن علينا جمعه فى صـدرك و تأليفه على ما نزل عليك. و قال ابن عباس- فى روايـة اخرى- إن معناه إن علينا بيانه من حلاله و حرامه بذكره لك. و قـال قتـادة: معنـاه نـذكر أحكـامه و نبين لـك معنـاه إذا حفظته. و قـال البلخى: الـذى أختـاره انه لم يرد القرآن و إنما أراد قراءة العباد لكتبهم يوم القيامـة، لان ما قبله و بعده يدل على ذلك، و ليس فيه شـيء يدل على انه القرآن، و لا على شـيء من أحكام الدنيا، و فى ذلك تقريع للعبد و توبيخ له حين لا تنفعه العجلة. و القرآن من الضم و التأليف، قال عمرو بن كلثوم:

ذراعى عيطل أدماء بكر هجان اللون لم تقرأ جنينا «١»

أى لم تضم رحماً على ولد. و قوله «فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ»

قال ابن عباس:

معناه إذا قرأناه أى تلوناه فاتبع قراءته بقرائتك، و قال قتادة و الضـحاك: معناه بأن يعمل بما فيه من الأحكام و الحلال و الحرام. و قيل: معناه فإذا قرأه جبرائيل عليك فاتبع قراءته. و الاتباع مراجعة الثانى للأول فى ما يقتضـيه، و مثله الاقتداء و الاحتذاء و الائتمام، و نقيضـه الخلاف. و البيان إظهار المعنى للنفس بما يتميز به من غيره بان الشيء يبين إذا ظهر و أبانه غيره أى أظهره بياناً و إبانة، و نقيض البيان

(١) مر تخريجه فى ٢/ ٢٣٨

الإخفاء و الإغماض. و قال قتادة «ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ» معناه إنا نبين لك معناه إذا حفظته.

و قوله «كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعاجِلَةَ» معنـاه الاخبار من اللّه تعالى أن الكفار يريـدون المنافع العاجلـة و يركنون اليها و يريـدونها «وَ تَذَرُونَ الْآخِرَةَ» أى و تتركون عمل الآخرة الذى يستحق به الثواب، و تفعلون ما يستحق به العقاب من المعاصى و المحارم.

ثم قسم تعالى اهل الآخرة فقال «وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ» أى مشرقة مضيئة، فالنضرة الصورة الحسنة التى تملأ القلب سروراً عنـد الرؤيـة نضـر وجهه ينضـر نضـرة و نضارة فهو ناضـر. و النضـرة مثل البهجـة و الطلاقـة، و ضده العبوس و البسور، فوجوه المؤمنين المسـتحقين للثواب بهذه الصفة بما جعل اللّه عليها من النور علامة للخلق، و الملائكة على انهم مؤمنون مستحقون الثواب. و قوله «إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ» معناه منتظرة نعمـة ربها و ثوابه ان يصل اليهم. و قيل «ناضـرة» أى مشـرقة «الى» ثواب ربها «ناظرة» و ليس فى ذلك تنغيص لان الانتظار إنما يكون فيه تنغيص إذا كان لا يوثق بوصوله الى المنتظر أو هو محتاج اليه فى الحال.

و المؤمنون بخلاـف ذلـك، لأنهم فى الحال مسـتغنون منعمون، و هم ايضاً واثقون انهم يصـلون الى الثواب المنتظر. و النظر هو تقليب الحدقة الصـحية نحو المرئى طلبا للرؤية و يكون النظر بمعنى الانتظار، كما قال تعالى «وَ إِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَناظِرَةٌ» «١» أى منتظرة و قال الشاعر:

وجوه يوم بدر ناظرات الى الرحمن تأتى بالفلاح «٢»

أى منتظرة للرحمة التى تنزل عليهم، و قد يقول القائل: انما عينى ممدودة

(١) سورة ٢٧ النمل آية ٣٥

(٢) مر فى ١/ ٢٢٩

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١٩٨

الى اللَّه، و الى فلان، و انظر اليه أى انتظر خيره و نفعه و أؤمل ذلك من جهته، و قوله «وَ لا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ» «١» معناه لا ينيلهم رحمته. و يكون النظر بمعنى المقابلة، و منه المناظرة فى الجدل، و منه نظر الرحمة أى قابله بالرحمة، و يقال: دور بنى فلان تتناظر أى تتقابل، و هو ينظر الى فلان أى يؤمله و ينتظر خيره، و ليس النظر بمعنى الرؤية أصلا، بدلالة انهم يقولون: نظرت الى الهلال فلم أره فلو كان بمعنى الرؤية لكان متناقضاً، و لأنهم يجعلون الرؤية غاية للنظر يقولون: ما زلت أنظر اليه حتى رأيته، و لا يجعل الشيء غاية لنفسه لا يقال: ما زلت أراه حتى رأيته، و يعلم الناظر ناظراً ضرورة، و لا يعلم كونه رائياً بل يسأل بعد ذلك هل رأيت أم لا؟

و دخول «الى» فى الآية لا يدل على ان المراد بالنظر الرؤية، و لا تعليقه بالوجوه يدل على ذلك، لأنا أنشدنا البيت، و فيه تعليق النظر بالوجه و تعديه بحرف (الى) و المراد به الانتظار، و قال جميل بن معمر:

و إذا نظرت اليك من ملك و البحر دونك جرتنى نعماء «٢»

و المراد به الانتظار و التأميل، و ايضاً، فانه فى مقابلة قوله فى صفة اهل النار «تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِها فاقِرَةٌ» فالمؤمنون يؤمنون بتجديد الكرامة و ينتظرون الثواب، و الكفار يظنون الفاقرة، و كله راجع الى فعل القلب، و لو سلمنا أن النظر بعد الرؤية لجاز أن يكون المراد أنها رؤية ثواب ربها، لأن الثواب الذى هو انواع اللذات من المأكول و المشروب و المنكوح تصح رؤيته، و يجوز ايضاً أن يكون إلى واحد إلآلاء و فى واحدها لغات (ألا) مثل قفا، و (ألى) مثل معى و (إلى) مثل حدى و (ألى) مثل حسى، فإذا أضيف الى غيره سقط التنوين، و لا يكون (الى) حرفاً فى الآية و كل ذلك يبطل قول من أجاز الرؤية على اللَّه تعالى.

---

(١) سورة ٣ آل عمران آية ٧٧

(٢) مر فى ١/ ٢٢٩

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ١٩٩

و ليس لأحد ان يقول: إن الوجه الأخير يخالف الإجماع، أعنى اجماع المفسرين، و ذلك لأنا لا نسلم لهم ذلك، بل قد قال مجاهد و ابو صالح و الحسن و سعيد بن جبير و الضحاك:

إن المراد نظر الثواب. و روى مثله عن على عليه السلام،

و قد فرق اهل اللغة بين نظر الغضبان و نظر الراضى، يقولون: نظر غضبان، و نظر راض، و نظر عداوة، و نظر مودة، قال الشاعر:

تخبرنى العينان ما الصدر كاتم و لا حن بالبغضاء و النظر الشزر

و الرؤية ليست كذلك فإنهم لا يضيفونها، فدل على أن النظر غير الرؤية، و المرئى هو المدرك، و الرؤية هى الإدراك بالبصر، و الرائى هو المدرك، و لا تصح الرؤية و هى الإدراك إلا على الأجسام او الجوهر او الألوان. و من شرط المرئى أن يكون هو او محله مقابلا-او فى حكم المقابل، و ذلك يستحيل عليه تعالى، فكيف تجيز الرؤية عليه تعالى؟!!! ثم ذكر القسم الآخر فقال «وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ باسِرَةٌ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِها فاقِرَةٌ» يعنى وجوه اهل الكفر. و البسور ظهور حال الغم فى الوجه معجلا قبل الاخبار عنه و مثله العبوس إلا انه ليس فيه معنى التعجيل. و الفاقرة الكاسرة لفقار الظهر بشدة و مثل الفاقرة الداهية و الآبدة. و قال الحسن: ناظرة بهجة حسنة. و قال مجاهد:

مسرورة. و قال ابن زيد: ناعمة. و قال مجاهد و قتادة: معنى باسرة كاشرة كالحة.

و قال مجاهد: الفاقرة الداهية. و قال ابن زيد الآبدة بدخول النار.

قوله تعالى:[سورة القيامة (٧٥): الآيات ٢٦ الى ٤٠] ..... ص: ١٩٩

كَلَّا إِذا بَلَغَتِ التَّراقِيَ (٢۶) وَ قِيلَ مَنْ راقٍ (٢٧) وَ ظَنَّ أَنَّهُ الْفِراقُ (٢٨) وَ الْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (٢٩) إِلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَساقُ (٣٠) فَلا صَدَّقَ وَ لا صَلَّى (٣١) وَ لكِنْ كَذَّبَ وَ تَوَلَّى (٣٢) ثُمَّ ذَهَبَ إِلى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى (٣٣) أَوْلى لَكَ فَأَوْلى (٣۴) ثُمَّ أَوْلى لَكَ فَأَوْلى (٣۵) أَ يَحْسَبُ الْإِنْسانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدىً (٣۶) أَ لَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنى (٣٧) ثُمَّ كانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الْأُنْثى (٣٩) أَ لَيْسَ ذلِكَ بِقادِرٍ عَلى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتى (۴٠)

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢٠٠

خمس عشرة آية.

قرأ ابن عامر و حفص و رويس «من منى يمنى» بالياء على التذكير ردّوه إلى المنى. الباقون بالتاء حملا على النطفة.

يقول اللَّه تعالى «كَلَّا إِذا بَلَغَتِ» يعنى النفس أو الروح، و لم يذكر لدلالة الكلام عليه كما قال «ما تَرَكَ عَلى ظَهْرِها» «١» يعنى على ظهر الأرض. و إنما لم يذكر لعلم المخاطب به، و «التَّراقِيَ» جمع ترقوة، و هى مقدم الحلق من أعلى الصدر، تترقى اليه النفس عند الموت، و اليها يترقى البخار من الجوف، و هناك تقع الحشرجة، و قوله «وَ قِيلَ مَنْ راقٍ»

فالراق طالب الشفاء يقال: رقاه يرقيه رقية إذا طلب له شفاء بأسماء اللَّه الجليلة و آيات كتابه العظيمة، و أما العوذة فهى رفع البلية بكلمات اللَّه تعالى. و قال ابو قلابة و الضحاك و ابن زيد و قتادة: معنى «راقٍ»

طبيب شاف.

أى اهله يطلبون له من يطبه و يشفيه و يداويه فلا يجدونه. و قال ابن عباس و ابو الجوزاء: معناه قالت الملائكة: من يرقا بروحه أ ملائكة الرحمة أم ملائكة العقاب.

---

(١) سورة ٣۵ فاطر آية ۴۵

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢٠١

و قال الضحاك: أهل الدنيا يجهزون البدن، و أهل الآخرة يجهزون الروح.

و قوله «وَ ظَنَّ أَنَّهُ الْفِراقُ» معناه علم عند ذلك انه فراق الدنيا و الأهل و المال و الولد. و الفراق بعاد الالاف و هو ضد الوصال يقال: فارقه يفارقه فراقاً.

و قد صار علماً على تفرق الأحباب و تشتت الالاف.

و قوله «وَ الْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ» قال ابن عباس و مجاهد: معناه التفت شدة أمر الآخرة بأمر الدنيا. و قال الحسن: التفت حال الموت بحال الحياة. و قال الشعبى و ابو مالك: التفت ساقا الإنسان عند الموت- و فى رواية أخرى عن الحسن- انه قال: التفات الساقين فى الكفن. و قيل: ساق الدنيا بساق الآخرة و هو شدة كرب الموت بشدة هول المطلع. و قال الحسن: معناه التفت شدة أمر الدنيا بشدة أمر الآخرة. و قيل: معناه اشتداد الأمر عند نزع النفس حتى التفت ساق على ساق عند تلك الحال، يقولون: قامت الحرب على ساق عند شدة الأمر قال الشاعر:

فإذا شمرت لك عن ساقها فويهاً ربيع و لا تسأم «١»

و قوله «إِلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَساقُ» معناه إن الخلائق يساقون إلى المحشر الذى لا يملك فيه الأمر و النهى غير اللَّه. و المساق مصدر مثل السوق.

و قوله «فَلا صَدَّقَ وَ لا صَلَّى» قال الحسن: معناه لم يتصدق و لم يصل «وَ لكِنْ كَذَّبَ» باللَّه «وَ تَوَلَّى» عن طاعته. و قال قوم «فَلا صَدَّقَ» بربه «وَ لا صَلَّى» و قال قتادة: معناه فلا صدق بكتاب اللَّه و لا صلى للَّه «وَ لكِنْ كَذَّبَ» به «وَ تَوَلَّى» عن طاعته. و قال قوم: معناه «فَلا صَدَّقَ» بتوحيد اللَّه، و لا نبيه بل كذب به.

و الصدقة العطية للفقراء و الزكاة الصدقة الواجبة على المال المعلق بنصاب مخصوص.

---

(١) تفسير الطبرى ٢٩/ ١٠٧ و قد مر فى ١٠/ ٨٧ [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢٠٢

و الصلاة عبادة أولها التكبير و آخرها التسليم، و فيها قراءة و أركان مخصوصة. و التولى هو الاعراض عن الشيء، فلما كان هذا الجاهل معرضاً عن الحق بتركه الى خلافه من الباطل لزمه الذم بهذا الوصف.

و قوله «ثُمَّ ذَهَبَ إِلى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى» فالتمطى تمدد البدن من الكسل إما كسل مرض او كسل تثاقل عن الامر. و الذم بكسل التثاقل عن الداعى الى الحق. و قال مجاهد و قتادة: معنى يتمطى يتختر. و قيل: الأصل فى يتمطى يلوى مطاه، و المطا الظهر، و نهى عن مشية المطيطيا، و ذلك ان يلقى الرجل بدنه مع التكفى فى مشيه.

و قيل: نزلت الآية فى أبى جهل بن هشام بن المغيرة المخزومى.

و قوله «أَوْلى لَکَ فَأَوْلى ثُمَّ أَوْلى لَکَ فَأَوْلى» قال قتادة: هو وعيد على وعيد. و قيل معنى «أَوْلى لَکَ» وليك الشر يا أبا جهل، و قيل: معناه الذم اولى لك من تركه إلا انه حذف، و كثر فى الكلام حتى صار بمنزلة الويل لك. و صار من المتروك المحذوف الذى لا يجوز إظهاره. و قيل أولى لك، فاولى لك على الاول و الذم لك على الثانى و الثالث. و الأولى فى العقل هو الاحق بالقرب من داعى العقل، كأنه أحق بوليه.

ثم قال على وجه الوعيد و التهديد للكفار «أَ يَحْسَبُ الْإِنْسانُ» و معناه أ يظن الإنسان الكافر بالبعث و النشور الجاحد لنعم اللَّه «أَنْ يُتْرَکَ سُدىً» و معناه أن يترك مهملا عن الأمر و النهى، فالسدى همل من غير أمر يؤخذ به، و يكون فيه تقويم له، و إصلاح لما هو أعود عليه فى عاقبة أمره و أجمل به فى دنياه و آخرته.

و قال ابن عباس و مجاهد: معنى «أَنْ يُتْرَکَ سُدىً» أى هملا لا يؤمر و لا ينهى.

و قيل: أ يحسب الإنسان أن يترك مهملا فلا يؤمر و لا ينهى مع كمال عقله و قدرته.

ثم قال على وجه التنبيه على أن اللَّه خلقه للتكليف و العبادة، و على انه قادر التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢٠٣

على إعادته و احيائه بعد موته «أَ لَمْ يَکُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنى» فالمنى نطفة الذكر التى يجيئ منها الولد «ثُمَّ کانَ عَلَقَةً» أى قطعة من الدم المنعقد جامدة لا تجرى فخلق اللَّه منها هذا الإنسان الذى هو فى احسن تقويم، فسبحان من قدر على ذلك. و قوله «فَخَلَقَ فَسَوَّى» أى خلق من العلقة خلق سويا شق له السمع و البصر. و قال الفراء:

معنى «فسوى» فسواه «فَجَعَلَ مِنْهُ» من ذلك المنى «الزَّوْجَيْنِ الذَّکَرَ وَ الْأُنْثى» فمن قدر على ذلك لا يقدر على ان يحيى الموتى بعد ان كانوا أحياء؟! بلى و اللَّه قادر على ذلك، لان جعل النطفة علقة و خلق العلقة مضغة و خلق المضغة عظماً و كسو العظم لحماً ثم إنشاؤه خلقاً آخر حياً سليماً مركباً فيه الحواس الخمس كل واحدة منها يصلح لما لا يصلح له الاخرى، و خلق الذكر و الأنثى اللذين يصح منهما التناسل على ما قدره اللَّه أعجب و أبدع من اعادة الميت الى ما كان من كونه حياً، فمن قدر على الأول أولى بأن يكون قادراً على الثانى، فالاحياء إيجاد الحياة، و الاماتة إيجاد الموت عند من قال أن الموت معنى، و من قال: ليس بمعنى، قال: هو نقض بنية الحى على وجه الاختراع.

و قوله «فَجَعَلَ مِنْهُ» قيل يعنى من الإنسان «الزَّوْجَيْنِ الذَّکَرَ وَ الْأُنْثى» و قيل من المنى «أَ لَيْسَ ذلِکَ بِقادِرٍ عَلى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتى» و قال قتادة:

كان رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله إذا ختم السورة، يقول: سبحانك اللَّه بلى، و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد اللَّه عليهما السلام

و فى الآيـة دلالـة على صـحة القياس العقلى، و هو أن من قـدر على احياء الإنسان قادر على احيائه بعـد الاماتة، و قال الفراء: يجوز فى العربية يحيى الموتى بالإدغام: بأن ينقل الحركة الى الحاء و تدغم احدى الياءين فى الاخرى و انشد:

و كأنها بين النساء سبيكة تمشى بسدة بيتها بتعىّ «۱»

---

(۱) مر فى ۵/ ۱۴۷

التبيان فى تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۲۰۴

۷۶-سورة الدهر: ..... ص: ۲۰۴

اشارة

و تسـمى سورة الإنسـان، و تسـمى سورة الأبرار، و هى مكيـة فى قول ابن عبـاس و الضـحاك و غيرهمـا. و قال قوم: هى مدنيـة و هى احدى و ثلاثون آية بلا خلاف

[سورة الإنسان (۷۶): الآيات ۱ الى ۱۰] ..... ص: ۲۰۴

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتى عَلَى الْإِنْسانِ حِينٌ مِنَ الـدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَـذْكُوراً (۱) إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ نُطْفَـةٍ أَمْشاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْناهُ سَمِيعاً بَصِيراً (۲) إِنَّا هَدَيْناهُ السَّبِيلَ إِمَّا شاكِراً وَ إِمَّا كَفُوراً (۳) إِنَّا أَعْتَدْنا لِلْكافِرِينَ سَلاسِلَ وَ أَغْلالاً وَ سَعِيراً (۴)

إِنَّ الْأَبْرارَ يَشْـرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كانَ مِزاجُها كافُوراً (۵) عَيْناً يَشْـرَبُ بِها عِبادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَها تَفْجِيراً (۶) يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَ يَخافُونَ يَوْماً كانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً (۷) وَ يُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَ يَتِيماً وَ أَسِيراً (۸) إِنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزاءً وَ لا شُكُوراً (۹) إِنَّا نَخافُ مِنْ رَبِّنا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً (۱۰)

عشر آيات.

قرأ «سلاسلا» منوناً نافع و الكسائى و ابو بكر عن عاصم اتباعا للمصحف التبيان فى تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۲۰۵

و لتشاكل ما جاوره من رأس الآيـة. الباقون بغير تنوين، لان مثل هـذا الجمع لا ينصـرف فى معرفة و لا فى نكرة، لأنه على (فعائل) بعد الفه حرفان.

يقول اللَّه تعالى «هَلْ أَتى عَلَى الْإِنْسانِ» قال الزجاج: معناه أ لم يأت على الإنسان «حِينٌ مِنَ الـدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَـذْكُوراً» يعنى قد كان شيئاً إلا انه لم يكن مـذكوراً، لأنـه كان تراباً و طيناً الى أن نفخ فيه الروح. و قال قوم (هل) يحتمل معناه أمرين: أحـدهما- أن يكون بمعنى (قـد أتى) و الثـانى أن يكون معناهـا اتى على الإنسان، و الأغلب عليها الاسـتفهام و الأصل فيها معنى (قـد) لتجرى على نظائرها بمعنى ضمن معنى الالف و أصله من ذلك قول الشاعر:

أم هل كبير بكى لم تقض عبرته أثر الأحبة يوم البين مشكوم

و المعنى بالإنسان- هاهنا- آدم- فى قول الحسن- و المعنى قـد أتى على آدم «حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ» و به قال قتادة و سـفيان. و قيل: ان آدم لمـا خلق اللَّه جثته بقى أربعين سـنة لم تلـج فيه الروح كـان شـيئاً، و لم يكن مـذكوراً، فلمـا نفـخ فيه الروح و بلغ إلى ساقه كاد ينهض للقيام، فلما بلغ عينيه و رأى ثمار الجنـة بادر اليها ليأخذها فلذلك قال اللَّه تعالى (خُلِقَ الْإِنْسانُ مِنْ عَجَلٍ) «۱» و قال غيره: هو واقع على كل إنسان، و الإنسان فى اللغـة حيوان على صورة الانسانيـة، و قـد تكون الصورة الانسانيـة، و لا إنسان، و قد يكون حيوان و لا إنسان،

فإذا حصل المعنيان صح إنسان لا محالة. و الإنسان حيوان منتصب القامة على صورة تنفصل من كل بهيمة.

و (الحين) مدة من الزمان، و قد يقع على القليل و الكثير. قال اللَّه سبحانه «فَسُبْحانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَ حِينَ تُصْبِحُونَ» «٢» أى وقت تمسون و وقت تصبحون. و قال (تُؤْتِي أُكُلَها كُلَّ حِينٍ) يعنى كل ستة أشهر، و قال قوم: كل سنة. و قال- هاهنا

---

(١) سورة ٢١ الأنبياء آية ٣٧

(٢) سورة ٣٠ الروم آية ١٧

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢٠٦

(هَلْ أَتى عَلَى الْإِنْسانِ حِينٌ) أى مدة طويلة. و الدهر مرور الليل و النهار و جمعه أدهر و دهور، و الفرق بين الدهر و الوقت أن الوقت مضمن بجعل جاعل، لان اللَّه جعل لكل صلاة مفروضة وقتاً، و جعل للصيام وقتاً معيناً، و قد يجعل الإنسان لنفسه وقتاً يدرس فيه ما يحتاج إلى درسه و وقتاً مخصوصاً لغذائه.

و قوله (لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً) أى لم يكن ممن ذكره ذاكر، لأنه كان معدوماً غير موجود. و فى الآية دلالة على أن المعدوم لا يسمى شيئاً، و إنما سمى زلزلة الساعة شيئاً مجازاً. و المعنى إنها إذا وجدت كانت شيئاً عظيماً.

و قوله (إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ) اخبار من اللَّه تعالى أنه خلق الإنسان سوى آدم و حواء من نطفة، و هو ماء الرجل و المرأة الذى يخلق منهما الولد، فالنطفة الماء القليل فى أناء كان او غير إناء قال الشاعر:

و ما النفس إلا نطفة بقرارة إذا لم تكدّر صار صفواً غديرها

و قوله (أَمْشاجٍ) قال ابن عباس أخلاط من ماء الرجل و ماء المرأة. و قال الحسن و الربيع بن أنس و مجاهد مثل ذلك. و قال قتادة: معنى أمشاج أطوار طوراً نطفة و طوراً مضغة و طوراً عظماً إلى أن صار إنساناً ليختبره بهذه الصفات. و قال مجاهد: معناه ألوان النطفة. و قال عبد اللَّه: عروق النطفة و واحد الأمشاج مشيج، و هو الخلط، و سمى النطفة بذلك، لأنه جعل فيها اخلاطاً من الطبائع التى تكون فى الإنسان من الحرارة و البرودة و اليبوسة و الرطوبة. ثم عداها له، ثم بناه البنية الحيوانية المعدلة الاخلاط. ثم جعل فيها الحياة ثم شق له السمع و البصر فتبارك اللَّه رب العالمين، و ذلك قوله (فَجَعَلْناهُ سَمِيعاً بَصِيراً).

و قوله (نَبْتَلِيهِ) أى نختبره بما نكلفه من الافعال الشاقة لننظر ما طاعته و ما عصيانه فنجازيه بحسب ذلك، و يقال مشجت هذا بهذا إذا اخلطته به، و هو ممشوج به التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢٠٧

و مشيج أى مخلوط به قال رؤبة:

يطرحن كل معجل نشاج لم تكس جلداً فى دم أمشاج «١»

و قال ابو ذؤيب:

كأن الريش و الفوقين منه خلاف النصل سيط به مشيج «٢»

و قوله (إِنَّا هَدَيْناهُ السَّبِيلَ) معناه انا أرشدناه إلى سبيل الحق و بيناه له و دللناه عليه. و قال الفراء: معناه هديناه إلى السبيل أو للسبيل. و المعنى واحد.

و قوله (إِمَّا شاكِراً وَ إِمَّا كَفُوراً) قال الفراء: معناه إن شكر و إن كفر على الجزاء و يجوز أن يكون مثل قوله (إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَ إِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ) «٣» و المعنى اما يختار بحسن اختياره الشكر للَّه تعالى و الاعتراف بنعمه فيصيب الحق، و اما أن يكفر نعمه و يجحد إحسانه فيكون ضالا عن الصواب، و ليس المعنى انه مخير فى ذلك، و إنما خرج ذلك مخرج التهديد، كما قال (فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَ مَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ) «٤» بدلالة قوله (إِنَّا أَعْتَدْنا لِلظَّالِمِينَ ناراً) و إنما المراد البيان عن انه قادر عليهما فأيهما اختار جوزى بحسبه.

و فى الآية دلالة على انه تعالى قد هدى جميع خلقه المكلفين، لأن قوله (إِنَّا هَدَيْناهُ السَّبِيلَ) عام فى جملتهم و ذلك يبطل قول

المجبرة: إن اللّه لم يهد الكافر بنصب الدلالة له على طريق الحق و اجتناب الباطل، و ليس كل من ترك الشكر كان كافراً، لأنه قد يترك فى بعض الأحوال على سبيل التطوع، لان الشكر قد يكون تطوعاً كما يكون واجباً، و إنما لم يذكر اللّه الفاسق، لأنه اقتصر على أعظم الحالين

---

(١) مجاز القرآن ٢/ ٢٧٩ و الطبرى ٢٩/ ١٠٩

(٢) مجاز القرآن ٢/ ٢٧٩ و القرطبى ١٩/ ١١٩

(٣) سورة ٩ التوبة آية ١٠٧

(۴) سورة ١٨ الكهف آية ٢٩

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢٠٨

و ألحق الأدون على التبع، و يجوز أن يدخل فى الجملة، و لا يفرد، فليس للخوارج أن يتعلقوا بذلك فى انه ليس بين الكفر و الايمان واسطة. ثم بين انه تعالى إنما ذكره على وجه التهديد بقوله (إِنَّا أَعْتَدْنا لِلْكافِرِينَ) أى ادخرنا لهم جزاء على كفرهم و معاصيهم و عقوبة لهم (سَلاسِلَ وَ أَغْلالًا وَ سَعِيراً) يعذبهم بها و يعاقبهم فيها، و السلاسل جمع سلسلة و الاغلال جمع غل، و السعير هى النار المسعرة الملهبة.

و لما اخبر بما للكافرين من العقوبات على كفرهم، ذكر ايضاً ما للمؤمنين على إيمانهم فقال (إِنَّ الْأَبْرارَ) و هو جمع البر، و هو المطيع للّه المحسن فى أفعاله (يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ) و الكأس إناء الشراب إذا كان فيه، و لا يسمى كأساً إذا لم يكن فيه شراب- ذكره الزجاج- قال الشاعر:

صددت الكأس عنا أم عمرو و كان الكأس مجراها اليمينا «١»

و قوله (كانَ مِزاجُها كافُوراً) قيل ما يشم من ريحها لا من جهة طعمها.

و قوله (عَيْناً يَشْرَبُ بِها عِبادُ اللَّهِ) قوله (عَيْناً) نصب على البدل من (كافُوراً) و يجوز أن يكون على تقدير و يشربون عيناً، و يجوز أن يكون نصباً على الحال من (مِزاجُها) و قال الزجاج: معناه من عين. و قال الفراء: شربها و شرب منها سواء فى المعنى كما يقولون: تكلمت بكلام حسن و كلاماً حسناً. و قيل: يمزج بالكافور، و يختم بالمسك و قيل: تقديره يشربون بها و أنشد الفراء:

شربن بماء البحر ثم ترفعت متى لجج خضر لهن نئيج «٢»

متى لجج. أى من لجج. و عين الماء حفيرة فى الأرض ينبع منها، و هذه العين المذكورة فى أرض الجنة فى كونها فوارة بالماء متعة لأهلها. ثم يفجر فيجرى لهم

---

(١) القرطبى ١٩/ ١٢٣ و الشوكانى ۵/ ٣٣۶

(٢) الطبرى ٢٩/ ١١٢ و القرطبى ١٩/ ١٢۵

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢٠٩

إلى حيث شاءوا منها. قال مجاهد: معناه إنهم يقودونها حيث شاءوا و التفجير تشقيق الأرض يجرى الماء و منه انفجار الصبح، و هو انشقاقه من الضوء، و منه الفجور، و هو الخروج من شق الالتئام إلى الفساد. و عباد اللّه المراد به المؤمنون المستحقون للثواب ثم وصف هؤلاء المؤمنين فقال (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَ يَخافُونَ) و يجوز أن يكون ذلك فى موضع الحال، فكأنه قال يشرب بها عباد اللّه الموفون بالنذر الخائفون (يَوْماً كانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً) فالمستطير الظاهر. و التقدير القائلون إِنَّما نُطْعِمُكُمْ القائلون إِنَّا نَخافُ مِنْ رَبِّنا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً، و يجوز ان يكون على الاستئناف، و تقديره هم الذين يوفون بالنذر و كذلك فى ما بعد، فالوفاء بالنذر هو أن يفعل ما

نـذر عليه فالوفاء إمضاء العقد على الأمر الذى يدعو اليه العقل، و منه قوله (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ) «١» أى الصحيحة، لأنه لا يلزم أحداً أن يفى بعقـد فاسـد، و كـل عقـد صـحيح يجب الوفـاء به، يقال أوفى بالعقـد، و وفى به، فأوفى لغـة أهل الحجاز و هى لغة القرآن، و (وفى) لغة أهل تميم و اهل نجد. و قد بينا فيما مضى شواهده.

و النذر عقد على فعل على وجه البر بوقوع أمر يخاف ألا يقع، نذر ينذر نذراً فهو ناذر، و قال عنترة:

الشاتمى عرضى و لم أشتمهما و الناذرين إذا لم ألقهما دمى «٢»

أى يقولان: لئن لقينا عنترة لنقتلنه، و منه الانذار و هو الاعلام بموضع المخافة ليعقد على التحرز منها. و

روى عن النبى صلى الله عليه و آله انه قال (لا نذر فى معصية)

و عند الفقهاء إن كفارة النذر مثل كفارة اليمين. و الذى

رواه أصحابنا إن كفارة النذر مثل كفارة الظهار

، فان لم يقدر عليه كان عليه كفارة اليمين. و المعنى انه إذا

---

(١) سورة ٥ المائدة آية ١

(٢) مر فى ۴/ ۵۲۶

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢١٠

فات الوقت الذى نذر فيه صار بمنزلة الحنث.

و قوله (وَ يَخافُونَ يَوْماً) من صفة المؤمنين (كانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً) أى منتشراً فاشياً ذاهباً فى الجهات بلغ أقصى المبالغ، قال الأعشى:

فبانت و قد أورثت فى الفؤا د صدعاً على نأيها مستطيرا «١»

و المراد بالشر- هاهنا- أهوال القيامة و شدائدها.

و قـوله (وَ يُطْعِمُـونَ الطَّعـامَ عَلى حُبِّهِ) قـال مجاهـد: معنـاه على شـهوتهم له، و يحتمـل أن يكون المراد على محبتهم للَّه (مِسْـكِيناً) أى يطعمونه فقيراً (وَ يَتِيماً) و هو الـذى لا والـد له من الأطفال (وَ أَسِـيراً) و الأسـير هو المأخوذ من أهل دار الحرب- فى قول قتادة- و قال مجاهد: و هو المحبوس. و قوله (إِنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ) اخبار عما يقوله المؤمنون بأنا إنما نطعمكم معاشر الفقراء و اليتامى و الأسرى لوجه اللَّه، و معناه للَّه، و ذكر الوجه لـذكره بأشـرف الـذكر تعظيماً له، و منه قوله (فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ) و قيل: معناه فثم جهـة اللَّه التى ولاكم اليها و منه قوله (وَ يَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ) «٢» أى و يبقى اللَّه. و قال مجاهد و سعيد بن جبير: علم اللَّه ما فى قلوبهم فأثنى عليهم من غير أن يتكلموا به (لا نُرِيـدُ مِنْكُمْ جَزاءً) أى لا نطلب بهـذا الإطعام مكافأة عاجلة (وَ لا شُـكُوراً) أى لا نطلب أن تشـكرونا عليه عند الخلائق بـل فعلناه للَّه (إِنَّا نَخافُ مِنْ رَبِّنا) أى من عقابه (يَوْماً عَبُوساً) أى مكفهراً عابساً (قَمْطَرِيراً) أى شديـداً، و القمطرير الشديـد فى الشـر. و قـد اقمطر اليوم اقمطراراً، و ذلك أشـد الأيام و أطوله فى البلاء و الشـر، و يوم قمطرير و قماطير كأنه قـد التف شـر بعضه على بعض، قال الشاعر:

---

(١) ديوانه ٨۵ (دار بيروت)

(٢) سورة ۵۵ الرحمن آية ٢٧

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢١١

بنى عمنا هل تذكرون بلاءنا عليكم إذا ما كان يوم قماطر «١»

و

قد روت الخاصة و العامة أن هذه الآيات نزلت فى على عليه السلام و فاطمة و الحسن و الحسين عليهم السلام، فإنهم آثروا المسكين و اليتيم و الأسير ثلاث ليال على إفطارهم و طووا عليهم السلام، و لم يفطروا على شيء من الطعام فأثنى اللَّه عليهم هذا الثناء الحسن، و أنزل فيهم هذه السورة

و كفاك بذلك فضيلة جزيلة تتلى الى يوم القيامة، و هذا يدل على أن السورة مدنية.

قوله تعالى:[سورة الإنسان (٧٦): الآيات ١١ الى ٢٠] ..... ص: ٢١١

فَوَقاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذلِكَ الْيَوْمِ وَ لَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَ سُرُوراً (١١) وَ جَزاهُمْ بِما صَبَرُوا جَنَّةً وَ حَرِيراً (١٢) مُتَّكِئِينَ فِيها عَلَى الْأَرائِكِ لا يَرَوْنَ فِيها شَمْساً وَ لا زَمْهَرِيراً (١٣) وَ دانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُها وَ ذُلِّلَتْ قُطُوفُها تَذْلِيلاً (١٤) وَ يُطافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَ أَكْوابٍ كانَتْ قَوارِيرَا (١٥) قَوارِيرَا مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوها تَقْدِيراً (١٦) وَ يُسْقَوْنَ فِيها كَأْساً كانَ مِزاجُها زَنْجَبِيلاً (١٧) عَيْناً فِيها تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً (١٨) وَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدانٌ مُخَلَّدُونَ إِذا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَنْثُوراً (١٩) وَ إِذا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَ مُلْكاً كَبِيراً (٢٠)

عشر آيات.

قرأ الشعبى و عبيد بن عمير (قدروها) بضم القاف. الباقون بفتحها. من فتح القاف قال معناه قدروها فى أنفسهم، فجاءت كما قدروا، و من ضم أراد أن

---

(١) الشوكانى ٥/ ٣٣٨ و القرطبى ١٩/ ١٣٣ [.....]

ذلك قدر لهم أى قدره اللَّه لهم كذلك. و قرأ نافع و الكسائى و ابو بكر عن عاصم (قواريراً قواريراً) بالتنوين فيهما. و قرأ بغير تنوين و لا الف فى الوقف حمزة و ابن عامر، و قرأ الاولى بالتنوين و الثانية بغير تنوين ابن كثير. و قرأ ابو عمرو فيهما بغير تنوين إلا انه يقف عليه بالألف. من نون الأولى اتبع المصحف، و لأنه رأس آية، ثم كرهوا أن يخالفوا بينهما فنونوا الثانية، و كذلك قرأ الكسائى (ألا ان ثمودا كفروا ربهم ألا بعدا لثمود) «١» صرفهما لئلا يخالف بينهما مع قربهما، و من لم يصرفهما فعلى موجب العربية، لأنه جمع على (فواعيل) بعد ألفه حرفان. و من صرف الاولى فلأنها رأس آية و لم يصرف الثانية على أصل العربية.

لما اخبر اللَّه تعالى عن المؤمنين الذين وصفهم فى الآيات الأولى و ما أوفوا به من النذر فى إطعامهم لوجه اللَّه ما أطعموه و إيثارهم على نفوسهم المسكين و اليتيم و الأسير و إنهم فعلوا ذلك لوجه اللَّه خالصاً، و مخافة من عذاب يوم القيامة، اخبر بما أعد لهم من الجزاء على ذلك، فقال (فَوَقاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذلِكَ الْيَوْمِ) أى كفاهم اللَّه و منع عنهم أهوال يوم القيامة و شدائده، فالوقاء المنع من الأذى يقال: وقاه يقيه وقاء، فهو واق، و وقّاه توقية قال رؤبة:

إن الموّقى مثل ما وقيت «٢»

و منه اتقاه اتقاء و توقاه توقياً، و الشر ظهور الضرّ، و أصله الظهور من قولهم:

و حتى أشرت بالأكف المصاحف «٣»

أى أظهرت، و منه شررت الثوب إذا أظهرته للشمس او الريح، و منه شرار

---

(١) سورة ١١ هود آية ٦٨

(٢) اللسان (وقى)

(٣) قائله كعب بن جعيل، مقاييس اللغة ٣/ ١٨١ و صدره:

فما برحوا حتى رأى الله صبرهم

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢١٣

النـار لظهوره بتطـايره و انتشـاره، و قيـل: الشـر الضـر و القبيـح، و يسـتعار فى غيره، و ليس ما يوجب هـذا. و المراد- هاهنا- أهوال يوم القيامـة و شدائـده فالوقـاء المنع من الأـذى يقـال: وقـاه يقيه وقـاء فهو واق و وقـاه توقيـة و قوله (وَ لَقَّاهُمْ نَضْـرَةً وَ سُـرُوراً) معنى لقاهم اسـتقبلهم به، و النضـرة حسن الألوان، و منه نبت نضـر و ناضـر و نضـر و النضار الذهب. و قيل: ناضـرة ناعمة. و قيل: حسـنة الصورة. و السـرور اعتقاد وصول المنافع اليه فى المستقبل. و قال قوم: هو لذة فى القلب بحسب متعلقه بما فيه النفع، سره يسره سروراً و كل سرور فلا بدله من متعلق، كالسرور بالمال و الولد و السرور بالإكرام و الإجلال، و السرور بالشكر و الحمد، و السرور بالثواب.

و قوله (وَ جَزاهُمْ بِمـا صَبَرُوا) أى كافاهم و أثابهم على صبرهم على محن الـدنيا و شدائـدها و تحمل مشاق التكليف (جَنَّةً) أى بسـتاناً أجنه الشجر (وَ حَرِيراً) يلبسونه. و قوله (مُتَّكِئِينَ) نصب على الحال (فِيها) يعنى فى الجنة (عَلَى الْأَرائِكِ) و هى الحجال فيها الاسرة- فى قول ابن عباس و مجاهد و قتادة- واحدها اريكة و هى الحجلة سرير عليه شبه القبة. و قال الزجاج: الاريكة كل ما يتكأ عليه من مسورة أو غيرها، و قد شوق اللَّه تعالى إلى تلك الحال و هى غاية الرفاهية و الامتاع (لا يَرَوْنَ فِيها) يعنى فى الجنة (شَمْساً) يتأذون بحرّها (وَ لا زَمْهَرِيراً) يتأذون ببرده، فالزمهرير أشد ما يكون من البرد، و قال مجاهد: الزمهرير البرد الشديد و قوله (وَ دانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُها) يعنى أفياء أشـجار تلك الجنـة قريبـة منهم، و نصب (دانِيَةً) بالعطف على (مُتَّكِئِينَ) و يجوز ان يكون عطفاً على موضع (لا يَرَوْنَ فِيها شَـمْساً) فان موضـعها النصب على الحال، و يجوز على المدح كقولهم عند فلان جارية جميلة و شابة طرية. و قوله (وَ ذُلِّلَتْ قُطُوفُها تَذْلِيلًا) معناه إن قام ارتفعت بقدرة اللَّه و إن قعد نزلت حتى ينالها و إن اضـطجع نزلت حتى ينالها- ذكره مجاهد- و قيل: معناه لا يرد التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢١٤

أيديهم عنها بعد و لا شوك.

و قوله (وَ يُطافُ عَلَيْهِمْ) يعنى على هؤلاء المؤمنين الذين وصفهم اللَّه (بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَ أَكْوابٍ) و هو جمع كوب و هو إناء الشراب من غير عروة. و قال مجاهـد: الأكواب الأقـداح. و قال ابن عباس و مجاهـد: هى صـغار القوارير و هى فضة، فلذلك قال (كانَتْ قَوارِيرَا) و قيل: الأكواب الأباريق التى ليس لها خراطيم. و قيل: الأكواب من فضـة فى صـفاء القوارير لا تمنع الرؤية. و قوله (قَوارِيرَا مِنْ فِضَّةٍ) أى هى من فضـة. و قوله (قَدَّرُوها تَقْدِيراً) معنـاه إنهـا على قـدر مـا يشـتهون من غير زيادة و لا نقصان حتى تسـتوفى الكمال، و يجوز ان يكونوا قدّروها قبل مجيئها على صفة فجاءت على ما قدروا جنسه لشبه التمنى، و قال الحسن: على قدرهم، و التقدير وضع المعنى على المقـدار الـذى يتخيل فيه المساواة للاعتبار بالمعانى العقلية بقدر عرف التقدير على طريقة لو كان كذا لكان كذا، و إذا كان كذا كان كذا، و بهذا يظهر القياس يميز به ما يلزم على الأصل مما لا يلزم، و الطوف الدور بالنقل من واحد إلى واحد. و قد يكون الدور بالطبع من غير تنقـل من واحـد إلى آخر، فلاـ يكون طوافـاً، طـاف يطوف طوفـاً، و أطاف بها إطافـة و تطوف تطوفاً و اطوف اطوافاً و قوله (وَ يُسْـقَوْنَ فِيهـا) يعنى فى الجنـة (كَأْساً) و هى الآنيـة إذا كان فيها شـراب (كانَ مِزاجُها زَنْجَبِيلًا) فالزنجبيل ضـرب من القرفـة طيب الطعام يلذع اللسان يربى بالعسل يستدفع به المضار إذا مزج به الشراب فاق فى الالذاذ. و العرب تستطيب الزنجبيل جداً قال الشاعر:

كأن القرنفل و الزنجبيل باتا بفيها و اريا مشورا «١»

و قيل: إن هذا الشراب فى برد الكافور و ذكاء المسك و لذع الزنجبيل، كما

(١) قائله الأعشى ديوانه ٨٥ و اللسان (شور) و فيه اختلاف فى الرواية

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢١٥

قال فى صفة القوارير إنها فى صفاء الفضة و جوهرها يرى ما وراءها كالقوارير.

و قيل: الكافور و الزنجبيل من اسماء العين التى يسقون منها و قوله «عيناً» نصب على انه بدل من الزنجبيل «فِيها تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا» فالسلسبيل الشراب السهل اللذيذ، و قيل: سلسبيل معناه منقاد ماؤها حيث شاءوا- عن قتادة- و قيل شديد الحربة.

و قيل: يتسلسله. و قيل: سمى سلسبيلا من لزوم الطيب و الالذاذ بها، و انشد يونس:

صفراء من نبع يسمى سهمها من طول ما صرع الصيود الصيب «١»

فرفع الصيب على صفة السهم. و قيل: اسم العين معرفة إلا أنه نون لأنه رأس آية. ثم قال «وَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدانٌ مُخَلَّدُونَ» قال قتادة: لا يموتون. و قال الحسن: خلدوا على هيئة الوصفاء، فلا يشبون أبداً. و قيل: مخلدون مستورون بلغة حمير قال بعض شعرائهم:

و مخلدات باللجين كأنما أعجازهن اقاوز الكثبان «٢»

و كأنه يرجع الى بقاء الحسن «إِذا رَأَيْتَهُمْ» يعنى إذا رأيت هؤلاء الولدان «حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَنْثُوراً» أى من كثرتهم و حسنهم، فكأنهم اللؤلؤ المنثور- ذكره قتادة- و قوله «وَ إِذا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَ مُلْكاً كَبِيراً» تقديره و إذا رأيت الأشياء ثم رأيت نعيماً لأهل الجنة عظيماً و ملكاً كبيراً. قال سفيان: من الملك الكبير استئذان الملائكة عليهم و استقبالهم لهم بالتحية. و قوله «وَ إِذا رَأَيْتَ ثَمَّ» ف «ثم» يريد به الجنة. و العامل فيه معنى «رَأَيْتَ» و تقديره و إذا رأيت ببصرك ثم رأيت نعيماً و ملكاً كبيراً. و قال الفراء: و إذا رأيت ما ثم رأيت نعيماً. و أنكره الزجاج و قال (ما) موصولة يتم على تفسيره، و لا يجوز إسقاط الموصول مع بقاء الصلة، و لكن (رأيت) متعد فى المعنى إلى (ثم).

---

(١) تفسير الطبرى ٢٩/ ١١٨

(٢) مقاييس اللغة ٢/ ٢٠٨ و اللسان (خلد، قوز)

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢١٦

قوله تعالى:[سورة الإنسان (٧٦): الآيات ٢١ الى ٣١] ..... ص: ٢١۶

عالِيَهُمْ ثِيابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَ إِسْتَبْرَقٌ وَ حُلُّوا أَساوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَ سَقاهُمْ رَبُّهُمْ شَراباً طَهُوراً (٢١) إِنَّ هذا كانَ لَكُمْ جَزاءً وَ كانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً (٢٢) إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا (٢٣) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَ لا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً (٢۴) وَ اذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَ أَصِيلًا (٢۵)

وَ مِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَ سَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا (٢۶) إِنَّ هؤُلاءِ يُحِبُّونَ الْعاجِلَةَ وَ يَذَرُونَ وَراءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلًا (٢٧) نَحْنُ خَلَقْناهُمْ وَ شَدَدْنا أَسْرَهُمْ وَ إِذا شِئْنا بَدَّلْنا أَمْثالَهُمْ تَبْدِيلًا (٢٨) إِنَّ هذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ إِلى رَبِّهِ سَبِيلًا (٢٩) وَ ما تَشاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلِيماً حَكِيماً (٣٠)

يُدْخِلُ مَنْ يَشاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَ الظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذاباً أَلِيماً (٣١)

احدى عشرة آية.

قرأ (عاليهم) بإسكان الياء أهل المدينة و حمزة و عاصم- فى رواية حفص و أبان و المفضل- جعلوه اسماً لا ظرفاً كما تقول: فوقك واسع و منزلك باب البرد، بأن يجعل الباب هو المنزل، و كذلك يجعل الثياب هى العالى. الباقون بالنصب على الظرف، لأنه ظرف مكان. و هو الأحسن، لان الثانى غير الأول. و إنما يجوز فى مثل ما كان آخر الكلام هو الأول كقولهم: أمامك صدرك، و فوقك رأسك، التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢١٧

فان قلت فوقك السقف و أمامك الأسد بالنصب لا غير. و قرأ نافع و حفص عن عاصم (خضر و إستبرق) بالرفع فيهما. و قرأ حمزة و الكسائى بالجر فيهما. و قرأ ابن كثير و عاصم- فى رواية أبى بكر «خضر» جراً «و إستبرق» رفعاً. و قرأ ابن عامر و ابو عمرو «خضر» رفعاً

و «إستبرق» جراً. من رفعهما جعل «خضر» نعتاً للثياب، و عطف عليه «و إستبرق» و من جرهما جعل «خضر» من نعت «سندس» و عطف عليه «إستبرق» و تقديره عاليهم ثياب إستبرق. و من رفع الأول جعله من نعت الثياب و جر الثانى على انه عطف على «سندس» كأن عليهم ثياب سندس. و من جعل «خضر» نعتاً ل «سندس»، فلانه اسم جنس يقع على الجميع، فلذلك قال «خضر» و من جعله نعتاً للثياب فعلى اللفظ. و قرأ ابن كثير و ابو عمرو «و ما يشاؤن» بالياء على الخبر عن الغائب. الباقون بالتاء على الخطاب.

لما قال اللّه تعالى على وجه التعظيم لشأن المؤمنين الذين وصفهم و عظم ما اعطوا من أنواع النعيم و الولدان و أنواع الشراب و غير ذلك مما وصف، و وصف ذلك بأنه ملك كبير قال «عالِيَهُمْ» و قيل معناه عالى حجالهم السندس. و فى نصب «عاليهم» قولان: قال الفراء: هو نصب على الظرف كقولك: فوقهم، و حكى إن العرب تقول: قومك داخل الدار. و أنكر الزجاج ذلك، و قال نصبه لا يجوز إلا ـ على الحال من الضمير فى «عاليهم» أو من ضمير الولدان فى «رأيتهم» و إنما أنكر ذلك لأنه ليس باسم مكان كقولك هو خارج الدار و داخل الدار، و هذا لا يجوز على الظرف عند سيبويه، و ما حكاه الفراء شاذ لا يعول عليه. و من أسكن الياء أراد رفعه على الابتداء و خبره «ثِيابُ سُنْدُسٍ» و السندس الديباج الرقيق الفاخر الحسن التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢١٨

و هو (فعلل) مثل برثن. و قوله «خُضْرٌ» فمن جر جعله صفة ل (سندس) خضر و وصف (سندس) بخضر و هو لفظ جمع، لان سندساً اسم جنس يقع على الكثير و القليل. و من رفعه جعله نعتاً ل (ثياب) كأنه قال: ثياب خضر من سندس.

و قوله «و إستبرق» من رفعه عطفه على «ثياب سندس» فكأنه قال عاليهم ثياب سندس، و عاليهم إستبرق. و من جره عطفه على (سندس) فكأنه قال: عاليهم ثياب سندس و ثياب إستبرق.

و الإستبرق الديباج الغليظ الذى له بريق، فهم يتصرفون فى فاخر اللباس كما يتصرفون فى لذيذ الطعام و الشراب. و قيل الإستبرق له غلظ الصفاقة لا غلظ السلك كغلظ الديبقى، و إن كان رقيق السلك.

و قوله «وَ حُلُّوا أَساوِرَ مِنْ فِضَّةٍ» فالتحلية الزينة بما كان من الذهب و الفضة و التحلية تكون للإنسان و غير الإنسان كحلية السيف و حلية المركب و الفضاضة الشفافة هى التى يرى ما وراءها كما يرى البلورة، و هى أفضل من الدرّ و الياقوت، و هما أفضل من الذهب فتلك الفضة أفضل من الذهب، و الفضة و الذهب فى الدنيا هما أثمان الأشياء، و إن كان قد ثمن بغيرهما شاذاً. و قيل: يحلون الذهب تارة و تارة الفضة ليجمعوا محاسن الحلية، كما قال تعالى «يُحَلَّوْنَ فِيها مِنْ أَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ» «١» و الفضة و إن كانت دنية فى الدنيا، فهى فى غاية الحسن خاصة إذا كانت بالصفة التى ذكرها و الغرض فى الآخرة ما يكثر الالتذاذ و السرور به لا بأكثر الثمن، لأنه ليست هناك أثمان. و فى الناس من ترك صرف (إستبرق) و هو غلط، لأن الاعجمى إذا عرب فى حال تنكيره انصرف، و دليله الإستبرق و هما مما يحكى عن ابن محيص.

و قوله «وَ سَقاهُمْ رَبُّهُمْ شَراباً طَهُوراً» قيل معناه يسقون شراباً طهوراً ليس

---

(١) سورة ١٨ الكهف آية ٣١ و سورة ٢٢ الحج آية ٢٣ و سورة ٣٥ فاطر آية ٣٣

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢١٩

كالذى يخالطه الانجاس من أنهار الدنيا. و إن قل ذلك و كان مغموراً. و قيل انه ليس كشراب الدنيا الذى قد نجسه الفساد الذى فيه، و هو السكر الداعى إلى القبائح، فقد طهره اللّه فى الجنة من ذلك لتخلص به اللذة، كما قال «مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ» «١» و قيل: شراباً طهوراً لا ينقلب إلى البول بل يفيض من أعراضهم كرشح المسك ذكره ابراهيم التيمى.

و قوله «إِنَّ هذا كانَ لَكُمْ جَزاءً وَ كانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً» اخبار من اللّه تعالى انه يقال للمؤمنين إذا فعل بهم ما تقدم من انواع اللذات و فنون الثواب: إن هذا كان لكم جزاء على طاعاتكم و اجتناب معاصيكم فى دار التكليف، و إن سعيكم فى مرضات اللّه و قيامكم بما أمركم اللّه به كان مشكوراً أى جوزيتم عليه، فكأنه شكر لكم فعلكم.

ثم اخبر تعالى عن نفسه فقال «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنا عَلَيْکَ» يا محمد «الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا» فيه شرف و تعظيم لک. ثم أمره بالصبر على ما أمره من تحمل أعباء الرسالة فقال «فَاصْبِرْ» يا محمد «لِحُکْمِ رَبِّکَ وَ لا تُطِعْ مِنْهُمْ» يعنى من قومه الذين بعث اليهم «آثِماً أَوْ کَفُوراً» و هو نهى عن الجمع و التفريق أى لا تطع آثماً و لا کفوراً، کما يقول القائل: لا تفعل معصية صغيرة او کبيرة أى لا تفعلهما و لا واحدة منهما.

ثم أمره بان يذكر اللَّه بما يستحقه من الصفات و الأسماء الحسنى، فقال «وَ اذْکُرِ اسْمَ رَبِّکَ بُکْرَةً وَ أَصِيلًا» و البكرة الغداة و الأصيل العشى، و هو اصل الليل و جمعه آصال.

و قوله «وَ مِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ» دخلت (من) للتبعيض بمعنى فاسجد له فى بعض الليل، لأنه لم يأمره بقيام جميع الليل، كما قال

---

(١) سورة ٤٧ محمد آية ١٥

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢٢٠

«إِنَّ رَبَّکَ يَعْلَمُ أَنَّکَ تَقُومُ أَدْنى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَ نِصْفَهُ وَ ثُلُثَهُ» «١» و السجود وضع الجبهة على الأرض على وجه الخضوع و أصله الانخفاض كما قال الشاعر:

ترى الاكم فيها سجداً للحوافر «٢»

و السجود من العبادة التى أكد اللَّه الأمر بها لما فيها من صلاح العباد. ثم قال «وَ سَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا» أى نزهه عما لا يليق به فى الليل الطويل. ثم قال «إِنَّ هؤُلاءِ» يعنى الكفار و الذين يجحدون نبوتک «يُحِبُّونَ الْعاجِلَةَ» أى يؤثرون اللذات و المنافع العاجلة فى دار الدنيا من ارتكاب شهواتهم. و العاجلة المقدمة قبل الكرة الثانية «وَ يَذَرُونَ» أى و يتركون (وَراءَهُمْ) أى خلفهم «يَوْماً ثَقِيلًا» أى هو ثقيل على اهل النار أمره، و إن خف على اهل الجنة للبشارة التى لهم فيه. و الثقيل ما فيه اعتمادات لازمة إلى جهة السفل على جهة يشق حمله. و قد يكون ثقيلا على انسان خفيفاً على غيره بحسب قدرته، فيوم القيامة مشبه بهذا. و قيل: معنى (وراءهم) أى خلف ظهورهم العمل للاخرة. و قيل (وراءهم) أمامهم الآخرة، و كلاهما محتمل، و الاول أظهر.

ثم قال تعالى (نَحْنُ خَلَقْناهُمْ) أى نحن الذين اخترعنا هؤلاء الخلائق (وَ شَدَدْنا أَسْرَهُمْ) قال ابن عباس الأسر الخلق، و هو من قولهم: أسر هذا الرجل فأحسن اسره أى خلق فأحسن خلقه أى شد بعضه إلى بعض أحسن الشد، و قال ابو هريرة: الأسر المفاصل. و قال ابن زيد: الأسر القوة. و قولهم: خذ بأسره أى بشده قبل ان يحل، ثم كثر حتى جاء بمعنى خذ جميعه قال الأخطل:

---

(١) سورة ٧٣ المزمل آية ٢٠

(٢) مر فى ١/ ١٤٨، ٢٦٣، ٣١١ و ٤/ ٢٣٣، ٣٨٣ و ٦/ ٩٥ و غيرها

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢٢١

من كل مجتلب شديد أسره سلس القياد تخاله مختالا «١»

و اصل الأسر الشد، و منه قتب مأسور أى مشدود، و منه الأسير، لأنهم كانوا يشدونه بالقيد، و جاء فى التفسير و شددنا مفاصلهم. ثم قال (وَ إِذا شِئْنا بَدَّلْنا أَمْثالَهُمْ تَبْدِيلًا) معناه إذا شئنا أهلكنا هؤلاء و أمثالهم و جئنا بقوم آخرين بدلهم نخلفهم و نوجدهم.

و قوله (إِنَّ هذِهِ تَذْكِرَةٌ) قال قتادة: معناه إن هذه السورة تذكرة، و التذكرة دلالة تخص بها المعانى الحكمية، و كل موعظة تدعو إلى مكارم الأخلاق و محاسن الافعال تذكرة (فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ إِلى رَبِّهِ سَبِيلًا) أى اتخذ إلى رضا ربه طريقاً بأن يعمل بطاعته و ينتهى عن معصيته، و ذلک يدل على انه قادر على ذلک قبل ان يفعله بخلاف ما يقوله المجبرة.

و قوله (وَ ما تَشاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ) أى و ليس تشاؤن شيئاً من العمل بطاعته و بما يرضاه و يوصلكم الى ثوابه إلا و اللَّه يشاؤه و يريده

لأنه يريد من عباده أن يطيعوه، و ليس المراد أن يشاء كل ما يشاؤه العبد من المعاصى و المباحات، لان الحكيم لا يجوز أن يريد القبائح و لا المباح، لان ذلك صفة نقص و يتعالى اللّه عن ذلك. و قد قال اللّه تعالى (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَ لا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) «٢» و المعصية و الكفر من أعظم العسر فكيف يكون اللّه تعالى مشيئاً له و هل ذلك إلا تناقض ظاهر؟! و قوله (إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلِيماً حَكِيماً) اخبار بأنه- عز و جل- كان عالماً بجميع المعلومات و بما يفعله عباده من الطاعة و المعصية (حكيماً) فى جميع ما يفعله و يأمر به.

ثم قال (يُدْخِلُ مَنْ يَشاءُ فِي رَحْمَتِهِ) من الجنة و ثوابها إذا أطاعوه فى عمل ما رغبهم

---

(١) القرطبى ١٩/ ١٤٩ و الطبرى ٢٩/ ١٢٢

(٢) سورة ٢ البقرة آية ١٨٥

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢٢٢

فيه «وَ الظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذاباً أَلِيماً» نصب (الظالمين) على تقدير و عاقب الظالمين باعداد العذاب الأليم أى أعد للظالمين أعد لهم، و حذف لدلالة الثانى عليه و لا يظهر ذلك، لان تفسيره يغنى عن إظهاره.

٧٧-سورة المرسلات: ..... ص: ٢٢٢

اشارة

مكية فى قول ابن عباس و هى خمسون آية بلا خلاف

[سورة المرسلات (٧٧): الآيات ١ الى ١٥] ..... ص: ٢٢٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
وَ الْمُرْسَلاتِ عُرْفاً (١) فَالْعاصِفاتِ عَصْفاً (٢) وَ النَّاشِراتِ نَشْراً (٣) فَالْفارِقاتِ فَرْقاً (٤)
فَالْمُلْقِياتِ ذِكْراً (٥) عُذْراً أَوْ نُذْراً (٦) إِنَّما تُوعَدُونَ لَواقِعٌ (٧) فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ (٨) وَ إِذَا السَّماءُ فُرِجَتْ (٩)
وَ إِذَا الْجِبالُ نُسِفَتْ (١٠) وَ إِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ (١١) لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ (١٢) لِيَوْمِ الْفَصْلِ (١٣) وَ ما أَدْراكَ ما يَوْمُ الْفَصْلِ (١٤)
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٥)

خمس عشرة آية.

قرأ «عذراً» مثقل ابو جعفر و البرجمى و قرأ «او نذراً» خفيف أهل الكوفة غير أبى بكر و ابو عمرو. من ثقل الأول فلأن الثانى مثقل، و من خفف الثانى فلأن التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢٢٣

الأول مخفف. و العذر بالتخفيف و النذر بمعنى الاعذار و الانذار. و من ثقل «نذراً» أراد جمع نذير. و العذر و المعذرة و التعذير بمعنى. قال ابو على النحوى: النذر بالتثقيل و النذير مثل النكر و النكير جميعاً مصدران، و يجوز فى النذر أمران: أحدهما- ان يكون معناه المنذر. و الثانى- أن يكون مصدراً. و قرأ ابو عمرو وحده «وقتت» بالواو على الأصل، وافقه ابو جعفر فى ذلك إلا انه خفف الواو. الباقون «أقتت» بالهمزة أبدلوها من الواو كراهة الضمة على الواو، كما قالوا فى (وحد) و قال الشاعر:

يحل أخيذه و يقال ثعل بمثل تمول منه افتقار «١»

هذا قسم من اللّه تعالى بالمرسلات، كما اقسم بصاد و قاف و يس و غير ذلك و قال قوم: تقديره و رب المرسلات، لأنه لا يجوز القسم إلا باللّه. و قال ابن مسعود و ابن عباس و مجاهد و قتادة و ابو صالح: الْمُرْسَلاتِ- هاهنا- الرياح، و فى رواية اخرى عن ابن

مسعود و أبى صالح إنها الملائكة. و قال قوم «الْمُرْسَلاتِ عُرْفاً» الأنبياء جاءت بالمعروف. و الإرسال نقيض الإمساك و مثله الإطلاق و نقيضه التقييد و الإرسال ايضاً إنفاد الرسول. و قوله «عرفاً» أى متتابعة كعرف الفرس. و قيل:

معروفا إرسالها. و إرسال الرياح اجراء بعضها فى أثر بعض «فَالْعاصِفاتِ عَصْفاً» يعنى الرياح الهابة بشدة. و العصوف مرور الريح بشدة، عصفت الريح تعصف عصفاً و عصوفاً إذا اشتدت هبوبها، فعصوف الريح شدة هبوبها. و قوله «وَ النَّاشِراتِ نَشْراً» قال ابن مسعود و مجاهد و قتادة و ابو صالح: هى الرياح، لأنها تنشر السحاب للغيث، كما تلحقه للمطر. و قال ابو صالح- فى رواية- هى الملائكة تنشر الكتب عن اللّه. و فى رواية اخرى عن أبى صالح إنها الأمطار لأنها تنشر النبات. و قيل الرياح تنشر السحاب فى الهواء.

---

(١) الطبرى ٢٩/ ١٢٦

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢٢٤

و قوله (فَالْفارِقاتِ فَرْقاً) قال ابن عباس و ابو صالح: هى التى تفرق بين الحق و الباطل، و هى الملائكة و قال قتادة: هى آيات القرآن. و قال الحسن: هى آى القرآن تفرق بين الهدى و الضلال (فَالْمُلْقِياتِ ذِكْراً) قال ابن عباس و قتادة هم الملائكة. و الإلقاء طرح الشىء على غيره، و الإلقاء إيقاع الشىء على غيره، فالذكر يلقى بالبيان و الافهام و هو من صفة الملائكة فيما تلقيه إلى الأنبياء، و من صفة الأنبياء فيما تلقيه إلى الأمم، و من صفة العلماء فيما تلقيه الى المتعلمين و قيل لما جمعت الأوصاف للرياح لاختلاف فوائدها. و قال بعضهم (الْمُرْسَلاتِ عُرْفاً) الأنبياء جاءت بالمعروف (فَالْعاصِفاتِ عَصْفاً) الرياح «وَ النَّاشِراتِ نَشْراً» الأمطار نشرت النبات «فَالْفارِقاتِ فَرْقاً» آى القرآن «فَالْمُلْقِياتِ ذِكْراً» الملائكة تلقى كتاب اللّه تعالى إلى الأنبياء.

و قوله «عُذْراً أَوْ نُذْراً» يحتمل نصبه وجهين:

أحدهما- على انه مفعول له أى للاعذار و الانذار.

و الثانى- مفعول به أى ذكرت العذر و النذر. و اختار ابو على أن يكون بدلا من قوله «ذكراً» و قيل معناه اعذاراً من اللّه و إنذاراً الى خلقه ما ألقته الملائكة من الذكر إلى أنبيائه و العذر أمر فى امر ظهوره دفع اللوم بأنه لم يكن يستحق لأجل تلك الحال مع وقوع خلاف المراد. فالعقاب على القبيح بعد الانذار يوجب العذر فى وقوعه. و إن كان بخلاف مراد العبد الذى استحقه. قال الحسن «عذراً» معناه يعتذر به الى عباده فى العقاب أنه لم يكن الا على وجه الحكمة. و النذر و الانذار و هو الاعلام بموضع المخافة ليتقى. و من خفف «عذراً» كره توالى الضمتين.

و قوله «إِنَّما تُوعَدُونَ لَواقِعٌ» جواب القسم و معناه إن الذى وعدكم اللّه به من البعث و النشور و الثواب و العقاب: كائن لا محالة. و قيل: الفرق بين الواقع التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢٢٥

و الكائن أن الواقع لا يكون إلا حادثاً تشبيهاً بالحائط الواقع، لأنه من أبين الأشياء فى الحدوث، و الكائن أعم منه لأنه بمنزلة الموجود الثابت يكون حادثاً و غير حادث.

و قوله «فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ» معناه محيت آثارها و ذهب نورها. و الطمس محو الأثر الدال على الشىء فالطمس على النجوم كالطمس على الكتاب، لأنه يذهب نورها و العلامات التى كانت تعرف بها (وَ إِذَا السَّماءُ فُرِجَتْ) أى شققت و صدعت (وَ إِذَا الْجِبالُ نُسِفَتْ) نسف الجبال إذهابها حتى لا- يبقى لها فى الأرض أثر، و النسف تحريك الشىء بما يخرج ترابه و ما اختلط به مما ليس منه، و منه سمى المنسف و نسف الحبوب كلها تجرى على هذا الوجه، و قوله «نُسِفَتْ» من قولهم: أنسفت الشىء إذا أخذته بسرعة.

و قوله (وَ إِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ) أى أعلمت وقت الثواب و وقت العقاب، فالتوقيت تقدير الوقت لوقوع الفعل، و لما كانت الرسل عليهم السلام قد قدر إرسالها لاوقات معلومة بحسب صلاح العباد فيها كانت قد وقتت لتلك الأوقات بمعنى أعلمت وقت الثواب و وقت العقاب. و قال مجاهد و ابراهيم و ابن زيد: أقتت بالاجتماع لوقتها يوم القيامة قال تعالى (يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ) «١» و المواقيت الآجال

و مثله (يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَواقِيتُ لِلنَّاسِ وَ الْحَجِّ) «٢» و قيل: معنى اقتت أجلت لوقت ثوابها، و هو يوم الفصل. و قيل: معناه أجلت فيما بينها و بين أمتها (لِيَوْمِ الْفَصْلِ) ثم بين تعالى فقال (لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ) أى أخرت إلى اجل فالتأجيل التأخير الى أجل، فالرسل قد أجلت بموعودها الى يوم الفصل، و هو يوم القيامة و سمى يوم الفصل، لأنه يفصل فيه بين حال المهتدى و الضال بما يعلم اللَّه لأحدهما من

---

(١) سورة ٥ المائدة آية ١١٢ [.....]

(٢) سورة ٢ البقرة آية ١٨٩

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢٢٦

حال الثواب بالإجلال و الإكرام، و للاخر من حال العقاب بالاستخفاف و الهوان بما لا يخفى على انسان. و قيل: الوجه فى تأجيل الموعود إلى يوم الفصل تحديد الامر للجزاء على جميع العباد فيه بوقوع اليأس من الرد إلى دار التكليف، لان فى تصور هذا ما يتأكد به الدعاء الى الطاعة و الانزجار عن المعصية.

و قوله (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) تهديد و وعيد لمن جحد يوم القيامة و كذب بالثواب و العقاب، و إنما خص الوعيد فى الذكر بالمكذبين لأن التكذيب بالحق يتبعه كل شيء، فخصال المعاصى تابعة له و إن لم يذكر معه، مع أن التكذيب قد يكون فى القول و الفعل المخالف للحق، و منه قولهم: حمل فما كذب حتى لقى العدو فهزمه.

قوله تعالى:[سورة المرسلات (٧٧): الآيات ١٦ الى ٢٨] ..... ص: ٢٢٦

أ لَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ (١٦) ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ (١٧) كَذلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (١٨) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٩) أ لَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ ماءٍ مَهِينٍ (٢٠)

فَجَعَلْناهُ فِي قَرارٍ مَكِينٍ (٢١) إِلى قَدَرٍ مَعْلُومٍ (٢٢) فَقَدَرْنا فَنِعْمَ الْقادِرُونَ (٢٣) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٢٤) أ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفاتاً (٢٥) أَحْياءً وَ أَمْواتاً (٢٦) وَ جَعَلْنا فِيها رَواسِيَ شامِخاتٍ وَ أَسْقَيْناكُمْ ماءً فُراتاً (٢٧) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٢٨)

ثلاث عشرة آية.

قرأ أهل المدينة و الكسائى «فقدرنا» مشددة. الباقون بالتخفيف و هما لغتان. و من اختار التخفيف فلقوله «فَنِعْمَ الْقادِرُونَ».

يقول اللَّه تعالى على وجه التهديد للكفار «أ لَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ» يعنى قوم نوح التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢٢٧

و عاد و ثمود، و الآخرون قوم لوط و ابراهيم إلى فرعون و من معه من الجنود أهلكهم اللَّه تعالى بأنواع الهلاك جزاء على كفرهم لنعم اللَّه و جحدهم لتوحيده و اخلاص عبادته و قوله «ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ» إنما رفعه عطفاً على موضع «أ لم» كأنه قال:

لكنا نهلك الأولين ثم نتبعهم الآخرين. و قال المبرد تقديره ثم نحن نتبعهم لا يجوز غيره. لان قوله (أ لَمْ نُهْلِكِ) ماض، و قوله (ثُمَّ نُتْبِعُهُمْ) مستقبل فلا يكون عطفاً على الاول و لا على موضعه. و الإهلاك إبطال الشيء بتصييره الى حيث لا يدرى اين هو إما باعدامه او بإخفاء مكانه، و قد يكون الإهلاك بالاماتة، و قد يكون بالنقل إلى حال الجمادية. و الاول هو الكائن قبل غيره. و الثانى هو الكائن بعد غيره.

و الاول قبل كل شيء هو اللَّه تعالى الذى لم يزل. (وَ الْأَوَّلِينَ) فى الآية هم الذين تقدموا على أهل العصر الثانى، و الاخر الكائن بعد الاول من غير بقية منه، و بهذا ينفصل عن الثانى، لأن الثانى قد يكون بعد بقية من الشيء ثالثاً و رابعاً و خامساً إلى حيث انتهى، فإذا صار الى الآخر فليس بعده شيء كالكتاب الذى هو أجزاء كثيرة و قوله (كَذلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ) أى مثل ما فعلنا بأولئك نفعل مثله بالعصاة ثم قال (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ) يعنى يوم الجزاء و الثواب و العقاب (لِلْمُكَذِّبِينَ) فإنهم يجازون بأليم العقاب. و الاتباع الحاق الثانى بالأول

بدعائه اليه، و التبع الحاق الثانى بالأول باقتضائه له، تبع تبعاً فهو تابع و أتبع اتباعاً.

و قوله (أَ لَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ ماءٍ مَهِينٍ) و المهين القليل الغناء، و مثله الحقير الذليل و فى خلق الإنسان على هذا الكمال من الحواس الصحيحة و العقل و التميز من ماء مهين أعظم الاعتبار و أبين الحجة على ان له مدبراً و صانعاً و خالقاً خلقه و صنعه فمن جحده كان كالمكابر لما هو من دلائل العقول.

ثم قال اللَّه تعالى مبيناً انه جعل ذلك الماء المهين الحقير (فِي قَرارٍ مَكِينٍ) التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢٢٨

فالقرار المكان الذى يمكن أن يطول فيه مكث الشىء، و منه قولهم: قر فى المكان إذا ثبت على طول المكث فيه يقر قراراً، و لا قرار لفلان فى هذا المكان أى لاثبات له.

و قوله (إِلى قَدَرٍ مَعْلُومٍ) فالقدر المقدار المعلوم الذى لا زيادة فيه و لا نقصان و كأنه قال إلى مقدار من الوقت المعلوم، و القدر مصدر من قولهم: قدر يقدر قدراً و قدر يقدّر- بالتخفيف، و التشديد- إلا أن التشديد للتكثير. و قوله (فَقَدَرْنا فَنِعْمَ الْقادِرُونَ) معناه فى قول من خفف فقدرنا من القدرة، فنعم القادرون على تدبيره. و من شدد أراد فقدرنا، فنعم المقدرون لاحوال النطفة و نقلها من حال الى حال حتى صارت إلى حال الإنسان. و العرب تقول: قدر عليه الموت و قدر: بالتخفيف و التشديد. و من شدد و قرأ القادرون جمع بين اللغتين كما قال الأعشى:

و انكرتنى و ما كان الذى نكرت من الحوادث إلا الشيب و الصلعا «١»

و قوله (أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفاتاً) نصب (كفاتاً) على الحال، و تقديره أ لم نجعل الأرض لكم و لهم كفاتاً، و الكفات الضمام فقد جعل اللَّه الأرض للعباد تكفتهم (أَحْياءً وَ أَمْواتاً) أى تضمهم فى الحالين كفت الشىء يكفته كفتاً و كفاتاً إذا ضمه و قيل (كفاتاً) وعاء و هذا كفته أى وعاؤه، و يقال كفيته أيضاً، و قال الشعبى و مجاهد: فظهرها للاحياء و بطنها للأموات، و هو قول قتادة و نصب أحياء و أمواتاً على الحال، و يجوز على المفعول به، قال ابو عبيدة و غيره (كفاتاً) أى اوعية يقال:

هذا النحى كفت هذا و كفيته.

و قوله (أَحْياءً وَ أَمْواتاً) أى منه ما ينبت، و منه ما لا ينبت.

و قوله (وَ جَعَلْنا فِيها رَواسِيَ شامِخاتٍ) أى و جعلنا فى الأرض جبالا ثابتة

---

(١) مر فى ۶/ ٢٨

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢٢٩

عالية، فالشامخات العاليات، شمخ يشمخ شمخاً، فهو شامخ، و منه شمخ بأنفه إذا رفعه كبراً، و جبل شامخ و شاهق و بازخ كله بمعنى واحد و الرواسى الثوابت.

و قوله (وَ أَسْقَيْناكُمْ ماءً فُراتاً) أى و جعلنا لكم شراباً من الماء الفرات، و هو العذب و هو صفة يقال: ماء فرات و ماء زلال و ماء غدق و ماء نمير كله من العذوبة و الطيب، و به سمى النهر العظيم المعروف بالفرات قال الشاعر:

إذا غاب عنا غاب عنا فراتنا و إن شهد أجدى فضله و جداوله «١»

و قال ابن عباس أصول الأنهار العذبة أربعة: جيحان و منه دجلة، و سيحان نهر بلخ، و فرات الكوفة، و نيل مصر. و قوله (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) قد فسرناه.

قوله تعالى: [سورة المرسلات (٧٧): الآيات ٢٩ الى ۴٠] ..... ص: ٢٢٩

اشارة

انْطَلِقُوا إِلى ما كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢٩) انْطَلِقُوا إِلى ظِلٍّ ذِى ثَلاثِ شُعَبٍ (٣٠) لا ظَلِيلٍ وَ لا يُغْنِى مِنَ اللَّهَبِ (٣١) إِنَّها تَرْمِى بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ (٣٢) كَأَنَّهُ جِمالَتٌ صُفْرٌ (٣٣)

وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٣۴) هذا يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ (٣۵) وَ لا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ (٣۶) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٣٧) هذا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْناكُمْ وَ الْأَوَّلِينَ (٣٨)

فَإِنْ كانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ (٣٩) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (۴٠)

اثنتا عشرة آية.

---

(١) مر فى ۴/ ١٩۴

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢٣٠

قرأ رويس (انطلقوا إلى ظل) على فتح اللام بلفظ الماضى. و قرأ اهل الكوفة إلا أبا بكر (جمالة) و ضم الجيم يعقوب، الباقون (جمالات) من قرأ (جمالة) على لفظ الواحد قال معناه الجمع لقوله (صفر) و من قرأ (جمالات) بكسر الجيم قال: جمالة و جمالات جميعاً جمعان، كأنه جمع الجمع مثل: رجال و رجالات، و بيوت و بيوتات، و الهاء فى قوله (كأنه) كناية عن الشرر.

و هذا حكاية ما يقول اللَّه تعالى للكفار المكذبين بيوم الدين يوم القيامة فانه يقول لهم (انْطَلِقُوا إِلى ما كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ) من العقاب على الكفر و دخول النار جزاء على المعاصى، فكنتم تجحدون ذلك و تكذبون به و لا تعترفون بصحته، فامضوا اليوم اليه. فالانطلاق الانتقال من مكان إلى مكان من غير مكث الاعتقال، و هو من الإطلاق خلاف التقييد، و الانتقال من حال إلى حال، و من اعتقاد إلى اعتقاد لا يسمى انطلاقاً. ثم ذكر الموضع الذى أمرهم بالانطلاق اليه، فقال (انْطَلِقُوا إِلى ظِلٍّ ذِى ثَلاثِ شُعَبٍ) قيل: معناه يتشعب من النار ثلاث شعب: شعبة فوقه، و شعبة عن يمينه و شعبة عن شماله فيحيط بالكافر. و قال مجاهد و قتادة (ظل) دخان من جهنم ينقسم ثلاث شعب كما قال تعالى (أَحاطَ بِهِمْ سُرادِقُها) «١» أى من الدخان الآخذ بالانفاس (لا ظَلِيلٍ) معناه غير مانع من الأذى يستر عنه، فالظليل المانع من الأذى بستره عنه، و مثله الكنين، فالظليل من الظلة، و هى السترة، و الكنين من الكن، فظل هذا الدخان لا يغنى الكفار من حر النار شيئاً. و بين ذلك بقوله «وَ لا يُغْنِى مِنَ اللَّهَبِ» و الإغناء إيجاد الكفاية بما يكون وجود غيره و عدمه سواء يقال: أغنى عنه أى كفى فى الدفع عنه. و اللهب ارتفاع الشرر، و هو اضطرام النار، التهب يلتهب التهاباً و ألهبتها إلهاباً و لهباً.

---

(١) سورة ١٨ الكهف آية ٢٩

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢٣١

و قوله «إِنَّها» يعنى النار «تَرْمِى بِشَرَرٍ» و هى قطع تطاير من النار فى الجهات و أصله الظهور من شررت الثوب إذا أظهرته للشمس و الشرر يظهر متبدداً من النار. و قوله «كَالْقَصْرِ» أى ذلك الشرر كالقصر أى مثله فى عظمه، و هو يتطاير على الكافرين من كل جهة- نعوذ باللَّه منه- و القصر واحد القصور من البنيان- فى قول ابن عباس و مجاهد- و فى رواية أخرى عن ابن عباس و قتادة و الضحاك: القصر أصول الشجر واحدته قصرة مثل جمرة و جمر، و العرب تشبه الإبل بالقصور، قال الأخطل:

كأنه برج رومى يشيده لزّ بجص و آجرّ و أحجار «١»

و القصر فى معنى الجمع إلا انه على طريق الجنس. ثم شبه القصر بالجمال، فقال «كَأَنَّهُ جِمالَتٌ صُفْرٌ» قال الحسن و قتادة: كأنها أنيق سود، لما يعترى سوادها من الصفرة. و قال ابن عباس و مجاهد و سعيد بن جبير: قلوس السفن، و فى رواية أخرى عن ابن عباس: هى قطع النحاس. قال الزجاج «جمالات» بالضم جمع جمالة و هو القلس من قلوس البحر، و يجوز أن يكون جمع (جمل) و جمالات، كما قيل (رحال) جمع (رحل) و من كسر فعلى انه جمع جمالة، و جمالة جمع جمل مثل حجر و حجارة، و ذكر و ذكارة. و قرئ فى الشواذ

«کالقصر» بفتح الصـاد جمع کأنهـا أعنـاق الإبل «و جمالات» جمع جمل کرجل و رجالات، و بیت و بیوتات، و یجوز أن یکون جمع جمالـهٔ. و قرأ حمزهٔ و الکسـائی و حفص عن عاصم «جملـهٔ» بغیر الألف علی التوحیـد لأنه لفظ جنس یقع علی القلیل و الکثیر. الباقون جمالات بألف، مکسور الجیم.

و قوله «وَیْلٌ یَوْمَئِذٍ لِلْمُکَذِّبِینَ» قد فسرناه ثم قال تعالی «هذا یَوْمُ لا یَنْطِقُونَ

---

(۱) مر فی ۷/ ۵۳

التبیان فی تفسیر القرآن، ج ۱۰، ص: ۲۳۲

وَ لا یُؤْذَنُ لَهُمْ فَیَعْتَذِرُونَ» اخبار من اللَّه تعالی أن ذلک الیوم لا ینطق الکفار.

و قیل فی معناه قولان:

أحدهما- ..... ص: ۲۳۲

ان ذلـک الیوم مواطن، فموطن لاـ ینطقون، لأـنهم مبلسون من هول مـا یرونه، و موطن یطلق فیه عن ألسـنتهم فینطقون، فلـذلک حکی عنهم أنهم «قـالُوا رَبَّنـا أَمَتَّنَـا اثْنَتَیْنِ وَ أَحْیَیْتَنَا اثْنَتَیْنِ فَاعْتَرَفْنا بِذُنُوبِنا فَهَلْ إِلی خُرُوجٍ مِنْ سَبِیلٍ» «۱» و قـد یقال هـذا یوم لا ینطقون إذا لم ینطقوا فی بعضه کما یقال: کان کذا یوم قدم فلان و إن کان قدم فی بعضه، لان المعنی مفهوم.

و الثانی- ..... ص: ۲۳۲

انهم ینطقون بنطق لاـ ینتفعون به، و کأنهم لم ینطقوا، و أضاف الزمان إلی الأفعال کقولک أتیتک یوم قـدم زیـد، و آتیک یوم یخرج عمرو، و أجاز النحویون هذا یوم لا ینطقون بالنصب علی انه یشیر إلی الجزاء، و لا یشیر إلی الیوم

و قوله «وَ لا یُؤْذَنُ لَهُمْ» فالاذن الإطلاق فی الفعل، تقول: یسـمع بالاذن فهـذا أصـله و قـد کثر اسـتعماله حتی صار کل دلیل ظهر به أن للقادر أن یفعل کذا فهو أذن له، و کل ما اطلق اللَّه فیه بأی دلیل کان، فقد أذن فیه.

و قوله تعالی «فَیَعْتَذِرُونَ» فالاعتذار الانتفاء من خلاف المراد بالمانع من المراد، و لیس لاحد عذر فی معصـیهٔ اللَّه، لأنه تعالی لا یکلف نفساً ما لا یطاق. و قد یکون له عذر فی معصیهٔ غیره، لأنه قد یکلف خلاف الصواب و قد یکلف ما لا یمکن لعارض من الأسباب.

و قوله «فیعتـذرون» رفع عطفاً علی قوله «لا یؤذن» قال الفراء: تقـدیره لا ینطقون و لا یعتـذرون، و قد یجوز فی مثله النصب علی جواب النفی، و معنی الآیهٔ لا یؤذن لهم فی الاعتذار فکیف یعتذرون.

---

(۱) سورهٔ ۴۰ المؤمن آیهٔ ۱۱

التبیان فی تفسیر القرآن، ج ۱۰، ص: ۲۳۳

و قوله (هـذا یَوْمُ الْفَصْـلِ) یعنی یفصـل بین الخلائق بالحکم لکل أحـد بما له و علیه. و الفصل قطع علق الأمور بتوفیـهٔ الحقوق، و هـذا الفصـل الـذی هو فصـل القضـاء یکون ذلـک فی الآخرهٔ علی ظاهر الأمر و باطنه، و أما فی الـدنیا، فهو علی ظاهر الأمر، لان الحاکم لا یعرف البواطن.

و قوله «جَمَعْناکُمْ وَ الْأَوَّلِینَ» معناه إن اللَّه یجمع فیه الخلائق فی یوم واحد فی صعید واحد، و الجمع جعل الشیء مع غیره إما فی مکان واحـد أو محل واحـد أو فی یوم واحـد أو وقت واحـد، أو یجعل مع غیره فی حکم واحـد أو معنی واحد کجمع الجماد و الحیوان فی

معنى الحدوث.

و قوله «فَإِنْ كانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ» معناه توبيخ من اللَّه تعالى و تقريع للكفار و اظهار عجزهم عن الدفع عن أنفسهم فضلا عن أن يكيدوا غيرهم، و إنما هو على أنكم كنتم فى دار الدنيا تعملون ما يغضبنى، فالان عجزتم عن ذلك و حصلتم على وبال ما عملتم. و قيل: المعنى إن كان لكم حيلة تحتالونها فى التخلص فاحتالوا. و الكيد الحيلة و «وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ» قد مضى تفسيره.

قوله تعالى:[سورة المرسلات (٧٧): الآيات ٤١ الى ٥٠] ..... ص: ٢٣٣

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلالٍ وَ عُيُونٍ (٤١) وَ فَواكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٤٢) كُلُوا وَ اشْرَبُوا هَنِيئاً بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣) إِنَّا كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٤٤) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٤٥)

كُلُوا وَ تَمَتَّعُوا قَلِيلاً إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ (٤٦) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٤٧) وَ إِذا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لا يَرْكَعُونَ (٤٨) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٤٩) فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (٥٠)

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢٣٤

عشر آيات.

لما ذكر اللَّه تعالى الكفار و ما أعدّ لهم من ضروب العقاب و انواع العذاب ترهيباً و تزهيداً فى مثله، ذكر المؤمنين المتقين للمعاصى و بين ما أعده لهم من أنواع النعيم و ضروب اللذات، فقال «إِنَّ الْمُتَّقِينَ» و معناه الذين اتقوا عقاب اللَّه باجتناب معاصيه و طلبوا ثوابه بفعل طاعاته «فِي ظِلالٍ» و هو جمع ظل، و هو الحجاب العالى المانع من كل أذى، فلأهل الجنة حجاب من كل أذى لان هواء الجنة مناف لكل أذى، فهم من طيبه على خلاصة. و قيل فى ظلال من قصور الجنة و أشجارها «وَ عُيُونٍ» و هى ينابيع الماء التى تجرى فى ظل الأشجار. و قيل: ان تلك العيون جارية فى غير أخدود، لأن ذلك أمتع بما يرى من حسنه و صفائه على كنهه من غير ملابسة شىء له، و ليس هناك شىء إلا على أحسن صفاته، لان اللَّه تعالى قد شوق اليه أشد التشويق و رغب فيه أتم الترغيب «وَ فَواكِهَ» و هى جمع فاكهة، و هى ثمار الأشجار التى من شأنها أن تؤكل، و قد يكون من الثمر ما ليس كذلك كالثمر المر، فانه ليس من الفاكهة.

و قوله «مِمَّا يَشْتَهُونَ» يعنى لهم فاكهة من جنس ما يشتهونه.

ثم قال تعالى «كُلُوا وَ اشْرَبُوا هَنِيئاً بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» صورته صورة الأمر و المراد به الاباحة. و قال قوم: هو أمر على الحقيقة، لان اللَّه تعالى يريد منهم الأكل و الشرب فى الجنة، و إنهم إذا علموا ذلك زاد فى سرورهم، فلا تكون إرادته لذلك عبثاً، و الهنىء هو الذى لا أذى فيه فيما بعد. و قيل: الهنىء النفع الخالص من شائب الأذى، و الشهوة معنى فى القلب إذا صادفت المشتهى كان لذة، و ضده النفار إذا التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢٣٥

صادفه كان ألماً، و جاء الكلام على التقابل للكافرين من قوله «إِلى ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ لا ظَلِيلٍ وَ لا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ» مقابل أهل الجنة فى ظلال قصور الجنة و أشجارها و قوله «إِنَّا كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ» اخبار منه تعالى أنه كما جازى هؤلاء المتقين بما ذكره من النعيم مثل ذلك يجازى كل محسن عامل بطاعة اللَّه. و فى ذلك دلالة على أن كل احسان خالص للعبد فله به الثواب و الحمد، و انه طاعة للَّه، و إن ما ليس بإحسان من فعل خارج عن هذا الحكم. و قوله «وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ» قد مضى تفسيره.

ثم عاد الى خطاب الكفار فقال لهم على وجه التهديد و الوعيد «كُلُوا وَ تَمَتَّعُوا» فى دار الدنيا و تلذذوا بما تريدون و انتفعوا بما تشتهون «قَلِيلًا» لان أيام الدنيا قليلة، فالتمتع الحصول فى أحوال تلذ، تمتع تمتعاً و استمتع استمتاعاً و أمتعه غيره امتاعاً و التمتع و التلذذ واحد و نقيضه التألم.

و قوله «إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ» اخبار منه تعالى للكفار بأنكم و إن تمتعتم قليلا فى الدنيا فإنكم عصاة و كفار و مآلكم الى النار و عذابها، و الاجرام فعل ما يقطع المدح و يحصل بدله الذم، يقال: أجرم إجراماً و اجترم اجتراماً و تجرم عليه أى تطلب له الجرم «وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ

لِلْمُكَذِّبِينَ» بينا معناه.

و قوله «وَ إِذا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لا يَرْكَعُونَ» فالركوع هو الانخفاض على وجه الخضوع، و يعبر به عن نفس الصلاة و يقال: قد ركعت و بقى على ركوع أى صلاة و المراد به- هاهنا- الصلاة، و المعنى إن هؤلاء الكفار إذا دعوا إلى الصلاة لا يصلون لجهلهم بما فى الصلاة من الخير و البركة. و قيل: انه يقال لهم ذلك فى الآخرة كما قال «يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ» ذكره ابن عباس. و قال قتادة، يقال لهم ذلك فى الدنيا، فان الصلاة من اللَّه بمكان. و قال مجاهد: عنى بالركوع- هنا- الصلاة التبيان فى تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۲۳۶

و قوله «وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ» قد فسرناه، فكأنه قيل لهم يجب عليكم الركوع بالخضوع للَّه فاركعوا فأخبر عنهم أنهم لا يركعون تكذيباً بهذا الخبر، فلذلك قال عقيب ذلك «وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ» و إلا فقوله «ارْكَعُوا» أمر من اللَّه تعالى، و لا يقال فيمن أمر بالشيء فلم يفعل انه كذّب، و قيل: إنّ ما تكرر فى هذه السورة من قول «وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ» ليس على وجه التكرار فى المعنى، لان معناه ويل للمكذبين بما ذكره قبله من الاخبار، و قيل يريد أنه كذب بالمخبر الذى يليه، و هو وجه القول الثانى و الثالث و الرابع إلى آخر السورة، على هذا المنهاج من أنه يلزمه الويل بالتكذيب بالذى يليه و الذى قبله على التفصيل لا على الإجمال فى أنه لا يلزمه حتى يكذب بالجميع. و قوله «فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ» معناه إنه إذا أتى القرآن بأظهر البرهان و كفروا به فليس ممن يفلح بالايمان بكلام غيره، لان من لم يؤمن بما فيه المعجزة الظاهرة و الآية الباهرة لا يؤمن بغيره.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۲۳۷

۷۸-سورة النبأ: ..... ص: ۲۳۷

اشارة

مكية فى قول ابن عباس و الضحاك و هى أربعون آية فى الكوفى و المدنيين و احدى و أربعون فى البصرى

[سورة النبإ (۷۸): الآيات ۱ الى ۱۶] ..... ص: ۲۳۷

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَساءَلُونَ (۱) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (۲) الَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (۳) كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (۴)

ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (۵) أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهاداً (۶) وَ الْجِبالَ أَوْتاداً (۷) وَ خَلَقْناكُمْ أَزْواجاً (۸) وَ جَعَلْنا نَوْمَكُمْ سُباتاً (۹)

وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِباساً (۱۰) وَ جَعَلْنَا النَّهارَ مَعاشاً (۱۱) وَ بَنَيْنا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِداداً (۱۲) وَ جَعَلْنا سِراجاً وَهَّاجاً (۱۳) وَ أَنْزَلْنا مِنَ الْمُعْصِراتِ ماءً ثَجَّاجاً (۱۴)

لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَ نَباتاً (۱۵) وَ جَنَّاتٍ أَلْفافاً (۱۶)

ست عشرة آية.

وقف يعقوب على «عم» بالهاء، الباقون بلا هاء.

و قرأ ابن عامر «كلا ستعلمون» بالتاء على الخطاب فيهما أى قل لهم ستعلمون عاقبة أمركم. الباقون- بالياء- على الغيبة، و هو الأقوى لقوله «عَمَّ التبيان فى تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۲۳۸

يَتَساءَلُونَ»

و قوله «الَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ» و لم يقل أنتم، و إن كانت التاء جائزة لان العرب تنتقل من غيبة إلى خطاب، و من خطاب إلى غيبة.

قيل فى سبب نزول هذه الآية: إن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله كان إذا حدّث قريشاً و عرّفهم أخبار الأمم السالفة و وعظهم كانوا يهزءون بذلك، فنهاه اللَّه تعالى أن يحدثهم فقال «وَ قَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتابِ أَنْ إِذا سَمِعْتُمْ آياتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِها وَ يُسْتَهْزَأُ» إلى قوله «حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ» «١» فكان رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله يحدث أصحابه فإذا أقبل واحد من المشركين أمسك فاجتمعوا على بكرة أبيهم و قالوا: و اللَّه يا محمد إن حديثك عجب، و كنا نشتهى أن نسمع كلامك و حديثك، فقال إن ربى نهانى أن أحدثكم، فأنزل اللَّه تعالى «عَمَّ يَتَساءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ»

و قوله «عَمَّ يَتَساءَلُونَ» أصله عن ما، فحذفت الألف لاتصالها بحرف الجر حتى صارت كالجزء منه لتدل على شدة الاتصال مع تخفيف المركب فى الكلام، فحذف حرف الاعتلال و أدغمت النون فى الميم لقربها منها من غير إخلال، و صورته صورة الاستفهام و المراد تفخيم القصة و الإنكار و التهديد. و قوله «يَتَساءَلُونَ» معناه عن ما ذا يسأل بعضهم بعضاً، فالتساؤل سؤال احد النفيسين للآخر، تساءلا تساؤلا و سأله مسألة، و السؤال طلب الاخبار بصيغة مخصوصة فى الكلام، و كل ما يزجر العقل عنه بما فيه من الداعى الى الفساد لا يجوز السؤال عنه كسؤال الجدل لدفع الحق و نصرة الباطل، و كالسؤال الذى يقتضى فاحش الجواب، لأنه كالامر بالقبيح. و النبأ معناه الخبر العظيم الشأن كمعنى الخبر عن التوحيد فى صفة الاله و صفة الرسول، و الخبر عما يجوز عليه و ما لا يجوز. و قال مجاهد: النبأ العظيم الشأن القرآن، و قال قتادة و ابن زيد:

هو السؤال عن البعث بعد الموت، لأنهم كانوا يجمعون على التكذيب بالقرآن

---

(١) سورة ۴ النساء آية ۱۳۹ و قريب منه فى سورة ۶ الانعام آية ۶۸

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢٣٩

«الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ» قال قتادة: معناه الذى هم فيه بين مصدق و مكذب، فقال اللَّه سبحانه مهدداً لهم و متوعداً «كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ» و معنى (كلا) ردع و زجر، كأنه قال ارتدعوا و انزجروا ليس الأمر كما ظننتم. و قال قوم: معناه حقاً سيعلمون عاقبة أمرهم و عائد الوبال عليهم. و قال الضحاك: معناه كلا سيعلم الكفار عاقبة تكذيبهم، و سيعلم المؤمنون عاقبة تصديقهم. و قال قوم: كلا سيعلمون ما ينالهم يوم القيامة من العذاب، ثم كلا سيعلمون ما ينالهم فى جهنم من العذاب، فلا يكون تكراراً.

و الاختلاف ذهاب كل واحد من النفيسين إلى نقيض ما ذهب اليه الآخر، يقال:

اختلفا فى المعنى فذهب أحدهما إلى كذا، و ذهب الآخر إلى كذا.

ثم نبههم على وجه الاستدلال على صحة ذلك فقال «أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهاداً» أى وطاء، و هو القرار المهيأ للتصرف فيه من غير أذية. و قال قتادة: المهاد البساط و مهد الأرض تمهيداً مثل وطأه توطئة، لأن ذلك لا يقدر عليه غير اللَّه، لأنه الذى يسكن الأرض حالا بعد حال حتى يمكن الاستقرار عليها و التصرف فيها «وَ الْجِبالَ أَوْتاداً» أى و جعلنا الجبال أوتاداً للأرض لئلا تميد بهم، فالجبال جمع جبل، و هو بغلظه و ثقله يبلغ أن يكون ممسكاً للأرض عن أن تميد بثقله، فعلى ذلك دبره اللَّه، و ذكر العباد به و ما فيه من العبرة بعظمة من يقدر عليه. و الوتد المسمار إلا أنه اغلظ منه، لذلك يقال: مسامير العناء إذا دقت كالمسمار من الحديد فى القوة و الدقة، و لو غلظت صارت أوتاداً فكذلك وصفت الجبال بأنها أوتاد للأرض إذ جعلت بغلظها ممسكة لها عن أن تميد باهلها.

و قوله «وَ خَلَقْناكُمْ أَزْواجاً» أى اشكالا كل واحد يشاكل الآخر. و قيل:

معناه ذكراً و أنثى حتى يصح منكم التناسل.

و قوله «وَ جَعَلْنا نَوْمَكُمْ سُباتاً» أى نعاساً فى أوله تطلب النفس الراحة به. التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢٤٠

و قيل: معناه جعلنا نومكم راحة. و قيل: معناه جعلنا نومكم طويلا ممتداً تعظم به راحة أبدانكم و يكثر به انتفاعكم، و منه سبت من الدهر أى مدة طويلة منه، و قال ابو عبيدة: معناه جعلنا نومكم سباتاً ليس بموت، و رجل مسبوت فيه روح، و السبات قطع العمل

للراحة، و منه سبت أنفه إذا قطعه، و منه يوم السبت أى يوم قطع العمل للراحة على ما جرت به العادة فى شرع موسى، و صار علماً على اليوم الذى بعد الجمعة بلا فصل.

و قوله «وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِباساً» فاللباس غطاء ساتر مماس لما ستر، فالليل ساتر للاشخاص بظلمته مماس لها بجسمه الذى فيه الظلمة قال الشاعر:

فلما لبسن الليل أو جن نصبت له من حذا آذانها و هى جنح «١»

«وَ جَعَلْنَا النَّهارَ مَعاشاً» أى متصرفاً للعيش و العيش الانعاش الذى تبقى معه الحياة على حال الصحة عاش يعيش عيشاً و النهار اتساع الضياء المنبث فى الآفاق و أصله من انهر الدم إذا وسع مجراه، و منه النهر و هو المجرى الواسع من مجارى الماء، و منه الانتهار الاتساع فى الاغلاظ، و فى خلق النهار تمكين من التصرف للمعاش و فى ذلك أعظم النعمة و اكبر الإحسان.

و قوله «وَ بَنَيْنا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِداداً» يعنى سبع سموات. و البناء جعل الطاق الأعلى على الأدنى، فالسماء مبنية كهيئة القبة مزينة بالكواكب المضيئة، فسبحان الذى زينها و خلقها و بناها على هذه الصفة لعباده. و إنما جعلها سبع سموات لما فى ذلك من الاعتبار للملائكة، و لما فى تصور الطبقات من عظم القدرة، و هول تلك الأمور، و ما فيه من تمكين البناء حتى وقفت سماء فوق سماء، فسبحان من يمسكها بما هو قادر عليها و مدبر لها.

---

(١) الطبرى ٣٠/ ٣

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢٤١

و قوله «وَ جَعَلْنا سِراجاً وَهَّاجاً» يعنى الشمس جعلها اللّه سراجاً للعالم يستضيئون به، فالنعمة عامة لجميع الخلق. و الوهاج الوقاد، و هو المشتعل بالنور العظيم و قال مجاهد و قتادة: يعنى وهاجاً متلألئاً.

و قوله «وَ أَنْزَلْنا مِنَ الْمُعْصِراتِ» قال ابن عباس و مجاهد و قتادة: يعنى الرياح، كأنها تعصر السحاب. و قيل هى السحاب تتحلب بالمطر.

و قوله «ماءً ثَجَّاجاً» فالثجاج الدفاع فى انصبابه كثج دماء البدن، يقال ثججت دمه أثجه ثجاً، و قد ثج الدم يثج ثجوجاً «لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَ نَباتاً» أى نخرج بذلك الماء حباً و هو كل ما تضمنه الزرع الذى يحصد. و النبات الكلأ من الحشيش و الزرع «وَ جَنَّاتٍ أَلْفافاً» أى بساتين ملتفة بالشجر يخرجها اللّه تعالى لعباده بالمطر. و إنما قال «جَنَّاتٍ» لأن الشجر يجنها أى يسترها و «الالفاف» الاخلاط المتداخلة يدور بعضها على بعض واحدها (لف) يقال: شجر ملتف و أشجار ملتفة. و المعانى الملففة المتداخلة باستتار بعضها ببعض حتى لا تبين إلا فى خفى. و قيل: واحده لف و لفف. و قيل: فى واحده شجرة لفا، و شجر لف. و قال مجاهد و قتادة و ابن عباس: ألفافاً ملتفة. و التقدير فيه و يخرج به شجر جنات الفافاً ملتفة إلا انه حذف لدلالة الكلام عليه.

قوله تعالى: [سورة النبإ (٧٨): الآيات ١٧ الى ٣٠] ..... ص: ٢٤١

إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كانَ مِيقاتاً (١٧) يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْواجاً (١٨) وَ فُتِحَتِ السَّماءُ فَكانَتْ أَبْواباً (١٩) وَ سُيِّرَتِ الْجِبالُ فَكانَتْ سَراباً (٢٠) إِنَّ جَهَنَّمَ كانَتْ مِرْصاداً (٢١)

لِلطَّاغِينَ مَآباً (٢٢) لابِثِينَ فِيها أَحْقاباً (٢٣) لا يَذُوقُونَ فِيها بَرْداً وَ لا شَراباً (٢٤) إِلَّا حَمِيماً وَ غَسَّاقاً (٢٥) جَزاءً وِفاقاً (٢٦)

إِنَّهُمْ كانُوا لا يَرْجُونَ حِساباً (٢٧) وَ كَذَّبُوا بِآياتِنا كِذَّاباً (٢٨) وَ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْناهُ كِتاباً (٢٩) فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذاباً (٣٠)

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢٤٢

اربع عشرة آية.

قرأ «و فتحت» بالتخفيف أهل الكوفة إلا الأعشى و البرجمى. الباقون بالتشديد. و قرأ حمزة و روح «لبثين فيها» بغير الف مثل (مزجين،

و فرهين) الباقون «لابثين» بألف على اسم الفاعل، و هو الأجود، لأنه من (لبث) فهو (لابث) و حجة حمزة أنه مثل (طمع) و (طامع). و اللبث البطىء. و قرأ أهل الكوفة إلا عاصماً عن المفضل «غساقاً» مشددة. الباقون بالتخفيف، و هما لغتان.

فالغساق صديد أهل النار- فى قول ابراهيم و قتادة و عكرمة و عطية- و قال أبو عبيدة:

الغساق ماء و هو من الغسل أى سيال. و قال غيره: هو البارد. و قيل: المنتن.

يقول اللَّه تعالى «إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ» يعنى يوم الدين و هو يوم القيامة الذى يفصل اللَّه فيه بالحكم بين الخلائق «كانَ مِيقاتاً» أى جعله اللَّه وقتاً للحساب و الجزاء فالميقات منتهى المقدار المضروب لوقت حدوث أمر من الأمور، و هو مأخوذ من الوقت، كما أن الميعاد من الوعد، و الميزان من الوزن و المقدار من القدر. و المفتاح من الفتح.

و قوله «يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ» فالنفخ إخراج ريح الجوف من الفم، و منه نفخ الزق، و النفخ فى البوق، و نفخ الروح فى البدن يشبه بذلك، لأنها تجرى فيه كما تجرى الريح، يجرى مجرى الريح فى الشيء، و الصور قرن ينفخ فيه فى حديث مرفوع عن النبى صلى اللَّه عليه و آله التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢٤٣

و قال الحسن: هو جمع صورة. و به قال قتادة. و معناه: اذكر يوم ينفخ فى الصور «فَتَأْتُونَ أَفْواجاً» فالفوج جماعة من جماعة. و الأفواج جماعات من جماعات، فالناس يأتون على تلك الصفة الى أن يتكاملوا فى أرض القيامة. و كل فريق يأتى مع شكله. و قيل تأتى كل أمة مع نبيها، فلذلك جاءوا أفواجاً أى زمراً.

و قوله «وَ فُتِحَتِ السَّماءُ فَكانَتْ أَبْواباً» معناه و شققت السماء، فكانت كقطع الأبواب. و قيل: صار فيها طرق و لم يكن كذلك قبل.

و قوله «وَ سُيِّرَتِ الْجِبالُ فَكانَتْ سَراباً» معناه زيلت الجبال عن أماكنها و أذهب بها حتى صارت كالسراب.

و قوله «إِنَّ جَهَنَّمَ كانَتْ مِرْصاداً» إخبار منه تعالى بأن جهنم تكون يومئذ مرصاداً. و المرصاد هو المعد لأمر على ارتقابه الوقوع فيه، و هو مفعال من الرصد.

و قيل: المعنى ذات ارتقاب لأهلها تراصدهم بنكالها. و الرصد عمل ما يترقب به الاختطاف.

و قوله «لِلطَّاغِينَ» يعنى جهنم للذين طغوا فى معصية اللّه و تجاوزوا الحد «مَآباً» أى مرجعاً، و هو الموضوع الذى يرجع اليه، فكأن المجرم قد كان باجرامه فيها ثم رجع اليها، و يجوز أن يكون كالمنزل الذى يرجع اليه.

و قوله «لابِثِينَ فِيها أَحْقاباً» أى ماكثين فيها أزماناً كثيرة، و واحد الاحقاب حقب من قوله «أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً» «١» أى دهراً طويلا. و قيل واحده حقب، و واحد الحقب حقبة، كما قال الشاعر:

و كنا كندمانى جذيمة حقبة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

و إنما قال «لابِثِينَ فِيها أَحْقاباً» مع انهم مخلدون مؤبدون: لا انقضاء لها

---

(١) سورة ١٨ الكهف آية ٦١

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢٤٤

إلا انه حذف للعلم بحال أهل النار من الكفار بإجماع الأمة عليه «لابِثِينَ فِيها أَحْقاباً لا يَذُوقُونَ فِيها بَرْداً وَ لا شَراباً إِلَّا حَمِيماً وَ غَسَّاقاً» ثم يعذبون بعد ذلك بضرب آخر كالزقوم و الزمهرير و نحوه من أصناف العذاب. و من قرأ «لبثين» بلا الف استشهد فى تعدى (فعل) بقول الشاعر:

و مسحل سح عضاده سحج بسراتها ندب له و كلوم «١»

و قال ابن عباس: الحقب ثمانون سنة. و قال الحسن: سبعون سنة. و قال قوم: هو اكثر من ذلك.

و قوله «لا يَذُوقُونَ فِيها بَرْداً وَ لا شَراباً» قال ابو عبيدة: البرد هاهنا النوم قال الكندى:

فيصدنى عنها و عن قبلتها البرد

أى النوم، فكأنهم لا ينامون من شدة ما هم فيه من العذاب، و لا يجدون شراباً يشربوه «إِلَّا حَمِيماً وَ غَسَّاقاً» فالحميم الحار الشديد الحرارة و الغساق صديد أهل النار- فى قول إبراهيم و قتادة و عطية و عكرمة- يقال: غسقت القرحة غسقاً إذا سال صديدها، و كذلك الجروح، و منه قوله «وَ مِنْ شَرِّ غاسِقٍ إِذا وَقَبَ» «٢» و الغاسق الليل إذا لبس الأشياء بظلمته، كأنه يسيل عليه بظلامه. و قال الحسن: الجنة و النار مخلوقتان فى الأيام الستة الأول، و هى الجنة التى سكنها آدم، و هى الجنة التى يسكنها المتقون فى الآخرة. ثم يفنيها اللّه لهلاك الخلائق. ثم يعيدها، فلا يفنيها أبداً. و قال قوم: هما مخلوقتان، و لا يفنيهما اللّه. و قال آخرون: هما غير مخلوقتين و الجنة التى كان فيها آدم جنة أخرى ليست جنة الخلد.

و قوله «جَزاءً وِفاقاً» قال ابن عباس و مجاهد و الربيع و قتادة: معناه وافق

---

(١) تفسير الطبرى ٣٠/ ٧

(٢) سورة ١١٣ الفلق آية ٣

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢٤٥

الجزاء أعمالهم، فالوفاق الجارى على المقدار، فالجزاء وفاق لأنه جار على مقدار الاعمال فى الاستحقاق، و ذلك أنه يستحق على الكفر أعظم مما يستحق على الفسق الذى ليس بكفر، و يستحق على الفسق أعظم مما يستحق على الذنب الصغير.

و قوله «إِنَّهُمْ كانُوا لا يَرْجُونَ حِساباً» أى لا يرجون المجازاة على الأعمال و لا يتوقعونه- و هو قول الحسن و قتادة- و قيل: معناه إنهم كانوا: لا يرجون حسن الجزاء فى الحساب لتكذيبهم. فالرجاء التوقع لوقوع أمر يخاف ألا يكون، فهؤلاء كان يجب عليهم أن يتوقعوا الحساب على يقين أنه يكون، فلم يفعلوا الواجب فى هذا، و لا قاربوه لاعتقادهم أنه لا يكون فاللوم أعظم لهم و التقريع لهم أشد. و قيل:

معنى لا يرجون لا يخافون كما قال الهذلى:

إذا لسعته النحل لم يرج لسعها و حالفها فى بيت نوب عوامل «١»

و قوله «وَ كَذَّبُوا بِآياتِنا كِذَّاباً» معناه جحدوا بآيات اللّه و حججه، و لم يصدقوا بها. و إنما جاء المصدر على فعال للمبالغة مع اجرائه على نظيره الذى يطرد قبل آخره الف نحو الانطلاق و الاقتدار و الاستخراج و القتال و الكرام، و المصدر الجارى على فعل التفعيل نحو التكذيب و التحسين و التقديم، و قد خرج التفعيل عن النظير لما تضمن من معنى التكثير، كما خرج التفاعل و المفاعلة للزيادة على أقل الفعل، فانه من اثنين. و مثل كذاب، حملته حمالا و حرقته حراقاً.

و قوله «وَ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْناهُ كِتاباً» معناه و أحصينا كل شىء أحصيناه فى كتاب، فلما حذف حرف الجر نصبه، و قيل: إنما نصبه لان فى أحصيناه معنى كتبناه، فكأنه قال كتبناه كتاباً، و مثل كذبته كذاباً قصيته قصاء قال الشاعر:

---

(١) مر فى ٢/ ٢١٠ و ٣/ ٥/ ٣ و ٧/ ٤٩١ و ٨/ ١٨٧

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢٤٦

لقد طال ما ثبطتنى عن صحابتى و عن جوج قصاؤها من شقائيا «١»

و الوجه فى إحصاء الأشياء فى الكتاب ما فيه من الاعتبار للملائكة بموافقة ما يحدث لما تقدم به الإثبات مع أن تصور ذلك يقتضى الاستكثار من الخير و الاجتهاد فيه، كما يقتضى إذا قيل للإنسان ما تعمله فانه يكتب لك و عليك.

و قوله «فَذُوقُوا» أى يقال لهؤلاء الكفار ذوقوا ما كنتم فيه من العذاب «فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذاباً» لان كل عذاب يأتى بعد الوقت الاول فهو

زائد عليه.

قوله تعالى:[سورة النبإ (٧٨): الآيات ٣١ الى ۴٠] ..... ص: ٢۴۶

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفازاً (٣١) حَدائِقَ وَ أَعْناباً (٣٢) وَ كَواعِبَ أَتْراباً (٣٣) وَ كَأْساً دِهاقاً (٣۴) لا يَسْمَعُونَ فِيها لَغْواً وَ لا كِذَّاباً (٣۵) جَزاءً مِنْ رَبِّكَ عَطاءً حِساباً (٣۶) رَبِّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَيْنَهُمَا الرَّحْمنِ لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطاباً (٣٧) يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَ الْمَلائِكَةُ صَفًّا لا يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمنُ وَ قالَ صَواباً (٣٨) ذلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ إِلى رَبِّهِ مَآباً (٣٩) إِنَّا أَنْذَرْناكُمْ عَذاباً قَرِيباً يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ ما قَدَّمَتْ يَداهُ وَ يَقُولُ الْكافِرُ يا لَيْتَنِي كُنْتُ تُراباً (۴٠)

أحدى عشرة آية فى البصرى و عشر آيات عند الباقين قرأ «و لا كذاباً» خفيفاً الكسائى «رب السموات» بالرفع محارب و ابو بكر، و «الرحمن» جراً عن عاصم و ابن عامر و يعقوب و سهل.

---

(١) القرطبى ١٩/ ١٧٩ و الطبرى ٣٠/ ١٠

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢۴٧

لما ذكر اللَّه تعالى حال الكفار و ما أعده لهم من أنواع العقاب ذكر ما للمؤمنين المتقين لمعاصى اللَّه تعالى، فقال «إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ» الذين يتقون عقاب اللَّه باجتناب معاصيه و فعل طاعته «مَفازاً»، و هو موضع الفوز بخلوص الملاذ. و أصل الفوز النجاة إلى حال السلامة و السرور، و منه قيل للمهلكة مفازة على وجه التفاؤل، لأنه قيل منجاة و قيل مفازاً منجى إلى مبرة. ثم بين ذلك فقال «حَدائِقَ وَ أَعْناباً» فالحدائق جمع حديقة، و هى البستان المحوط، و منه أحدق به حائطه. و الحديقة الجنة المحوطة.

و منه أحدق القوم بفلان إذا أطافوا به، و سميت الحدقة حدقة لما يحيط بها من جفنها و الأعناب جمع عنب، و هو ثمر الكرم قبل أن يجف فإذا جف فهو الزبيب، و نظيره الرطب ثمر النخل قبل أن يصير تمراً فإذا صار تمراً زال عنه اسم الرطب.

و قوله «وَ كَواعِبَ أَتْراباً» قال ابن عباس: الكواعب النواهد، و الكاعب الجارية قد نهد ثدياها، يقال: كعب ثدى الجارية و نهد إذا ابتدأ بخروج حسن.

و الاتراب جمع ترب، و هى التى تنشأ مع لدتها على سن الصبى الذى يلعب بالتراب فكأنه قيل هم على سنّ واحدة. قال قتادة: أَتْراباً يعنى فى سن واحدة.

و قوله «وَ كَأْساً دِهاقاً» فالكأس الإناء إذا كان فيه شراب. و قيل الكأس أناء الخمر الذى يشرب منه، قال الشاعر:

يلذه بكأسه الدهاق «١»

فان لم يكن فيه الخمر لم يسم كأساً، و الدهاق ملأى بشدة الضغط، و الدهق شدة الضغط فى الكأس ملأى مترعة ليس فيها فرجة ليستوفى حال اللذة. و قال قتادة:

دهاقاً مترعة، و قال مجاهد: معناه متتابعة على شاربها مأخوذ من متابعة الشد فى الدهن.

---

(١) القرطبى ١٩/ ١٨١ [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢۴٨

و قوله «لا يَسْمَعُونَ فِيها لَغْواً» أى لا يسمعون فى الجنة كلاماً لا فائدة فيه «وَ لا كِذَّاباً» أى و لا تكذيب بعضهم لبعض. و من قرأ «كذاباً» بالتخفيف أراد مصدر كاذبه مكاذبة، و كذاباً قال الشاعر:

فصدقتنى و كذبتنى و المرء ينفعه كذابه «١»

و قال الفراء: قال اعرابى فى طريق مكة: يا رب القصار أحب اليك أم الحلق يريد أقصر شعرى أم احلق.

و قوله «جَزاءً مِنْ رَبِّکَ عَطاءً حِساباً» أى فعلنا بالمؤمنين المتقين ما فعلنا جزاء على تصديقهم باللّه و نبيه، فالجزاء إعطاء المستحق بعمل الطاعة أو المعصية.

و قوله «عَطاءً حِساباً» أى بحساب العمل كل إنسان على قدر عمله من النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين، ثم سائر أخيار المؤمنين، و عند اللّه المزيد.

و قيل: معناه عطاء كافياً من قولهم: أعطانى ما أحسبنى أى كفانى، و حسبک أى اكتف، و حسبى اللّه أى كفانى اللّه. و قال الحسن: معناه إنه أعطاهم ذلک محاسبة.

و قوله «رَبِّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» من رفع استأنف الكلام و جعله مبتدأ.

و قوله «الرَّحْمنِ» خبره، و من جره رده على قوله «مِنْ رَبِّکَ» رب السموات، و جعل «الرَّحْمنِ» جراً بأنه نعته. و من رفع الرحمن و جر الأول قطعه عن الاول و تقديره: هو الرحمن. و المعنى إن الذى يفعل بالمؤمنين ما تقدم ذكره هو اللّه رب السموات و الأرض و مدبرهما، و مدبر ما بينهما، و المصرف لهما على ما يريده «لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطاباً» و معناه لا يملكون أن يسألوا إلا فيما أذن لهم فيه، كما قال «لا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضى» «٢» و فى ذلک أتم التحذير من الاتكال. و الخطاب توجيه الكلام إلى مدرک بصيغة مبينة كاشفة عن المراد بخلاف صيغة الغائب عن الإدراک

---

(١) مر فى ٨/ ٣٩٠ و ٩/ ٤٢٥

(٢) سورة ٢١ الأنبياء آية ٢٨

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢٤٩

على طريقة أنت و بک. و الإضمار على ثلاثة أضرب: إضمار المتكلم، و إضمار المخاطب و إضمار الغائب.

و قوله «يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَ الْمَلائِکَةُ» معناه اذكر يوم يقوم الروح، قال الضحاک و الشعبى: الروح هو جبرائيل عليه السلام و قال ابن مسعود و ابن عباس:

هو ملک من أعظم الملائكة خلقاً، و هو المروى فى أخبارنا.

و قال الحسن و قتادة: الروح بنو آدم. و قال ابن عباس: أرواح بنى آدم مع الملائكة فيما بين النفختين قبل رد الأرواح إلى الأجساد.

و قوله «وَ الْمَلائِکَةُ صَفًّا لا يَتَكَلَّمُونَ» أى مصطفين لا يتكلم احد بشيء «إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمنُ» أى أذن اللّه له فى الكلام «وَ قالَ صَواباً» و الصواب موافقة الغرض الحكمى كأنه إصابة ذلک الغرض الذى تدعو اليه الحكمة. و نقيضه الخطأ، و هو مخالفة الغرض الحكمى و لما كانت الحكمة قد تدعو إلى أمر بأوكد مما تدعو إلى أمر، كدعائها إلى الفعل الأصلح، و الفعل الأدون، صح ان صوابا أصوب من صواب.

ثم قال «ذلِکَ الْيَوْمُ» يعنى اليوم الذى وصفه و أخبر عنه هو «الْحَقُّ» الذى لا شک فى كونه و حصوله.

و قوله «فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ إِلى رَبِّهِ مَآباً» فيه دلالة على أن العباد قادرون على اتخاذ المآب و تركه. و إنما قال «فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ» لأنه قادر عليه و مزاح العلة فيه.

و المآب المرجع، و هو (مفعل) من آب يؤب أوبا. و قال سفيان: معناه مرجعا.

قال عبيد:

و كل ذى غيبة يؤوب و غائب الموت لا يؤوب «١»

---

(١) مر فى ۶/ ۴۶۸

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢٥٠

و قولهِنَّا أَنْذَرْناكُمْ عَذاباً قَرِيباً»

معناه الاخبار من اللَّه تعالى أنه خوف عباده و أعلمهم المواضع التى ينبغى أن يحذروها. ثم بين ما يكون بعد ذلك فقالَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ ما قَدَّمَتْ يَداهُ»

و معناه ينتظر جزاء ما قدمه، فان قدم طاعة انتظر الثواب، و إن قدم معصية انتظر العقابَ يَقُولُ الْكافِرُ»

فى ذلك اليوم لَيْتَنِي كُنْتُ تُراباً»

أى يتمنى أن لو كان ترابا لا- يعاد و لا يحاسب ليتخلص من عقاب ذلك اليوم، لأنه ليس معه شيء يرجوه من الثواب. و قيل: ان اللَّه يحشر البهائم و ينتصف للجماء من القرناء فإذا أنصف بينها جعلها ترابا، فيتمنى الكافر عند ذلك لو كان مثل أولئك ترابا. و قيل: هو مثل قوله «يا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتابِيَهْ» «١»

٧٩-سورة النازعات ..... ص: ٢٥٠

اشارة

مكية فى قول ابن عباس و الضحاك و هى ست و أربعون آية فى الكوفى و خمس و أربعون فى البصرى و المدنيين

[سورة النازعات (٧٩): الآيات ١ الى ١۴] ..... ص: ٢٥٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

وَ النَّازِعاتِ غَرْقاً (١) وَ النَّاشِطاتِ نَشْطاً (٢) وَ السَّابِحاتِ سَبْحاً (٣) فَالسَّابِقاتِ سَبْقاً (۴)

فَالْمُدَبِّراتِ أَمْراً (۵) يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (۶) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (٧) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ واجِفَةٌ (٨) أَبْصارُها خاشِعَةٌ (٩)

يَقُولُونَ أَ إِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحافِرَةِ (١٠) أَ إِذا كُنَّا عِظاماً نَخِرَةً (١١) قالُوا تِلْكَ إِذاً كَرَّةٌ خاسِرَةٌ (١٢) فَإِنَّما هِيَ زَجْرَةٌ واحِدَةٌ (١٣) فَإِذا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ (١۴)

---

(١) سورة ۶٩ الحاقة آية ٢٥

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢٥١

أربع عشرة آية.

قرأ أهل الكوفة إلا حفصاً «عظاماً ناخرة» بألف، الباقون «نخرة» بلا ألف من قرأ «ناخرة» اتبع رؤس الآى نحو (الساهرة، و الحافرة) و من قرأ نخرة- بلا ألف- قال لأنه الأكثر فى كلام العرب، و لما

روى عن على عليه السلام انه قرأ «نخرة»

و قال النحويون: هما لغتان مثل باخل و بخل، و طامع و طمع. و قال الفراء النخرة البالية و الناخرة المجوفة.

و قوله «وَ النَّازِعاتِ» قسم من اللّه تعالى بهذه الأشياء التى عددها. و قال قوم: تقديره و رب النازعات و ما ذكر بعدها، لأنه لا يجوز اليمين إلا باللَّه تعالى.

و هو ترك الظاهر. و

قد روینا عن أبی جعفر و أبی عبد اللَّه علیهما السلام أن للَّه تعالی أن یقسم بما یشاء من خلقه، و لیس لخلقه أن یقسموا إلا به.

و إنما كان كـذلک، لأنه من باب المصالـح التی یجوز أن تختلف به العبادات، و إنما جاز أن یقسم هو تعالی بما شاء من خلقه، للتنبیه علی موضع العبرة فیه إذ القسم یدل علی عظم شأن المقسم به.

و معنی (النازعـات) الملائكـة تنزع الأرواح من الأبـدان، فالنازعـات الجاذبات الشـیء من أعماق ما هو فیه. و قال الحسن و قتادة: هی النجـوم أی تنزع من أفق السـماء إلی أفق آخر. و قـال عطـاء: هی القسـی تنزع بالسـهم. و قـال السـدی: هی النفوس تنزع بـالخروج من البدن. التبیان فی تفسیر القرآن، ج ١٠، ص: ٢٥٢

و قوله «غَرْقاً» معناه إغراقاً أی ابعاداً فی النزع.

و قوله «وَ النَّاشِـطاتِ نَشْـطاً» قیـل: هی الخارجات من بلـد إلی بلـد بعیـد الاقطار ینشط كما ینشط الوحش بالخروج من بلـد إلی بلـد. و الهموم تنشط بصاحبها أی تخرج به من حال إلی حال، قال هیبان بن قحافة:

أمست همومی تنشط المناشطا الشام طوراً ثم طوراً واسطا «١»

و قـال ابن عبـاس: هی الملائكـة أی تنشط بأمر اللَّه إلی حیث كان. و قال قوم: هو ملك الموت ینشط روحه من خلقه، و قال قوم: هی النجوم تنشط من المشرق إلی المغرب. و قال عطاء: هی الوحش تنشط من بلد إلی بلد قال رؤیة:

تنشـط منهـا كل معلاه الوهق یعنی بقر الوحش. قال الفراء: تنشط نفس المؤمن كما ینشط العقال من یـد البعیر. قال ابن خالویه، و اكثر ما سمعته أنشطته بالألف، قالوا: كأنه انشط من عقال. فإذا شددت الحبل فی ید البعیر قلت: نشطته و إذا حللته قلت أنشطته.

و قوله «وَ السَّابِحاتِ سَبْحاً» معناه المارات بغوص معظمها فی المائع و قـد یكون ذلك فی الماء و قـد یكون فیما جری مجراه، و ذلک كسـبح دود الخل، و قـد یكون السـبح فی الهواء تشبیهاً بالماء. و قال مجاهـد: السابحات الملائكة، لأنها تسـبح فی نزولها بأمر اللَّه كما یقال:

الفرس یسبح فی جریه إذا أسرع. و قال قتادة: هی النجوم أی تسبح فی فلكها.

و قال عطاء: هی السفن. و قال قوم: هو ملك الموت یقبض روح المؤمن وحده سهلا سرحاً كالسابح فی الماء.

و قوله «فَالسَّابِقاتِ سَبْقاً» یعنی الكائنات قبل غیرها علی معنی صـفة من الصـفات. و قال مجاهـد: هی الملائكة، لأنها سـبقت إلی طاعة اللَّه. و قال قوم: لأنها

---

(١) القرطبی ١٩/ ١٩٠ و مجاز القرآن ٢/ ٢٨٤

التبیان فی تفسیر القرآن، ج ١٠، ص: ٢٥٣

تسبق الشیاطین إلی الوحی. و قال عطاء: هی الخیل السابقة. و قیل: هی النجوم- ذكره قتادة- أی یسبق بعضها بعضاً فی السیر.

و قوله «فَالْمُدَبِّراتِ أَمْراً» قال ابن عباس و قتادة و عطاء بن السائب: هی الملائكـة تـدبر الأشـیاء. و قیل: تدبیر الملائكة فی ما وكلت به من الریـاح و الأمطـار و نحو ذلـك من الأـمور. و جواب القسم محـذوف، كـأنه قـال: لیبعثن للجزاء و الحساب ثم بین أی وقت یكون الجزاء و الثواب و العقاب، فقال «یَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ» فالرجف حركة الشـیء من تحت غیره بتردید و اضـطراب، و هی الزلزلة العظیمة رجف یرجف رجفا و رجفا و رجوفا، و أرجفوا إذا أزعجوا الناس باضـطراب الأمور، كما ینزعج الذی یرجف ما تحته، و منه الرجفة و هی الزعزعة الشدیدة من تحت ما كان من الحیوان. و قیل: ان الأرض مع الجبال تتزعزع.

و قوله «تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ» و معناه تتبع الراجفة الرادفة أی تجیء بعدها، و هی الكائنة بعد الاول فی موضع الردف من الراكـب، ردفهم الأمر ردفـاً فهو رادف، و ارتـدف الراكـب إذا اتخـذ ردیفاً. و قال الحسن و قتادة: هما النفختان: أما الاولی فتمیت الأحیاء، و أما الثانیـة فتحی الموتی بإذن اللَّه.

و قوله «قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ واجِفَةٌ» أى كائنة على الانزعاج و الاضطراب، و جفت تجف وجفاً و وجيفاً و أوجف فى السير إذا أزعج الركاب فيه. و قال ابن عباس:

معنى «واجِفَةٌ» أى خائفة.

و قوله «أَبْصارُها خاشِعَةٌ» أى خاضعة ذليلة من هول ذلك اليوم قال الشاعر:

لما اتى خبر الزبير تهدمت سور المدينة و الجبال الخشع «١»

و قوله «يَقُولُونَ أَ إِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحافِرَةِ» حكاية عما قاله الكافرون

---

(١) مر فى ١/ ٣١٢، ٢٠٤ و ٧/ ١٥٢، ٢٠٩ و ٨/ ٣٦٩

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢٥٤

المنكرون للبعث و النشور، فإنهم ينكرون النشر و يتعجبون من ذلك، و يقولون على وجه الإنكار أئنا لمردودون فى الحافرة. و قيل: حافرة بمعنى محفورة، مثل «ماءٍ دافِقٍ» «١» بمعنى مدفوق. و قال ابن عباس و السدى: الحافرة الحياة الثانية.

و قيل: الحافرة الأرض المحفورة. أى نرد فى قبورنا بعد موتنا أحياء؟! قال الشاعر:

ا حافرة على صلع و شيب معاذ اللَّه من جهل و عار «٢»

فالحافرة الكائنة على حفر أول الكرة يقال: رجع فى حافرته إذا رجع من حيث جاء، و ذلك كرجوع القهقرى، فردوا فى الحافرة أى ردوا كما كانوا أول مرة، و يقال: رجع فلان على حافرته أى من حين جاء. و قولهم: النقد عند الحافرة معناه إذا قال بعتك رجعت عليه بالثمن. و قال قوم: معناه النقد عند حافر الدابة.

و قوله «فَإِنَّما هِيَ زَجْرَةٌ واحِدَةٌ» أى النفخة الثانية «فَإِذا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ» أى على وجه الأرض، فالعرب تسمى وجه الأرض من الفلاة ساهرة أى ذات سهر لأنه يسهر فيها خوفا قال أمية بن أبى الصلت:

و فيها لحم ساهرة و بحر و ما فاهوا به لهم مقيم «٣»

و قال آخر:

فإنما قصرك ترب الساهرة ثم تعود بعدها فى الحافرة

من بعد ما كانت عظاماً ناخره «۴»

و قال الحسن و قتادة و مجاهد و الضحاك: الساهرة وجه الأرض. و قال قوم

---

(١) سورة ٨٦ الطارق آية ٨

(٢) تفسير القرطبى ١٩/ ١٩٥ و الطبرى ٣٠/ ١٩

(٣) القرطبى ١٩/ ١٩٧

(۴) اللسان (نخر)

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢٥٥

«بِالسَّاهِرَةِ» أى من بطن الأرض إلى ظهرها. و قالوا أيضاً منكرين للبعث «أَ إِذا كُنَّا عِظاماً نَخِرَةً» نرد و نبعث. و العظام جمع عظم، و هى مأخوذة من العظم و ذلك لعظم صلابتها و عظمها فى نفسها. و النخرة البالية بما حدث فيها من التغيير و اختلال البنية، جذع نخر إذا كان بهذه الصفة، و إذا لم تختل بنيته لم يكن نخراً و إن بلى بالوهن و الضعف. و قيل: ناخرة مجوفة ينخر الرياح فيها بالمرور فى جوفها و قيل: ناخرة و نخرة سواء، مثل ناخل و نخل، و نخرة أوضح فى المعنى، و ناخرة أشكل برءوس الآى. و قيل: نخرة بالية مجوفة

بالبلى.

ثم حكى ايضاً ما قالوه، فإنهم «قالُوا تِلْکَ إِذاً کَرَّةٌ خاسِرَةٌ» فالكرة المرة من المرّ و هى الواحدة من الكر، كرّ يكر كرة، و هى كالضربة الواحدة من الضرب.

و الخاسر الذاهب رأس ماله فتلك الكرة كأنه قد ذهب رأس المال منها، فكذلك الخسران. و إنما قالوا «کَرَّةٌ خاسِرَةٌ» أى لا يجىء منها شىء كالخسران الذى لا يجىء منه فائدة. و كأنهم قالوا: هو كالخسران بذهاب رأس المال، فلا يجىء به تجارة، فكذلك لا يجىء بتلك الكرة حياة. و قيل معنا «تِلْکَ إِذاً کَرَّةٌ خاسِرَةٌ» على ما تعدنا من العذاب. و قال الحسن: معناه كاذبة ليست كائنة.

قوله تعالى:[سورة النازعات (٧٩): الآيات ١٥ الى ٢٥] ..... ص: ٢٥٥

هَلْ أَتاکَ حَدِيثُ مُوسى (١٥) إِذْ ناداهُ رَبُّهُ بِالْوادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً (١۶) اذْهَبْ إِلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغى (١٧) فَقُلْ هَلْ لَکَ إِلى أَنْ تَزَکَّى (١٨) وَ أَهْدِيَکَ إِلى رَبِّکَ فَتَخْشى (١٩)

فَأَراهُ الْآيَةَ الْکُبْرى (٢٠) فَکَذَّبَ وَ عَصى (٢١) ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعى (٢٢) فَحَشَرَ فَنادى (٢٣) فَقالَ أَنَا رَبُّکُمُ الْأَعْلى (٢۴)

فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَکالَ الْآخِرَةِ وَ الْأُولى (٢۵)

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢۵۶

احدى عشرة آية.

قرأ ابن كثير و ابو عمرو و نافع «طوى اذهب» غير منونة. الباقون «طوى اذهب» منونة. و قرأ نافع «تزكى» مشددة الزاى بمعنى تتزكى، فأدغم التاء فى الزاى. الباقون خفيفة الزاى، فحذفت احدى التاءين. قال ابو عمرو:

يقال: تزكى مشدداً إذا أردت تتصدق، و لم يدع موسى فرعون إلى ان يتصدق، و هو كافر. و إنما قال له هل لك ان تصير زاكياً، قال: فالتخفيف هو الاختيار.

و من نون (طوى) جعله اسم واد، و من لم ينون جعله اسم الأرض، لأنه معدول من (طاو). و من كسر الطاء قال: قدس مرتين، و تبين فيه البركة مرتين، مثل ثنى و عدى.

هذا خطاب من اللَّه تعالى لنبيه محمد صلى اللَّه عليه و آله يقول له «هَلْ أَتاکَ» يا محمد «حَدِيثُ مُوسى» فلفظه لفظ الاستفهام و المراد به التقرير «إِذْ ناداهُ رَبُّهُ» أى حين ناداه اللَّه «بِالْوادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً» فالنداء الدعاء على طريقة يا فلان، و الندا مدّ الصوت بندائه، فمعنى «ناداهُ» قال له يا موسى. ثم أمره بالذهاب إلى فرعون الطاغى و (الوادى المقدس) يعنى المطهر و (طوى) قال مجاهد و قتادة: واد، و قيل طوى التقديس. و قرأ الحسن «طوى» بكسر الطاء. و قيل طوى بالبركة و التقديس بندائه مرتين، قال طرفة بن العبد:

أعاذل إن اللوم فى غير كنهه على طوى من غيك المتردد «١»

أى اللوم المكرر، و (طوى) غير مصروف، لأنه اسم البقعة من الوادى

---

(١) مر فى ٧/ ١۶۵

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢۵٧

و هو معرفة، و يجوز أن يكون معدولا من (طاوى) فى قول الزجاج.

و قوله «اذْهَبْ إِلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغى» اخبار من اللَّه- عز و جل- عن حال فرعون بأنه طغى، و معناه تجاوز الحد فى الاستعلاء، و التمرد و الفساد، يقال طغى يطغى طغياناً فهو طاغ، و نظيره البغى، بغى على الناس يبغى بغياً فهو باغ و هم البغاة و الطغاة، و نظير الطغيان العدوان، و هو المجاوزة لحد الصغيرة، و كل من طغى فقد عتا و اعتدى.

ثم ذكر ما أمره أن يقول له بأن قال «فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلى أَنْ تَزَكَّى» أى ادعوه إلى اللَّه و طريق الجنة، و «قل» على وجه التلطف فى الكلام «هَلْ لَكَ إِلى أَنْ تَزَكَّى» و تطهر من المعاصى، فالتزكى طلب الطالب أن يصير زاكياً، تزكى يتزكى تزكياً، و الزاكى النامى فى الخير، و الزكاء النماء فى الخير، و لو نمى فى الشر لم يكن زاكياً «وَ أَهْدِيَكَ إِلى رَبِّكَ فَتَخْشى» معناه و أهديك الى طريق الحق الذى إذا سلكته وصلت إلى رضى اللَّه و ثوابه، فالهداية الدالة على طريق الرشد من الغى.

و قد يكون دلالة على معنى ليس برشد و لا غى كالدلالة على الحركة فقط. و قوله «فَتَخْشى» فالخشية توقع المضرة من غير قطع بها لا محالة، و الخشية و الخوف و التقية نظائر، يقال: خشى يخشى خشية، فهو خاش، و ذاك مخشى. و فى الكلام حذف و تقديره فأتاه فدعاه «فَأَراهُ الْآيَةَ الْكُبْرى» و قوله «فَكَذَّبَ وَ عَصى» حكاية عن فرعون أنه كذب موسى فى ما دعاه اليه و جحد نبوته و عصاه فى ما أمره به من طاعة اللَّه «ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعى» أى ولى فرعون الدبر بعد ذلك، فالادبار تولية الدبر، و نقيضه الإقبال و أقبل فلان إذا استقامت له الأمور على المثل أى هو كالمقبل إلى الخير، و أدبر فلان إذا اضطربت عليه حاله، ففرعون ولى الدبر ليطلب ما يكسر به حجة التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢٥٨

موسى عليه السلام فى الآية الكبرى، و هى المعجزة العظيمة، فما ازداد إلا غواية، لأنه لا يقاوم الضلال الحق.

و قوله «ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعى» فالسعى الاسراع فى المشى، و فى إدباره يسعى فى هذه الحال دليل على خوفه. و قيل: إنه لما رأى العصا انقلبت حية فى عظمها خاف منه، فأدبر يسعى.

و قوله «فَحَشَرَ فَنادى» فالحشر الجمع من كل جهة، و قد يكون الجمع بضم جزء إلى جزء، فلا يكون حشراً، فإذا جمع الناس من كل جهة، فذلك الحشر، و لهذا سمى يوم الحشر. و الحاشر الذى يجمع الناس من كل جهة الى الخراج، و إنما طلب السحرة، فلما اجتمعوا ناداهم فقال لهم «أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلى» فالأعلى المختص بعلو معنى صفته على غيره مما لا يناله بكيد و ينال هو به، و من هنا خرج بالغلو الى التعظيم، و لم يكن مثل ذلك فى جهة من الجهات، و كأنه قال: أنا الذى أنال بالضرر من شئت و لا ينالنى غيرى. و كذب- لعنه اللَّه- إنما هذه صفة الذى خلقه و خلق جميع الخلق، و معنى «نادى» هاهنا قال: يا معشر الناس أنا ربكم الأعلى، إذ نادى بهذا القول. و قيل: كلمته الاولى «ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرِي» «١» و قوله الآخر هذا «أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلى» ذكره ابن عباس و مجاهد و الشعبى و الضحاك.

ثم حكى تعالى ما عامله به من العقاب فقال (فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكالَ الْآخِرَةِ وَ الْأُولى) فالنكال عقاب بنكل من الاقدام على سببه بشدته، نكل به تنكيلا إذا شوه به فى عقابه بما يكون زاجراً لغيره عن مثل حذيه أشد الزجر الذى يزعج النفس. و قال الحسن و قتادة: معناه عذاب الدنيا و عذاب الآخرة. و قال مجاهد: أول عمله و آخره و قال بعضهم: نكاله فعلته الأولى، و هو قوله (ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرِي)

---

(١) سورة ٢٨ القصص آية ٣٨

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢٥٩

و فعلته الأخيرة هو قوله (أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلى) و قال قوم: معناه نكال الدنيا بالغرق و نَكالَ الْآخِرَةِ ما صار اليه بعد الموت من العقاب. و قال الحسن (الْآيَةَ الْكُبْرى) اليد البيضاء. و قال غيره: قلب العصا حية.

قوله تعالى:[سورة النازعات (٧٩): الآيات ٢٦ الى ٣٣] ..... ص: ٢٥٩

إِنَّ فِي ذلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشى (٢٦) أَ أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّماءُ بَناها (٢٧) رَفَعَ سَمْكَها فَسَوَّاها (٢٨) وَ أَغْطَشَ لَيْلَها وَ أَخْرَجَ ضُحاها (٢٩) وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذلِكَ دَحاها (٣٠)

أَخْرَجَ مِنْها ماءَها وَ مَرْعاها (٣١) وَ الْجِبالَ أَرْساها (٣٢) مَتاعاً لَكُمْ وَ لِأَنْعامِكُمْ (٣٣)

ثمان آيات.

يقول اللّه تعالى بعد ما ذكر ما تقدم من قصة موسى و فرعون و ما فعله الله بقوم فرعون من الإهلاك و الدمار (إِنَّ فِي ذلِكَ لَعِبْرَةً) يعنى فيما قصه و اخبر به دلالة يمكن أن يعتبر بها العامل العاقل، فيعرف الحق و يميز بينه و بين الباطل، يقال: اعتبرته اعتباراً و عبرة، و منه العبارة لأنه يعبر بالمعنى فيها الى نفس المخاطب للافهام، و منه عبور النهر و تعبير الرؤيا بإخراج ما فيها بعبورها المعنى إلى النفس السائلة عنها.

و قوله (لِمَنْ يَخْشى) إنما خص من يخشى بالعبرة، لأنه الذى يعتبر بها و ينتفع بالنظر فيها دون الكافر الذى لا يخشى عذاب الله، كما قال (هُدىً لِلْمُتَّقِينَ) «۱».

---

(۱) سورة ۲ البقرة آية ۲

التبيان فى تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۲۶۰

ثم خاطب الكفار الجاحدين بالله تعالى على وجه التبكيت لهم و التوبيخ (أَ أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً) و معناه أ أنتم أشد أمراً بصغر حالكم (أَمِ السَّماءُ) فى عظم جرمها و شأنها فى وقوفها و سائر نجومها و أفلاكها. قال بعض النحويين (بناها) من صلة السماء.

و المعنى أم التى بناها. و قال آخرون (السماء) ليس مما يوصل، و لكن المعنى أ أنتم أشد خلقاً أم السماء أشد خلقاً. ثم بين كيف خلقها فقال (بناها) و الله تعالى لا يكبر عليه خلق شيء أشد من خلق غيره، و إنما أراد أنتم أشد خلقاً عندكم و فى ظنكم مع صغركم أم السماء مع عظمها و شدة إحكامها؟ و بين انه تعالى بنى السماء و (رَفَعَ سَمْكَها) يعنى ارتفاعها، فالسمك مقابل للعمق، و هو ذهاب الجسم بالتأليف فى جهة العلو، و بالعكس منه العمق. و الطول ذهاب الجسم فى جهة الطول. و العرض ذهابه فى جهة العرض، و هو بالاضافة الى ما يضاف اليه.

و قوله (فَسَوَّاها) فالتسوية جعل أحد الشيئين على مقدار الآخر على نفسه او فى حكمه، و كل ما جعل فى حقه على ترتيبه مع غيره فقد سوى، فلما كان كل شيء من السماء مجعولا فى صفة على ترتيبه مع غيره كانت قد سويت على هذا الوجه.

و قوله (وَ أَغْطَشَ لَيْلَها) قال ابن عباس و مجاهد و قتادة و الضحاك و ابن زيد:

معناه اظلم ليلها. و قال ابو عبيدة: كل أغطش لا يبصر. و قال: ليلها أضاف الظلام الى السماء لان فيها ينشأ الظلام و الضياء بغروب الشمس و طلوعها على ما دبرها الله.

و قوله (وَ أَخْرَجَ ضُحاها) قال مجاهد و الضحاك أخرج نورها.

و قوله (وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذلِكَ دَحاها) قال مجاهد و السدى: معناه دحاها مع ذلك، كما قال (عُتُلٍّ بَعْدَ ذلِكَ) أى مع ذلك. و قال ابن عباس: ان الله دحا الأرض بعد السماء، و إن كانت الأرض خلقت قبل السماء، و معنا دحاها بسطحها دحا يدحو دحواً و دحيت ادحى دحياً لغتان، قال أمية بن أبى الصلت: التبيان فى تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۲۶۱

دار دحاها ثم أعمر بابها و اقام بالأخرى التى هى أمجد «۱»

و قال أوس بن حجر:

ينفى الحصا عن جديد الأرض مبترك كأنه فاحص أو لاعب داح «۲»

و قوله «أَخْرَجَ مِنْها» يعنى من الأرض «ماءَها» يعنى المياه التى تخرج من الأرض و فيها منافع جميع الحيوان، و به قوام حياتهم كما قال «وَ جَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ» «۳» «وَ مَرْعاها» أى و اخرج المرعى من الأرض، و هو النبات الذى يصلح أن ترعاه الماشية، فهى ترعاه بأن تأكله فى موضعه، رعت ترعى رعياً و مرعى، و سمى النبات الذى يصلح أن يرعى به.

و قوله «وَ الْجِبالَ أَرْساها» أى و اثبت الجبال فى الأرض. و الارساء الإثبات بالثقل، فالسفينة ترسو أى تثبت بثقلها، فلا تزول عن مكانها،

و ربما ارست بالبحر بما يطرح لها. فأما الجبال فإنها أوتاد الأرض، و أرسيت بثقلها، و فى جعلها على الصفة التى هى عليها أعظم العبرة.

و قوله «مَتاعاً لَكُمْ وَ لِأَنْعامِكُمْ» أى خلقنا ما ذكرناه من الأرض و ما يخرج منها من المياه و المراعى نفعاً و متعة تنتفعون بها معاشر الناس و ينتفع بها أنعامكم: الإبل و البقر و الغنم، ففى الأشياء التى عددها أعظم دلالة و أوضح حجة على توحيد الله، لأن الأرض مع ثقلها الذى من شأنه ان يذهب سفلا هى واقفة بإمساك الله تعالى، و هى على الماء. و من شأن الماء أن يجرى فى المنحدر، و هى واقفة بإمساك الله تعالى فقد خرجت عن طبع الثقيل، و ذلك لا يقدر عليه غير القادر لنفسه الذى يخترع

---

(١) تفسير الطبرى ٣٠/ ٢۶ [.....]

(٢) ديوانه ١۶ و مقاييس اللغة ١/ ٢٣٠

(٣) سورة ٢١ الأنبياء آية ٣٠

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢۶٢

الأشياء اختراعاً، دون القادر بقدرة الذى لا يقدر أن يفعل فى غيره إلا على وجه التولية بأن يعتمد عليه، فدل ذلك على ان الفاعل لهذه الأشياء لا يشبه الأشياء و لا تشبهه. و فى إخراج الماء من الأرض عبر لا تحصى كثرة بما فيه من المنفعة، و ما له من المادة على موضع الحاجة، و سد الخلة مع ما فيه من المنفعة و التوفيق فى السير الى المكان البعيد بالسهولة، كل ذلك منّ اللّه تعالى به على خلقه و أنعم به عليهم.

و قوله «متاعاً» نصب على المفعول له، و تقديره اخرج منها ماءها و مرعاها للامتاع لكم لان معنى أخرج منها ماءها و مرعاها أمتع بذلك.

قوله تعالى:[سورة النازعات (٧٩): الآيات ٣۴ الى ۴۶] ..... ص: ٢۶٢

فَإِذا جاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرى (٣۴) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسانُ ما سَعى (٣۵) وَ بُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرى (٣۶) فَأَمَّا مَنْ طَغى (٣٧) وَ آثَرَ الْحَياةَ الدُّنْيا (٣٨)

فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوى (٣٩) وَ أَمَّا مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوى (۴٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوى (۴١) يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْساها (۴٢) فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْراها (۴٣)

إِلى رَبِّكَ مُنْتَهاها (۴۴) إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشاها (۴۵) كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَها لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحاها (۴۶)

ثلاث عشرة آية.

قرأ ابو جعفر و عياش عن أبى عمرو «إنما أنت منذر من يخشاها» بالتنوين.

الباقون على الاضافة. و المعنى واحد. فمن نون جعل «من» فى موضع النصب. التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢۶٣

و إنما اختار ذلك، لأنه جعله «منذراً» فى الحال. و من اضافه استخف ذلك كما استخف فى قوله «عارِضاً مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ» «١» و التنوين مقدر، لان المعنى إنه منذر فى الحال، و فيما بعد. و من أضاف جعلها فى موضع جر. و المنذر النبى صلى اللّه عليه و آله قال الله تعالى «إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ» «٢» قال قوم: المنذر النبى صلى اللّه عليه و آله و الهادى على عليه السلام، و قيل «لِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ» داع يدعوهم الى الحق.

يقول الله تعالى مهدداً للمكلفين من خلقه «فَإِذا جاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرى» قال ابن عباس: الطامة القيامة. و قال الحسن: الطامة هى النفخة الثانية. و قيل: هى الصيحة التى تطمّ على كل شيء، و هى الصيحة التى يقع معها البعث و الحساب و العقاب و الثواب. و قيل هى

الطامة الغامرة الهائلة، و فى المثل: ما من طامة إلا و فوقها طامة قال الفراء: يقال: تطم على كل شيء يطم. و قال قوم: الطامة الغامرة، لما يتدفق بغلظها و كثرتها. و قيل: هى الغاشية المجللة التى تدفق الشيء بالغلظ. ثم بين متى مجيئها فقال «يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسانُ ما سَعى» و معناه تجيء الطامة فى يوم يتذكر الإنسان ما عمله فى دار التكليف من خير او شر و سعى فيه، و يعلم ما يستحقه من ثواب و عقاب «وَ بُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرى» أى لمن يراها و يبصرها شاهداً، فالتبريز اظهار الشيء بمثل التكشيف الذى يقضى اليه بالاحساس، و يقال: فلان مبرز فى الفضل إذا ظهر به أتم الظهور، و بارز قرنه أى ظهر اليه من بين الجماعة.

ثم قسم احوال الخلق فى ذلك اليوم من العصاة و المطيعين، فقال «فَأَمَّا مَنْ طَغى» بأن تجاوز الحد الذى حده اللَّه، و ارتكب المعاصى و الطغيان العصيان بمجاوزة الحد فيه الى الافراط فيه، فكل كافر طاغ بافراطه فى ظلم نفسه، و ظلم النفس كظلم غيرها فى التعاظم. و قوله «وَ آثَرَ الْحَياةَ الدُّنْيا» معناه اختار منافع الحياة الدنيا

---

(١) سورة ۴۶ الأحقاف آية ٢۴

(٢) سورة ١٣ الرعد آية ٨

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢۶۴

بارتكاب المعاصى و ترك ما وجب عليه، فالإيثار إرادة الشيء على طريقة التفضيل له على غيره، و مثله الاختيار، لأنه يختاره على انه خير من غيره، فمن آثر الأدنى على الاولى فهو منقوص بالحاجة، كما ان من آثر القبيح على الحسن كان منقوصاً.

و قيل: المعنى من آثر نعيم الحياة الدنيا على نعيم الآخرة و الحياة حياتان: حياة الدنيا و هى المنقطعة الفانية، و حياة الآخرة، و هى الدائمة، فمن آثر الباقى الدائم على الفانى المنقطع كان حسن الاختيار، و من آثر الفانى على الباقى كان سيء الاختيار مقبحاً.

ثم بين تعالى ما له فى الآخرة فقال «فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوى» اى النار مثواه و مستقره و موضع مقامه.

ثم ذكر من هو بضد ذلك فقال «وَ أَمَّا مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ» و معناه من خاف مقام مسألة ربه عما يجب فعله أو تركه و عمل بموجب ذلك بأن فعل الطاعة و أمتنع من المعصية «و نهى نفسه عن الهوى» و ما تدعو اليه شهواته، فالهوى اريحية فى النفس تدعو إلى ما لا يجوز فى العقل، فاتباع الهوى مذموم، و ليس يجوز أن يعمل شيئاً لداعى الهوى و إن عمل لداعى العقل على موافقة الهوى لم يضره. و قيل:

هم قوم صغرت الدنيا فى عينهم حين رأوا الآخرة- ذكره قتادة- و قيل: الزهد فى الدنيا، و الرغبة فى الاخرة هو التمسك بطاعة اللَّه و اجتناب معصيته.

ثم بين تعالى ما له فى مقابلة ذلك من الثواب، فقال «فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوى» أى هى مقره و مأواه، فالالف و اللام تعاقب الضمير كقولهم مررت بحسن الوجه أى حسن وجهه. و قال الزجاج: تقديره هى المأوى له و لا يكون بدلا من الهاء كما لا يكون بدلا من الكاف فى قولك غض الطرف، قال: و قال الشاعر:

فغض الطرف إنك من نمير فلا سعداً بلغت و لا كلابا «١»

---

(١) مر فى ٩/ ٣۴١

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢۶۵

و يروى (فلا كعباً) و الجنة البستان الذى يجنه الشجر فجنة الخلد بهذه الصفة على ما فيها من القصور و الابنية الحسنة التى قد جمعت كل تحفة و طرفة مما تشتهى الأنفس و تلذ الأعين، من غير أذى ملحق بحال فى عاجل و لا آجل. و روى أن قصورها مبنية بفاخر الجوهر من الياقوت و الزبرجد، و منه ما هو بلبنة من فضة و لبنة من ذهب، فتعظيم اللَّه لها و تشويقه اليها يدل على أنها على اجل حال

تشتهی فیها مع أنه لا یتعاظم فی مقدور اللَّه- عز و جل-.

ثم خاطب النبی صلی اللَّه علیه و آله، فقال «یَسْئَلُونَکَ عَنِ السَّاعَةِ أَیَّانَ مُرْساها» أی متی یکون قیامها علی ما وصفها ف (أیان) بمعنی (متی) الا- أن (متی) أکثر استعمالا فی السؤال عن الزمان و نظیرها (أین) فی السؤال عن المکان. و لذلک فسرت (أیان) ب (متی) و الارساء الثبوت من قولهم: رست السفینة ترسو رسوا فهی راسیة إذا ثبتت و منه. قوله «أرساها» و یجوز أن یکون المراد بالمرسی المصدر.

و یجوز أن یکون وقت الارساء و المعنی متی ثبت أمرها بقیامها.

و قوله «فِیمَ أَنْتَ مِنْ ذِکْراها» أی انه لیس عندک علم متی تکون، و إنما عندک علم أنها تکون- ذکره الحسن- و قال غیره: هی حکایة قولهم، أی قد أکثرت من ذکرها، فمتی تکون؟. و قوله «إِلی رَبِّکَ مُنْتَهاها» أی قل لهم إلی اللَّه تعالی إجراؤها، فالمنتهی موضع بلوغ الشیء، و کأنه قیل: إلی ربک منتهی أمرها بإقامتها لان منتهی أمرها بذکرها و وصفها و الإقرار بها إلی الرسول بإقامتها، و منتهی أمرها إقامتها إلی اللَّه تعالی لا- یقدر علیه إلا- اللَّه تعالی. و قیل: المعنی إلی ربک منتهی علمها أی لا یعلم إلا هو متی وقت قیامها- ذکره الحسن-.

و قوله «إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ یَخْشاها» خطاب من اللَّه للنبی صلی الله علیه و آله بأنه إنما التبیان فی تفسیر القرآن، ج ۱۰، ص: ۲۶۶ یخوف من یخاف ذلک الیوم و هو یوم القیامة، و إنما خص الانذار بمن یخشی، لأنه لما کان المنتفع بالإنذار من یخشی فکأنه خص بالإنذار. و الکافر لما لم ینتفع بذلک فکأنه لم ینذر أصلا.

ثم بین تعالی سرعة مجیئها و قرب حضورها فقال «کَأَنَّهُمْ یَوْمَ یَرَوْنَها لَمْ یَلْبَثُوا إِلَّا عَشِیَّةً أَوْ ضُحاها» و قال قتادة: معناه إنهم إذا رأوا الآخرة صغرت الدنیا فی أعینهم حتی کأنهم لم یقیموا بها إلا مقدار عشیة أو مقدار ضحاها یعنی ضحی العشیة. و أضیف الضحی إلی العشیة، و ضحوة الضحی الیوم الذی یکون فیه، فإذا قلت أتیتک صباحاً و مساء، فالمعنی أتیتک العشیة أو غداتها، قال الفراء: و انشدنی بعض بنی عقیل:

نحن صبحنا عامراً فی دارها عشیة الهلال أو سرارها

قبل اصفرار الشمس و احمرارها «۱»

أراد عشیة الهلال أو عشیة سرار العشیة فهذا أشد من ذلک.

(۱) القرطبی ۱۹/ ۲۰۸ و الطبری ۳۰/ ۲۸

التبیان فی تفسیر القرآن، ج ۱۰، ص: ۲۶۷

۸۰-سورة عبس ..... ص: ۲۶۷

اشارة

مکیة فی قول ابن عباس و الضحاک، و هی اثنتان و أربعون آیة فی الکوفی و المدنیین و احدی و أربعون فی البصری

[سورة عبس (۸۰): الآیات ۱ الی ۱۰] ..... ص: ۲۶۷

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ

عَبَسَ وَ تَوَلَّی (۱) أَنْ جاءَهُ الْأَعْمی (۲) وَ ما یُدْرِیکَ لَعَلَّهُ یَزَّکَّی (۳) أَوْ یَذَّکَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّکْری (۴)

أَمَّا مَنِ اسْتَغْنى (۵) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى (۶) وَ ما عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّى (٧) وَ أَمَّا مَنْ جاءَكَ يَسْعى (٨) وَ هُوَ يَخْشى (٩)
فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى (١٠)

عشر آيات.

قرأ عاصم وحده «فتنفعه الذكرى» بالنصب على أنه جواب (لعل) فجرى مجرى جواب الأمر و النهى، لان (لعل) للترجى فهى غير واجبة، كما أن الامر غير واجب فى حصول ما تضمنه. الباقون بالرفع عطفاً على (يذكر). و قرأ نافع و ابن كثير «تصدى» مشددة الصاد على أن معناه تتصدى فأدغم، أحدى التائين فى الصاد لقرب مخرجهما. الباقون «تصدى» بتخفيف الصاد بإسقاط أحدى التائين.

و قرأ ابن أبى بزة و ابن فليح عن ابن كثير «تلهى» بتشديد اللام بمعنى تتلهى، فأدغم احدى التائين فى اللام. الباقون بتخفيف اللام و حذف احدى التائين التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢۶٨

يقول اللَّه تعالى «عَبَسَ وَ تَوَلَّى» و معناه قبض وجهه و أعرض، فالعبوس تقبض الوجه عن تكره، و العبوس البسور و هو التقطيب و عبس فلان فى وجه فلان مثل كلح، و منه اشتق اسم عباس، و معنى «تَوَلَّى» أعرض و ذهب بوجهه عنه فصرفه عن ان يليه يقال: تولى عنه بمعنى أعرض عنه، و تولاه بخلاف تولى عنه، فان تولاه بمعنى عقد على نصرته، و تولى عنه أعرض.

و قوله «أَنْ جاءَهُ الْأَعْمى» معناه عبس لأن جاءه الأعمى، و قال ابن خالويه:

تقديره إذ جاءه الأعمى، و الأعمى المراد به عبد اللَّه بن أم مكتوم- فى قول ابن عباس و مجاهد و قتادة و الضحاك و ابن زيد- و قال الفراء: كانت أم مكتوم أم أبيه.

و قال غيره: كانت أمه. و قال ابن خالويه أبوه يكنى أبا السرج. و اختلفوا فيمن وصفه اللَّه تعالى بذلك، فقال كثير من المفسرين و أهل الحشو: إن المراد به النبى صلى اللَّه عليه و آله قالوا و ذلك

أن النبى صلى اللَّه عليه و آله كان معه جماعة من أشراف قومه و رؤسائهم قد خلا بهم فاقبل ابن أم مكتوم ليسلم فأعرض النبى صلى اللَّه عليه و آله عنه كراهية أن تكره القوم إقباله عليه فعاتبه اللَّه على ذلك.

و قيل: إن ابن أم مكتوم كان مسلماً، و إنما كان يخاطب النبى صلى اللَّه عليه و آله و هو لا يعلم أن رسول اللَّه مشغول بكلام قوم، فيقول يا رسول اللَّه.

و هذا فاسد، لان النبى صلى اللَّه عليه و آله قد أجل اللَّه قدره عن هذه الصفات، و كيف يصفه بالعبوس و التقطيب، و قد وصفه بأنه «لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ» «١» و قال «وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ» «٢» و كيف يعرض عمن تقدم وصفه مع قوله تعالى «وَ لا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداةِ وَ الْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ» «٣» و من عرف النبى صلى اللَّه عليه و آله و حسن أخلاقه و ما خصه اللَّه تعالى به من مكارم الأخلاق و حسن

---

(١) سورة ۶٨ القلم آية ۴

(٢) سورة ٣ آل عمران آية ١۵٩

(٣) سورة ۶ الانعام آية ۵٢

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢۶٩

الصحبة حتى قيل إنه لم يكن يصافح احداً قط فينزع يده من يده، حتى يكون ذلك الذى ينزع يده من يده. فمن هذه صفته كيف يقطب فى وجه أعمى جاء يطلب الإسلام، على أن الأنبياء عليهم السلام منزهون عن مثل هذه الأخلاق و عما هو دونها لما فى ذلك من التنفير عن قبول قولهم و الإصغاء إلى دعائهم، و لا يجوّز مثل هذا على الأنبياء من عرف مقدارهم و تبين نعتهم.

و قال قوم: إن هذه الآيات نزلت فى رجل من بنى أمية كان واقفاً مع النبى صلى اللَّه عليه و آله، فلما اقبل ابن أم مكتوم تنفر منه، و

جمع نفسه و عبس فى وجهه و أعرض بوجهه عنه فحكى اللَّه تعالى ذلك و أنكره معاتبة على ذلك.

و قوله «وَ ما يُدْرِيكَ» خطاب للنبى صلى اللَّه عليه و آله و تقديره «قل» يا محمد «وَ ما يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى» و إنما أضاف العبوس إلى النبى صلى اللَّه عليه و آله من أضاف «وَ ما يُدْرِيكَ» أنه رآه متوجهاً اليه ظن انه عتب له دون أن يكون متوجهاً اليه على أن يقول لمن فعل ذلك و يوبخه عليه. و معنى قوله «يَزَّكَّى» أى يتزكى بالعمل الصالح، فأدغم التاء فى الزاى، كما أدغمت فى الذال فى قوله «يَذَّكَّرُ» و معناه يتذكر، و لا يجوز إدغام الزاى فى التاء، لأنها من حروف الصفير، و هى الصاد و السين و الزاى.

و قوله «أَوْ يَذَّكَّرُ» معناه أو يتذكر ما أمره اللَّه تعالى به، و يفكر فيما أمره بالفكر فيه. و قد حث اللَّه تعالى على التذكير فى غير موضع من القرآن فقال «وَ ذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ» «١» و قال «إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبابِ» «٢» و ينبغى للإنسان أن يستكثر من ذكر ما يدعو إلى الحق و يصرف عن الباطل.

ثم بين انه متى يذكر «فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرى» أى الفكر فيما أمره اللَّه به من

---

(١) سورة ٥١ الذاريات آية ٥٥

(٢) سورة ٢٣ الرعد آية ٢١ و سورة الزمر آية ٩

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢٧٠

القرآن و غيره من الادلة.

و قوله «أَمَّا مَنِ اسْتَغْنى» معناه أما من كان غنياً أو وجدته موسراً، فالاستغناء الاكتفاء بالأمر فيما ينفى الضرر و قد يكتفى الإناء فى ملئه بما فيه، فلا يستغنى استغناء فى الحقيقة. و قوله «فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى» فالتصدى هو التعرض للشىء كتعرض العطشان للماء. و أصله الصدى، و هو العطش. و رجل صديان أى عطشان و الصدى الصوت الذى يرده الجبل أو الحمام و نحوهما، قال مجاهد: المراد ب «مَنِ اسْتَغْنى» عتبة بن ربيعة و شيبة بن ربيعة. و قال سفيان: نزلت فى العباس، فقال اللَّه تعالى «وَ ما عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى» أى قل له و ما عليك ألا يتزكى، فالتزكى هو التطهر من الذنوب، و أصله الزكاء و هو النماء، فلما كان الخير ينمى للإنسان بالتطهر من الذنوب كان تزكياً.

ثم قال «وَ أَمَّا مَنْ جاءَكَ يَسْعى وَ هُوَ يَخْشى» يعنى عبد اللَّه بن أم مكتوم جاء إلى النبى صلى اللَّه عليه و آله، و هو يخشى معصية اللَّه و الكفر، و الخشية هى الحذر من مواقعة المعصية خوفاً من عقاب اللَّه تعالى «فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى» أى تعرض عنه فالتلهى عن الشىء هو التروح بالاعراض عنه و التلهى به التروح و الإقبال عليه و منه قولهم إذا استأثر اللَّه بشىء فاله عنه أى اتركه و أعرض عنه.

قوله تعالى:[سورة عبس (٨٠): الآيات ١١ الى ٢٣] ..... ص: ٢٧٠

كَلَّا إِنَّها تَذْكِرَةٌ (١١) فَمَنْ شاءَ ذَكَرَهُ (١٢) فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ (١٣) مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ (١٤) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (١٥)
كِرامٍ بَرَرَةٍ (١٦) قُتِلَ الْإِنْسانُ ما أَكْفَرَهُ (١٧) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (١٨) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (١٩) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (٢٠)
ثُمَّ أَماتَهُ فَأَقْبَرَهُ (٢١) ثُمَّ إِذا شاءَ أَنْشَرَهُ (٢٢) كَلَّا لَمَّا يَقْضِ ما أَمَرَهُ (٢٣)

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢٧١

ثلاث عشرة آية.

يقول اللَّه تعالى «كَلَّا» أى ليس الأمر ينبغى أن يكون على هذا، و قوله «إِنَّها تَذْكِرَةٌ» أى كلا إن السورة تذكرة «فَمَنْ شاءَ ذَكَرَهُ» أى التنزيل أو الوعظ.

و قال قوم: الهاء عماد، و المبتدأ محذوف و تقديره إنها هى تذكرة. و التذكرة حضور الموعظة ففيها أعظم الفائدة و فى الغفلة اكبر

الآفة.

و الفرق بين التـذكرة و المعرفة أن التذكرة ضد الغفلة و المعرفة تضاد الجهل و السـهو، فكلاهما يتعاقبان على حال الذكر دون السـهو، كتعاقب العلم و أضـداده على حال الذكر دون السـهو، و الذكر معظم، لأنه طريق إلى العلم بالحق من الباطل و الصـحيح من الفاسد. و قيل: إن قوله «كلا» دال على أنه ليس له ان يفعل ذلك فى ما يستأنف. فاما الماضى فلم يدل على انه معصية، لأنه لم يتقدم النهى عنه. و قوله «فَمَنْ شاءَ ذَكَرَهُ» دليل على بطلان مـذهب المجبرة فى أن القـدرة مع الفعل، و أن المؤمن لا قـدرة له على الكفر، و أن الكافر لا يقدر على الايمان، لأنه تعالى بين أن من شاء ان يذكره ذكره، لأنه قادر عليه.

و قوله «فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ» أى ما ذكرناه تـذكرة فى صـحف مكرمـة أى معظمـة مبجلة، و وصـفت الصـحف بأنها مكرمة تعظيماً لما تضمنته على الحكمة. و قوله «مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ» أى مصونة عن ان تنالها أيدى الكفار الانجاس. و قال الحسن:

مطهرة من كـل دنس. و قوله «مَرْفُوعَـةٍ مُطَهَّرَةٍ» أى رفعها اللَّه عن دنس الانجاس و نزهها عن ذلك. و قوله «بِأَيْـدِي سَـفَرَةٍ» قيل السـفرة ملائكـة موكلون بالاسـفار من كتب اللَّه. و السـفرة الكتبـة لاسـفار الحكمـة، واحـدهم سافر، كقولك كاتب التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢٧٢

و كتبة، و واحد الاسـفار سفر. و أصله الكشف من الأمر، سفرت المرأة إذا كشفت عن وجهها، فالكاتب يسفر بالكتاب عما فى النفس. و قـال ابن عبـاس: السـفرة الكتبـة، و فى روايـة أخرى عنه إنهـا الملائكـة. و قال قتادة: هم القراء: و قيل: هم الملائكـة الـذين يسـفرون بالوحى بين اللَّه و رسوله، و سفير القوم الذى يسفر بينهم فى الصلح، و سفرت بين القوم إذا أصلحت بينهم، قال الشاعر:

و لم أدع السفارة بين قومى و ما أمشى بغش إن مشيت «١»

و اسـفر الصـبح إذا أضاء. و قوله «كِرامٍ بَرَرَةٍ» من صفة السفرة، وصفهم اللَّه بأنهم كرام، و هو جمع كريم، و هو الذى من شأنه أن يأتى بالخير من جهته مهناً من غير شائب يكدره، و هى صـفة مدح، و منه أخذت الكرمة لشـرف ثمرتها، و الكرم يتعاظم، فالنبى أكرم ممن ليس بنبى، و المؤمن أكرم ممن ليس بمؤمن. و (البررة) جمع بـار، تقول برّ فلاـن فلانـاً يبره فهو بـار إذا أحسن اليه و نفعه. و البر فعل النفع اجتلاباً للمودة. و البار فاعل البر، و جمعه بررة مثل كاتب و كتبـة. و أصـله اتساع النفع منه، و منه البر سـمى به تفاؤلا باتساع النفع به، و منه البر لاتساع النفع به.

و رجل برّ، و امرأة برّة و الجمع بررة، و لا يجمع الا على هذا استغنا به.

و قوله «قُتِلَ الْإِنْسـانُ مـا أَكْفَرَهُ» معناه لعن الإنسان، قال مجاهـد: و هو الكافر. و قيل: معناه إنه حل محل من يـدعى عليه بالقتل فى ماله بقبح الفعل، فيخرجه مخرج الدعاء عليه و لا يقال: إن اللَّه دعا عليه بالقتل لقبح اللفظ بذلك لما يوهم من تمنى المدعو به. و معنى «ما أَكْفَرَهُ» أى شىء اكفره؟! على وجه التقريع له و التوبيخ. و قيل معناه النفى، و تقديره ما أجحده لنعم اللَّه مع ظهورها

---

(١) الطبرى ٣٠/ ٣٠ و القرطبى ١٩/ ٢١۴

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢٧٣

«مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ» تعجيباً له، لأنه يعلم أن اللَّه خلقه من نطفـة، ثم بين تعالى مما ذا خلقه فقال «مِنْ نُطْفَـةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ» فالتقدير جعل الشـىء على مقـدار غيره، فلما كان الإنسان قـد جعل على مقـدار ما تقتضـيه الحكمـة فى أمره من غير زيادة و لا نقصان كان قـد قـدر أحسن التقـدير، و دبر أحسن التدبير «ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ» أى سـهل له سبيل الخير فى دينه و دنياه بأن بينه له و أرشده اليه و رغبه فيه، فهو يكفر هذا كله و يجحده و يضـيع حق اللَّه عليه فى ذلك من الشـكر و إخلاص العبادة. و قال ابن عباس و قتادة و السدى: يسـر خروجه من بطن أمه. و قـال مجاهـد: سـهل له طريق الخير و الشـر، كقوله «إِنَّا هَـدَيْناهُ السَّبِيـلَ إِمَّا شاكِراً وَ إِمَّا كَفُوراً» «١». و قـال الحسن: سبيل الخير، و قال ابن زيـد: سبيل الثواب، و قال الحسن «يسـره»: معناه بصـره طريق الهـدى و الضـلال. و قيل يسـر خروجه من بطن أمه، فانه

كان رأسه الى رأس أمه و رجلاه إلى رجليها، فقلبه اللَّه عند الولادة ليسهل خروجه منها. و قالوا: يسرى و يسراة جمعوه على (فعلة) و أجروه مجرى (فاعل) من الصحيح.

و قوله «ثُمَّ أَماتَهُ فَأَقْبَرَهُ» فالاماتة أحداث الموت. و فى الناس من قال:

الاماتة عرض يضاد الحياة مضادة المعاقبة على الحال الواحدة، و هى حال تعديل البنية الحيوانية، و ذلك أن ما لا يصح أن تحله حياة لا يصح أن يحله موت. و قال قوم: الموت عبارة عن نقض البنية الحيوانية أو فعل ما ينافى ما تحتاج اليه الحياة من الرطوبات و المعانى.

و قوله «فَأَقْبَرَهُ» الإقبار جعل القبر لدفن الميت فيه، يقال:

أقبره إقباراً، و القبر الحفر المهيأ للدفن فيه، و يقال: أقبرنى فلاناً أى جعلنى اقبره فالمقبر هو اللَّه تعالى يأمر عباده أن يقبروا الناس إذا ماتوا، و القابر الدافن للميت

---

(۱) سورة ۷۶ الإنسان آية ۳

التبيان فى تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۲۷۴

بيده قال الأعشى:

لو أسندت ميتاً الى نحرها عاش و لم ينقل الى قابر

حتى يقول الناس مما رأوا يا عجبا للميت الناشر «۱»

و قوله (ثُمَّ إِذا شاءَ أَنْشَرَهُ) فالانشار الأحياء للتصرف بعد الموت كنشر الثوب بعد الطى انشر اللَّه الموتى فنشروا كقولهم أحياهم فحيوا، و المشيئة هى الارادة و المعنى إذا شاء اللَّه تعالى أن يحيي الميت أحياه- و هو قول الحسن- للجزاء بالثواب و العقاب.

و قوله (كَلَّا لَمَّا يَقْضِ ما أَمَرَهُ) معناه كلا لما لم يقض ما عليه مما أمره اللَّه به، لأنه قد أمره بأشياء واجبة فلم يفعلها: من إخلاص عبادته و شكره بحسب مقتضى نعمه. و قال مجاهد: لا يقضى أحد أبداً كل ما افترض اللَّه عليه.

قوله تعالى:[سورة عبس (۸۰): الآيات ۲۴ الى ۳۲] ..... ص: ۲۷۴

فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسانُ إِلى طَعامِهِ (۲۴) أَنَّا صَبَبْنَا الْماءَ صَبًّا (۲۵) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (۲۶) فَأَنْبَتْنا فِيها حَبًّا (۲۷) وَ عِنَباً وَ قَضْباً (۲۸) وَ زَيْتُوناً وَ نَخْلًا (۲۹) وَ حَدائِقَ غُلْباً (۳۰) وَ فاكِهَةً وَ أَبًّا (۳۱) مَتاعاً لَكُمْ وَ لِأَنْعامِكُمْ (۳۲)

تسع آيات.

قرأ اهل الكوفة «أنا صببنا» بفتح الألف على البدل من «طعامه» أو على انه خبر مبتدإ محذوف. الباقون بالكسر على الاستئناف.

يقول اللَّه تعالى لخلقه منبهاً لهم على قدرته على احياء الخلق بعد موتهم و نشرهم

---

(۱) قد مر فى ۴/ ۴۶۰ و ۷/ ۴۹۶ و هو فى ديوانه ۹۳ [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۲۷۵

و مجازاتهم بأن أمره ان ينظر إلى طعامه الذى يأكله و يتقوّته، و يفكر كيف يخلقه اللَّه و يوصله اليه و يمكنه من الانتفاع به. و بين كيفية ذلك فقال «أَنَّا صَبَبْنَا الْماءَ صَبًّا» أى أنزلنا الغيث إنزالا «ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا» فالشق قطع الشيء طولا و مثله الصدع و الفرج و الفطر، و من ذلك شق الأرض و شق الخشبة و شق الشعرة فأما قطع اللبطة، و قطع الشجر، فعلى خلاف ذلك، فبين تعالى أنه يشق الأرض و يخرج منها ما أنبته من أنواع النبات. و من فتح «أنا» على البدل، فعلى انه بدل اشتمال، و يكون موضعه جراً فتقديره فلينظر إلى أنا صببنا. و قال آخرون: موضعه نصب، لان الأصل ب (أنا) و (لأنا) فلما أسقط الخافض نصب على المعنى، فتقديره فلينظر

الإنسان إلى حدوث طعامه او نبات طعامه، لأنه موضع الاعتبار.

و قال المبرد: تقديره فلينظر الإنسان إلى طعامه، لأنا صببنا فأخرجنا أى لهذه العلة كان طعامه، لان قوله «أَنَّا صَبَبْنَا» ليس من الطعام فى شيء، و قال ابو على:

و هو بدل الاشتمال، لان ما ذكره يشتمل على الطعام فهو بمنزلة قوله «قُتِلَ أَصْحابُ الْأُخْدُودِ النَّارِ» «١».

و قوله «فَأَنْبَتْنا فِيها حَبًّا وَ عِنَباً وَ قَضْباً وَ زَيْتُوناً ...» فالانبات إخراج النامى حالا بعد حال، يقال أنبته اللَّه انباتاً فنبت نباتاً، ففاعل النبات و الانبات واحد إلا أن الانبات يؤخذ منه صفة المنبت، و النبات يؤخذ منه النابت. و ليس النبات فاعلا لكنه الصائر على تلك الصفة بتصيير غيره، غير انه لما أسند الفعل اليه اشتق له منه اسم الفاعل. و الحب جمع الحبة مثل الشعير و الحنطة و السمسم و الدخن و الارز و غير ذلك، و كذلك يسمى حب اللؤلؤ تشبيهاً بذلك فى تدويره. و القضب الرطبة- فى قول الضحاك، و الفراء- و أهل مكة يسمون القث قضباً. و أصله فيما يقطع رطباً من

(١) سورة ٨٥ البروج آية ٤- ٥

قولهم: قضبته و أقضبته قضباً إذا قطعته رطباً، و منه القضيب و المقتضب. و الزيتون معروف. و إنما ذكره اللَّه تعالى لعظم النفع به و الدهن الذى يكون منه «وَ نَخْلًا» أى و أنبتنا من الأرض نخلا و هو شجر الرطب و التمر «وَ حَدائِقَ غُلْباً» فالحديقة البستان المحوط و جمعه حدائق، و منه أحدق به القوم إذا أحاطوا به، و منه الحدقة لما أحاط بها من جفنها. و الغلب جمع أغلب و غلباء، و هى الغلاظ بعظم الأشجار، و شجرة غلباء إذا كانت غليظة قال الفرزدق:

عوى فاثار اغلب ضيغمياً فويل ابن المراغة ما استثارا «١»

و قوله «وَ فاكِهَةً وَ أَبًّا» يعنى ثمر الأشجار التى فيها النفع و الالذاذ، يقال تفكه بكذا إذا استعمله للاستمتاع به و الفاكهة تكون رطبة و يابسة. و الأب المرعى من الحشيش و سائر النبات الذى ترعاه الانعام و الدواب، و يقال أبّا إلى سيفه فاستله كقولك هب اليه و بدر اليه، فيكون كبدور المرعى بالخروج قال الشاعر:

جدنا قيس و نجد دارنا و لنا الأب بها و المكرع «٢»

و قوله «مَتاعاً لَكُمْ وَ لِأَنْعامِكُمْ» فالمتاع كل شيء فيه الذاذ الامساس من مأكل او منظر أو مشمم أو ملمس، و أصله المصدر من قولهم: أمتعته امتاعاً و متاعاً و متع النهار إذا ارتفع، لأن ارتفاعه يستمتع به. فبين تعالى انه خلق ما خلق و أنبت ما أنبت من الأرض لامتاع الخلق به من المكلفين و أنعامهم التى ينتفعون بها.

و الانعام الماشية بنعمة المشى من الإبل و البقر و الغنم بخلاف الحافر بشدة وطئه بحافره من الخيل و البغال و الحمير.

قوله تعالى:[سورة عبس (٨٠): الآيات ٣٣ الى ٤٢] ..... ص: ١٧٦

فَإِذا جاءَتِ الصَّاخَّةُ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَ أُمِّهِ وَ أَبِيهِ (٣٥) وَ صاحِبَتِهِ وَ بَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ (٣٨) ضاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ (٣٩) وَ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْها غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُها قَتَرَةٌ (٤١) أُولئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ (٤٢)

(١) ديوانه ٢/ ٤٤٣

(٢) القرطبى ١٩/ ٢٢٠

عشر آيات.

قوله «فَإِذا جاءَتِ الصَّاخَّةُ» قال ابن عباس: هى القيامة. و قيل: هى النفخة الثانية التى يحيا عندها الناس. و قال الحسن: الصاخة هى التى يصيخ لها الخلق، و هى النفخة الثانية. و الصاخة هى الصاكة بشدة صوتها الآذان فتصمها، صخ يصخ صيخاً، فهو صاخ. و قد قلبها المضاعف باكراهه التضعيف، فقال: أصاخ يصيخ اصاخة قال الشاعر:

يصيخ للنبأة أسماعه إصاخة الناشد للمنشد «١»

و مثله تظنيت، و الأصل تظننت. ثم بين شدة أهوال ذلك اليوم فقال «يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَ» من (أُمِّهِ وَ أَبِيهِ وَ) من (صاحِبَتِهِ) التى هى زوجته فى الدنيا (وَ بَنِيهِ) يعنى أولاده الذكور نفر من هؤلاء حذراً من مظلمة تكون عليه. و قيل: لئلا يرى ما ينزل به من الهوان و الذل و العقاب. و قيل: نفر منه ضجراً به لعظم ما هو فيه. و قيل: لأنه لا يمكنه ان ينفعه بشيء و لا ينتفع منه بشيء و قوله (لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ) فالمراد به الذكر من الناس و تأنيثه امرأة، فالمعنى إن كل انسان مكلف مشغول بنفسه لا يلتفت إلى غيره، من صعوبة الأمر و شدة أهواله. و الشأن الأمر العظيم، يقال: لفلان شأن من

---

(١) القرطبى ١٩/ ٢٢٢

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢٧٨

الشأن أى له أمر عظيم، و أصله الواحد من شئون الرأس، و هو موضع الوصل من متقابلاته التى بها قوام أمره. و معنى (يغنيه) أى يكفيه من زيادة عليه أى ليس فيه فضل لغيره لما هو فيه من الامر الذى قد اكتنفه و ملأ صدره، فصار كالغنى عن الشيء فى أمر نفسه لا تنازع اليه.

ثم قسم تعالى احوال العصاة و المؤمنين، فقال (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ) أى مكشوفة مضيئة، فالاسفار الكشف عن ضياء من قولهم: أسفر الصبح إذا أضاء، و سفرت المرأة إذا كشفت عن وجهها، و منه السفر، لأنه يكشف عن أمور تظهر به، قال توبة الحميرى.

و كنت إذا فاجأت ليلى تبرقعت فقد رابنى منها الغداة سفورها «١»

أى كشفها قناعها. و قوله «ضاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ» أى من فرحها بما أعددنا لها من الثواب تكون ضاحكة مسرورة. و الضحك الاستبشار و إن أضيف إلى الوجه، فالمراد به أصحاب الوجوه، فأما الاسفار و الاشراف فيجوز ان يكون للوجوه خاصة بما جعل اللَّه فيها من النور، لتفرق الملائكة بين المؤمنين و الكفار.

ثم قال «وَ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْها غَبَرَةٌ تَرْهَقُها قَتَرَةٌ» أى يكون على تلك الوجوه غبار و جمعه غبرة «تَرْهَقُها» أى تغشاها «قَتَرَةٌ» و هى ظلمة الدخان، و منه قترة الصائد موضعه الذى يدخن فيه للتدفى به.

ثم اخبر أن من كان على وجهه الغبرة التى تغشاها القترة «هُمُ الْكَفَرَةُ» جمع كافر «الْفَجَرَةُ» جمع فاجر، كما أن كاتباً يجمع كتبة، و ساحراً يجمع سحرة. و ليس فى ذلك ما يدل على مذهب الخوارج من ان من ليس بمؤمن لا بد أن يكون كافراً من حيث أن اللَّه قسم الوجوه هذين القسمين. و ذلك انه تعالى ذكر قسمين من

---

(١) الطبرى ٣٠/ ٣٤

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢٧٩

الوجوه متقابلين، وجوه المؤمنين و وجوه الكفار، و لم يذكر وجوه الفساق من أهل الملة. و يجوز ان يكون ثم صفة اخرى بخلاف ما لهذين، بان يكون عليها غبرة لا يغشاها قترة او يكون عليها صفرة، و لو دل ذلك على ما قالوه لوجب أن يدل قوله «يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَ تَسْوَدُّ وُجُوهٌ» «١» على أن كل من لا يبيض وجهه من المؤمنين يجب أن يكون مرتداً، لأنه تعالى قال لهم «أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمانِكُمْ» «٢» و

الخوارج لا تقول ذلك، لان من المعلوم ان- هاهنا- كفاراً فى الأصل ليسوا مرتدين عن الايمان.

٨١–سورة التكوير ..... ص: ٢٧٩

اشارة

مكية فى قول ابن عباس و الضحاك، و هى تسع و عشرون آية بلا خلاف

[سورة التكوير (٨١): الآيات ١ الى ١۴] ..... ص: ٢٧٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١) وَ إِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ (٢) وَ إِذَا الْجِبالُ سُيِّرَتْ (٣) وَ إِذَا الْعِشارُ عُطِّلَتْ (۴)
وَ إِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (۵) وَ إِذَا الْبِحارُ سُجِّرَتْ (۶) وَ إِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (٧) وَ إِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (٩)
وَ إِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (١٠) وَ إِذَا السَّماءُ كُشِطَتْ (١١) وَ إِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (١٢) وَ إِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (١٣) عَلِمَتْ نَفْسٌ ما أَحْضَرَتْ (١۴)

(١، ٢) سورة ٣ آل عمران آية ١٠۶

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢٨٠

أربع عشرة آية.

قرأ ابن كثير و اهل البصرة «سجرت» خفيفة الجيم. الباقون بتشديدها و قرأ اهل المدينة و ابن عامر و حفص عن عاصم «نشرت» خفيفة الشين. الباقون بالتشديد. و قرأ نافع و باقى أهل المدينة و ابن عامر فى رواية ابن ذكوان و عاصم إلا يحيى و رويس «سعرت» بتشديد العين. الباقون بتخفيفها. و قرأ ابو جعفر «قتلت» مشددة التاء، الباقون بتخفيفها.

يقول اللَّه تعالى مخبراً عن وقت حضور القيامة و حصول شدائدها «إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ» فاللفظ و إن كان ماضياً فالمراد به الاستقبال، لأنه إذا اخبر تعالى بشيء فلا بد من كونه، فكأنه واقع. و الفعل الماضى يكون بمعنى المستقبل فى الشرط و الجزاء، و فى أفعال اللَّه، و فى الدعاء إذا تكرر كقولك حفظك اللَّه و أطال بقاءك.

و معنى (كورت)- فى قول ابن عباس و أبى بن كعب و مجاهد و قتادة و الضحاك- ذهب نورها. و قال الربيع بن خيثم: معناه رمى بها، و التكوير تلفيف على جهة الاستدارة و منه كور العمامة، كور يكور تكويراً، و منه الكارة، و يقال: كورت العمامة على رأسى اكورها كوراً و كورتها تكويراً. و يقال: طعنه فكوره أى رمى به، ذكره الأزهرى، و منه قولهم: أعوذ باللَّه من الحور بعد الكور أى من النقصان بعد الزيادة فالشمس تكور بأن يجمع نورها حتى يصير كالكارة الملقاة فيذهب ضوءها و يجدد اللَّه- عز و جل- للعباد ضياء غيرها.

و قوله (وَ إِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ) فالنجوم جمع نجم، و هو الكوكب و جمعه التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢٨١

كواكب. و منه نجم النبت إذا طلع ينجم نجماً فهو ناجم، و كذلك نجم القرن، و نجم السن. و الانكدار انقلاب الشيء حتى يصير الأعلى الأسفل بما لو كان ماء لتكدر. و قيل: اصل الانكدار الانصباب. قال العجاج:

ابصر خربان فضاء فانكدر «١»

و قال مجاهد و الربيع بن خيثم و قتادة و ابو صالح و ابن زيد: انكدرت معناه تناثرت. و قوله (وَ إِذَا الْجِبالُ سُيِّرَتْ) فمعنى تسيير الجبال

تصييرها هباء و سراباً و قوله (وَ إِذَا الْعِشارُ عُطِّلَتْ) فالعشار جمع عشراء، و هى الناقة التى قد أتى عليها عشرة أشهر من حملها، و هو مأخوذ من العشرة. و الناقة إذا وضعت لتمام ففى سنة. و قال الفراء: العشار لقح الإبل التى عطلها أهلها لاشتغالهم بأنفسهم. و قال الجبائى:

معناه ان السحاب يعطل ما يكون فيها من المياه التى ينزلها اللَّه على عباده فى الدنيا.

و حكى الازهرى عن أبى عمرو انه قال: العشار الحساب. قال الازهرى: و هذا لا- أعرفه فى اللغة. و المعنى إن هذه الحوامل التى يتنافس أهلها فيها قد أهملت.

و قوله (وَ إِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ) قال عكرمة: حشرها موتها. و غيره قال: معناه تغيرت الأمور بأن صارت الوحوش التى تشرد فى البلاد تجتمع مع الناس و ذلك ان اللَّه تعالى يحشر الوحوش ليوصل اليها ما تستحقه من الأعواض على الآلام التى دخلت عليها، و ينتصف لبعضها من بعض، فإذا عوضها اللَّه تعالى، فمن قال:

العوض دائم قال تبقى منعمة على الأبد. و من قال: العوض يستحق منقطعاً اختلفوا فمنهم من قال: يديمها اللَّه تفضلا لئلا يدخل على العوض غم بانقطاعه. و منهم من قال: إذا فعل بها ما تستحقه من الاعواض جعلها تراباً.

---

(١) مر فى ٨/ ١٤۶

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢٨٢

و قوله «وَ إِذَا الْبِحارُ سُجِّرَتْ» معناه ملئت ناراً كما يسجر التنور، و أصل السجر الملأ قال لبيد:

فتوسطا عرض السرى و صدعا مسجورة متجاوز أقدامها «١»

أى مملوءة، و منه «الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ» «٢» قال ابن عباس و أبى بن كعب:

سجرت أوقدت، فصارت ناراً. و قال شمر بن عطية: صارت بمنزلة التنور المسجور و قال الحسن و الضحاك: معناه ملئت حتى فاضت على الأرضين فتنسقها حتى تكون لجج البحار و رؤس الجبال بمنزلة واحدة، و قيل: معنى «سُجِّرَتْ» جعل ماؤها شراباً يعذب به أهل النار. و قال الفراء: معناه افضى بعضها إلى بعض فصارت بحراً واحداً. و من ثقل أراد التكثير، و من خفف، فلأنه يدل على القليل و الكثير.

و قوله «وَ إِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ» معناه ضم كل واحد منها إلى شكله، و النفس قد يعبر به عن الإنسان و يعبر به عن الروح، و قال عمر بن الخطاب و ابن عباس و مجاهد و قتادة: كل إنسان بشكله من أهل النار و أهل الجنة. و قال عكرمة و الشعبى: معنى زوجت ردت الأرواح إلى الأجساد. و قيل: معناه يقرن الغاوى بمن أغواه من شيطان أو إنسان.

و قوله «وَ إِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ» فالموؤدة المقتولة بدفنها حية، فكانت العرب تئد البنات خوف الاملاق، وأدها يئدها وأداً، فهى موءودة أى مدفونة حية، و على هذا جاء قوله «وَ لا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ» «٣» و

قال قتادة: جاء قيس ابن عاصم التميمى إلى النبى صلى اللَّه عليه و آله فقال: انى وأدت ثمانى بنات فى الجاهلية، فقال النبى صلى اللَّه عليه و آله (فأعتق عن كل واحدة رقبة) قال انى صاحب أبل. قال (فاهد إلى

---

(١) مر فى ٧/ ١١٨ و ٩/ ۴٠٣

(٢) سورة ۵٢ الطور آية ۶

(٣) سورة ۶ الانعام آية ١۵١

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢٨٣

من شئت عن كل واحدة بدنة).

و قيل موءودة للثقل الذى عليها من التراب. و قوله «وَ لا يَؤُدُهُ حِفْظُهُما» «١» أى لا يثقله، قال الفرزدق:

و منا الذى منع الوائدا ت و أحيا الوئيد فلم يوأد «٢»

.و إنما يسأل عن الموؤدة على وجه التوبيخ لقاتلهما، و هو أبلغ من سؤاله، لان هذا مما لا يصلح إلا بذنب، فاى ذنب كان لك، فإذا ظهر انه لا ذنب لها جاءت الطامة الكبرى على قاتلها، لأنه رجع الأمر اليه بحجة يقرّ بها. و قال قوم:

تقديره سئلت قتلها بأى ذنب قتلت، فالكناية عنها أظهر. و روى فى الشواذ، و هو المروى عن ابن عباس و غيره من الصحابة أنهم قرءوا «و إذا الموءودة سالت بأى ذنب قتلت» جعلوها هى السائلة عن سبب قتلها لا المسئولة و هو المروى فى اخبارنا

و قوله «وَ إِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ» فالنشر بسط المطوى، و النشر للصحف و الثياب و نحوها. و الصحف جمع صحيفة و هى الصحيفة التى فيها اعمال الخلق من طاعة و معصية، فتنشر عليه ليقف كل انسان على ما يستحقه.

و قوله «وَ إِذَا السَّماءُ كُشِطَتْ» فالكشط القلع عن شدة التزاق كشط جلدة الرأس يكشطها كشطاً إذا قلعها. فقلع السماء عن مكانها على شدة ما فيها من اعتماد كقلع جلدة الرأس عن مكانها، و الكشط و النشط واحد. و فى قراءة عبد اللّه «وَ إِذَا السَّماءُ كُشِطَتْ».

و قوله «وَ إِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ» معناه اشتعلت و أضرمت، فالتسعير تهيج النار حتى تتأجج، و منه السعر، لأنه حال هيج الثمن بالارتفاع و الانحاط، و أسعرت الحرب و الشر بين القوم من هذا. و من شدد أراد التكثير، و من خفف فلأنه يدل على القليل و الكثير. و قال قتادة: يسعرها غضب اللّه و خطايا بنى آدم.

---

(١) سورة ٢ البقرة آية ٢٥٥

(٢) ديوانه ١/ ٢٠٣ و اللسان (وأد)

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢٨٤

و قوله «وَ إِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ» أى قربت من أهلها يوم القيامة فالازلاف إدناء ما يحب، و منه الزلفة القربة، و أزدلف إلى الامر اقترب منه. و منه المزدلفة لأنها قريب من مكة. و قوله «عَلِمَتْ نَفْسٌ ما أَحْضَرَتْ» هو جواب «إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ» و ما بعدها من الشروط، و المعنى إن عند ظهور الأشياء التى ذكرها و عددها تعلم كل نفس ما عملته من طاعة أو معصية، و قد كان غافلا عنه. و هو كقوله «أَحْصاهُ اللَّهُ وَ نَسُوهُ» «١».

قوله تعالى:[سورة التكوير (٨١): الآيات ١٥ الى ٢٩] ..... ص: ٢٨٤

اشارة

فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (١٥) الْجَوارِ الْكُنَّسِ (١٦) وَ اللَّيْلِ إِذا عَسْعَسَ (١٧) وَ الصُّبْحِ إِذا تَنَفَّسَ (١٨) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩)
ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُطاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (٢١) وَ ما صاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ (٢٢) وَ لَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ (٢٣) وَ ما هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (٢٤)
وَ ما هُوَ بِقَوْلِ شَيْطانٍ رَجِيمٍ (٢٥) فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ (٢٦) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعالَمِينَ (٢٧) لِمَنْ شاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَ ما تَشاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ (٢٩)

خمس عشرة آية.

قرأ ابن كثير و ابو عمرو و الكسائى و رويس «بظنين» بالظاء أى ليس على الغيب بمتهم، و الغيب هو القرآن، و ما تضمنه من الأحكام

و غير ذلك من اخباره عن اللّه. الباقون- بالضاد- بمعنى انه ليس بخيلا لا يمنع أحداً من تعليمه و لا يكتمه

---

(١) سورة ٥٨ المجادلة آية ۶

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢٨٥

دونه. و فى المصحف بالضاد.

قوله «فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ» معناه اقسم و (لا) صلة. و قد بينا نظائره فيما مضى. و (الخنس) جمع خانس، و هو الغائب عن طلوع، خنست الوحشية فى الكناس إذا غابت فيه بعد طلوع. و

روى عن أمير المؤمنين عليه السلام: أن الخنس النجوم لأنها تخنس بالنهار و تبدو بالليل.

و قيل: تخنس فى مغيبها بعد طلوعها، و به قال الحسن و مجاهد. و قال ابن مسعود و سعيد بن جبير و الضحاك: هى الظباء.

و قيل: القسم بالنجوم الخنس بهرام و زحل و المشترى و عطارد و الزهرة. و قوله «الْجَوارِ الْكُنَّسِ» معناه النجوم التى تجرى فى مسيرها ثم تغيب فى مغاربها على ما دبّره تعالى فيها ففى طلوعها، ثم جريها فى مسيرها، ثم غيبتها فى مواقفها من الآية العظيمة و الدلالة الباهرة المؤدية إلى معرفته تعالى ما لا يخفى على متأمل معرفته و عظيم شأنه، فالجارية النجوم السيارة، و الجارية السفن فى البحار، و الجارية المرأة الشابة.

و قوله «الْكُنَّسِ» نعت ل «الْجَوارِ» و هو جمع (كانس) و هى الغيب فى مثل الكناس، و هو كناس الوحشية بيت تتخذه من الشجرة تختفى فيه، قال طرفة:

كأن كناسى ضالة مكنفانها و اطرقسىّ تحت صلب مؤيد «١»

و قوله «وَ اللَّيْلِ إِذا عَسْعَسَ» قسم آخر، و

معنى «عسعس» أدبر بظلامه- فى قول أمير المؤمنين على عليه السلام

و ابن عباس و مجاهد و قتادة و الضحاك و ابن زيد- و قال الحسن و مجاهد فى رواية و الفضل بن عطية: أقبل بظلامه، و تقول العرب:

عسعس الليل إذا أدبر بظلامه. قال علقمة بن قرط:

حتى إذا الصبح لها تنفسا و انجاب عنها ليلها و عسعسا «٢»

---

(١) ديوانه ٢٥ و تفسير القرطبى ١٩/ ٢٣۶ [.....]

(٢) مجاز القرآن ٢/ ٢٨٨ و الطبرى ٣٠/ ٤٣

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢٨۶

و قيل: عسعس دنا من أوله و اظلم، و العس طلب الشىء بالليل، عسّ يعس عساً، و منه أخذ العسس. و قال صاحب العين: العس نقض الليل عن أهل الريبة و العس قدح عظيم من خشب أو غيره، و كأن أصله امتلاء الشىء بما فيه، فقدح اللبن من شأنه أن يمتلئ به، و يمتلئ الليل بما فيه من الظلام، و عسعس أدبر بامتلاء ظلامه. و قال الحسن «وَ اللَّيْلِ إِذا عَسْعَسَ» معناه إذا أظلم و الصبح إذا تنفس إذا أسفر.

و قوله «وَ الصُّبْحِ إِذا تَنَفَّسَ» قسم آخر بالصبح إذا أضاء و امتد ضوءه يقال:

تنفس الصبح و تنفس النهار إذا امتد بضوئه، و التنفس امتداد هواء الجوف بالخروج من الفم و الأنف يقال: تنفس الصعداء.

و قوله «إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ» جواب الأقسام التى مضت، و معنى «إِنَّهُ لَقَوْلُ» يعنى القرآن «رَسُولٍ كَرِيمٍ» و هو جبرائيل عليه السلام-

فى قول قتادة و الحسن- بمعنى إنه سمعه من جبرائيل، و لم يقله من قبل نفسه. و قال: يجوز أن يراد به محمد صلى اللَّه عليه و آله فانه أتى به من عند اللَّه. و قوله (ذِی قُوَّةٍ) معناه قوى على أمر اللَّه. و قيل: معناه قوى فى نفسه- فى قول من قال: عنى به جبرائيل- لان من قوته قلبه قريات لوط بقوادم أجنحته.

و قوله (عِنْدَ ذِی الْعَرْشِ) معناه عند اللَّه صاحب العرش (مَكِينٍ) أى متمكن عنده، و فى الكلام تعظيم للرسول بأنه كريم، و أنه مكين عند ذى العرش العظيم و أن اللَّه تعالى أكد ذلك أتم التأكيد. و قوله (مُطاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ) من قال المراد بالرسول جبرائيل، قال معناه إنه مطاع فى الملائكة، أمين على وحى اللَّه. و من قال: عنى به الرسول صلى اللَّه عليه و آله قال: معناه إنه يجب أن يطاع و أن من أطاعه فيما يدعوه اليه كان فائزاً بخير الدنيا و الآخرة. و يرجو بطاعته الثواب و يأمن التبيان فى تفسير القرآن، ج١٠، ص: ٢٨٧

من العقاب، و إنه صلى اللَّه عليه و آله كان يدعى الأمين قبل البعث، فالأمين هو الحقيق بأن يؤتمن من حيث لا يخون، و لا يقول الزور، و يعمل بالحق فى الأمور.

ثم خاطب تعالى جماعة الكفار فقال (وَ ما صاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ) أى ليس صاحبكم الذى يدعوكم إلى اللَّه و إخلاص عبادته بمؤف العقل على ما ترمونه به من الجنون.

و المجنون المغطى على عقله حتى لا يدرك الأمور على ما هى به للافة الغامرة له، فبغمور الآفة يتميز من النائم، لان النوم ليس بآفة و لا عاهة.

و قوله (وَ لَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ) معناه إن النبى صلى اللَّه عليه و آله رأى جبرائيل عليه السلام على صورته التى خلقه اللَّه عليها بالأفق المبين، فالافق ناحية من السماء يقال: هو كالنجم فى الأفق، و فلان ينظر فى أفق السماء. و قوله (مبين) أى هو ظاهر انه فى أفاق السماء من غير تخيل لا يرجع إلى يقين. و قال الحسن و قتادة: الأفق المبين حيث تطلع الشمس. و قوله (وَ ما هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ) قال ابن عباس و سعيد بن جبير و ابراهيم و الضحاك: معناه ليس على وحى اللَّه و ما يخبر به من الاخبار بمتهم أى ليس ممن ينبغى أن يظن به الريبة، لان أحواله ناطقة بالصدق و الامانة. و من قرأ بالضاد معناه ليس ببخيل على الغيب.

و قوله (وَ ما هُوَ بِقَوْلِ شَيْطانٍ رَجِيمٍ) معناه أنه ليس هذا القرآن قولا لشيطان رجيم، قال الحسن: معناه رجمه اللَّه باللعنة. و قيل رجيم بالشهب طرداً من السماء، فهو (فعيل) بمعنى (مفعول). و قوله (فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ) معناه أين تذهبون عن الحق الذى قد ظهر أمره و بدت أعلامه الى الضلال الذى فيه البوار و الهلاك، و هو استبطاء لهم فى القعود عن النبى صلى اللَّه عليه و آله، و العمل بما يوجبه القرآن، فالذهاب هو المصير عن شىء الى شىء بالنفوذ فى الأمر. قال بعض بنى عقيل: التبيان فى تفسير القرآن، ج١٠، ص: ٢٨٨

تصيح بنا حنفية إذ رأتنا و أى الأرض نذهب بالصباح «١»

.يعنى إلى أى الأرض. و قيل معناه فأى طريق يسلكون أبين من الطريق الذى بينه لكم «إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعالَمِينَ» يمكنكم أن تتوصلوا به إلى الحق. و الذكر ضد السهو و عليه يتضاد العلم و أضداده، لأن الذاكر لا يخلو من أن يكون عالماً او جاهلا مقلداً أو شاكا، و لا يصح شىء من ذلك مع السهو الذى يضاد الذكر.

و قال الرمانى: الذكر إدراك النفس الذى يضاد للمعنى بما يضاد السهو. و «العالمين» جمع عالم. و قد فسرناه فى ما مضى.

و قوله «لِمَنْ شاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ» على أمر اللَّه و وعظ. و قوله «وَ ما تَشاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ» قيل فى معناه ثلاثة اقوال:

أحدها- ..... ص: ٢٨٨

و ما تشاؤن من الاستقامة إلا و قد شاءها اللَّه، لأنه قد جرى ذكرها فرجعت الكناية اليها، و لا يجوز أن يشاء العبد الاستقامة إلا و قد شاءها اللَّه، لأنه أمر بها و رغب فيها أتم الترغيب، و من ترغيبه فيه إرادته له.

و الثانى- ..... ص: ٢٨٨

و ما تشاؤن شيئاً إلا أن يشاء اللَّه تمكينكم منه، لان الكلام يقتضى الاقتدار على تمكينهم إذا شاء و منعهم إذا شاء.

الثالث- ..... ص: ٢٨٨

و ما تشاؤن إلا أن يشاء اللَّه ان يلطف لكم فى الاستقامة لما فى الكلام من معنى النعمة.

و

روى عن النبى صلى اللَّه عليه و آله أنه قال شيبتنى (هود) و أخواتها (الواقعة) و (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) و هو جميع ما وعظ اللَّه به عباده.

فان قيل: ا ليس ان أنساً لما سئل هل اختضب رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله قال ما شأنه الشيب، فقال: أو شين هو يا أبا حمزة. فقال كلكم يكرهه؟

---

(١) تفسير القرطبى ١٩/ ٢٤١

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌١٠، ص: ٢٨٩

قيل عنه جوابان أحدهما- أنه

روى أن علياً عليه السلام لما غسل رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله وجد فى لحيته شعرات بيضاء

، و ما لا يظهر إلا بعد التفتيش لا يكون شيباً. الثانى- أنه أراد لو كان أمر يشيب منه إنسان لشبت من قراءة ما فى هذه السورة، و ما فيها من الوعيد كما قال (يَوْمَ تَرَوْنَها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَ تَضَعُ كُلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها وَ تَرَى النَّاسَ سُكارى وَ ما هُمْ بِسُكارى) «١» و إنما أراد عظم الأهوال على ما بيناه.

٨٢-سورة الانفطار ..... ص: ٢٨٩

اشارة

مكية فى قول ابن عباس و الضحاك، و هى تسع عشرة آية بلا خلاف

[سورة الانفطار (٨٢): الآيات ١ الى ١٢] ..... ص: ٢٨٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّماءُ انْفَطَرَتْ (١) وَ إِذَا الْكَواكِبُ انْتَثَرَتْ (٢) وَ إِذَا الْبِحارُ فُجِّرَتْ (٣) وَ إِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (٤)

عَلِمَتْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ وَ أَخَّرَتْ (٥) يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَكَّبَكَ (٨) كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ (٩)

وَ إِنَّ عَلَيْكُمْ لَحافِظِينَ (١٠) كِراماً كاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ ما تَفْعَلُونَ (١٢)

---

(١) سورة ٢٢ الحج آية ٢

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌١٠، ص: ٢٩٠

اثنتا عشرة آية.

قرأ أهل الكوفة (فعدلك) خفيفاً. الباقون مشدداً. و قرأ ابو جعفر (بل يكذبون) بالياء على الخبر. الباقون بالتاء على الخطاب. و ادغم حمزة و الكسائى اللام فى التاء و وافقهم الحلوانى عن هشام.

هذا خطاب من اللّه تعالى للمكلفين من عباده، و فيه تهديد و وعيد فانه يقول (إِذَا السَّماءُ انْفَطَرَتْ) يعنى انشقت، فالانفطار انقطاع الشىء من الجهات مثل تفطر، و منه الفطير قطع العجين قبل بلوغه بما هو مناف لاستوائه، فطره يفطره إذا أوجده بما هو لقطع ما يصد عنه. و الانفطار. و الانشقاق و الانصداع واحد.

و قوله (وَ إِذَا الْكَواكِبُ انْتَثَرَتْ) معناه إذا النجوم تساقطت و تواقعت، فالانتثار تساقط الشىء من الجهات يقال: انتثر ينتثر انتثاراً و نثره ينثره نثراً، و استنثر استنثاراً و النثر من الكلام خلاف النظم (وَ إِذَا الْبِحارُ فُجِّرَتْ) أى خرق بعض مواضع الماء إلى بعض يقال فجر الأنهار يفجرها تفجيراً، و منه الفجر لانفجاره بالضياء، و منه الفجور لانخراق صاحبه بالخروج إلى كثير من الذنوب. و قال قتادة: معنى فجرت أى تفجر عذبها فى مالحها، و مالحها فى عذبها.

و قوله (وَ إِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ) معناه بحثرت يقال: بعثر فلان حوضه و بحثره بمعنى واحد إذا جعل أسفله أعلاه، و البحثرة إثارة الشىء بقلب باطنه إلى ظاهره.

و قال ابن عباس: بعثرت بحثت.

و قوله (عَلِمَتْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ وَ أَخَّرَتْ) جواب الشرط فى قوله (إِذَا السَّماءُ انْفَطَرَتْ) و ما بعده من الشروط. و معنى (ما قَدَّمَتْ وَ أَخَّرَتْ) ما أخذت التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢٩١

و تركت مما يستحق به الجزاء. و قيل: معناه كل ما يستحق به الجزاء مما كان فى أول عمره او آخره. و قيل: معناه ما قدمت من عملها و ما أخرت من سنة سنتها يعمل بها- ذكره القرطى- و قال ابن عباس و قتادة: معناه ما قدمت من طاعة أو تركت و قيل ما قدمت بعمله.

و قوله (يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ) خطاب لجميع الناس من المكلفين يقول اللّه لهم لكل واحد منهم (ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ) أى أىّ شىء غرك بخالقك حتى عصيته فيما أمرك به و نهاك عنه، فالغرور ظهور أمر يتوهم به جهل الامان من المحذور تقول: غر يغر غروراً و اغتره يغتره اغتراراً قال الحارث ابن حلزة:

لم يغروكم غروراً و لكن رفع الآل جمعهم و الضحاء «١»

و الكريم القادر على التكرم من غير مانع، و من هذه صفته لا يجوز الاغترار به، لأن تكرمه على ما تقتضيه الحكمة من مجازاة المحسن بإحسانه و المسىء بإساءته.

قال قتادة: غر الشيطان غروراً، و قيل: غره بجهله الوجه فى طول الامهال، و قوله (الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ) نعت ل (ربك)، و هو فى موضع الجر. و قوله (فسواك) التسوية التعديل، و المراد- هاهنا- تسوية اللّه تعالى آلته من اليدين و الرجلين و العينين و نحو ذلك (فعدّلك) فى المزاج على وجه يصح معه وجود الحياة. و من خفف الدال أراد صرفك إلى أى صورة شاء من حسن أو قبح، و من ثقل أراد جعلك معدل الخلق معتدلا. و اختار الفراء التشديد، لأن (فى) مع التعديل أحسن و (الى) مع العدل.

و قوله (فِي أَيِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَكَّبَكَ) فالصورة البنية التى تميل بالتأليف الى مماثلة الحكاية. و هى من صاره يصوره صوراً إذا ماله، و منه قوله

(١) مر فى ٨/ ٣٢٢

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢٩٢

(فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ) «١» أى املهن اليك، و لو كانت بنية من غير مماثلة لم يكن صورة. و قال مجاهد: معناه (فِي أَيِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَكَّبَكَ) من شبه أب أو أم او خال او عم.

و قال قوم: معناه فى أى صورة ما شاء ركبك من ذكر او أنثى و جسيم او نحيف و طويل او قصير و مستحسن أو مستقبح، و من قال: الإنسان غير هذه الجملة أستدل بقوله (فِي أَيِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَكَّبَكَ) قالوا لأنه بين أنه يركب القابل فى أى صورة شاء، فدل على أنه غير الصورة. و قد بينا القول فى تأويل ذلك، على أن عندهم أن ذلك الحى لا يصح عليه التركب و اللَّه تعالى بين أنه يركبه كيف شاء، و فى أى صورة شاء و ذلك خلاف مذهبهم.

ثم قال (كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ) و معنى (كلا) الردع و الزجر أى ارتدعوا و انزجروا، و قيل: معناه حقاً بل تكذبون معاشر الكفار بالدين الذى هو الجزاء من الثواب و العقاب لانكاركم البعث و النشور- ذكره مجاهد و قتادة- و قيل: بل تكذبون بالدين الذى جاء به محمد صلى الله عليه و آله ثم قال مهدداً لهم (وَ إِنَّ عَلَيْكُمْ لَحافِظِينَ) يعنى من الملائكة يحفظون عليكم ما تعملون من الطاعة و المعصية. ثم وصفهم فقال (كِراماً كاتِبِينَ يَعْلَمُونَ ما تَفْعَلُونَ) أى لا يخفى عليهم شيء من الذى تعملونه فيثبتون ذلك كله. و قيل: إن الملائكة تعلم ما يفعله العبد إما باضطرار كما تعلم أنه يقصد إلى خطابنا و أمرنا و نهينا و إما باستدلال إذا رآه و قد ظهر منه الأمور التى لا تكون إلا عن علم و قصد من نحو التحرى فى الوزن و الكيل، و رد الوديعة و قضاء الدين مما يتعمد فيه أهل الحقوق دون غيرهم، و قال الحسن: يعلمون ما تفعلون من الظاهر دون الباطن. و قيل: بل هو على ظاهر العموم لان اللَّه تعالى يعلمهم إياه.

---

(١) سورة ٢ البقرة آية ٢٦٠

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢٩٣

قوله تعالى:[سورة الانفطار (٨٢): الآيات ١٣ الى ١٩] ..... ص: ٢٩٣

إِنَّ الْأَبْرارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣) وَ إِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (١٤) يَصْلَوْنَها يَوْمَ الدِّينِ (١٥) وَ ما هُمْ عَنْها بِغائِبِينَ (١٦) وَ ما أَدْراكَ ما يَوْمُ الدِّينِ (١٧)

ثُمَّ ما أَدْراكَ ما يَوْمُ الدِّينِ (١٨) يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَ الْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ (١٩)

سبع آيات.

قرأ ابن كثير و أهل البصرة (يوم لا تملك) برفع الميم. الباقون بالنصب على الظرف، و يجوز أن ينصبه بإضمار فعل أى نقول يوم لا تملك، و من رفع استأنف و يجوز أن يجعله بدلا مما قبله. و قيل: ان (يوم) إذا أضيف إلى فعل مضارع رفع و إذا أضيف إلى فعل ماض نصب، نحو قولهم: يوم يفعل، و يوم فعل، و قال ابو على: من رفع جعله خبر ابتداء محذوف، و تقديره هو يوم. و من نصب فعلى أن يكون الخبر على الجزاء، فكأنه قال الجزاء يوم لا تملك نفس.

يقول اللَّه تعالى مخبراً (إِنَّ الْأَبْرارَ لَفِي نَعِيمٍ) و هم الذين يفعلون الطاعات التى يستحقون بها الجنة و الثواب بأنواع اللذات جزاء على طاعاتهم، و اخبر أيضاً (وَ إِنَّ الْفُجَّارَ) و هم الذين خرجوا عن طاعة اللَّه إلى معصيته و المراد به- هاهنا- الكفار (لَفِي جَحِيمٍ) جزاء على كفرهم و معاصيهم (يَصْلَوْنَها يَوْمَ الدِّينِ وَ ما هُمْ عَنْها بِغائِبِينَ) يعنى لا يكونون غائبين عن الجحيم بل يكونون مؤبدين فيها، و ليس يدل ذلك على أن فساق أهل الملة لا يخرجون من النار، لأنا بينا أن الآية مخصوصة بالكفار من حيث بينا فى غير موضع أن معهم ثواباً دائماً على إيمانهم لم ينحبط لبطلان القول بالتحابط، فإذاً لا بد من إخراجهم من النار ليوفوا ثوابهم. و قوله (يَصْلَوْنَها يَوْمَ التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢٩٤

الدِّينِ)

معناه إن الفجار يصلون فى الجحيم يوم الجزاء على الاعمال. و سمى الإسلام ديناً لأنه يستحق به الجزاء لان أصل الدين الجزاء، و دين اليهودية و غيرها يستحق بها العقاب. و معنى قوله (يَصْلَوْنَها) يلزمونها بكونهم فيها و منه المصطلى الملازم للنار متدفياً بها، صلى يصلى صلا و اصطلى يصطلى اصطلاء.

و قوله (وَ ما أَدْراكَ ما يَوْمُ الدِّينِ ثُمَّ ما أَدْراكَ ما يَوْمُ الدِّينِ) تعظيم ليوم الجزاء بلفظ الاستفهام، و الغرض فيه التنبيه على عظم حاله و ما يستحق به من ثواب و عقاب ليعمل العباد بما يؤديهم إلى الثواب و الجنة و النجاة من العقاب، و عظم يوم الدين لشدة الحاجة إلى نعيم الجنة، و النجاة من النار و من جملة العصاة، فلا يوم أعظم من ذلك.

ثم فسر تعالى ذلك و بينه بعد أن عظمه فقال (يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً) و معناه لا يملك أحد الدفاع عن غيره ممن يستحق العقاب كما يملك كثير من الناس ذلك فى الدنيا، فان الامر فى ذلك اليوم للَّه وحده لم يملك أحداً شيئاً من الأمور كما ملكهم أشياء كثيرة فى دار الدنيا. و قيل: معناه إنه لا يمكن أحداً أن يجازى احداً إلا بالحق بأمر اللَّه تعالى.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢٩٥

٨٣- سورة المطففين ..... ص: ٢٩٥

اشارة

مكية فى قول ابن عباس و قال الضحاك هى مدنية و هى ست و ثلاثون آية بلا خلاف

[سورة المطففين (٨٣): الآيات ١ الى ٦] ..... ص: ٢٩٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَ إِذا كالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَ لا يَظُنُّ أُولئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤)

لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعالَمِينَ (٦)

ست آيات.

(ويل) كلمة موضوعة للوعيد و التهديد، و يقال ذلك لمن وقع فى هلاك و عقاب. و قيل: إن ويلا واد فى جهنم قعره سبعون سنة. و قيل (ويل) دعاء عليهم. و قال ابن عباس: كان أهل المدينة من أخبث الناس كيلا إلى أن انزل اللَّه تعالى (وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ) فأحسنوا الكيل، فهدد اللَّه تعالى بهذا الخطاب كل من بخس غيره حقه و نقصه ما له من مكيل او موزون، فالمطفف المقلل حق صاحبه بنقصانه عن الحق فى كيل أو وزن. و الطفيف النزر القليل، و هو مأخوذ من طف الشيء و هو جانبه، و التطفيف التنقيص على وجه الخيانة فى الكيل أو الوزن. و أما التنقيص التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢٩٦

فى ما يرجع إلى مقدار الحق فلا يكون تطفيفاً. و لفظة (المطفف) صفة ذم لا تطلق على من طفف شيئاً يسيراً الى أن يصير إلى حال تفاحش. و فى الناس من قال:

لا يطلق حتى يطفف أقل ما يجب فيه القطع فى السرقة، لأنه المقطوع على أنه كبيرة.

و قوله (الَّذِينَ إِذَا اكْتالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ) فالاكتيال الأخذ بالكيل و نظيره الاتزان و هو الأخذ بالوزن، و الاعتداد الأخذ بالعدد، يقال: اكتال يكتال اكتيالا، و كاله يكيله كيلا و كايله مكايلة و تكايل تكايلا، و إنما ذكر فى الذم (إِذَا اكْتالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ) ليبين منزلتهم فى تعدى الحق بأنهم لم ينقصوا الناس عن طريق مسامحة يعاملون الناس بمثل ذلك بل على محض الظلم فى البخس و

يقال:

اكتالوا ما عليهم بمعنى أخذوا ما عليهم، و اكتالوا منهم أى استوفوا منهم. و قيل:

على الناس، فكنى عنهم. و قوله (وَ إِذا كالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ) كان عيسى ابن عمر يجعل (هم) فصلا فى موضع رفع بمعنى الفاعل. و الباقون يجعلونه فى موضع نصب، و هو الصحيح، و هو قول اكثر المفسرين. و أهل الحجاز يقولون:

وزنتك حقك و كلتك طعامك. و غيرهم يقولون: كالوا لهم و وزنوا لهم، و فى الكتاب (كالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ) بلا الف. و من قال تقديره: كالوا لهم أو وزنوا لهم، قال حذف (لهم) للإيجاز من غير إخلال بالمعنى، و يقال أخسر و خسر لغتان إذا نقص الحق.

و قوله (أَ لا يَظُنُّ أُولئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ) تبكيت للكافر و لكل ظالم و باخس حق غيره فى صورة الاستفهام. و (الظن) هاهنا بمعنى العلم، و تقديره أ لا يعلم انه يبعث يوم القيامة و يجازى على أفعاله من طاعة او معصية فيجازى بحسبها فى اليوم الذى وصفه بأنه يوم عظيم. و يحتمل أن يكون المراد بالظن الحسبان ايضاً من ظن الجزاء و البعث و قوى فى نفسه ذلك، و إن لم يكن عالماً يجب عليه أن التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢٩٧

يتحرز و يجتنب المعاصى خوفاً من العقاب الذى يجوزه و يظنه، كما أن من ظن العطب فى سلوك طريق وجب أن يتجنب السلوك فيه. قال البلخى: قال قوم: المعنى ا فما يوقنون انهم مبعوثون، جعله خطاباً للمؤمنين المصدقين بالبعث. ثم زاد فى صفة يوم القيامة الذى وصفه بأنه يوم عظيم و بينه فقال (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعالَمِينَ) أى يوم يبعثون يوم تقوم الناس من قبورهم و يجتمعون فى ارض المحشر، و إنما يقومون من قبورهم الى ارض المحشر لجزاء رب العالمين، و حذف ذلك للدلالة عليه، و يحتمل «يَوْمَ يَقُومُ» ثلاث أوجه: النصب على ذلك اليوم يقوم أو مبعوثون يوم يقوم. و الرفع على الاستئناف، و الجر على البدل من (ليوم عظيم) و قال قتادة: يقومون مقدار ثلاثمائة سنة و يقصر على المؤمنين حتى يكون كإحدى صلاة المكتوبة. و

روى فى الخبر عن النبى صلى اللّه عليه و آله ان أحدهم ليغيب فى رشحه الى انصاف أذنيه.

قوله تعالى:[سورة المطففين (٨٣): الآيات ٧ الى ١٧] ..... ص: ٢٩٧

اشارة

كَلاَّ إِنَّ كِتابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ (٧) وَ ما أَدْراكَ ما سِجِّينٌ (٨) كِتابٌ مَرْقُومٌ (٩) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٠) الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (١١)

وَ ما يُكَذِّبُ بِهِ إِلاَّ كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) إِذا تُتْلى عَلَيْهِ آياتُنا قالَ أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٣) كَلاَّ بَلْ رانَ عَلى قُلُوبِهِمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ (١٤)

كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصالُوا الْجَحِيمِ (١٦)

ثُمَّ يُقالُ هذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (١٧)

احدى عشرة آية. التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢٩٨

روى حفص عن عاصم و المسيبى إلا هبة (بل ران) بإظهار اللام. الباقون بالإدغام. و أمال اهل الكوفة إلا الأعشى و البرجمى (ران).

قيل فى اصل قوله (كلا) قولان:

أحدهما- ..... ص: ٢٩٨

إنها كلمة واحدة من غير تركيب وضعت للردع و الزجر، و جرى ذلك مجرى الأصوات من نحو (صه، و مه) و ما أشبههما.

و الثانى- ..... ص: ٢٩٨

أن يكون الكاف للتشبيه دخلت على (لا) و شددت للمبالغة فى الزجر مع الإيذان بتركيب اللفظ.

و معنى الآية ارتدعوا أيها الكفار و العصاة و انزجروا عن المعاصى معاشر الكفار، ليس الامر على ما تظنون بل (إِنَّ كِتابَ الْفُجَّارِ) يعنى كتابهم الذى ثبتت أعمالهم من المعاصى و الفجور (لَفِي سِجِّينٍ) قال ابن عباس و مجاهد و قتادة: يعنى فى الأرض السابعة السفلى، و هو قول الضحاك. و قال مجاهد: تحت صخرة فى الأرض السابعة السفلى، و

روى فى الخبر أن (سجين) جب فى جهنم.

و قال ابو عبيدة: سجين شديد، و أنشد:

ضرباً تواصى به الأبطال سجينا «١»

يعنى شديداً، فكأنه كشدة السجن، و يكون معناه شديد عذابه. و قيل:

السجين هو السجن على التخليد فيه، فهو (فعيل) من سجنته أسجنه سجناً، و فيه مبالغة، كما يقال: شرّيب من الشرب، و سكير من السكر، و شرير من الشر.

و قيل: الوجه فى جعل كتاب الفجار فى سجين أن تخليده فيه يقوم مقام التقريع و إن عقابهم لا يفنى و لا يبيد كما لا يفنى كتاب سيئاتهم و لا يبيد، ثم قال على وجه التعظيم و التفخيم و (ما أَدْراكَ ما سِجِّينٌ) أى تفصيله لا تعلمه و إن علمته

---

(١) مر فى ۶/ ۴۵

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٢٩٩

مجملا. ثم قال مفسراً لذلك (كِتابٌ مَرْقُومٌ) فالرقم طبع الخط بما فيه علامة لأمر يقال: رقمه يرقمه رقماً فهو راقم و الشيء مرقوم و منه رقمت الثوب بعلامة لئلا يختلط. و المعنى إن هذا الكتاب الذى هو فى السجن كتاب قد كتب فيه جميع أفعاله من المعاصى و الكفر.

ثم قال (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) فهو تهديد لمن كذب بيوم الجزاء و لم يصدق بصحة الخبر بكونه، ثم فسر من عنى من المكذبين، فقال (الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ) يعنى يوم الجزاء، و هو يوم القيامة، لان من كذب بالباطل و جحده لا يتوجه اليه الوعيد بل هو ممدوح فلو أطلق كان فيه إبهام. ثم قال (وَ ما يُكَذِّبُ بِهِ) أى ليس يكذب بيوم الجزاء (إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ) فالمعتدى المتجاوز الحق إلى الباطل، يقال: اعتدى اعتداء، فهو معتد. و العادى الخارج عن الحق، عدا يعدو عدواناً و أصله مجاوزة الحد و من ذلك العداوة و هى مجاوزة الحد فى الإبغاض، و العدو مجاوزة الحد فى اسراع المشى، و الأثيم مكتسب القبيح أثم يأثم إثماً فهو آثم و اثيم و أثمه تأثيماً إذا نسبه إلى الإثم، و تأثم من فعل كذا كقولك تحرج منه للاثم به و قال قتادة: اثيم فى مريته، ثم وصف المعتدى الأثيم، فقال (إِذا تُتْلى عَلَيْهِ آياتُنا) أى إذا قرئت عليه حجج اللّه من القرآن و ما فيه من الادلة (قالَ أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ) فواحد الأساطير أسطورة مثل أحدوثه و أحاديث. و قيل: معناه أباطيل الأولين.

و قيل: معناه هذا ما سطره الأولون أى كتبوه، و لا أصل له. ثم قال تعالى (كَلَّا بَلْ رانَ عَلى قُلُوبِهِمْ) معناه ليس الامر على ما قالوه بل غلب على قلوبهم يقال منه: رانت الخمر على عقله ترين ريناً إذا سكر فغلبت على عقله، فالرين غلبة السكر على القلب. قال ابو زبيد الطائى:

ثم لما رأوه رانت به الخمر و إن لا يرينه باتقاء ترينه

أى مخافة يسكر، فهى لا تبقيه و قال الراجز: التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٣٠٠

لم تروحنى نكرت و رين بى و رين بالسافى الذى أمسى معى

و قال الحسن و قتادة: الرين الذنب على الذنب حتى يموت القلب. و قال ابن زيد: غلبت الذنوب على القلوب، فلا يخلص اليها خير العلوم. و قيل: معنى «ران» غطى و عشى. و قوله (ما كانُوا يَكْسِبُونَ) (ما) فى موضع رفع، لأنها الفاعلة لران و ما يكسبون يعنى من المعاصى، لان الطاعات و ان كسبوها فما رانت على قلوبهم قال البلخى: و فى ذلك دلالة على صحة ما يقوله أهل العدل فى تفسير الطبع و الختم و الإضلال، لأنه تعالى اخبر انهم الذين يجعلون الرين على قلوبهم.

ثم قال (كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ) قال الحسن و قتادة: هم محجوبون عن إحسانه. و قيل: عن كرامته. و قيل: لممنوعون. و أصل الحجب المنع. و منه قولهم: الاخوة تحجب الأم عن الثلث الى السدس.

ثم بين تعالى ما يفعل بهم فقال (ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصالُوا الْجَحِيمِ) و معناه لازموا الجحيم بكونهم فيها لا يغيبون عنها يقال: صلى بالنار يصلى صلياً، فهو صال و المصطلى الملازم للنار للتدفى بها.

ثم حكى انه يقال لهم على وجه التقريع و التبكيت: هذا الذى فعل بكم من العقاب (هذَا الَّذِی كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ) فى دار التكليف، و انما سمى مثل هذا الخطاب تقريعاً لأنه خبر بما يقرع بشدة الغم على وجه الذم، فكل خبر على هذا الوصف فهو تقريع و توبيخ.

قوله تعالى:[سورة المطففين (٨٣): الآيات ١٨ الى ٢٨] ..... ص: ٣٠٠

كَلاَّ إِنَّ كِتابَ الْأَبْرارِ لَفِی عِلِّيِّينَ (١٨) وَ ما أَدْراكَ ما عِلِّيُّونَ (١٩) كِتابٌ مَرْقُومٌ (٢٠) يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ (٢١) إِنَّ الْأَبْرارَ لَفِی نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الْأَرائِكِ يَنْظُرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِی وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (٢٤) يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ (٢٥) خِتامُهُ مِسْكٌ وَ فِی ذلِكَ فَلْيَتَنافَسِ الْمُتَنافِسُونَ (٢٦) وَ مِزاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ (٢٧)

عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ (٢٨)

التبيان فی تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٣٠١

احدى عشرة آية.

قرأ الكسائى وحده (خاتمه مسك) بألف قبل التاء. الباقون (ختامه مسك) فالختام مصدر، و الخاتم صفة، و نظيره: رجل كريم الطابع و الطباع قال الفرزدق:

فبتن خبابتى مصرعات و بت أفض إغلاق الختام «١»

و قرأ ابو جعفر و يعقوب (تعرف) بضم التاء و فتح الراء (نضرة) بالرفع على ما لم يسم فاعله. الباقون بفتح التاء و كسر الراء و نصب (نضرة).

لما ذكر اللَّه تعالى الفجار و ما أعده لهم من أنواع العقاب و أليم العذاب ذكر الأبرار و هو جمع بر مثل جبل و أجبال. و الأبرار الذين فعلوا الطاعات و اجتنبوا المعاصى، و اخبر (إِنَّ كِتابَ الْأَبْرارِ لَفِی عِلِّيِّينَ) أى مراتب عالية محفوفة بالجلالة، فقد عظمها اللَّه تعالى بما يدل على عظم شأنها فى النعمة، و جمعت بالواو و النون تشبيها بمن يعقل فى الفضل و عظم الشأن. و قال ابن عباس: العليون الجنة. و قال كعب و قتادة و مجاهد و الضحاك: أرواح المؤمنين فى السماء السابعة، و قال الضحاك- فى رواية- عليون سدرة المنتهى، و هى التى اليها ينتهى كل شىء من أمر اللَّه تعالى.

و قيل: عليون علو على علو مضاعف، و لهذا جمع بالواو و النون تفخيماً لشأنه

---

(١) ديوانه ٢/ ٦٦٥ و القرطبى ١٩/ ٢٦٣

التبيان فی تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٣٠٢

قال الشاعر:

فأصبحت المذاهب قد أذاعت به الاعصار بعد الوابلينا

يريد مطراً بعد مطر غير محدود العدد، و كذلك تفخيم شأن العدد الذى ليس على الواحد، نحو ثلاثين إلى تسعين، و جرت العشرون عليه. و قيل: عليون أعلى الأمكنة. و قال الحسن: معنى فى عليين فى السماء. و قال الجبائى: معناه فى جملة الملائكة العليين، فلذلك جمع بالواو و النون.

ثم قال تعالى على وجه التعظيم لشأن هذه المنازل و تفخيم أمرها (وَ ما أَدْراكَ ما عِلِّيُّونَ) لان تفصيلها لا يمكن العلم بها إلا بالمشاهدة دون علم الجملة. ثم قال (كِتابٌ مَرْقُومٌ) أى الكتاب الذى ثبت فيه طاعتهم (مرقوم) أى مكتوب فيه جميع طاعاتهم بما تقرَّ به أعينهم و توجب سرورهم بضد الكتاب الذى للفجار، لان فيه ما يسؤهم و يسخن أعينهم (يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ) أى يشهد هذا الكتاب الملائكة المقربون أى يشاهدون جوائزهم و يرونها. و معنى المقربون- هاهنا- هم الذين قربوا إلى كرامة اللَّه فى أجل المراتب.

ثم اخبر تعالى (إِنَّ الْأَبْرارَ) و هم أهل البر الذين فعلوه لوجهه خالصاً من وجوه القبح، فالبر النفع الذى يستحق به الشكر و الحمد يقال: برّ فلان بوالده فهو بار به و برّ به، و جمعه أبرار (لَفِي نَعِيمٍ) أى و يحصلون فى ملاذ و أنواع من النفع (عَلَى الْأَرائِكِ يَنْظُرُونَ) قال ابن عباس: الأرائك الاسرة. و قال مجاهد: هى من اللؤلؤ و الياقوت، واحدها أريكة، و هو سرير فى حجلة ينظرون إلى ما أعطاهم اللَّه من الملك و الكرامة، و الحجلة كالقبة على الاسرة. ثم قال (تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ) أى تتبين فى وجوههم إشراق النعمة و السرور بها.

و قوله (يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ) فالرحيق الخمر الصافية الخالصة من كل غش. التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٣٠٣

قال الخليل: هى أفضل الخمر و أجودها. قال حسان:

يسقون من ورد البريص عليهم برداً يصفق بالرحيق السلسل

و قوله (مختوم) قيل إن هذا الخمر مختوم فى الآنية بالمسك، و هو غير الذى يجرى فى الأنهار. و قوله (ختامه مسك) قيل فى معناه قولان:

أحدهما- ان مقطعه مسك بأن يوجد ريح المسك عند خاتمة شربه- ذكره ابن عباس و الحسن و قتادة و الضحاك.

و الثاني- أنه ختم اناؤه بالمسك بدل الطين الذى يختم بمثله الشراب فى الدنيا- ذكره مجاهد و ابن زيد- و من قرأ (خاتمه) مسك أراد آخر شرابه مسك و يفتح التاء فى (خاتمه) لان العرب تقول: خاتم و خاتم و خاتام و خيتام. و من قرأ (ختامه) أراد شرابهم مختوم بالمسك. و المسك معروف، و هو أجل الطيب سمى مسكاً، لأنه يمسك النفس لطيب ريحه و المسك- بالفتح- الجلد لامساكه ما فيه (وَ فِي ذلِكَ) يعنى فى ذلك النعيم الذى وصفه اللَّه (فَلْيَتَنافَسِ الْمُتَنافِسُونَ) فالتنافس تمنى كل واحد من النفسين مثل الشيء النفيس الذى للنفس الاخرى أن يكون له تنافسوا فى الشيء تنافساً و نافسه فيه منافسة، و الجليل الذى ينفس بمثله نفيس، و نفس عليه بالأمر ينفس نفاسة إذا ضن به لجلالته.

و قوله (وَ مِزاجُهُ) أى مزاج ذلك الشراب الذى وصفه (مِنْ تَسْنِيمٍ) فالمزاج خلط المائع بالمائع كما يمزج الماء الحار بالبارد، و الشراب بالماء. يقال أمزجه مزجاً و امتزج امتزاجاً و مازجه ممازجة و تمازجا تمازجاً. و التسنيم عين الماء يجرى من علو إلى سفل يتسنم عليهم من الغرف، و اشتقاقه من السنام. و قال عكرمة: من تشريف، و يقال: سنام البعير لعلوه من بدنه.

و قوله (عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ) قيل فى نصب (عين) وجوه: التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٣٠٤

أولها- أن (تسنيم) معرفة و (عيناً) قطع منها، أو حال.

الثاني- أن يكون (تسنيم) مصدراً فيجرى مجرى (أَوْ إِطْعامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيماً) «١».

الثالث- على تقدير أعنى عيناً، مدحاً.

الرابع- يسقون عيناً، و الباء زائدة، يقال: شربت عيناً و شربت بالعين و قد فسرناه فى (هل أتى).

قوله تعالى:[سورة المطففين (٨٣): الآيات ٢٩ الى ٣٦] ..... ص: ٣٠٤

إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَ إِذا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغامَزُونَ (٣٠) وَ إِذَا انْقَلَبُوا إِلى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) وَ إِذا رَأَوْهُمْ قالُوا إِنَّ هؤُلاءِ لَضالُّونَ (٣٢) وَ ما أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حافِظِينَ (٣٣)

فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤) عَلَى الْأَرائِكِ يَنْظُرُونَ (٣٥) هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ ما كانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦)

ثمان آيات.

قرأ حفص (فكهين) بغير الف بمعنى فرحين مرحين. الباقون «فاكهين» بألف بمعنى لاهين، و هو بمنزلة طامع و طمع، فالفاكه الطالب ما يتفكه به من نوادر الأمور و الفاكه الناعم المعجب بحاله و التفكه التمتع بالمأكول من غير أخذه للقوت. و قرأ ابو عمرو- فى رواية هارون- و حمزة و الكسائى (هل ثوب) بالإدغام، لقرب مخرج اللام من الثاء. الباقون، و اليزيدى عن أبى عمرو بالإظهار.

---

(١) سورة ٩ البلد آية ١٥

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٣٠٥

قيل إن هذه الآية نزلت فى جماعة من كفار قريش كانوا يعيرون جماعة من المسلمين الذين سبقوا إلى الايمان، و يهزءون منهم، فقال اللَّه تعالى مخبراً بأن المجرمين كانوا من الذين آمنوا باللَّه و وحدوه و أخلصوا له العبادة و صدقوا أنبياءه (يضحكون) على وجه الاستهزاء بهم و السخرية منهم «وَ إِذا مَرُّوا بِهِمْ»

يعنى إذا مر بهم المؤمنون و جازوا عليهم غمز بعضهم بعضاً عليهم على وجه التعجب منهم و السخرية «وَ إِذَا انْقَلَبُوا إِلى أَهْلِهِمُ» يعنى الكفار إذا انقلبوا إلى أهلهم و أصحابهم «انْقَلَبُوا فَكِهِينَ» أى لاهين. و من قرأ «فكهين» أراد مرحين «معجبين» بحالهم «وَ إِذا رَأَوْهُمْ» يعنى الكفار إذا رأوا المؤمنين فى دار الدنيا «قالُوا» يعنى بعضهم لبعض «إِنَّ هؤُلاءِ» و أشاروا به إلى المؤمنين «لَضالُّونَ» عن طريق الحق و عادلون عن الاستقامة، فقال اللَّه تعالى «وَ ما أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حافِظِينَ» أى لم يرسل هؤلاء الكفار حافظين على المؤمنين، فيحفظون ما هم عليهم، و المراد بذلك الذم لهم بعيب المؤمنين بالضلال من غير أن كلفوا منعهم من المراد و أن ينطقوا فى ذلك بالصواب، فضلوا بالخطإ فى نسبهم إياهم إلى الضلال، فكانوا ألوم منهم لو أخطئوا فيه، و قد كلفوا الاجتهاد.

ثم قال «فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ» معناه إن يوم القيامة الذى يجازى اللَّه تعالى كل احد على عمله فيجازى المؤمن بالثواب و النعيم، و يجازى الكافر بالعذاب و الجحيم، ففى ذلك اليوم يضحك المؤمنون من الكفار، كما كان الكفار يضحكون من المؤمنين فى الدنيا، و قيل الوجه فى ضحك أهل الجنة من أهل النار أنهم لما كانوا أعداء اللَّه تعالى و أعداءهم جعل لهم سروراً فى تعذيبهم و لو كان العفو قد وقع عنهم لم يجز أن يجعل السرور فى ذلك، لأنه مضمن بالعداوة التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٣٠٦

و قد زالت بالعفو.

و قوله «عَلَى الْأَرائِكِ يَنْظُرُونَ» معناه إن المؤمنين على سرر فى الحجال واحدها أريكة ينتظرون ما يفعله اللَّه بهم من الثواب و النعيم فى كل حال، و ما ينزل بالكفار من اليم العقاب و شديد النكال.

ثم قال «هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ ما كانُوا يَفْعَلُونَ» و قيل فى معناه قولان:

أحدهما- هل جوزى الكفار إذا فعل بهم هذا الذى ذكر بما كانوا يفعلون.

الثانى- ينظرون هل جوزى الكفار، فيكون موضعه نصباً ب «ينظرون»، و الاول استئناف لا موضع له. و إنما قال «هل ثوب» لأن الثواب فى أصل اللغة الجزاء الذى يرجع على العامل بعمله، و إن كان الجزاء بالنعيم على الاعمال فى العرف، يقال: ثاب الماء يثوب ثوباً إذا

رجع، و ثاب الیه عقله إذا رجع. و منه التثاؤب.
و قال قوم: یقول المؤمنون بعضهم لبعض: هل جوزی الکفار ما کانوا یفعلون سروراً بما ینزل بهم. و یجوز أن یکون ذلک من قول اللَّه أو قول الملائکة للمؤمنین تنبیهاً لهم علی أنه جوزی الکفار علی کفرهم و سخریتهم بالمؤمنین و هزئهم، بأنواع العذاب لیزدادوا بذلک سروراً إلی سرورهم.
التبیان فی تفسیر القرآن، ج ۱۰، ص: ۳۰۷

۸۴–سورة الانشقاق ..... ص: ۳۰۷

اشارة

مکیة فی قول ابن عباس و الضحاک، و هی خمس و عشرون آیة فی الکوفی و المدنیین و ثلاث فی البصری

[سورة الانشقاق (۸۴): الآیات ۱ الی ۹] ..... ص: ۳۰۷

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ
إِذَا السَّماءُ انْشَقَّتْ (۱) وَ أَذِنَتْ لِرَبِّها وَ حُقَّتْ (۲) وَ إِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ (۳) وَ أَلْقَتْ ما فِیها وَ تَخَلَّتْ (۴)
وَ أَذِنَتْ لِرَبِّها وَ حُقَّتْ (۵) یا أَیُّهَا الْإِنْسانُ إِنَّکَ کادِحٌ إِلی رَبِّکَ کَدْحاً فَمُلاقِیهِ (۶) فَأَمَّا مَنْ أُوتِیَ کِتابَهُ بِیَمِینِهِ (۷) فَسَوْفَ یُحاسَبُ حِساباً یَسِیراً (۸) وَ یَنْقَلِبُ إِلی أَهْلِهِ مَسْرُوراً (۹)
تسع آیات.
یقول اللَّه تعالی لنبیه و هو متوجه إلی جمیع المکلفین علی وجه الوعید لهم و التخویف من عقابه و التنبیه لهم علی قرب أوان مجیئه «إِذَا السَّماءُ انْشَقَّتْ» و تقدیره اذکر إذا السماء انشقت، و معناه إذا انفطرت السماء و تصدعت و انفرجت، فالانشقاق افتراق امتداد عن التئام، فکل انشقاق افتراق و لیس کل افتراق انشقاقاً و قیل: الانشقاق الانفطار، و الانصداع الانفراج.
و قوله «وَ أَذِنَتْ لِرَبِّها وَ حُقَّتْ» قال ابن عباس و سعید بن جبیر و مجاهد التبیان فی تفسیر القرآن، ج ۱۰، ص: ۳۰۸
و قتادة: معناه سمعت و أطاعت أی کأنها سمعت بأذن و أطاعت بانقیاد لتدبیر اللَّه.
تقول العرب أذن لک هذا الامر إذناً بمعنی أسمع لک قال عدّی بن زید:
ایها القلب تعلل بددن إن همی فی سماع و أذن
و قال آخر:
صم إذا سمعوا خیراً ذکرت به و إن ذکرت بسوء عندهم أذنوا «۱»
أی سمعوا و قال عدی بن زید:
فی سماع یأذن الشیخ له و حدیث مثل ماذی مشار «۲»
و قیل إن معنی «و حقت» حق لها أن تأذن بالانقیاد لأمر ربها، یقال: حق له أن یکون علی هذا الأمر بمعنی جعل ذلک حقاً.
و قوله «وَ إِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ»
روی عن النبی صلی اللَّه علیه و آله قال: (تمد الأرض یوم القیامة مثل الأدیم)
و معنی «مُدَّتْ» بسطت إن اللَّه تعالی یأمر بأن تمد مد الأدیم العکاظی حتی یزید فی سعتها. و قیل معناه إنها تبسط باندکاک جبالها و آکامها حتی تصیر کالصحیفة الملساء.

و قوله «وَ أَلْقَتْ ما فِيها وَ تَخَلَّتْ» معناه القت ما فيها من المعادن و غيرها، و تخلت منها، و ذلك مما يؤذن بعظم الأمر كما تلقى الحامل ما فى بطنها عند الشدة. و قال قتادة و مجاهد: أخرجت الأرض أثقالها. و قوله «وَ أَذِنَتْ لِرَبِّها وَ حُقَّتْ» قد فسرناه و ليس هذا على وجه التكرار، لأن الأول فى صفة السماء و الثانى فى صفة الأرض فليس بتكرار و هذا كله من أشراط الساعة و جلائل الأمور التى تكون فيها. و جواب «إِذَا السَّماءُ انْشَقَّتْ» محذوف و تقديره إذا كانت هذه الأشياء التى ذكرها و عددها رأى الإنسان ما قدم من خير او شر، و قيل جوابه فى «إِنَّكَ كادِحٌ» قال ابن خالويه الفاء مقدرة

---

(١) مر فى ۵/ ۴۴

(٢) مر فى ۵/ ٢٨٧

و التقدير إذا السماء انشقت إلى قوله «وَ حُقَّتْ» فيا أيها الإنسان إنك كادح. و قال البلخى: الواو زائدة و جواب قوله «أَذِنَتْ لِرَبِّها» «وَ حُقَّتْ» و هو كقوله «حَتَّى إِذا جاؤُها وَ فُتِحَتْ أَبْوابُها» و الأول هو الوجه.

و قوله «يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ» خطاب لجميع المكلفين من البشر من ولد آدم يقول اللَّه لهم و لكل واحد منهم «يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ إِنَّكَ كادِحٌ» و الكدح السعى الشديد فى الامر يقال: كدح الإنسان فى أمره يكدح، و فيه كدوح و خدوش أى آثار من شدة السعى فى الامر، و معنى «كادِحٌ إِلى رَبِّكَ كَدْحاً» ايها الإنسان إنك فى أمرك بشدة و مشقة إلى أن تلقى جزاء عملك من ربك، فأنت لا تخلو فى الدنيا من مشقة، فلا تعمل لها، و اعمل لغيرها فيما تصير به إلى الراحة من الكدح، فالغنى و الفقير كل واحد منهما يكدح ما يقتضيه حاله. و قوله «فَمُلاقِيهِ» تفخيم لشأن الامر الذى يلقى من جهته، فجعل لذلك لقاء جزائه، لقاءه و هذا من المعانى العجيبة و الحكمة البالغة و الهاء فى «فَمُلاقِيهِ» يحتمل أمرين: أن تكون كناية عن اللَّه، و تقديره فملاقى ربك أى تلاقى جزاء ربك، و يحتمل أن تكون كناية عن الكدح، و تقديره فملاقى كدحك الذى هو عملك. و قال تميم بن مقبل:

و ما الدهر إلا تارتان فمنهما أموت و اخرى ابتغى العيش اكدح «١»

أى ادؤب و أسعى فى طلب العيش. ثم قسم تعالى أحوال الخلق يوم القيامة فقال «فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ» يعنى من أعطى كتابه الذى فيه ثبت أعماله من طاعة او معصية بيده اليمنى «فَسَوْفَ يُحاسَبُ حِساباً يَسِيراً» أى يواقف على ما عمل من الحسنات و ما له عليها من الثواب، و ما حط عنه من الأوزار إما بالتوبة أو المغفرة، فالحساب اليسير التجاوز عن السيئات، و الاحتساب بالحسنات.

و من

---

(١) مر فى ٣/ ٢١٢ و ۴/ ٧٧ و ٨/ ٢۴٣

نوقش بالحساب هلك، روى عن النبى صلى اللَّه عليه و آله

، و قوله «وَ يَنْقَلِبُ إِلى أَهْلِهِ مَسْرُوراً» أى فرحاً مستبشراً. و قيل المراد بالأهل- هاهنا- هم الذين أعد اللَّه لهم من الحور العين، و يجوز أن يكون المراد أقاربه إذا كانوا من أهل الجنة و السرور هو الاعتقاد أو العلم بوصول نفع اليه فى المستقبل أو دفع ضرر عنه و قال قوم: هو معنى فى القلب يلتذ لأجله بنيل المشتهى يقال: سر بكذا من مال أو ولد أو بلوغ أمل يسر سروراً.

قوله تعالى:[سورة الانشقاق (٨۴): الآيات ١٠ الى ١۵] ..... ص: ٣١٠

وَ أَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ وَراءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُوراً (١١) وَ يَصْلى سَعِيراً (١٢) إِنَّهُ كانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُوراً (١٣) إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ

يَحُورَ (۱۴)
بَلى إِنَّ رَبَّهُ كانَ بِهِ بَصِيراً (۱۵)
ست آيات.
قرأ نافع و ابن عامر و ابن كثير و الكسائى «يصلى» بضم الياء و فتح الصاد و تشديد اللام. الباقون بفتح الياء و إسكان الصاد خفيفة. و أماله أهل الكوفة إلا عاصماً.
لما ذكر اللَّه تعالى حكم من يعطى كتابه بيمينه من المؤمنين و أهل الطاعات و ما أعد لهم من أنواع النعيم و انقلابه إلى أهله مسروراً، ذكر حكم الكفار الذين يعطون كتاب أعمالهم وراء ظهورهم، و
روى أنه يخرج شماله من ظهره، و يعطى كتابه فيه.
و الوجه فى ذلك ما قدمناه من كون ذلك امارة للملائكة و الخلائق أنه من أهل النار كما أن إعطاء الكتاب باليمين علامة على أنه من أهل الجنة.
ثم حكى ما يحل به فقال «فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُوراً» فالثبور الهلاك أى يقول وا هلاكاه. و المثبور الهالك. و قيل: إنه يقول وا ثبوراه. و قال الضحاك يدعو التبيان فى تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۳۱۱
بالهلاك. و أصل الثبور الهلاك يقال: ثبره اللَّه يثبره ثبراً إذا أهلكه. و مثبر الناقة الموضع الذى تطرح ولدها فيه، لأنها تشفى به على الهلاك، و ثبر البحر إذا جزر لهلاكه بانقطاع مائه، يقال: تثابرت الرجال فى الحرب إذا تواثبت، لاشفائها على الهلاك بالمواثبة. و المثابر على الشيء المواظب عليه لحمله نفسه على الهلاك بشدة المواظبة.
و ثبير جبل معروف. و المثبرة تراب شبيه بالنورة إذا وصل عرق النخل اليه وقف، لأنه يهلكه، و إنما يقول: وا ويلاه وا لهفاه وا هلاكاه، لأنه ينزل به من المكروه لأجله مثل ما ينزل بالمتفجع عليه.
و قوله «وَ يَصْلى سَعِيراً» معناه إن من هذه صفته يلزم الكون فى السعير، و هى النار المتوقدة على وجه التأبيد.
و قوله «إِنَّهُ كانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُوراً» معناه إنه اقتطعه السرور بأهله عما يلزمه أن يقدمه. فهو ذم له بهذا المعنى، و لو لم يكن إلا السرور بأهله لم يذم عليه و قيل: معناه إنه كان فى أهله مسروراً بمعاصى اللَّه. ثم اخبر عنه «إِنَّهُ ظَنَّ» فى دار التكليف «أَنْ لَنْ يَحُورَ» أى لن يبعثه اللَّه للجزاء، و لا يرجع حياً بعد أن يصير ميتاً يقال: حار يحور حوراً إذا رجع، و تقول: كلمته فما أحار جواباً أى ما ردّ جواباً. و فى المثل (نعوذ باللَّه من الحور بعد الكور) أى من الرجوع إلى النقصان بعد التمام، و حوره إذا رده إلى البياض و المحور البكرة، لأنه يدور حتى يرجع إلى مكانه، و المعنى إنه ظن ان لن يرجع إلى حال الحياة فى الآخرة، فلذلك كان يرتكب المآثم و ينتهك المحارم.
فقال اللَّه رداً عليه ليس الأمر على ما ظنه «بَلى» إنه يرجع حياً و يجازى على أفعاله.
و قوله «إِنَّ رَبَّهُ كانَ بِهِ بَصِيراً» معناه إنه يخبر عن أنه لن يجوز، بلى و يقطع اللَّه عليه بأنه يجوز على انه بصير به و بجميع الأمور.
التبيان فى تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۳۱۲

قوله تعالى:[سورة الانشقاق (۸۴): الآيات ۱۶ الى ۲۵] ..... ص: ۳۱۲

فَلا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ (۱۶) وَ اللَّيْلِ وَ ما وَسَقَ (۱۷) وَ الْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ (۱۸) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ (۱۹) فَما لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (۲۰)
وَ إِذا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لا يَسْجُدُونَ (۲۱) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ (۲۲) وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما يُوعُونَ (۲۳) فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ (۲۴) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (۲۵)
عشر آيات.
قرأ ابن كثير و حمزة و الكسائى بفتح الباء من «لتركبن» و معناه لتركبن أنت يا محمد. الباقون بضم الباء على أن يكون خطاباً للجميع.

يقول اللَّه تعالى مقسماً بالشفق، و قد بينا أن (لا) صلة فى مثل هذا، و التقدير أقسم، و قد بينا أن للَّه تعالى أن يقسم بما شاء من خلقه، و ليس لاحد أن يقسم إلا باللَّه. و قال بعضهم: أقسم برب الشفق، و الشفق هو الحمرة التى تبقى عند المغرب فى الأفق. و قال الحسن و قتادة: الشفق الحمرة بين المغرب و العشاء الآخرة. و قال قوم: هو البياض. و الصحيح أن الشفق هو الحمرة الرقيقة فى المغرب بعد مغيب الشمس و أصله الشفق فى العمل، و هو الرقة على خلل فيه، و أشفق على كذا إذا رق عليه و خاف هلاكه. و اشفق إذا رق بالخوف من وقوعه. قال الفراء: سمعت بعض العرب يقول: عليّ ثوب كأنه الشفق يريد حمرة. و الاعتبار بالشفق أنه علامة لوقت بعينه لا يختلف اقتضى اثبات عالم به.

و قوله «وَ اللَّيْلِ وَ ما وَسَقَ» قسم آخر بالليل و اتساقه. و قيل: معنى وسق التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٣١٣

جمع إلى مسكنه ما كان منتشراً بالنهار فى تصرفه، يقال: وسقته أسقه وسقاً إذا جمعته، و طعام موسوق أى مجموع فى الغرائر و الاوعية. و الوسق الطعام المجتمع و قدره ستون صاعاً.

و قوله «وَ الْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ» قسم آخر بالقمر و اتساقه أى اجتماعه على تمام و هو افتعال من الوسق، فإذا تم نور القمر و استمر فى ضيائه، فذلك الاتساق له.

و قال قتادة: معناه إذا استدار. و قال مجاهد: إذا استوى.

و قوله «لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ» جواب القسم، و معناه منزلة عن منزلة و طبقة عن طبقة و ذلك أن من كان على صلاح دعاه إلى صلاح فوقه، و من كان على فساد دعاه إلى فساد فوقه، لان كل شيء يحن الى شكله. و قيل: معنى «طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ» جزاء عن عمل. و قيل: معناه شدة عن شدة. و قيل: طبقات السماء بعروج الأرواح. و قيل: معناه حالا عن حال من أحياء و إماتة، ثم أحياء. و قيل:

معناه لتصيرن الى الآخرة عن الدنيا. و قال ابو عبيدة: معناه لتركبن سنة الأولين و من كان قبلكم. ثم قال على وجه التبكيت لهم و التفريع «فَما لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ» أى أىّ شيء لهم لأجله لا يصدقون باللَّه و اليوم الآخر و لا يعترفون بالثواب و العقاب.

و قيل: معناه ما لهم لا يؤمنون أى ما وجه الارتياب الذى يصرفهم عن الايمان.

و قوله «وَ إِذا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لا يَسْجُدُونَ» عطف على قوله «لا يُؤْمِنُونَ» و المعنى ما الذى يصرفهم عن الايمان و عن السجود للَّه و الخضوع له و الاعتراف بوحدانيته إذا يلى عليهم القرآن الذى أنزلته على محمد صلى اللَّه عليه و آله الذى يلين القلب للعمل من الوعظ و الوعد و الوعيد يميز به بين الحق و الباطل، و هو مع ذلك معتذر عليهم الإتيان بمثله، فهو معجز له صلى اللَّه عليه و آله. التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٣١٤

ثم قال تعالى «بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ» معناه إن الذى يمنعهم من السجود عند تلاوة القرآن تكذيبهم جهلا بما عليهم و عدولا عن الحق. و فى ذلك التحذير من الجهل و الحث على طلب العلم. و قيل: معناه ما لهم لا يؤمنون، و لا بد من الجزاء على الاعمال ثم قال: تكذيبهم عن جهل منهم يصرفهم عن ذلك.

و قوله «وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما يُوعُونَ» قال قتادة و مجاهد: معناه بما يوعون فى صدورهم و إنما قال: يوعون، لأنهم يحملون الآثام فى قلوبهم، فشبه ذلك بالوعاء، يقال:

أوعيت المتاع و وعيت العلم، قال الفراء: الأصل جعل الشيء فى وعاء، و القلوب شبه أوعية لما يحصل فيها من معرفة او جهل.

ثم قال للنبى صلى اللَّه عليه و آله «فَبَشِّرْهُمْ» يا محمد جزاء على كفرهم «بِعَذابٍ أَلِيمٍ» أى مؤلم، ثم استثنى من جملة من يخاطبه فقال «إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا» باللَّه «وَ عَمِلُوا» الاعمال «الصَّالِحاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ»، أى غير منقوص، فى قول ابن عباس و قال غيره: غير مقطوع، و قيل: غير منغص بالمن الذى يؤذى. و إنما قيل له:

منّ، لأنه قطع له عن شكر النعمة. قال الزجاج: تقول العرب: مننت الحبل إذا قطعته قال لبيد:

لمعفر قهد تنازع شلوه غبس كواسب ما يمنّ طعامها «۱»

أي ما ينقص. و قيل ما يكدر، و كان ابن مجاهد و محمد بن القاسم الأنبارى يقفان على قوله «فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ» و يبتدؤن بقوله «إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا» قال ابن خالويه: فسألتهما عن ذلك فقالا: الاستثناء منقطع و معناه (لكن).

---

(١) مر فى ١/ ٣٢٢

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٣١٥

٨٥–سورة البروج ..... ص: ٣١٥

اشارة

مكية فى قول ابن عباس و الضحاك، و هى اثنتان و عشرون آية بلا خلاف

[سورة البروج (٨٥): الآيات ١ الى ١٠] ..... ص: ٣١٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
وَ السَّماءِ ذاتِ الْبُرُوجِ (١) وَ الْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (٢) وَ شاهِدٍ وَ مَشْهُودٍ (٣) قُتِلَ أَصْحابُ الْأُخْدُودِ (٤)
النَّارِ ذاتِ الْوَقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْها قُعُودٌ (٦) وَ هُمْ عَلى ما يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَ ما نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ
(٨) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٩)
إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذابُ جَهَنَّمَ وَ لَهُمْ عَذابُ الْحَرِيقِ (١٠)

عشر آيات.

قوله: وَ السَّماءِ ذاتِ الْبُرُوجِ» قسم من اللَّه تعالى بالسماء، و منهم من قال:

تقديره برب السماء. و قد بينا ما فى ذلك فى غير موضع. ثم وصف السماء بأنها ذات البروج. فالبروج المنازل العالية. و المراد- هاهنا- منازل الشمس و القمر- فى قول المفسرين- و مثل ذلك قوله «وَ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ» «١» أى فى

---

(١) سورة ۴ النساء آية ٧٧

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٣١٦

منازل عالية. و قيل: السماء اثنى عشر برجاً يسير القمر فى كل برج منها يومين و ثلثاً، فذلك ثمانية و عشرون منزلا. ثم يستتر ليلتين، و مسير الشمس فى كل برج منها شهر. و قيل: البروج النجوم التى هى منازل الشمس و القمر.

و قوله «وَ الْيَوْمِ الْمَوْعُودِ» قسم آخر بهذا اليوم. و

روى عن النبى صلى اللَّه عليه و آله انه اليوم الذى يجازى فيه و يفصل فيه القضاء، و هو يوم القيامة

- و هو قول الحسن و قتادة و ابن زيد-.

قوله «وَ شاهِدٍ وَ مَشْهُودٍ» قسم آخر بالشاهد و المشهود،

فالشاهد النبى صلى اللَّه عليه و آله و المشهود يوم القيامة- فى قول الحسن بن على عليه السلام

و تلا قوله «فَكَيْفَ إِذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَ جِئْنا بِكَ عَلى هؤُلاءِ شَهِيداً» «١» و قال (ذلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَ ذلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ) «٢»، و هو قول ابن عباس و سعيد بن المسيب، و فى رواية اخرى عن ابن عباس إن الشاهد هو اللَّه، و المشهود يوم القيامة. و

قال قتادة:

الشاهد يوم الجمعة، و المشهود يوم عرفة. و قال الجبائى: الشاهد هم الذين يشهدون على الخلائق، و المشهود هم الذين يشهدون عليهم، قال: و يجوز أن يكون المراد المدركين و المدركات. و جواب القسم محذوف، و تقديره الأمر حق فى الجزاء على الاعمال. و قيل الجواب قوله «قُتِلَ أَصْحابُ الْأُخْدُودِ» و قال الأخفش: يجوز أن يكون على التقديم و التأخير، و تقديره (قتل اصحاب الأخدود ... و السماء ذات البروج) و قوله (قُتِلَ أَصْحابُ الْأُخْدُودِ) معناه لعن. و قيل لعنوا بتحريقهم فى الدنيا قبل الآخرة. و قال الجبائى: يحتمل أن يكون المعنى بذلك القاتلين، و يحتمل أن يكون المقتولين، فإذا حمل على القاتلين، فمعناه لعنوا بما فعلوه من قتل المؤمنين و إن حمل على المقتولين، فالمعنى انهم قتلوا بالإحراق بالنار. و ذكر اللَّه هؤلاء

---

(١) سورة ۴ النساء آية ۴٠ [.....]

(٢) سورة ١١ هود آية ١٠۴

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٣١٧

المؤمنين بحسن بصيرتهم فى الصبر على دينهم حتى أحرقوا بالنار، لا يعطون التقية بالرجوع عن الايمان. و الأخدود هو الشق العظيم فى الأرض، و منه ما

روى فى معجزة النبى صلى اللَّه عليه و آله أن الشجرة دعاها النبى صلى اللَّه عليه و آله فجعلت تخد الأرض خداً، حتى أتته. و منه الخد لمجارى الدموع. و المخدة لوضع الخد عليها، و تخدد لحمه إذا صار فيه طرائق كالشقوق.

و قوله (النَّارِ ذاتِ الْوَقُودِ) فجرّ النار على البدل من الأخدود، و هو بدل الاشتمال، و وصفها بأنها ذات الوقود، فالوقود- بفتح الواو- ما يشعل من الحطب و غيره- و بضم الواو- الإيقاد. و إنما وصفها بأنها ذات الوقود مع أن كل نار ذات وقود لامرين:

أحدهما- انه قد يكون نار ليست ذات وقود كنار الحجر و نار الكبد.

و الثاني- انه أراد بذلك وقوداً مخصوصاً، لأنه معروف، فكأنه أراد الوقود بأبدان الناس، كما قال (وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الْحِجارَةُ) «١» و قوله (إِذْ هُمْ عَلَيْها قُعُودٌ) أى حين هم قعود عليها أى بالقرب منها، و قال الربيع بن أنس: الكفار الذين كانوا قعوداً على النار خرج لسان منها فأحرقهم عن آخرهم. و

روى عن أمير المؤمنين على عليه السلام (أنهم كانوا من المجوس)

و قال الضحاك:

كانوا من بنى إسرائيل. و قيل: كانوا من اليمن. و معناه هم عليها قعود حين كان أولئك الكفار قعوداً عند النار. و القعود جمع قاعد كقولك: شاهد و شهود، و راكع و ركوع، و القعود أيضاً مصدر قعد يقعد قعوداً.

و قوله (وَ هُمْ عَلى ما يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ) أى حضور على مشاهدتهم لهم، فكل حاضر على ما شاهده إما بسمع أو بصر، فهو شاهد. و المشاهد هو

---

(١) سورة ٢ البقرة آية ٢۴ و سورة ۶۶ التحريم آية ۶

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٣١٨

المدرك بحاسة.

و قوله (وَ ما نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) معناه انه لم ينقم هؤلاء الكفار من أولئك المؤمنين الذين أحرقوهم بالنار إلا لايمانهم باللَّه تعالى القاهر الذى لا يُقهر (الحميد) فى جميع أفعاله، فالنقمة إيجاب مضرة على حال مذمومة.

و نقيض النقمة النعمة، فهؤلاء الجهال نقموا حال الايمان، لأنهم جعلوها بجهلهم حالا مذمومة قال الشاعر:

ما نقموا من بنى أمية إلا أنهم يحلمون إن غضبوا «۱»

و الداعى لهم إلى ان ينقموا من الايمان الجهل و الخلاف، لأن ما سبقوا اليه من الجهل يدعوهم إلى عداوة من خالفهم و سخف آرائهم، و إن ذلك يفسد عليهم ملكهم و يصرف الوجوه عنهم.

و قوله (الَّذِی لَهُ مُلْکُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ) صفة (الْعَزِیزِ الْحَمِیدِ) و المعنى إن هؤلاء الكفار نقموا من المؤمنين إيمانهم باللّه تعالى العزيز، و معناه القاهر الذى لا يغالب الحميد و معناه المستحق للحمد على جميع أفعاله (الَّذِی لَهُ مُلْکُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ) و معناه له التصرف فى السموات و الأرض و لا اعتراض لاحد عليه. ثم قال (وَ اللَّهُ عَلی کُلِّ شَیْءٍ شَهِیدٌ) أى عالم بجميعه لا يخفى عليه شىء من ذلك.

و قوله (إِنَّ الَّذِینَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِینَ وَ الْمُؤْمِناتِ) قال ابن عباس و قتادة و الضحاك:

حرقوهم بالنار (ثُمَّ لَمْ یَتُوبُوا) إنما شرط عدم التوبة، لأنهم لو تابوا لما توجه اليهم الوعيد، و إن لم يتوبوا توجه اليهم الوعيد بقوله (فَلَهُمْ عَذابُ جَهَنَّمَ) يعنى فى الآخرة (وَ لَهُمْ عَذابُ الْحَرِیقِ) فى الدنيا- فى قول الربيع- قال الفراء: لما خددوا للمؤمنين الأخاديد و طرحوا فيها النار و طرحوا فيها المؤمنين ارتفعت النار عليهم،

---

(۱) مر فى ۳/ ۵۵۹، ۵۷۰ و ۵/ ۳۰۴

التبيان فى تفسير القرآن، ج۱۰، ص: ۳۱۹

فأحرقتهم فوق الأخاديد و نجا المؤمنون.

و قال قوم (إِنَّ الَّذِینَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِینَ) جواب القسم فى أول السورة، و هذا غير صحيح، لان الكلام قد طال و انقطع بالأخبار ما بينها، و قال الزجاج: لهم عذاب بكفرهم، و عذاب باحراقهم المؤمنين.

قوله تعالى:[سورة البروج (۸۵): الآيات ۱۱ الى ۲۲] ..... ص: ۳۱۹

إِنَّ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ ذلِکَ الْفَوْزُ الْکَبِیرُ (۱۱) إِنَّ بَطْشَ رَبِّکَ لَشَدِیدٌ (۱۲) إِنَّهُ هُوَ یُبْدِئُ وَ یُعِیدُ (۱۳) وَ هُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (۱۴) ذُو الْعَرْشِ الْمَجِیدُ (۱۵)

فَعَّالٌ لِما یُرِیدُ (۱۶) هَلْ أَتاکَ حَدِیثُ الْجُنُودِ (۱۷) فِرْعَوْنَ وَ ثَمُودَ (۱۸) بَلِ الَّذِینَ کَفَرُوا فِی تَکْذِیبٍ (۱۹) وَ اللَّهُ مِنْ وَرائِهِمْ مُحِیطٌ (۲۰)

بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِیدٌ (۲۱) فِی لَوْحٍ مَحْفُوظٍ (۲۲)

اثنتا عشرة آية.

قرأ حمزة و الكسائى إلا قتيبة و خلف «المجيد» بالخفض جعلوه نعتاً للعرش.

الباقون بالرفع على أنه نعت للّه تعالى، و قرأ نافع «محفوظ» بالرفع. الباقون بالخفض نعتاً للوح. و من رفع جعله نعتاً للقرآن.

اخبر اللّه تعالى عن صفة المؤمنين، فقال (إِنَّ الَّذِینَ آمَنُوا) أى صدقوا بتوحيد اللّه و اخلاص عبادته (وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ) من الاعمال، و اجتنبوا القبائح (لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ) أى لهم بساتين تجرى من تحت أشجارها التبيان فى تفسير القرآن، ج۱۰، ص: ۳۲۰

الأنهار (ذلِکَ الْفَوْزُ الْکَبِیرُ) فالفوز النجاة بالنفع الخالص، و أصله النجاة، و قيل للمهلكة مفازة تفاؤلا كأنه قيل: منجاة، و فاز فلان بكذا أى خلص له نفعه، يفوز فوزاً. و لا يقال إلا فى تعظيم النفع الذى صار له، و إنما ذكر الكبير- هاهنا- لان النعيم لهؤلاء العاملين كبير

بالاضافة إلى نعيم من لا عمل له ممن يدخل الجنة، لما فيه من الإجلال و الإكرام و المدح و الإعظام. و قيل: الفوز الحظ الواقع من الخير.

ثم قال متوعداً و متهدداً للكفار و العصاة (إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ) يا محمد و البطش الأخذ بالعنف، بطش به يبطش بطشاً و يبطش ايضاً، فهو باطش، و إذا وصف بالشدة فقد تضاعف مكروهه و تزايد إيلامه. و قوله (إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَ يُعِيدُ) قال ابن عباس: معناه إنه يبدأ العذاب و يعيده لاقتضاء ما قبله ذلك. و قال الحسن و الضحاك و ابن زيد: يبدأ الخلق و يعيده لان الأظهر فى وصفه تعالى بأنه المبدئ المعيد العموم فى كل مخلوق (وَ هُوَ الْغَفُورُ) يعنى الستار على خلقه معاصيهم (الْوَدُودُ) أى واد لهم و محب لمنافع خلقه (ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ) و معناه صاحب العرش، العظيم المجيد و قال ابن عباس: معناه الكريم. و قرأ اهل الكوفة إلا عاصماً المجيد بالجر جعلوه نعتاً للعرش. و معناه ذو العرش الرفيع. الباقون بالرفع جعلوه نعتاً للغفور أى هو الغفور الودود المجيد ذو العرش، قال المبرد: يجوز أن يكون نعتاً لقوله إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ ....

المجيد فيكون قد فصل بينهما، و فيه بعد لأنه قال «لَشَدِيدٌ» و قال «إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَ يُعِيدُ، وَ هُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ذُو الْعَرْشِ» و فصل بهذا كله، يقال: مجدت الإبل تمجد مجوداً إذا رعيتها فرعت و شبعت. و لا فعل لك، او أمجدتها أمجدها إمجاداً إذا اشبعتها من العلف و ملأت بطونها و لا فعل لها فى ذلك، و فى المثل فى كل شجر نار و استمجد المرح و الغفار. و معناه كثر ناره لأنه ليس فى الشجر أكثر ناراً من الغفار.

و قوله تعالى (فَعَّالٌ لِما يُرِيدُ) معناه ما يشاؤه و يريده من أفعال نفسه يفعله التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٣٢١

لا يمنعه من ذلك مانع و لا يعترض عليه معترض، و لا يجوز أن يكون المراد إنه فعال لكل ما يريد لان ذلك يقتضى انه فعال لكل ما يريد أن يفعله العباد، و ذلك انه يستحيل أن يفعل ما يريد أن يفعله العباد، لأن فى ذلك إبطال الامر و النهى و الطاعة و المعصية و الثواب و العقاب، إذ لا يأمرهم أن يفعلوا ما قد فعله، و لا ينهاهم عنه، و لأنه قد أراد من الكفار أن يؤمنوا، لأنه قد أمرهم بالايمان و ما فعل إيمانهم و قد قال اللَّه تعالى (وَ مَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعالَمِينَ) «١» و لو فعل ظلمهم لكان قد أراد ظلمهم. و قوله (هَلْ أَتاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ فِرْعَوْنَ وَ ثَمُودَ) معناه تذكر يا محمد حديثهم تذكر معتبر، فإنك تنتفع به، و هذا من الإيجاز الحسن و التفخيم الذى لا يقوم مقامه التصريح لما يذهب الوهم فى أمرهم كل مذهب و يطلب الاعتبار كل مطلب.

و قوله (بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ) معناه بل هؤلاء الكفار الذين كفروا كذبوا بالبعث و النشور فاعرضوا عما يوجبه الاعتبار بفرعون و ثمود، و اقبلوا على ما يوجبه الكفر و التكذيب من التأكيد، و لم يعلموا أن (اللَّهُ مِنْ وَرائِهِمْ مُحِيطٌ) يقدر أن ينزل بهم ما انزل بفرعون. و قيل المعنى (هَلْ أَتاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ) و ما كان منهم إلى أنبيائهم فاصبر كما صبر الرسل قبلك (بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ) ايثاراً منهم لأهوائهم و اتباعاً لسنن آبائهم.

و قوله (وَ اللَّهُ مِنْ وَرائِهِمْ مُحِيطٌ) أى هم مقدور عليهم كما يكون فيما أحاط اللَّه بهم، و هذا من بلاغة القرآن.

و قوله (بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ) أى كريم فالمجيد الكريم العظيم الكريم بما يعطى من الخير، فلما كان القرآن يعطى المعانى الجليلة و الدلائل النفيسة كان كريماً مجيداً بما

---

(١) سورة ٣ آل عمران ١٠٨

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٣٢٢

يعطى من ذلك، لان جميعه حكم. و قيل: الحكم على ثلاثة أوجه لا رابع لها: معنى يعمل عليه فيما يخشى و يتقى، و موعظة تلين القلب للعمل بالحق، و حجة تؤدى إلى تمييز الحق من الباطل فى علم دين أو دنيا، و علم الدين أشرفهما و جميع ذلك موجود فى القرآن.

و قوله (فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ) عن التغيير و التبديل و النقصان و الزيادة. و قال مجاهد: المحفوظ أم الكتاب، و قيل: انه اللوح المحفوظ الذى كتب اللّه جميع ما كان و يكون فيه- ذكره أنس بن مالك- أى كأنه بما ضمن اللّه من حفظه فى لوح محفوظ و من رفع (محفوظ) جعله صفة القرآن. و من قرأه بالخفض جعله صفة اللوح.

۸۶-سورة الطارق ..... ص: ۳۲۲

اشارة

مكية فى قول ابن عباس و الضحاك، و هى سبع عشرة آية فى الكوفى و البصرى و المدنى الأخير و ست عشرة آية فى المدنى الاول

[سورة الطارق (۸۶): الآيات ۱ الى ۱۰] ..... ص: ۳۲۲

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
وَ السَّماءِ وَ الطَّارِقِ (۱) وَ ما أَدْراكَ مَا الطَّارِقُ (۲) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (۳) إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْها حافِظٌ (۴)
فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسانُ مِمَّ خُلِقَ (۵) خُلِقَ مِنْ ماءٍ دافِقٍ (۶) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرائِبِ (۷) إِنَّهُ عَلى رَجْعِهِ لَقادِرٌ (۸) يَوْمَ تُبْلَى السَّرائِرُ (۹)
فَما لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَ لا ناصِرٍ (۱۰)

التبيان فى تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۳۲۳

عشر آيات.

قرأ (لما) بالتشديد عاصم و حمزة و ابن عامر بمعنى (إلا) و قد جاء (لما) مشدداً بمعنى (إلا) فى موضعين: إن، و القسم، كقولهم سألتك لما فعلت بمعنى إلا فعلت قال قوم: تقديره لما، فحذفت إحدى الميمات كراهة اجتماع الأمثال. و قرأ الباقون بالتخفيف جعلوا (ما) صلة مؤكدة: و تقديره لعليها حافظ، و اللام لام الابتداء التى يدخل فى خبر (إن) و (أن) مخففة من الثقيلة.

هذا قسم من اللّه تعالى بالسماء و بالطارق، و قد بينا القول فيه فالطارق هو الذى يجىء ليلا و قد فسره اللّه تعالى و بينه بأنه (النَّجْمُ الثَّاقِبُ) فالنجم هو الكوكب قال الحسن: المراد بالنجم جميع النجوم. و قال ابن زيد: هو زحل.

و قوله (وَ ما أَدْراكَ) معناه أنه لم تدر حتى أعلمتك، و كل ما يعلمه الإنسان فاللّه أعلمه بالضرورة أو بالدليل. قال قتادة: طروق النجم ظهورها بالليل و خفاؤها بالنهار.

و قوله (وَ الطَّارِقِ) تبيين عن معنى وصفه بالطارق. و قوله (النَّجْمُ الثَّاقِبُ) تبيين عن ماهيته نفسه يقال: طرقنى فلان إذا أتانى ليلا و أصل الطرق الدق، و منه المطرقة، لأنه يدق بها، و الطريق لان المارة تدقه بأرجلها، و الطارق لأنه يحتاج إلى الدق للتنبيه. و النجم هو الكوكب الطالع فى السماء، يقال لكل طالع ناجم تشبيهاً به، و نجم النجم إذا طلع، و كذلك السن و القرن. و يوصف بالطالع و الغارب، لأنه إذا طلع من المشرق غاب رقيبه من المغرب، و الثاقب المضىء المنير، و ثقوبه توقده و تنوره، تقول العرب: أثقب نارك أى اشعلها حتى تضىء. و ثقب لسانها التبيان فى تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۳۲۴

بخروج الشعاع منها و الثاقب أيضاً العالى الشديد العلو، تقول: العرب للطائر إذا ارتفع ارتفاعاً شديداً قد ثقب. كله كأنه ثقب الجو الأعلى. و قال مجاهد و قتادة و ابن عباس: الثاقب المضىء. و قال ابن زيد: هو العالى و هو زحل.

و قوله (إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْها حافِظٌ) جواب القسم و (إن) هاهنا المخففة من الثقيلة التى يتلقى بها القسم، و المعنى إن كل نفس لعليها حافظ- فيمن خفف- و من شدد قال: (ان) بمعنى (ما) و تقديره ليس كل نفس إلا عليها حافظ. و قال قتادة: حافظ من الملائكة يحفظون عمله و رزقه و أجله، فالحافظ المانع من هلاك الشىء حفظه يحفظه حفظاً و احتفظ به احتفاظاً فأما أحفظه فمعناه أغضبه، و

تحفظ من الامر إذا أمتنع بحفظ نفسه منه و حافظ عليه إذا واظب عليه بالحفظ.

و قوله (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسانُ مِمَّ خُلِقَ) أمر من اللَّه تعالى للمكلفين من الناس أن يفكروا و يعتبروا مما ذا خلقهم اللَّه. ثم بين تعالى مما ذا خلقهم فقال (خُلِقَ مِنْ ماءٍ دافِقٍ) فالدفق هو صب الماء الكثير باعتماد قوى، و مثله الدفع، فالماء الذى يكون منه الولد يكون دفقاً و هى النطفة التى يخلق اللَّه منها الولد إنساناً أو غيره، و ماء دافق معناه مدفوق، و مثله سرّ كاتم، و عيشة راضية.

ثم بين ذلك من أى موضع يخرج هذا الماء، فقال (يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرائِبِ) فالصلب هو الظهر، و الترائب جمع تريبة و هو موضع القلادة من صدر المرأة- فى قول ابن عباس- و هو مأخوذ من تذليل حركتها كالتراب. قال المثقب.

و من ذهب يشن إلى تريب كلون العاج ليس بذى غضون «۱»

و قال آخر:

و الزعفران على ترائبها شرقاً به اللبات و النحر «۲»

---

(۱) اللسان و التاج (ترب) و مجاز القرآن ۲/ ۲۹۴

(۲) قائله المخبل تفسير القرطبى ۲۰/ ۵

التبيان فى تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۳۲۵

و قيل: إن نطفة الرجل تخرج من ظهره، و نطفة المرأة من صدرها، فإذا غلب ماء الرجل خرج الولد إلى شبه أهل بيت أبيه و إذا غلب ماء المرأة خرج إلى شبه أهل بيت أمه.

و قوله (إِنَّهُ عَلى رَجْعِهِ لَقادِرٌ) قال عكرمة و مجاهد: معناه إنه تعالى على رد الماء فى الصلب قادر. و قال الضحاك: إنه على رد الإنسان ماء كما كان قادر، و الرجع الماء و أنشد ابو عبيدة للمنخل فى صفة سيف:

ابيض كالرجع رسوب إذا ما ثاخ فى محتفل يختلى «۱»

و معنى الآية إن الذى ابتدأ الخلق من ماء دافق أخرجه من بين الصلب و الترائب حياً قادر على إعادته (يَوْمَ تُبْلَى السَّرائِرُ) لان الاعادة أهون من ابتداء النشأة، و قال الحسن و قتادة معناه أنه على رجع الإنسان بالاحياء بعد الممات قادر.

و قوله (يَوْمَ تُبْلَى السَّرائِرُ) معناه تختبر باظهارها و إظهار موجبها لان الابتلاء و الاختبار و الاعتبار كله إنما هو بإظهار موجب المعنى، ففى الطاعة الحمد و الثواب و فى المعصية الذم و العقاب، و واحد السرائر سريرة و هى الطوية فى النفس، و هو اسرار المعنى فى النفس، و قد يكون الاسرار من واحد بعينه مع إطلاع غيره عليه فلا يكون سريرة. و قيل: إن اللَّه يفضح العاصى بما كان يستر من معاصيه و يجلّ المؤمن بإظهار ما كان يسره من طاعته ليكرمه الناس بذلك و يجلوه.

ثم بين تعالى أنه لا قدرة لهذا الإنسان الذى يعيده اللَّه- على معاصيه- و يعاقبه على دفع ذلك عن نفسه و لا ناصر له يدفعه. فالقدرة هى القوة بعينها.

---

(۱) تفسير القرطبى ۲۰/ ۱۰

التبيان فى تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۳۲۶

قوله تعالى:[سورة الطارق (۸۶): الآيات ۱۱ الى ۱۷] ..... ص: ۳۲۶

وَ السَّماءِ ذاتِ الرَّجْعِ (۱۱) وَ الْأَرْضِ ذاتِ الصَّدْعِ (۱۲) إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ (۱۳) وَ ما هُوَ بِالْهَزْلِ (۱۴) إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً (۱۵)
وَ أَكِيدُ كَيْداً (۱۶) فَمَهِّلِ الْكافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً (۱۷)

سبع آيات.

هـذا قسم من اللّه تعالى بالسـماء ذات الرجع. قال ابن عباس و مجاهد و قتادة و الضـحاك: ذات المطر. و قال ابن زيد: يعنى شمسـها و قمرها و نجومها تغيب ثم تطلع.

و قيل: رجع السـماء إعطاؤها الخير يكون من جهتها حالا بعد حال على مرور الازمان رجعه يرجعه رجعاً إذا أعطاه مرة بعد مرة. و قيل: الرجع الماء الكثير تردده بالرياح التى تمر عليه قال المنخل فى صفة سيف:

أبيض كالرجع رسوب إذا ما ثاخ فى محتفل يختلى.

و قال الفراء: تبتدئ بالمطر ثم ترجع به فى كل عام. و قوله (وَ الْأَرْضِ ذاتِ الصَّدْعِ) قسم آخر بالأرض ذات الصدع. و قال ابن عباس و قتادة و الضـحاك و ابن زيد: ذات الصدع انشـقاقها بالنبات لضـروب الزروع و الأشجار: صدع يصدع صدعاً و تصدع الشيء تصدعاً و انصدع انصداعاً و صدعه تصديعاً.

و قوله (إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْـلٌ) جواب القسم، و معنـاه ان ما ذكره من اعادة الخلق و إنشائهم النشأة الثانيـة قول فصل أى هو قول يفصل الحق من الباطـل. و مثله فصـل القضـاء، و كـل معنى فانه يحتاج فيه إلى فصل حقه من باطله. ثم قال (وَ ما هُوَ بِالْهَزْلِ) أى مع أنه فصل ليس بهزل و الهزل نقيض الجد و مثله اللهو و اللعب و العبث التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٣٢٧

يقال: هزل يهزل هزلا.

ثم اخبر تعالى عن الكفار فقال (إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً) أى يحتالون فى رفع الحجج و إنكار الآيات و يفعلون ما يوجب الغيظ يقال: كاده يكيـده كيـداً و كايـده مكايـدة و تكايـد القوم تكايـداً أى يحتـالون فى رفع الحجـج و إنكـار الآيات، فقال تعالى (وَ أَكِيـدُ كَيْـداً) أى أجازيهم على كيـدهم، و سـمى الجزاء على الكيد باسـمه لازدواج الكلام. و قيل: المعنى أنهم يحتالون لهلاك النبى و أصـحابه، و أنا أسبب لهم النصر و الغلبة و أقوى دواعيهم إلى القتال، فسمى ذلك كيداً من حيث يخفى عليهم ذلك.

و قوله (فَمَهِّلِ الْكـافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً) خطـاب للنبى صـلى اللّه عليه و آله بأن يمهلهم قليلا و أجرى المصـدر على غير لفظه كما قال (أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَباتاً) «١» و (رُوَيْـداً) معنـاه إمهالا يقال: أرودته ارواداً و تصـغيره رويـد. و قال قتادة: معناه قليلا، و المعنى لا تعجل على طلب هلاـكهم بـل اصبر عليهم قليلاـ فـان اللّه يهلكهم لاـ محالـة بالقتـل و الـذل فى الـدنيا و مـا ينزل عليهم فى الآخرة من أنواع العقاب، و إن ما وعدتك لا يبعد عنهم.

---

(١) سورة ٧١ نوح آية ١٧

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٣٢٨

٨٧-سورة الأعلى ..... ص: ٣٢٨

اشارة

مكية فى قول ابن عباس و قال الضحاك هى مدنية، و هى تسع عشرة آية بلا خلاف

[سورة الأعلى (٨٧): الآيات ١ الى ١٠] ..... ص: ٣٢٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (٢) وَ الَّذِي قَدَّرَ فَهَدى (٣) وَ الَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعى (۴)

فَجَعَلَهُ غُثاءً أَحْوى (٥) سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى (٦) إِلاَّ ما شاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَ ما يَخْفى (٧) وَ نُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرى (٨) فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرى (٩)

سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشى (١٠)

عشر آيات.

قرأ الكسائى وحده (قدر فهدى) خفيفاً. الباقون بالتشديد و هما لغتان على ما فسرناه فيما مضى.

هذا امر من اللَّه تعالى للنبى صلى اللَّه عليه و آله و يدخل فى ذلك جميع أمته يأمرهم بأن يسبحوا اللَّه، و معناه ان ينزهوه عن كل ما لا يليق به من الصفات المذمومة و الافعال القبيحة و الإخلال بالواجبات، لان التسبيح هو التنزيه للَّه عما لا يجوز عليه كوصفه بأنه لا إله إلا هو، فينفى ما لا يجوز فى صفته من شريك فى عبادته مع الإقرار بأنه التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٣٢٩

لا إله إلا هو وحده. و قال ابن عباس و قتادة: معنا (سبح ...) قل سبحان ربى الأعلى، و

روى أنه لما نزلت هذه السورة، قال النبى صلى الله عليه و آله ضعوا هذا فى سجودكم

و قيل: معناه أن نزه اسم ربك بأن لا تسمى به سواه. و قيل: معناه نزه ربك عما يصفه به المشركون و أراد بالاسم المسمى، و قيل معناه صل باسم ربك الأعلى.

و قيل: ذكر الاسم و المراد به تعظيم المسمى، كما قال الشاعر:

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما و من يبك حولا كاملا فقد اعتذر «١»

و الأعلى معناه القادر الذى لا قادر أقدر منه. و صفة الأعلى منقولة إلى معنى الاقدر حتى لو بطل معنى علوّ المكان لم يبطل أن يفهم بحقيقتها او هى غير مضمنة بغيرها و لم ينقل إلى صفة الأرفع و إنما يعرف فى رفعة المكان.

و قوله (الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى) نعت لقوله (ربك) و موضعه الجر و معناه الذى خلق الخلق فسوى بينهم فى باب الأحكام. و قيل: معنا فسوى أى عدل خلقهم، فالتسوية الجمع بين الشيئين بما هما فيه (وَ الَّذِي قَدَّرَ فَهَدى) فالتقدير تنزيل الشىء على مقدار غيره، فاللَّه تعالى خلق الخلق و قدرهم على ما اقتضته الحكمة (فَهَدى) معناه أرشدهم إلى طريق الرشد من الغى، و هدى كل حيوان إلى ما فيه منفعته و مضرته حتى انه تعالى هدى الطفل إلى ثدى أمه و ميزه من غيره، و اعطى الفرخ حتى طلب الرزق من أبيه و أمه. و العصفور على صغره يطلب مثل ذلك بهداية اللَّه تعالى له إلى ذلك (وَ الَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعى) معناه الذى أنبت الحشيش من الأرض لمنافع جميع الحيوان (فَجَعَلَهُ غُثاءً أَحْوى) فالغثاء ما يقذف به السيل على جانب الوادى من الحشيش و النبات. و الاحوى الأسود، و الحوة السوداء قال ذو الرمة:

---

(١) مر فى ٥/ ٥٦٩

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٣٣٠

لمياء فى شفتيها حوة لعس و فى اللثات و فى أنيابها شنب «١»

و قيل: أحوى معناه يضرب إلى السواد و قال الفراء: فيه تقديم و تأخير و تقديره الذى أخرج المرعى أحوى، فجعله غثاء، و قيل: الغثاء الهشيم اليابس المتفتت اسود من احتراقه بعد خضرته و نعمته، قال ذو الرمة:

فرخاء حواء أشراطية و كفت فيها الذهاب و حفتها البراعيم «٢»

و قوله (سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى) معناه سنأخذ عليك قراءة القرآن، فلا تنسى ذلك، فالاقراء أخذ القراءة على القارى بالاستماع لتقويم الزلل، و القراءة التلاوة و القارى التالى، و النسيان ذهاب المعنى عن النفس بعد ان كان حاضراً لها، و نقيضه الذكر، و مثله السهو، يقال: نسى ينسى نسياناً فهو ناس، و الشىء منسى، و التذكير لما نسى و التنبيه لما غفل. و قيل (فَلا تَنْسى إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ) أى ما شاء

نسيانه مما لا- يكلفك القيام بأدائه، لان التكليف مضمن بالذكر. و قيل: إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ كالاستثناء فى الأيمان، و إن لم يقع مشيئة النسيان و قيل: معناه إلا ما شاء اللّه أن يؤخر انزاله. و قال الفراء: لم يشأ اللّه أن ينسى شيئاً فهو كقوله (خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ إِلَّا ما شاءَ رَبُّكَ) و لا يشاء. و يقول القائل: لأعطينك كل ما سألت إلا ما شئت و إلا أن أشاء أن أمنعك، و النية أ لا يمنعه، و مثله الاستثناء فى الأيمان.

و قوله (إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَ ما يَخْفى) معناه إن اللّه تعالى يعلم السرّ و العلانية، فالجهر رفع الصوت و نقيضه الهمس، و هو ضعف الصوت أى يحفظ عليك ما جهرت به و ما أخفيته مما تريد أن تعيه، جهر بالقراءة يجهر جهراً. و منه قوله

---

(١) مر فى ١/ ١٥ و ٥/ ٣٠٨

(٢) اللسان و الصحاح و التاج (ذهب، برعم)

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٣٣١

«وَ لا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَ لا تُخافِتْ بِها» «١».

قوله «وَ نُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرى» أى نسهل لك العمل المؤدى الى الجنة فاليسرى عبارة عن الجنة هنا، و اليسرى الكبرى فى تسهيل الخير بها و اليسرى الفعلى من اليسر، و هو سهولة عمل الخير. و قوله «فَذَكِّرْ» أمر للنبى صلى الله عليه و آله أن يذكر الخلق و يعظهم «إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرى» و إنما قال ذلك، و هى تنفع لا محالة فى عمل الايمان و الامتناع من العصيان، كما يقال: سله إن نفع السؤال أى فيما يجوز عندك، و قيل:

معناه ذكرهم ما بعثتك به قبلوا أو لم يقبلوا، فان إزاحة علتهم تقتضى اعلامهم و تذكيرهم و إن لم يقبلوا. و قوله «سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشى» معناه سيتعظ و ينتفع بدعائك و ذكرك من يخاف اللّه و يخشى عقابه: لان من لا يخافه لا ينتفع بها.

قوله تعالى: [سورة الأعلى (٨٧): الآيات ١١ الى ١٩] ..... ص: ٣٣١

وَ يَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى (١١) الَّذِى يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرى (١٢) ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيها وَ لا يَحْيى (١٣) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (١٤) وَ ذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (١٥)

بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَياةَ الدُّنْيا (١٦) وَ الْآخِرَةُ خَيْرٌ وَ أَبْقى (١٧) إِنَّ هذا لَفِى الصُّحُفِ الْأُولى (١٨) صُحُفِ إِبْراهِيمَ وَ مُوسى (١٩)

تسع آيات.

قرأ ابو عمرو و حمزة «بل يؤثرون» بالياء على الخبر عن الغائب. الباقون بالتاء على الخطاب للمواجهين، و أدغم اللام فى التاء حمزة و الكسائى إلا قتيبة و الحلوانى عن هشام فى كل موضع.

لما أمر اللّه تعالى النبى صلى اللّه عليه و آله بالتذكرة و بين انه ينتفع بها من يخاف عقابه

---

(١) سورة ١٧ الإسراء آية ١١٠

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٣٣٢

ذكر- هاهنا- أنه يتجنبها أى يتجنب الذكرى الأشقى، فالتجنب المصير فى جانب عن الشيء بما ينافى كونه، فهذا الشقى تجنب الذكرى بأن صار بمعزل عنها بما ينافى كونها، فالشقوة حالة تؤدى إلى شدة العقاب و نقيضها السعادة، شقى يشقى شقوة و شقاء و أشقاه اللّه يشقيه اشقاء عاقبه عقاباً بكفره و سوء عمله.

ثم بين أن هذا الشقى هو «الَّذِى يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرى» يعنى نار جهنم، و وصفها بالكبرى لان الحاجة إلى اتقائها أشد و ذلك من كبر

الشأن إذ الكبير الشأن هو المختص بشدة الحاجة اليه أولى باتقائه، فكلما كان اكبر شأناً فالحاجة اليه أشد. و قال الحسن: النار الكبرى نار جهنم، و النار الصغرى نار الدنيا، و قال الفراء: النار الكبرى التى فى الطبقة السفلى من جهنم.

و قوله «ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيها وَ لا يَحْيى» معناه إن هذا الشقى لا يموت فى النار فيتخلص من العذاب، و لا يحيى حياة له فيها لذة، بل هو فى ألوان العذاب و فنون العقاب. و قيل: لا يجد روح الحياة. و قوله «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى» معناه قد فاز من تزكى يعنى صار زاكياً بأن عمل الطاعات- فى قول ابن عباس و الحسن- و قال ابو الأحوص و قتادة: يعنى من زكى ماله «وَ ذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ» على كل حال «فَصَلَّى» على ما أمره اللَّه به. ثم خاطب الخلق فقال «بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَياةَ الدُّنْيا» أى تختارون الحياة الدنيا على الآخرة بأن تعملوا للدنيا و لا تعملوا للاخرة، و ذلك على وجهين:

أحدهما- يجوز للرخصة. و الآخر- محظور معصية للَّه.

ثم قال تعالى «وَ الْآخِرَةُ خَيْرٌ وَ أَبْقى» أى منافع الآخرة من الثواب و غيره خير من منافع الدنيا و أبقى، لأنها باقية و هذه فانية منقطعة.

و قوله «إِنَّ هذا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولى صُحُفِ إِبْراهِيمَ وَ مُوسى» يعنى ما ذكره اللَّه و فصله من حكم المؤمن و الكافر و ما أعد اللَّه لكل واحد من الفريقين مذكور فى التبيان فى تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۳۳۳

كتب الأولين فى الصحف المنزلة على إبراهيم و التوراة المنزلة على موسى. و قيل من قوله «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى» إلى آخر السورة هو المذكور فيها، و قيل «مَنْ تَزَكَّى وَ ذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى» فهو ممدوح فى الصحف الأولى، كما هو ممدوح فى القرآن.

و قيل: كتب اللَّه كلها أنزلت فى شهر رمضان فأما القرآن فانه أنزل لأربع عشرة منه. و فى ذلك دلالة على أن إبراهيم كان قد أنزل عليه كتاب بخلاف قول من ينكر نبوته و يزعم أنه لم ينزل عليه كتاب، و لا يكون نبى إلا و معه كتاب، حكى ذلك عن النصارى أنهم قالوا: لم يكن ابراهيم نبياً، و إنما كان رجلا صالحاً.

۸۸-سورة الغاشية ..... ص: ۳۳۳

اشارة

مكية فى قول ابن عباس و الضحاك، و هى ست و عشرون آية بلا خلاف

[سورة الغاشية (۸۸): الآيات ۱ الى ۱۰] ..... ص: ۳۳۳

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتاكَ حَدِيثُ الْغاشِيَةِ (۱) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خاشِعَةٌ (۲) عامِلَةٌ ناصِبَةٌ (۳) تَصْلى ناراً حامِيَةً (۴)

تُسْقى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ (۵) لَيْسَ لَهُمْ طَعامٌ إِلاَّ مِنْ ضَرِيعٍ (۶) لا يُسْمِنُ وَ لا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ (۷) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناعِمَةٌ (۸) لِسَعْيِها راضِيَةٌ (۹) فِي جَنَّةٍ عالِيَةٍ (۱۰)

عشر آيات. التبيان فى تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۳۳۴

قرأ اهل البصرة و أبو بكر عن عاصم «تصلى» بضم التاء على ما لم يسم فاعله يعنى تصلى الوجوه «ناراً حامِيَةً» الباقون بفتح التاء على أن تكون الوجوه هى الفاعلة هذا خطاب من اللَّه تعالى للنبى صلى اللَّه عليه و آله يقول له هل أتاك يا محمد و معناه قد أتاك «حَدِيثُ الْغاشِيَةِ» قال ابن عباس و الحسن و قتادة: الغاشية يوم القيامة تغشى الناس بالاهوال. و قال سعيد بن جبير: الغاشية النار تغشى وجوه الكفار بالعذاب و الشواظ. و الغاشية المجللة لجميع الجملة، غشيت تغشى غشياناً فهى غاشية، و أغشاها غيرها إغشاء إذا جعلها تغشى. و غشاها تغشية، و تغشى بها تغشياً.

و قوله «وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خاشِعَةٌ» معناه إن وجوه العصاة و الكفار فى ذلك ذليلة خاضعة من ذل المعاصى التى فعلتها فى دار الدنيا. و المراد بالوجوه أصحاب الوجوه و إنما ذكر الوجوه، لأن الذل و الخضوع يظهر فيها.

و قوله «عامِلَةٌ ناصِبَةٌ» قال الحسن و قتادة: معناه لم تعمل للّه فى الدنيا، فاعمالها فى النار. و قال قوم: معناه عاملة ناصبة فى دار الدنيا بما يؤديها إلى النار، و هو مما اتصلت صفتهم فى الدنيا بصفتهم فى الآخرة. و معنى الناصبة و النصبة التعبة و هى التى أضعفها الانتصاب للعمل يقال: نصب الرجل ينصب نصباً إذا تعب فى العمل ثم بين تعالى ما يعمل بمن وصفه من ذوى الوجوه، فقال «تَصْلى ناراً حامِيَةً» أى تلزم الإحراق بالنار الحامية التى فى غاية الحرارة و «تُسْقى» أيضاً «مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ» قال ابن عباس و قتادة: آنية بالغة النهاية فى شدة الحر.

و قوله «لَيْسَ لَهُمْ طَعامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ» فالضريع نبات تأكله الإبل يضر و لا ينفع كما وصفه اللّه «لا يُسْمِنُ وَ لا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ» و إنما يشتبه الامر عليهم فيتوهموا انه كغيره من النبت الذى ينفع، لان المضارعة المشابهة، و منه أخذ الضرع و قيل: الضريع الشرق. و قال ابن عباس و مجاهد و قتادة: هو سم. و قال الحسن: التبيان فى تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۳۳۵

لا أدرى ما الضريع لم أسمع من اصحاب محمد صلى اللّه عليه و آله فيه شيئاً. و قال قوم: ضريع بمعنى مضرع أى يضرعهم و يذلهم. و قيل: من ضريع يضرع آكله فى الإعفاء منه لخشونته و شدة كراهته.

ثم بين وجوه المطيعين المؤمنين الذين عملوا الطاعات فقال «وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناعِمَةٌ» أى منعمة فى أنواع اللذات «لِسَعْيِها راضِيَةٌ» بما أداها اليه من الثواب و الجزاء و الكرامة جزاء لطاعاته التى عملها فى الدنيا. و قوله «فِي جَنَّةٍ عالِيَةٍ» أى فى بستان أجنه الشجر على الشرف و الجلالة و علو المكان و المنزلة، بمعنى أنها مشرفة على غيرها من البساتين و هى انزه ما يكون.

قوله تعالى:[سورة الغاشية (۸۸): الآيات ۱۱ الى ۲۰] ..... ص: ۳۳۵

لا تَسْمَعُ فِيها لاغِيَةً (۱۱) فِيها عَيْنٌ جارِيَةٌ (۱۲) فِيها سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (۱۳) وَ أَكْوابٌ مَوْضُوعَةٌ (۱۴) وَ نَمارِقُ مَصْفُوفَةٌ (۱۵)
وَ زَرابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (۱۶) أَ فَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (۱۷) وَ إِلَى السَّماءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (۱۸) وَ إِلَى الْجِبالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (۱۹) وَ إِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (۲۰)

عشر آيات.

قرأ «لا يسمع» بالياء المضمومة «فِيها لاغِيَةً» رفعاً على ما لم يسم فاعله لان التأنيث ليس بحقيقى و قد فصل بينهما ب (فيها) ابن كثير و أبو عمرو و ريس. و قرأ نافع وحده «لا تسمع» بالتاء مضمومة «لاغية» مرفوعة، لان اللفظ لفظ التأنيث.

الباقون بفتح التاء على الخطاب «لاغية» منصوبة، لأنها مفعول بها.

لما ذكر اللّه تعالى ان المؤمنين يحصلون فى جنة عالية فى الشرف و المكان التبيان فى تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۳۳۶

بين انه «لا تَسْمَعُ فِيها» فى تلك الجنة «لاغِيَةً» و هى كلمة لا فائدة فيها قال الشاعر:

عن اللغا و رفث التكلم «۱»

و اللغو و اللغا بمنزلة واحدة، و لغى يلغى، و لغا يلغو، و الغاه الغاء. و قيل «لاغية» بمعنى ذات لغو، كقولهم نابل و دارع أى ذو نبل و درع، و تامر ذو تمر قال الحطيئة:

و غررتنى و زعمت إنك لابن بالصيف تامر «۲»

و قيل: إنها المصدر مثل العاقبة. و يجوز أن يكون نعتاً، و تقديره لا يسمع فيها كلمة لاغية و الأول أصح، لقوله «لا لَغْوٌ فِيها وَ لا تَأْثِيمٌ» «۳» و إنما نفى اللاغية عن الجنة، لان فى سماع ما لا فائدة فيه ثقلا على النفس. ثم بين أن فيها أيضاً أى فى تلك الجنة عيناً من الماء جارية، لان فى العين الجارية متعة ليس فى الواقف.

و قوله «فِيها سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ» ليرى المؤمن بجلوسه عليها جميع ما حوله من الملك.

و قوله «وَ أَكْوابٌ مَوْضُوعَةٌ» أى على حافة العين الجارية، كلما أراد شربها وجدها مملوءة، فالاكواب جمع كوب، و هى الأباريق التى ليس لها خراطيم، فهى للشراب من الذهب و الفضة و الجوهر يتمتعون بالنظر اليها بين أيديهم و يشربون بها ما يشتهون من لذيذ الشراب، و هى كأفخر الأكواز التى توضع بين يدى الملوك.

و قيل: الأكواب كالأباريق لا عرى لها و لا خراطيم و هى آنية تتخذ للشراب فاخرة حسنة الصورة. و قوله «وَ نَمارِقُ مَصْفُوفَةٌ» قال قتادة: النمارق الوسائد واحدها نمرقة و هى الوسادة، و هى تصلح للراحة، و رفع المنزلة، و قوله «وَ زَرابِيُّ مَبْثُوثَةٌ» فالزرابى البسط الفاخرة واحدهما زربية. و قيل قد سمع (نمرقة) بضم النون و الراء و كسرهما

---

(١) مر فى ٢/ ١٣٢، ١۶۴، ٢٣٠ و ٧/ ١٣٨ و ٨/ ١٩٣ و ٩/ ١٢٠

(٢) مر فى ٨/ ۴۶٨ [.....]

(٣) سورة ٥٢ الطور آية ٢٣

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٣٣٧

ثم نبه تعالى على الادلة التى يستدل بها على توحيده و وجوب إخلاص العبادة له فقال (أَ فَلا يَنْظُرُونَ) أى أفلا يتفكرون بنظرهم (إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ) و يعتبرون بما خلقه اللَّه عليه من عجيب الخلق، و مع عظمه و قوته يذلله الصبى الصغير فينقاد له بتسخير اللَّه و يبركه و يحمل عليه ثم يقوم، و ليس ذلك فى شيء من الحيوان، بتسخير اللَّه لعباده و نعمته به على خلقه (وَ إِلَى السَّماءِ) أى و ينظرون إلى السماء (كَيْفَ رُفِعَتْ) رفعها فوق الأرض و جعل بينهما هذا الفضاء الذى به قوام الخلق و حياتهم. ثم ما خلقه فيه من عجائب الخلق من النجوم و الشمس و القمر و الليل و النهار الذى بجميع ذلك ينتفع الخلق و به يتم عيشهم و نفعهم «وَ إِلَى الْجِبالِ كَيْفَ نُصِبَتْ» أى و يفكرون فى خلق اللَّه تعالى الجبال أوتاد الأرض و مسكه لها و لولاها لمادت الأرض بأهلها، و لما صح من الخلق التصرف عليها (وَ إِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ) أى و ينظرون إلى الأرض كيف بسطها اللَّه و سطحها و وسعها و لو لا ذلك لما صح الانتفاع بها و الاستقرار عليها، و هذه نعم من الله تعالى على خلقه لا يوازيها نعمة منعم، و لا يقاربها إحسان محسن فيجب أن يقابل ذلك بأعظم الشكر.

قوله تعالى:[سورة الغاشية (٨٨): الآيات ٢١ الى ٢۶] ..... ص: ٣٣٧

فَذَكِّرْ إِنَّما أَنْتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ (٢٢) إِلاَّ مَنْ تَوَلَّى وَ كَفَرَ (٢٣) فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذابَ الْأَكْبَرَ (٢۴) إِنَّ إِلَيْنا إِيابَهُمْ (٢۵) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا حِسابَهُمْ (٢۶)

ست آيات.

قرأ ابو عمرو و الكسائى بمسيطر بالسين باختلاف عنهما. الباقون بالصاد إلا حمزة، فانه أشم الصاد زاياً. التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٣٣٨

لما بين اللَّه تعالى الدلالة على وحدانيته و نبه على الاستدلال بها، قال لنبيه محمد صلى اللَّه عليه و آله (فَذَكِّرْ) يا محمد (إِنَّما أَنْتَ مُذَكِّرٌ) فالتذكير التعريف للذكر بالبيان الذى يقع به الفهم، و النفع بالتذكير عظيم، لأنه طريق للعلم بالأمور التى نحتاج اليها و ملين القلب للعمل بها، و مذكر يعنى بنعم اللَّه تعالى عندهم و ما يجب عليهم فى مقابلتها من الشكر و العبادة فقد أوضح اللَّه تعالى طريق الحجج فى الدين و أكده غاية التأكيد بما لا يسع فيه التقليد بقوله (إِنَّما أَنْتَ مُذَكِّرٌ) و قوله (وَ ذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ) «١» و قوله (إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) «٢» و (لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) «٣» و (لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ) «۴» و (لَآياتٍ لِأُولِي الْأَلْبابِ) «۵» و قوله

(قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ) «۶» و قوله (وَ جادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) «۷» و محاجة إبراهيم عليه السلام للكافر بربه «۸» و قوله (فَاعْتَبِرُوا يا أُولِي الْأَبْصارِ) «۹» و قوله (أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها) «۱۰».

و قوله (لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ) فالمسيطر المسلط على غيره بالقهر له يقال تسيطر فلان على فلان، و سيطر إذا تسلط، و على وزن مسيطر مبيطر. قال ابو عبيدة:

لا ثالث لهما من كلام العرب، و قيل: كان هذا قبل فرض الجهاد، ثم نسخ،

---

(١) سورة ۵۱ الذاريات آية ۵۵

(٢) سورة ۱۶ النحل آية ۶۷

(٣) سورة ۱۶ النحل آية ۱۱، ۶۹

(۴) سورة ۱۶ النحل آية ۱۳

(۵) سورة ٣ آل عمران آية ۱۹۰

(۶) سورة ٢ البقرة آية ۱۱۱ و سورة ۲۷ النمل آية ۶۴

(٧) سورة ۱۶ النحل آية ۱۲۵

(٨) انظر ٢/ ٣١۶ من هذا الكتاب

(٩) سورة ۵۹ الحشر آية ٢

(١٠) سورة ۴۷ محمد آية ۲۴

التبيان فى تفسير القرآن، ج١٠، ص: ٣٣٩

و يجوز أن يكون غير منسوخ، لان الجهاد ليس بإكراه القلوب.

و قوله (إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَ كَفَرَ) قيل فى هذا الاستثناء قولان:

أحدهما- انه منقطع و تقديره، لكن من تولى و كفر فيعذبه اللَّه العذاب الأكبر الثانى- إلا من تولى فإنك مسلط عليه بالجهاد، فاللَّه يعذبه العذاب الأكبر.

و قال الحسن المعنى: إلا من تولى و كفر، فكله إلى اللَّه. و قيل معناه إلا من تولى و كفر فلست له بمذكر، لأنه لا يقبل منك، فكذلك لست تذكره.

و قوله (إِنَّ إِلَيْنا إِيابَهُمْ) فالاياب الرجوع، آب يؤب أوباً و إياباً و تأوّب تأوباً و أوّب يؤوّب تأويباً، و يقال: أيب إياباً على (فعيل، فيعالا) من الأوب و على هذا قرئ فى الشواذ (ايّابهم) بالتشديد، قال عبيد:

و كل ذى غيبة يؤوب و غائب الموت لا يؤوب «۱»

و المعنى ان مرجع الخلق يوم القيامة إلى اللَّه فيحاسبهم و يجازى كل واحد منهم على قدر عمله، فحساب الكفار مقدار ما لهم و عليهم من استحقاق العقاب، و حساب المؤمن بيان ما له و عليه حتى يظهر استحقاق الثواب.

---

(١) مر فى ۶/ ۴۶۸

التبيان فى تفسير القرآن، ج١٠، ص: ٣۴٠

۸۹- سورة الفجر ..... ص: ٣۴٠

اشارة

مکیـة فی قول ابن عباس و قال الضـحاک هی مدنیة و هی ثلاثون آیة فی الکوفی و تسع و عشـرون فی البصـری و اثنتان و ثلاثون فی المدنیین

[سورة الفجر (۸۹): الآیات ۱ الی ۱۴] ..... ص: ۳۴۰

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ
وَ الْفَجْرِ (۱) وَ لَیالٍ عَشْرٍ (۲) وَ الشَّفْعِ وَ الْوَتْرِ (۳) وَ اللَّیْلِ إِذا یَسْرِ (۴)
هَلْ فِی ذلِکَ قَسَمٌ لِذِی حِجْرٍ (۵) أَ لَمْ تَرَ کَیْفَ فَعَلَ رَبُّکَ بِعادٍ (۶) إِرَمَ ذاتِ الْعِمادِ (۷) الَّتِی لَمْ یُخْلَقْ مِثْلُها فِی الْبِلادِ (۸) وَ ثَمُودَ الَّذِینَ جابُوا الصَّخْرَ بِالْوادِ (۹)
وَ فِرْعَوْنَ ذِی الْأَوْتادِ (۱۰) الَّذِینَ طَغَوْا فِی الْبِلادِ (۱۱) فَأَکْثَرُوا فِیهَا الْفَسادَ (۱۲) فَصَبَّ عَلَیْهِمْ رَبُّکَ سَوْطَ عَذابٍ (۱۳) إِنَّ رَبَّکَ لَبِالْمِرْصادِ (۱۴)

أربع عشـرة آیـة قرأ حمزة و الکسـائی و خلف (و الوتر) بکسـر الواو. البـاقون بفتحهـا و هما لغتان. قال ابو عبیـدة: الشـفع الزکا و الوتر الخسا. و قرأ نافع و ابو عمرو (یسری) بیاء فی الوصل دون الوقف. و قرأ ابن کثیر بیاء فی الوصل و الوقف، و کذلک (بالوادی) الباقون بغیر یـاء فی وصل و لا وقف. من أثبت الیاء، فلأنها الأصل و من حـذفها، فلأنها رأس آیـة و الفواصل تحـذف منها الیاءات. التبیان فی تفسیر القرآن، ج ۱۰، ص: ۳۴۱

هذا قسم من اللَّه تعالی بالفجر و لیال عشـر، و قسم منه بالشـفع و الوتر و اللیل إذا یسـری، و جواب القسم قوله (إِنَّ رَبَّکَ لَبِالْمِرْصادِ) و (الْفَجْرِ) شق عمود الصبح فجره اللَّه لعباده یفجره فجراً إذا أظهره فی أفق المشـرق مبشـراً بادبار اللیل المظلم و إقبال النهار المضـیء، و الفجر فجران: أحدهما المسـتطیل، و هو الذی یصـعد طولا کذنب السـرحان و لا حکم له فی الشرع، و الآخر هو المستطیر، و هو الذی ینشـر فی أفق السـماء، و هو الـذی یحرم عنـده الأکـل و الشـرب لمن أراد الصوم فی شـهر رمضان، و هو ابتـداء الیوم. و قال عکرمـة و الحسن: الفجر فجر الصبح.

و قوله (وَ لَیالٍ عَشْرٍ) قال ابن عباس و الحسن و عبد اللَّه بن الزبیر و مجاهد و مسروق و الضحاک و ابن زید: و هی العشر الأول من ذی الحجـة شـرفها اللَّه تعالی لیسارع الناس فیها إلی عمل الخیر و اتقاء الشـر علی طاعة اللَّه فی تعظیم ما عظم و تصـغیر ما صـغره، و ینالون بحسن الطاعة الجزاء بالجنة. و قال قوم: هی العشر من أول محرم، و الاول هو المعتمد.

و قوله (وَ الشَّفْعِ وَ الْوَتْرِ) قال ابن عباس و کثیر من أهل العلم: الشفع الخلق بما له من الشکل و المثل، و الوتر الخالق الفرد الذی لا مثل له، و قال الحسن: الشـفع الزوج، و الوتر الفرد من العدد، کأنه تنبیه علی ما فی العدد من العبرة بما یضـبط لأنه من المقادیر التی یقع بها التعدیل. و قال ابن عباس و عکرمة و الضحاک: الشفع یوم النحر، و الوتر یوم عرفه، و وجه ذلک أن یوم النحر مشفع بیوم نحر بعده، و ینفرد یوم عرفه بالموقف و فی روایة أخری عن ابن عباس و مجاهد و مسروق و أبی صالح:

أن الشفع الخلق، و الوتر اللَّه تعالی. و قال ابن زید: الشفع و الوتر کله من الخلق.

فقال عمران بن حصین: الصلاة فیها شفع و فیها وتر، و قال ابن الزبیر: الشفع:

الیومان الأولان من یوم النحر و الوتر الیوم الثالث. و فی روایة أخری عن ابن التبیان فی تفسیر القرآن، ج ۱۰، ص: ۳۴۲

عباس: الوتر آدم و الشفع زوجته. قال ابو عبیدة: یقال أوترت و وترت.

و قوله (وَ اللَّیْلِ إِذا یَسْرِ) معناه یسـیر ظلاماً حتی ینقضی بالضیاء المبتدئ ففی تسییره علی المقادیر المرتبة، و مجیئه بالضیاء عند تقضیه فی الفصول أدل دلیل علی أن فاعله یختص بالعز و الاقتدار الذی یجلّ عن الأشباه و الأمثال.

و قوله (هَلْ فِي ذلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ) أي لـذى عقل- فى قول ابن عباس و مجاهـد و قتادة و الحسن- و قيل العقل الحجر، لأنه يعقل عن المقبحـات و يزجر عن فعلهـا، يقال: حجر يحجر حجراً إذا منع من الشـيء بالتضـييق، و منه حجر الرجل الـذى يحجر على ما فيه، و منه الحجر لامتناعه بصلابته.

و قوله (أ لَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعادٍ إِرَمَ ذاتِ الْعِمادِ) خطـاب من الله تعـالى للنبى صـلى اللَّه عليه و آله، و تنبيه للكفـار على ما فعل بالأـمم الماضيـة لمـا كفروا بوحدانيـة الله، و اعلاـم لهم كيفيـة إهلاـكهم. و قيـل: عـاد الأـولى عـاد ابن آرم. و قيـل: إن (إرم) بلـد منه الاسـكندريـة- فى قول القرطى- و قال المعرّى: هو دمشق. و قال مجاهـد: هم أمة من الأمم. و قال قتادة: هم قبيلة من عاد. و قوله (ذاتِ الْعِمادِ) قـال ابن عباس و مجاهـد: ذات الطول من قولهم: رجل معمـد إذا كان طويلا. و قيل ذات عمـد للابيات ينتقلون من مكان إلى مكان، للانتجاع- ذكره قتادة- و قال ابن زيد: ذات العماد فى إحكام البنيان. و قال الضحاك: معناه ذات القوى الشداد.

و قال الحسن: العماد الابنية العظام. و قيل: ان (ارم) هو سام بن نوح، و ترك صرفه لأنه أعجمى معرفة.

و قوله (الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُها فِي الْبِلادِ) يعنى فى عظم أجسامهم و شـدة قوتهم و قوله (وَ ثَمُودَ الَّذِينَ جابُوا الصَّخْرَ بِالْوادِ) موضع (ثَمُودَ) جر بـالعطف على قوله (بِعادٍ) أي و ثمود و لم يجره لأـنه أعجمى معرفـة، و معنى (جـابُوا الصَّخْرَ) أي التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٣٤٣

قطعوا الصخر من الجبال بشدة قوتهم، يقال: جاب يجوب إذا قطع قال النابغة:

أتاك ابو ليلى يجوب به الدجى دجى الليل جواب الغلاة غشمشم

قال مجاهد: قطعوا الجبال بيوتاً كما قال (وَ تَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبالِ بُيُوتاً فارِهِينَ) «١» و قوله (وَ فِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتادِ) قال ابن عباس: معناه ذى الجنود الـذين كانوا يشـدون أمره. و قال مجاهـد: كان يوتد الأوتاد فى أيدى الناس. و قال قتادة: ملاعب كان يلعب له فيها، و يضـرب تحتهـا بالأوتـاد. و قيل: ذى الأوتاد لكثرة الأوتاد التى كانوا يتخـذونها للمضارب و لكثرة جموعهم، و كان فيهم أكثر منه فى غيرهم. و قيل: إن فرعون كان إذا غضب على الرجل مده بين أربعة أوتاد حتى يموت.

و قوله (الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ) معناه إن هؤلاء الـذين ذكرناهم تجاوزوا فى الظلم الحـد فى البلاد، و خرجوا عن حد القلة و فسر ذلك بقوله (فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسادَ) يعنى أكثروا فى البلاد الفساد، ثم بين ما فعل بهم عاجلا فقال (فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ) يا محمد صـلى اللَّه عليه و آله (سَوْطَ عَذابٍ) أي قسط عـذاب كالعذاب بالسوط الذى يعرف إلا أنه أعظم، و يجوز أن يكون عنى قست عذاب يخالط اللحوم و الدماء كما يخالط بالسوط من قولهم: ساطه يسوطه سوطاً فهو سائط قال الشاعر:

أ حارث إنا لو تساط دماؤنا تزايلن حتى لا يمس دم دما «٢»

و قيل: المعنى إنه جعل سوطه الـذى ضـربهم به انه صب عليهم العذاب، و قوله (إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصادِ) معناه إن ربك يا محمد لا يفوته شيء من اعمال العباد كما لا يفوت من بالمرصاد. و المرصاد مفعال من رصده يرصده رصداً، فهو راصد إذا راعى ما يكون منه ليقابله بما يقتضيه، و

قيل لأمير المؤمنين عليه السلام اين كان ربنا قبل

---

(١) سورة ٢٦ الشعراء آية ١٤٩

(٢) تفسير الشوكانى ٥/ ٤٢٤ [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٣٤٤

أن يخلق السموات و الأرض؟ فقال: (أين) سؤال عن مكان، و كان اللَّه و لا مكان.

و قيـل لاعرابى: أين ربك يا اعرابى؟! قال بالمرصاد. و قال ابن عباس معناه إنه يسـمع و يرى أعمال العباد. و قال الحسن و الضـحاك:

لبالمرصاد بانصاف المظلوم من الظالم، و معناه لا يجوزه ظلم ظالم حتى ينصف المظلوم منه.

قوله تعالى: [سورة الفجر (٨٩): الآيات ١٥ الى ٣٠] ..... ص: ٣٤٤

فَأَمَّا الْإِنسانُ إِذا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَ نَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَ أَمَّا إِذا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهانَنِ (١٦) كَلاَّ بَلْ لا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (١٧) وَ لا تَحاضُّونَ عَلى طَعامِ الْمِسْكِينِ (١٨) وَ تَأْكُلُونَ التُّراثَ أَكْلاً لَمًّا (١٩)

وَ تُحِبُّونَ الْمالَ حُبًّا جَمًّا (٢٠) كَلاَّ إِذا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَ جاءَ رَبُّكَ وَ الْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢) وَ جِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسانُ وَ أَنَّى لَهُ الذِّكْرى (٢٣) يَقُولُ يا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَياتِي (٢٤)

فَيَوْمَئِذٍ لا يُعَذِّبُ عَذابَهُ أَحَدٌ (٢٥) وَ لا يُوثِقُ وَثاقَهُ أَحَدٌ (٢٦) يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلى رَبِّكِ راضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبادِي (٢٩)

وَ ادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠)

ست عشرة آية.

قرأ ابن عامر و ابو جعفر (فقدر) مشدد الدال. و قرأ ابو عمرو و اهل التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٣٤٥

البصرة (بَلْ لا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ وَ لا تَحاضُّونَ عَلى طَعامِ الْمِسْكِينِ وَ تَأْكُلُونَ التُّراثَ) ثلاثتهن بالياء. الباقون ثلاثتهن بالتاء. و الاول على وجه الخبر عن الذين تقدم ذكرهم من الكفار. و الثانى على وجه الخطاب، و تقديره قل لهم يا محمد صلى اللَّه عليه و آله. و قرأ اهل الكوفة (تحاضون) بالتاء و الالف. الباقون بغير الف و الياء فى جميع ذلك مفتوحة يقال:

حضضته و حثثته و (تحاضون) مثل فاعلته و فعلته إلا أن المفاعلة بين إثنين فأكثر و قرأ الكسائى و يعقوب (فَيَوْمَئِذٍ لا يُعَذِّبُ عَذابَهُ أَحَدٌ، وَ لا يُوثِقُ وَثاقَهُ أَحَدٌ) على ما لم يسم فاعله. و الفعل مسند إلى (أحد)، و المعنى لا يعذب عذابه أحد فداء له من العذاب، لأنه المستحق له، فلا يؤخذ بذنب غيره. الباقون بكسر الذال (و لا يوثق) بكسر الثاء و تأويله لا يعذب عذاب اللَّه أحد، و لا يوثق وثاقه احد و هو قول الحسن و قتادة.

لما توعد اللَّه تعالى الكفار و جميع العصاة بما قدمه من الوعيد على المعاصى و أخبرهم بما فعل بالأمم الماضية جزاء على كفرهم. و حكى أنه لبالمرصاد لكل عاص قسم أحوال الخلق من البشر، فقال (فَأَمَّا الْإِنْسانُ إِذا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ) أى اختبره و الابتلاء هو إظهار ما فى العبد من خير أو شر من الشدة و الرخاء و الغنى و الفقر حسب ما تقتضيه المصلحة، فان عمل بداعى العقل ظهر الخير، و إن عمل بداعى الطبع ظهر الشر. و مثل الابتلاء الامتحان و الاختبار.

و قوله (فَأَكْرَمَهُ وَ نَعَّمَهُ) معناه أعطاه الخير و أنعم عليه به، و الإكرام إعطاء الخير للنفع به على ما تقتضيه الحكمة إلا أنه كثر فيما يستحق بالإحسان، و نقيض الإكرام الهوان (فَيَقُولُ) العبد عند ذلك (رَبِّي أَكْرَمَنِ) أى أنعم على و أحسن إلىّ. و من أثبت الياء، فلأنها الأصل و من حذفها فلأنها رأس آية، و اجتزأ بكسرة النون الدالة على حذفها. التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٣٤٦

ثم قال (وَ أَمَّا إِذا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ) أى اختبره بعد ذلك بأن يضيق عليه رزقه قدر البلغة و الأصل القدر، و هو كون الشيء على مقدار، و منه تقدير الشيء طلب قدره من مقدار غيره (فَيَقُولُ) العبد عند ذلك (رَبِّي أَهانَنِ) فقال اللَّه تعالى رداً لتوهم من ظن أن الإكرام بالغنى و الاهانة بالفقر بأن قال (كلا) ليس الامر على ما توهمه. و إنما الإكرام فى الحقيقة بالطاعة، و الاهانة بالمعصية، و قوله (كَلَّا) معناه ليس الأمر على ما ظن هذا الإنسان الكافر الذى لا يؤمن باللَّه و اليوم الآخر- ذكره قتادة- ثم بين ما يستحق به الهوان بقوله (بَلْ لا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ وَ لا تَحاضُّونَ عَلى طَعامِ الْمِسْكِينِ) أى الهوان لهذا، لا لما توهمتم، تقول: حضضته بمعنى حثثته و (تَحَاضُّونَ) بمعنى تحضون فاعلته و فعلته إلا أن المفاعلة بين اثنين فأكثر. و قال الفراء: لا تحاضون بمعنى لا تحافظون، و أصله تتحاضون، فحذف إحدى التائين.

و قوله (وَ تَأْكُلُونَ التُّراثَ أَكْلًا لَمًّا) أى جمعاً، يقال لممت ما على الخوان ألمه لماً إذا أكلته اجمع، و التراث الميراث. و قيل: هو من يأكل نصيبه و نصيب صاحبه. و قوله (وَ تُحِبُّونَ الْمالَ حُبًّا جَمًّا) قال ابن عباس و مجاهد و ابن زيد: معناه كثيراً شديداً يقال: جم الماء فى الحوض إذا أجتمع و كثر قال زهير:

فلما وردن الماء زرقا جمامه وضعن عصى الحاضر المتخيم «١»

و قوله (كَلَّا إِذا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا) معناه التهديد و الوعيد الشديد أى حقاً إذا دكت الأرض بأن جعلت مثل الدكة مستوية لا خلل فيها و لا تلول، كما قال (لا تَرى فِيها عِوَجاً وَ لا أَمْتاً) «٢» و هو يوم القيامة، فالدك حط المرتفع بالبسط، يقال اندك سنام البعير إذا انفرش فى ظهره و ناقة دكاء إذا كانت كذلك، و منه الدكان لاستوائه فكذلك

---

(١) مر فى ٧/ ١٤٣

(٢) سورة ٢٠ طه آية ١٠٧

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٣٤٧

الأرض إذا دكت استوت فى فراشها فذهبت دورها، و قصورها و سائر أبنيتها حتى تصير كالصحراء الملساء بها. قال ابن عباس: يوم القيامة تمد الأرض مداً كالأديم، و قوله (وَ جاءَ رَبُّكَ وَ الْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا) معناه و جاء أمر اللَّه أو عذاب اللّه و قيل: معناه و جاء جلائل آياته، فجعل مجيء جلائل الآيات مجيئاً له تفخيماً لشأنها و قال الحسن: معناه و جاء قضاء اللّه، كما يقول القائل: جاءتنا الروم أى سيرتهم.

و قال بعضهم: معنى (جاء) ظهر بضرورة المعرفة، كما توصف الآية إذا وقعت ضرورة تقوم مقام الرؤية.

و قوله (وَ الْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا) معناه كصفوف الناس فى الصلاة يأتى الصف الاول ثم الصف الثانى ثم الثالث على هذا الترتيب، لان ذلك أشكل بحال الاستواء من التشويش و التخليط بالتعديل فى الأمور، و التقويم أولى.

و قوله (وَ جِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ) أى أحضرت جهنم ليعاقب بها المستحقون لها و يرى أهل الموقف هو لها، و عظم منظرها. و قوله (يَتَذَكَّرُ الْإِنْسانُ) اخبار منه تعالى بأن الإنسان يتذكر ما فرط فيه فى دار التكليف من ترك الواجب و فعل القبيح و يندم عليه. ثم قال تعالى (وَ أَنَّى لَهُ الذِّكْرى) و معناه من اين له الذكرى التى كان أمر بها فى دار الدنيا، فإنها تقوده إلى طريق الاستواء و تبصره الضلال من الهدى، فكأنه قال و أنى له الذكرى التى ينتفع بها، كما لو قيل يتندم و أنى له الندم.

ثم حكى ما يقول الكافر المفرط الجانى على نفسه و يتمناه، فانه يقول (يا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَياتِي) أى يتمنى انه كان عمل الصالحات لحياته بعد موته أو عمل للحياة التى تدوم له، فكان أولى بى من التمسك بحياة زائلة. ثم قال (فَيَوْمَئِذٍ لا يُعَذِّبُ عَذابَهُ أَحَدٌ) معناه فى قراءة من كسر الذال إخبار من اللّه تعالى أنه لا يعذب عذاب اللّه التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٣٤٨

أحد فى ذلك اليوم. و من فتح الذال قال: المعنى لا يعذب عذاب الجانى الكافر الذى لم يقدم لحياته أحد من الناس لأنا علمنا أن إبليس أشد عذاباً من غيره بحسب إجرامه و إذا أطلق الكلام لقيام الدلالة على ذلك قيل معناه لا يؤاخذ أحد بذنب غيره، لأنه المستحق للعذاب و لا يؤاخذ اللّه أحداً بجرم غيره.

و قوله (وَ لا يُوثِقُ وَثاقَهُ) أى لا يشد بالسلاسل و الاغلال (أَحَدٌ) على المعنيين اللذين ذكرناهما.

و قوله (يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ) قال ابن زيد عن أبيه: إن النفس المطمئنة التى فعلت طاعة اللّه و تجنبت معاصيه تبشر عند الموت و يوم البعث بالثواب و النعيم. و قيل: ان المطمئنة بالمعرفة للّه و بالايمان به- فى قول مجاهد- و قيل:

المطمئنة بالبشارة بالجنة. و قال الفراء: تقديره يا أيتها النفس المطمئنة بالايمان و المصدقة بالثواب و البعث (ارْجِعِي) تقول لهم الملائكة إذا أعطوهم كتبهم بايمانهم (ارْجِعِي إِلى رَبِّكِ) أى إلى ما أعده اللّه لك من الثواب، و قد يجوز أن يقولوا لهم هذا القول

يريدون ارجعوا من الدنيا إلى هذا المرجع.

ثم بين ما يقال لها و تبشر به بأنه يقال لها (ارْجِعِي إِلى رَبِّكِ) أى إلى الموضع الذى يختص اللّه تعالى بالأمر و النهى به دون خلقه (راضِيَةً) بثواب اللّه و جزيل عطائه (مَرْضِيَّةً) الافعال من الطاعات، و إنه يقال لها «فَادْخُلِي فِي عِبادِي» الذين رضيت عنهم و رضيت أفعالهم «وَ ادْخُلِي جَنَّتِي» التى وعدتكم بها و أعددت نعيمكم فيها، و روى عن ابن عباس أنه قرأ ادخلى فى عبدى بمعنى فى جسم عبدى، قال ابن خالويه: هى قراءة حسنة. قال المبرد: تقديره يا أيتها الروح ارجعى إلى ربك فادخلى فى عبادى فى كل واحد من عبادى تدخل فيه روحه.

بيان فى تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۳۴۹

۹۰–سورة البلد ..... ص: ۳۴۹

اشارة

مكية فى قول ابن عباس و قال الضحاك، أنزلت حين افتتحت مكة و هى عشرون آية بلا خلاف

[سورة البلد (۹۰): الآيات ۱ الى ۱۰] ..... ص: ۳۴۹

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

لا أُقْسِمُ بِهذَا الْبَلَدِ (۱) وَ أَنْتَ حِلٌّ بِهذَا الْبَلَدِ (۲) وَ والِدٍ وَ ما وَلَدَ (۳) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِي كَبَدٍ (۴)

أَ يَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ (۵) يَقُولُ أَهْلَكْتُ مالاً لُبَداً (۶) أَ يَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ (۷) أَ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (۸) وَ لِساناً وَ شَفَتَيْنِ (۹)

وَ هَدَيْناهُ النَّجْدَيْنِ (۱۰)

عشر آيات.

قرأ ابو جعفر «لبداً» بتشديد الباء. الباقون بالتخفيف.

قوله «لا أُقْسِمُ» معناه أقسم، و لا صلة، كما قال الشاعر:

و لا ألوم البيض ان لا تسخرا «۱»

أى ان تسخر. و قيل: هى رداً لكلام على طريق الجواب، لمن قد ظهر منه

(۱) مر فى ۱/ ۴۵

التبيان فى تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۳۵۰

الخلاف أى ليس الامر على ما يتوهم. و قد بينا نظائر ذلك فيما مضى. فإذا أثبت انه اقسم، فلا ينافى قوله «وَ هذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ» لأن هذا قسم آخر مثله. و إنما يكون مناقضة لو أراد نفى القسم بقوله «لا اقسم» فأما إذا كان الامر على ما بيناه فلا تنافى بينهما. قال ابن عباس و مجاهد و قتادة و ابن زيد: يعنى بالبلد مكة.

و قوله «وَ أَنْتَ حِلٌّ بِهذَا الْبَلَدِ» فمعناه فى قول ابن عباس أنه حلال لك به قتل من رأيت حين أمر بالقتال، فقتل ابن حنظل صبراً، و هو آخذ بأستار الكعبة و لم يحل لأحد بعده. و به قال مجاهد و ابن زيد و الضحاك. و قال عطاء: لم يحل إلا لنبيكم ساعة من النهار. و قال الحسن: معناه و أنت فيه محسن و أنا عنك راض.

و قيل: معناه أنت حل بهذا البلد أى انت فيه مقيم، و هو محلل. و المعنى بذلك التنبيه على شرف البلد بشرف من حل فيه من الرسول الداعى إلى تعظيم اللّه و إخلاص عبادته المبشر بالثواب و المنذر بالعقاب، و يقال: رجل حل أى حلال و قالوا: حل معناه حال. أى ساكن.

و قوله (وَ والِدٍ وَ ما وَلَدَ) قسم آخر بالوالد و ما ولد، قال ابن عباس و عكرمة:

المعنى بذلك كل والد و ما ولد يعنى العاقل. و قال الحسن و مجاهد و قتادة و الضحاك و سفيان و ابو صالح: يعنى آدم و ولده. و قال ابو عمران الحوبى: يعنى به إبراهيم عليه السلام و ولده.

و قوله (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِي كَبَدٍ) جواب القسم، و معنى كبد قال ابن عباس و الحسن: فى شدة. و قال قتادة: معناه يكابد الدنيا و الآخرة. قال مجاهد و ابو صالح و إبراهيم النخعى و عبد اللّه بن شداد: معناه فى انتصاب قامة، فكأنه فى شدة قوام مخصوص بذلك من سائر الحيوان، قال لبيد: التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٣٥١

يا عين هلا بكيت أربد إذ قمنا و قام الخصوم فى كبد «١»

أى فى شدة نصب، فالكبد فى اللغة شدة الأمر يقال: تكبد اللبن إذا غلظ و اشتد، و منه الكبد، كأنه دم يغلظ و يشتد، و تكبد الدم إذا صار كالكبد، و الإنسان مخلوق فى شدة أمر بكونه فى الرحم. ثم فى القماط و الرباط، ثم على خطر عظيم عند بلوغه حال التكليف، فينبغى له أن يعلم ان الدنيا دار كدّ و مشقة، و أن الجنة هى دار الراحة و النعمة.

و قوله «أَ يَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ» معناه أ يظن هذا الإنسان أن لن يقدر على عقابه أحد إذا عصى اللّه تعالى و ارتكب معاصيه فبئس الظن ذلك. و قيل: إنها نزلت فى رجل يقال له أبو الاسدين كان من القوة بحيث يقف على أديم عكاظى فيجرى العسرة من تحته، فتنقطع و لا يبرح من عليه فقال اللّه تعالى (أَ يَحْسَبُ) لشدته و قوته (أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ) ثم حكى ما يقول هذا الإنسان من قوله (أَهْلَكْتُ مالًا لُبَداً) قال الحسن: معناه يقول أهلكت مالا كثيراً، فمن يحاسبنى عليه، حميق أ لم يعلم ان اللّه قادر على محاسبته، و اللبد الكثير الذى قد تراكب بعضه على بعض، و منه تلبد القطن و الصوف إذا تراكب بعضه على بعض، و كذلك الشعر و منه اللبد و من قرأ (لبداً) بتشديد الباء، فهو جمع لا بد.

و قوله (أَ يَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ) ا يظن هذا الإنسان انه لم يبصره أحد فيطالبه من اين كسب هذا المال، و فى أى شيء أنفقه- ذكره قتادة- و قيل: معنا ا يظن أن لم يره أحد فى إنفاقه، لأنه كاذب. و قال الحسن: يقول: أنفقت مالا كثيراً فمن يحاسبنى عليه. و قيل الآية نزلت فى رجل من بنى جمح يكنى أبا الاسدين، و كان قوياً شديداً.

---

(١) ديوانه ١/ ١٩ و مجاز القرآن ٢/ ٢٩٩

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٣٥٢

ثم نبهه تعالى على وجوه النعمة التى أنعم بها عليه ليستدل بها على توحيده و خلع الأنداد دونه بقوله «أَ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ» ليبصر بهما «وَ لِساناً وَ شَفَتَيْنِ» لينطق بهما «وَ هَدَيْناهُ النَّجْدَيْنِ» ليستدل بهما. و فى ذلك دليل واضح على أنه صادر من مختار لهذه الافعال التى فعلها بهذه الوجوه، فأحكمها لهذه الأمور، فالمحكم المتقن لا يكون إلا من عالم، و تعليقه بالمعانى لا يكون إلا من مختار، لأنه لا يعلق الفعل بالمعانى إلا فى الارادة. و قال ابن مسعود: و ابن عباس: معنى هديناه النجدين: نجد الخير و الشر، و به قال الحسن و مجاهد و الضحاك و قتادة، و فى رواية عن ابن عباس أنهما الثديان، و النجدان الطريقان للخير و الشر. و أصل النجد للعلو و نجد بلد سمى نجد العلوة عن انجفاض تهامة، و كل عال من الأرض نجد، و الجمع نجود، و رجل نجد بين النجدة إذا كان جلداً قوياً، لاستعلائه على قوته، و استنجدت فلاناً فانجدنى أى استعنته على خصمى فأعاننى، و النجد الكرب و الغم. و النجاد ما على العاتق من حمالة السيف، و شبه طريق الخير و الشر بالطريقين العاليين لظهوره فيهما.

قوله تعالى: [سورة البلد (٩٠): الآيات ١١ الى ٢٠] ..... ص: ٣٥٢

فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) وَ ما أَدْراكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيماً ذا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِيناً ذا مَتْرَبَةٍ (١٦) ثُمَّ كانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ تَواصَوْا بِالصَّبْرِ وَ تَواصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (١٧) أُولئِكَ أَصْحابُ الْمَيْمَنَةِ (١٨) وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِنا هُمْ أَصْحابُ الْمَشْأَمَةِ (١٩) عَلَيْهِمْ نارٌ مُؤْصَدَةٌ (٢٠)

عشر آيات. التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٣٥٣

قرأ ابن كثير و ابو عمرو و الكسائى «فك رقبة أو اطعم فى يوم ذى مسغبة» بغير الف على انه فعل ماض. الباقون «فَكُّ رَقَبَةٍ» على الاضافة و يكون الاضافة إلى مفعول «أَوْ إِطْعامٌ» فوجه الأول قوله «فلا أقتحم العقبة فك رقبة» الثانى أنه على جواب و «ما أَدْراكَ مَا الْعَقَبَةُ» فيكون الجواب بالاسم و تلخيصه هلا اقتحم العقبة و لا يجوز الصراط إلا من كان بهذه الصفة يفك رقبة او يطعم يتيماً فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ مجاعة، فَلَا اقْتَحَمَ بمعنى لم، كما قال «فَلا صَدَّقَ وَ لا صَلَّى» «١» و معناه لم يصدق و لم يصل، و إنما لم يكرر (لا) لان معناً «ثُمَّ كانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا» يدل على انه لم يقتحم و لم يؤمن، و قرأ ابو عمرو و حمزة و حفص و خلف «مؤصدة» بالهمز. الباقون بغير همز و هما لغتان، يقال: أصدت الباب اوصده إيصاداً فهو مؤصد بالهمز، و أوصدته فهو موصد بغير همز. و الوصيد الباب من أوصدت.

لما نبه اللّه تعالى الإنسان على وحدانيته و إخلاص عبادته بقوله «أَ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَ لِساناً وَ شَفَتَيْنِ» و ما فيهما من الدلالة على قدرته و علمه و انه هدى الإنسان طريق الخير و الشر و رغبه فى اتباع الخير و زجره عن إتباع الشر، قال حاثاً له على فعل الخير بقوله «فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ» قال الحسن. عقبة- و اللّه شديدة- مجاهدة الإنسان نفسه و هواه و عدوه و الشيطان، و لم يكرر (لا) فى اللفظ، و هى بمنزلة المكرر فى المعنى كأنه قال: أ فلا اقتحم العقبة و حذف الاستفهام، و المراد به التنبيه، و الاقتحام الدخول على الشدة يقال اقتحم اقتحاماً، و اقحم إقحاماً و تقحم تقحماً و قحم تقحيماً و نظيره الإدخال و الإيلاج. و المعنى هلا دخل فى البر على صعوبة كصعوبة اقتحام العقبة، و العقبة الطريقة التى ترتقى على صعوبة و يحتاج فيها إلى معاقبة الشدة بالتضييق

---

(١) سورة ٧٥ القيامة آية ٣١

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٣٥٤

و المخاطرة، و قيل: العقبة النتئة الضيقة فى رأس الجبل يتعاقبها الناس، فشبهت بها العقبة فى وجوه البر التى ذكرها اللّه تعالى. و عاقب الرجل صاحبه إذا صار فى موضعه بدلا منه. و قال قتادة: فلا اقتحم العقبة إنها قحمة شديدة، فاقتحموها بطاعة اللّه.

و قال أبو عبيدة: معناه فلم يقتحم فى الدنيا.

ثم فسر العقبة فقال «وَ ما أَدْراكَ مَا الْعَقَبَةُ فَكُّ رَقَبَةٍ أَوْ إِطْعامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ» و تقديره اقتحام العقبة فك رقبة، لان العقبة جثة و الفك حدث، فلا يكون خبراً عن جثة. قال ابو على و (لا) إذا كانت بمعنى (لم) لم يلزم تكرارها.

ثم بين تعالى ما به يكون اقتحام العقبة فقال «فَكُّ رَقَبَةٍ» فالفك فرق يزيل المنع، و يمكن معه أمر لم يكن ممكناً قبل، كفكك القيد و الغل، لأنه يزول به المنع، و يمكن به تصرف فى الأرض لم يكن قبل، ففك الرقبة فرق بينها و بين حال الرق بإيجاب الحرية و إبطال العبودية. و قوله «أَوْ إِطْعامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ» فالمسغبة المجاعة سغب يسغب سغباً إذا جاع، فهو ساغب قال جرير:

تعلل و هى ساغبة بنيها بأنفاس من الشبم القراح «١»

و قوله «يَتِيماً» نصب ب «إِطْعامٌ» فى قراءة من نون نصبه بالمصدر. و من قرأ على الفعل الماضى نصبه به، فهو مفعول به فى الحالين، و اليتيم الصبى الذى قد مات أبوه و أمه، و الأغلب فى اليتيم من الأب فى الناس. و قوله «ذا مَقْرَبَةٍ» معناه ذا قرابة، و لا يقال: فلان قرابتى

و إنما يقال ذو قرابتى، لأنه مصدر، كما قال الشاعر:

يبكى الغريب عليه حين يعرفه و ذو قرابته فى الناس مسرور

و قوله «أَوْ مِسْكِيناً» عطف على يتيماً. و «ذا مَتْرَبَةٍ» معناه ذا حاجة شديدة

---

(١) اللسان (قرح)

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٣٥٥

من قولهم: ترب الرجل إذا افتقر- فى قول ابن عباس- أيضاً و مجاهد، يقال:

أترب الرجل إذا استغنى، و ترب إذا افتقر.

و قوله «ثُمَّ كانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا» معناه كان الإنسان من جملة المؤمنين إذا فعل ذلك و عقد الايمان، ثم أقام على إيمانه «وَ تَواصَوْا» أى وصى بعضهم بعضاً «بِالصَّبْرِ» على الشدائد و المحن و المصائب «وَ تَواصَوْا» أيضاً «بِالْمَرْحَمَةِ» أى وصى بعضهم بعضاً بأن يرحموا الفقراء و ذوى المسكنة.

و قوله «أُولئِكَ أَصْحابُ الْمَيْمَنَةِ» معناه إنهم متى فعلوا ذلك كانوا أصحاب الميمنة الذين يعطون كتابهم بأيمانهم أو يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة، و الميمنة اليمن و البركة، و المرحمة حال الرحمة.

و قوله «وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِنا» معناه إن الذين يجحدون نعم اللَّه و يكذبون أنبياءه «هُمْ أَصْحابُ الْمَشْأَمَةِ» أى ذات الشمال فيؤخذ بهم الى النار، و يعطون كتابهم بشمالهم، و اشتقاقه من الشؤم خلاف البركة «عَلَيْهِمْ نارٌ مُؤْصَدَةٌ» قال ابن عباس و مجاهد و الضحاك: معناه عليهم نار مطبقة.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٣٥٦

٩١-سورة الشمس ..... ص: ٣٥٦

اشارة

مكية فى قول ابن عباس و الضحاك و هى خمس عشرة آية فى الكوفى و البصرى و ست عشرة فى المدنيين

[سورة الشمس (٩١): الآيات ١ الى ١٠] ..... ص: ٣٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

وَ الشَّمْسِ وَ ضُحاها (١) وَ الْقَمَرِ إِذا تَلاها (٢) وَ النَّهارِ إِذا جَلَّاها (٣) وَ اللَّيْلِ إِذا يَغْشاها (٤)

وَ السَّماءِ وَ ما بَناها (٥) وَ الْأَرْضِ وَ ما طَحاها (٦) وَ نَفْسٍ وَ ما سَوَّاها (٧) فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَ تَقْواها (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها (٩)

وَ قَدْ خابَ مَنْ دَسَّاها (١٠)

عشر آيات.

قرأ ابن كثير و ابن عامر و عاصم «و ضحاها» بفتح أواخر هذه السورة.

و قرأ الكسائى باmالة ذلك كله. و قرأ ابو عمرو و نافع جميع ذلك بين الكسر و الفتح.

و قرأ حمزة «و ضحها» كسراً و فتح «تلاها» و «طحاها» فمن فتح، فلأنه الأصل، و الامالة تخفيف. و بين بين تخفيف يشعر بالأصل. فأما حمزة فأمال بنات الياء. و فخم بنات الواو.

هـذا قسم من اللَّه تعالى بالشـمس و ضـحاها، و قد بينا أن له تعالى أن يقسم بما شاء من خلقه تنبيهاً على عظم شأنه و كثرة الانتفاع به، فلمـا كـانت الشـمس قـد عظم الانتفـاع بهـا و قوام العالم من الحيوان و النبات بطلوعها و غروبها، جاز القسم التبيان فى تفسـير القرآن، ج ١٠، ص: ٣٥٧

بها، و لما فيها من العبرة بنشىء الضوء حتى تقوى تلك القوة العظيمة بإذن اللَّه.

و قوله «وَ ضُحاها» يعنى ضحاها الشمس، و هو صدر وقت طلوعها، و ضحى النهار صدر وقت كونه، قال الشاعر:

أعجلها اقدحى الضحاء ضحى و هى تناصى ذوائب السلم «١»

و أضـحى يفعل كـذا إذا فعله فى وقت الضـحى، و يقال: ضـحّى بكبش أو غيره إذا ذبحه فى وقت الضـحى من ايام الأضـحى. ثم كثر حتى قيل لو ذبحه آخر النهار.

و قوله «وَ الْقَمَرِ إِذا تَلاها» قسم آخر بالقمر و تلوه الشـمس و وجه الدلالـة من جهة تلو القمر للشـمس من جهة المعاقبة على أمور مرتبة فى النقصان و الزيادة، لأنه لا يزال ضوء الشـمس ينقص إذا غاب جرمها، و يقوى ضوء القمر حتى يتكامل كذلك دائبين، تسـخيراً من اللَّه للعبـاد بمـا ليس فى وسـعهم أن يجروه على شـىء من ذلك المنهاج. و قال ابن زيـد: القمر إذا اتبع الشـمس فى النصف الاول من الشهر إذا غربت الشمس تلاها القمر بالطلوع، و فى آخر الشهر يتلوها فى الغروب و قال الحسن «وَ الشَّمْسِ وَ ضُحاها» أى يضىء نورها «وَ الْقَمَرِ إِذا تَلاها» يعنى ليلة الهلال. و قيل: تلاها فى الضوء.

و قوله «وَ النَّهـارِ إِذا جَلَّاها» قسم آخر بالنهار إذا جلاها يعنى الشـمس بضوءها المبين بجرمها. و قيل معناه إذا جلا الظلمـة، فالهاء كناية عن الظلمـة، و لم يتقـدم لهـا ذكر لأنـه معروف غير ملتبس «وَ اللَّيْلِ إِذا يَغْشاهـا» قسم آخر بالليل إذا يغشاها يعنى الشـمس بظلمته عند سقوط الشمس.

و قوله «وَ السَّماءِ وَ ما بَناها» قال قتادة: معناه و السـماء و بنائها جعل (ما) مع ما بعـدها بمنزلـة المصـدر. و قال مجاهد و الحسن: معنى و السماء و ما بناها و السماء

---

(١) قائله النابغة الجعدى. اللسان (ضحا)

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٣٥٨

و من بنى السماء و هو اللَّه تعالى. و قوله «وَ الْأَرْضِ وَ ما طَحاها» قسم آخر بالأرض و ما طحاها، و يحتمل ذلك وجهين:

أحدهما- ان يكون المعنى و الأرض و طحوها.

و الثانى- و الأرض و من طحاها، و هو اللَّه تعالى و معنى طحاها بسـطها حتى أمكن التصـرف عليها. و قال مجاهـد و الحسن: طحاها و دحاها واحـد، بمعنى بسـطها يقال طحا يطحو طحواً و دحا يـدحو دحواً و طحا بك همك. و معناه انبسط بك إلى مـذهب بعيـد، فهو يطحو بك طحواً قال علقمة:

طحا بك قلب فى الحسان طروب

و يقـال: القوم يطحى بعضـهم بعضـاً عن الشـىء أى يـدفع دفعـاً شديـد الانبساط و الطواحى النسور تنبسط حول القتلى، و أصل الطحو البسـط الواسع. و قوله «وَ نَفْسٍ وَ مـا سَوَّاهـا» قسم آخر بـالنفس و ما سواها، و هو محتمل ايضاً لامرين: أحـدهما- و نفس و تسويتها، و الثـانى- و نفس و من سواهـا، و هو اللَّه تعـالى. و قال الحسن يعنى بالنفس آدم و من سواها اللَّه تعالى. و قيل: ان (ما) فى هـذه الآيات بمعنى (من) كمـا قال «فَانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ» «١» و إنما أراد (مَنْ) و قال ابو عمرو بن العلا: هى بمعنى الـذى، و أهل مكـة يقولون إذا سمعوا صوت الرعد: سبحان ما سبحت له بمعنى سبحان من سبحت له.

و قوله «فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَ تَقْواها» قال ابن عباس و مجاهد و قتادة و الضحاك و سفيان: معناه عرفها طريق الفجور و التقوى و رغبها فى

التقوى و زهدها فى الفجور.

و قال قوم: خذلها حتى اختارت الفجور و ألهمها تقواها بأن وفقها لها. و قوله «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها» جواب القسم و اللام مقدرة، و تقديره لقد أفلح من زكاها أى

(۱) سورة ۴ النساء آية ۳

التبيان فى تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۳۵۹

من زكى نفسه بالصدقة، و قد خاب من دساها و أخفى عن المتصدق. و المعنى قد أفلح من زكى نفسه بالعمل الصالح أو اجتناب المعصية- و هو قول ابن عباس و مجاهد و قتادة- و قال قوم: معنا قد أفلح من زكى اللَّه نفسه، و قد خاب من دساها نفسه و قوله «وَ قَدْ خابَ مَنْ دَسَّاها» معناه قد خاب أى خسر من دس نفسه فى معاصى اللَّه منهمكاً فى القبائح التى نهاه اللَّه عنها. و قيل: معناه دساها بالبخل، لان البخيل يخفى نفسه و منزله لئلا يطلب نائله، و دسا نفسه نقيض زكاها بالعمل الصالح، و كذلك دساها بالعمل الفاسد حتى صيرها فى محاق و خسران. و يقال دسا فلان يدسو دسواً و دسوة فهو داس نقيض زكا يزكو زكا فهو زاك. و قيل معنى دساها أى دسها بمعنى حملها و وضع منها بمعصية. و أبدل من أحدى السينين ياء، كما قالوا تظنيت بمعنى تظننت قال الشاعر:

تقضى البازى إذا البارى كسر «۱»

بمعنى تقضض.

قوله تعالى:[سورة الشمس (۹۱): الآيات ۱۱ الى ۱۵] ..... ص: ۳۵۹

كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْواها (۱۱) إِذِ انْبَعَثَ أَشْقاها (۱۲) فَقالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ناقَةَ اللَّهِ وَ سُقْياها (۱۳) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوها فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاها (۱۴) وَ لا يَخافُ عُقْباها (۱۵)

ست آيات قرأ اهل المدينة و ابن عامر «فلا يخاف» بالفاء و كذلك هى فى مصاحف أهل المدينة و أهل الشام. الباقون بالواو، و كذلك فى مصاحفهم.

يقول اللَّه تعالى مخبراً عن ثمود و هم قوم صالح «كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْواها» قال

(۱) مر فى ۱/ ۲۸۶ و ۷/ ۳۵۸ و ۸/ ۱۴۶

التبيان فى تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۳۶۰

ابن عباس: يعنى بعذابها أى بعذاب الطاغية فأتاها ما كذبت به. و قال مجاهد: بمعصيتها- و هو قول ابن زيد- و هو وجه التأويل، و الطغوى و الطغيان مجاوزة الحد فى الفساد و بلوغ غايته، تقول: طغى يطغى إذا جاوز الحد، و منه قوله «لَمَّا طَغَى الْماءُ» «۱» أى لما تجاوز المقدار على ما جرت به العادة و كثر. و قوله «إِذِ انْبَعَثَ أَشْقاها» أى كان تكذيبها حين انبعث أشقى ثمود، و قيل اسمه قدار بن سالف.

و قال قوم: عقر الناقة هو تكذيبهم. و قيل: لا، بل هو غيره. و قيل: كانوا أقروا بأن لها شرباً و لهم شرب غير مصدقين بأنه حق. و الشقاء شدة الحال فى مقاساة الآلام، فالاشقا هو الأعظم شقاء، و نقيض الشقاء السعادة، و نقيض السعود النحوس يقال: شقى يشقى شقاء، فهو شقى نقيض سعيد، و أشقاه اللَّه اشقاء.

و قوله «فَقالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ» يعنى صالحاً، فانه قال لهم: ناقة اللَّه و تقديره فاحذروا ناقة اللَّه، فهو نصب على الإغراء كما تقول: الأسد الأسد، أى احذره «وَ سُقْياها» فالسقاء الحظ من الماء. و هو النصيب منه، كما قال تعالى «لَها شِرْبٌ وَ لَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ» «۲» و

السقى التعريض للشرب.

و قوله «فَكَذَّبُوهُ» أى كذب قوم صالح صالحاً و لم يلتفتوا إلى قوله، «فَعَقَرُوها» يعنى الناقة. فالعقر قطع اللحم بما يسيل الدم عقره يعقره عقراً فهو عاقر، و منه عقر الحوض و هو أصله، و العقر نقض الشيء عن أصل بنية الحيوان، و عاقر الناقة أحمر ثمود، و هم يروه و كلهم رضوا بفعله. فعمهم البلاء بأن عاقبهم اللّه تعالى لرضاهم بفعله. و قوله «فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاها» معناه أهلكهم اللّه تعالى عقوبة على ذنبهم من تكذيب صالح و عقر الناقة. و قيل: معنى دمدم عليهم دمر

---

(١) سورة ٦٩ الحاقة آية ١١

(٢) سورة ٢٦ الشعراء آية ١٥٥

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٣٦١

عليهم. و قيل: معناه أطبق عليهم بالعذاب. يقال دمدمت على الشيء إذا ضيقت عليه، و ناقة مدمدمة قد ألبسها الشحم، فإذا كررت الاطباق قلت دمدمت. و قيل «فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ» أى غضب عليهم، فالدمدمة ترديد الحال المتكرهة، و هى مضاعفة ما فيه المشقة، فضاعف اللّه تعالى على ثمود العذاب بما ارتكبوا من الطغيان.

و قوله «فَسَوَّاها» أى جعل بعضها على مقدار بعض فى الاندكاك و اللصوق بالأرض، فالتسوية تصيير الشيء على مقدار غيره.

و قوله «وَ لا يَخافُ عُقْباها» قال ابن عباس و الحسن و قتادة و مجاهد: معناه لا يخاف اللّه تعالى تبعة الدمدمة. و قال الضحاك: معناه لم يخف الذى عقرها عقباها و العقبى و العاقبة واحد، و هو ما أدى اليه الحال الأولى، قال ابو على: من قرأ بالفاء فللعطف على قوله «فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوها» فلا يخاف كأنه تبع تكذيبهم عقرهم أى لم يخافوا. و من قرأ (و لا) بالواو جعل الجملة فى موضع الحال، و تقديره فسواها غير خائف عقباها أى غير خائف أن يتعقب عليه فى شيء مما فعله.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٣٦٢

٩٢-سورة الليل ..... ص: ٣٦٢

اشارة

مكية فى قول ابن عباس و الضحاك و هى إحدى عشرون آية بلا خلاف

[سورة الليل (٩٢): الآيات ١ الى ١٣] ..... ص: ٣٦٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

وَ اللَّيْلِ إِذا يَغْشى (١) وَ النَّهارِ إِذا تَجَلَّى (٢) وَ ما خَلَقَ الذَّكَرَ وَ الْأُنْثى (٣) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى (٤)

فَأَمَّا مَنْ أَعْطى وَ اتَّقى (٥) وَ صَدَّقَ بِالْحُسْنى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرى (٧) وَ أَمَّا مَنْ بَخِلَ وَ اسْتَغْنى (٨) وَ كَذَّبَ بِالْحُسْنى (٩)

فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرى (١٠) وَ ما يُغْنِي عَنْهُ مالُهُ إِذا تَرَدَّى (١١) إِنَّ عَلَيْنا لَلْهُدى (١٢) وَ إِنَّ لَنا لَلْآخِرَةَ وَ الْأُولى (١٣)

ثلاث عشرة آية.

هذا قسم من اللّه تعالى بالليل إذا غشيه الظلام، فأظلم و ادلّهم و غشى الأنام لما فى ذلك من الهول المحرك للنفس بالاستعظام.

ثم اقسم بالنهار إذا تجلى، و معناه إذا أنار و ظهر للابصار لما فى ذلك من الاعتبار. و قيل التقدير و الليل إذا يغشى النهار، فيذهب بضوئه «وَ النَّهارِ إِذا تَجَلَّى» أى جلى الليل، فأذهب ظلمته، ذكره الحسن. و الغشى إلباس الشيء ما يغمر و يستر جملته، و إنما كرر

ذکرهما فی السورتین لعظم شأنهما، و جلالة موقعهما فی باب التبیان فی تفسیر القرآن، ج ١٠، ص: ٣٦٣

الدلالة علی توحید اللَّه- ذکره قتادة-.

و قوله «وَ ما خَلَقَ الذَّکَرَ وَ الْأُنْثی» للتناسل بینهما. و یحتمل أن یکون المراد و من خلق الذکر و الأنثی، و فی قراءة عبد اللَّه «و الذی خلق الذکر و الأنثی» لان (ما) بمعنی الذی، و هو اللَّه، فیکون القسم باللَّه. و علی الأول یکون القسم بخلق اللَّه. و قیل: المراد بالذکر و الأنثی آدم و حواء علیهما السلام.

و قوله «إِنَّ سَعْیَکُمْ لَشَتَّی» جواب للقسم، و معناه إن سعیکم لمختلف، فسعی المؤمن خلاف سعی الکافر. و معنی «شتی» أی متفرق علی تباعد ما بین الشیئین جداً، و منه شتان أی بعد ما بینهما جداً کبعد ما بین الثری و الثریا. و یقال:

تشتت أمر القوم و شتتهم ریب الزمان.

و قوله «فَأَمَّا مَنْ أَعْطی وَ اتَّقی» معناه من أعطی حق اللَّه و اتقی محارم اللَّه- ذکره قتادة- «وَ صَدَّقَ بِالْحُسْنی» قال ابن عباس و عکرمة: و صدق بالخلف.

و قال الضحاک: صدق بتوحید اللَّه، و قال مجاهد و الحسن: یعنی صدق بالجنة. و قال قتادة: بوعد اللَّه، و الحسنی النعمة العظمی بحسن موقعها عند صاحبها، و هذه صفة الجنة التی أعدها اللَّه تعالی للمتقین و حرمها من کذب بها.

و قوله «فَسَنُیَسِّرُهُ لِلْیُسْری» معناه یسهل علیه الأمر، فالتیسیر تصییر الأمر سهلا. و مثله التسهیل و التخفیف، و نقیض التیسیر التعسیر و هو تصییر الامر صعباً.

و الیسیر نقیض العسیر، یقال: أیسر إذا کثر ماله یوسر ایساراً. و تقدیره فسنیسره للحال الیسری، فلذلک أنث فحال الیسیر الیسری، و حال العسیر العسری.

و التیسیر للیسری یکون بأن یصیرهم إلی الجنة. و التیسیر للعسری بأن یصیرهم إلی النار. و یجوز أن یکون المراد بالتمکین من سلوک طریق الجنة، و التمکین من سلوک طریق النار. و معناه إنا لسنا نمنع المکلفین من سلوک أحد الطریقین و لا نضطرهم التبیان فی تفسیر القرآن، ج ١٠، ص: ٣٦۴

الیه، و إنما نمکنهم بالإقرار علیهما و رفع المنع، و الترغیب فی إحداهما، و التزهید فی الاخری. فان احسن الاختیار اختار ما یؤدیه إلی الجنة. و إن أساء فاختار ما یؤد به إلی النار فمن قبل نفسه أتی.

و قوله «وَ أَمَّا مَنْ بَخِلَ وَ اسْتَغْنی» یعنی به من منع حق اللَّه الذی أوجب علیه من الزکاة و الحقوق الواجبة فی ماله، و استغنی بذلک و کثر ماله، فسنیسره للعسری یعنی طریق النار. و قد بینا کیفیة تیسیر اللَّه لذلک من التمکین أو التصییر فلا حاجة لإعادته. و العسری البلیة العظمی بما تؤدی الیه، و نقیضها الیسری، و هو مأخوذ من العسر و الیسر، فحال العسر العسری و حال الیسر الیسری، و مذکره الأیسر، و الأمر الأعسر. و قال الفراء: المعنی فسنیسره للعود إلی الصالح من الاعمال و نیسره من الاعمال للعسری علی مزاوجة الکلام. و الأولی أن تکون الآیتان علی عمومهما فی کل من یعطی حق اللَّه، و کل من یمنع حقه، لأنه لیس- هاهنا- دلیل قاطع علی أن المختص بها إنسان بعینه، و قد

روی أنها نزلت فی أبی الدحداح الانصاری، و سمرة بن حبیب

، و رووا فی ذلک قصة معروفة. و روی فی غیره.

و قوله

«وَ ما یُغْنِی عَنْهُ مالُهُ إِذا تَرَدَّی» معناه أی شیء یغنی عن هذا الذی بخل بماله، و لم یخرج حق اللَّه منه «إِذا تَرَدَّی» یعنی فی نار جهنم- فی قول قتادة و أبی صالح- و هو المروی عن أبی جعفر علیه السلام.

و قال مجاهد: معناه إذا مات.

و قال قوم: معناه «إِذا تَرَدَّی» فی القبر أی شیء یغنیه. و قیل «إِذا تَرَدَّی» فی النار فما الذی یغنیه.
و قوله «إِنَّ عَلَیْنا لَلْهُدی» قال قتادة معناه إن علینا لبیان الطاعة من المعصیة و قیل فی قوله «إِنَّ عَلَیْنا لَلْهُدی» دلالة علی وجوب هدی المکلفین إلی الدین، و انه التبیان فی تفسیر القرآن، ج ۱۰، ص: ۳۶۵
لا یجوز إضلالهم منه. و قوله «وَ إِنَّ لَنا لَلْآخِرَةَ» معناه الاخبار من اللَّه بأن له دار الآخرة و الجزاء فیها علی الأعمال، و الامر و النهی لیس لاحد سواه، لان دار الدنیا قد ملک فیها أقواماً التصرف، و قوله «وَ الْأُولی» معناه و إن لنا الأولی ایضاً یعنی دار الدنیا. فانه الذی خلق الخلق فیها، و هو الذی مکنهم من التصرف فیها و هو الذی ملکهم ما ملکهم، فهی ایضاً ما له علی کل حال.

قوله تعالی:[سورة اللیل (۹۲): الآیات ۱۴ الی ۲۱] ..... ص: ۳۶۵

فَأَنْذَرْتُکُمْ ناراً تَلَظَّی (۱۴) لا یَصْلاها إِلاَّ الْأَشْقَی (۱۵) الَّذِی کَذَّبَ وَ تَوَلَّی (۱۶) وَ سَیُجَنَّبُهَا الْأَتْقَی (۱۷) الَّذِی یُؤْتِی مالَهُ یَتَزَکَّی (۱۸)
وَ ما لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزی (۱۹) إِلاَّ ابْتِغاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلی (۲۰) وَ لَسَوْفَ یَرْضی (۲۱)
ثمان آیات.
قوله «فَأَنْذَرْتُکُمْ ناراً تَلَظَّی» وعید من اللَّه تعالی للمکلفین. تقول خوفتکم المعاصی التی تؤدیکم إلی نار تلظی.
و قرأ ابن کثیر «ناراً تلظی» بتشدید التاء ادغم احدی التاءین فی الأخری، لان الأصل تتلظی. و قیل: انه ادغم نون التنوین فی التاء. الباقون بالتخفیف فحذفوا احدی التاءین. و التلظی تلهب النار بشدة الإیقاد تلظت النار تتلظی تلظیاً و لظی اسم من اسماء جهنم.
و قوله «لا یَصْلاها إِلَّا الْأَشْقَی الَّذِی کَذَّبَ» و قصر عما أمرته کما تقول: لقی فلان العدو فکذب: إذا نکل و رجع- ذکره الفراء- فکأنه کذب فی الطاعة أی لم یتحقق. و قال المفسرون فیها قولان: التبیان فی تفسیر القرآن، ج ۱۰، ص: ۳۶۶
أحدهما- الانذار بنار هذه صفتها، و هی درک مخصوص من أدراک جهنم فهی تختص هذا المتوعد الذی کذب بآیات اللَّه و جحد توحیده «وَ تَوَلَّی» عنها بأن لم ینظر فیها أو رجع عنها بعد أن کان نظر فیها فصار مرتداً. و الثانی محذوف لما صحبه من دلیل الآی الاخر، کأنه قال و من جری مجراه ممن عصی، فعلی هذا لا متعلق للخوارج فی أن مرتکب الکبیرة کافر.
و قوله «وَ سَیُجَنَّبُهَا الْأَتْقَی» معناه سیبعد من هذه النار من کان اتقی اللَّه باجتناب معاصیه «الَّذِی یُؤْتِی مالَهُ» أی یعطی ماله «یَتَزَکَّی» یطلب بذلک طهارة نفسه، فالتجنب تصییر الشیء فی جانب عن غیره، فالاتقی یصیر فی جانب الجنة عن جانب النار یقال: جنبه الشر تجنیباً و تجنب تجنباً و جانبه مجانبة، و رجل جنب، و قد اجنب إذا أصابه ما یجانب به الصلاة حتی یغتسل.
و قوله «وَ ما لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزی» معناه لیس ذلک لید سلفت تکافی علیها و لا لید یتخذها عند أحد من العباد. و قوله «إِلَّا ابْتِغاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلی» معناه بل إنما فعل ذلک طلب رضوان اللَّه، و ذکر الوجه طلباً لشرف الذکر. و المعنی إلا ابتغاء ثواب اللَّه و طلب رضوانه. و قوله «وَ لَسَوْفَ یَرْضی» معناه إن هذا العبد الذی فعل ما فعله لوجه اللَّه سوف یرضی بما یعطیه اللَّه علی ذلک من الثواب و جزیل النعیم یوم القیامة.
التبیان فی تفسیر القرآن، ج ۱۰، ص: ۳۶۷

۹۳-سورة الضحی ..... ص: ۳۶۷

اشارة

مکیة فی قول ابن عباس الضحاک، و هی إحدی عشرة آیة بلا خلاف

[سورة الضحی (۹۳): الآیات ۱ الی ۱۱] ..... ص: ۳۶۷

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

وَ الضُّحى (۱) وَ اللَّيْلِ إِذا سَجى (۲) ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَ ما قَلى (۳) وَ لَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولى (۴)

وَ لَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضى (۵) أَ لَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوى (۶) وَ وَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدى (۷) وَ وَجَدَكَ عائِلًا فَأَغْنى (۸) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ (۹)

وَ أَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ (۱۰) وَ أَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (۱۱)

احدى عشرة آية.

روى أن عروة ابن الزبير قرأ «ما ودعك ربك» بالتخفيف من قولهم:

ودع يدع أى ترك يترك، و هو قليل، لان سيبويه قال: استغنوا ب (ترك) عن (ودع) فلم يستعملوه. الباقون بالتشديد.

هـذا قسم من اللّه تعالى بالضحى، و هو صدر النهار، و هو الضحى المعروف- فى قول قتادة- و قال الفراء: هو النهار كله من قولهم: ضحى فلان للشمس إذا ظهر لها. و فى التنزيل «وَ أَنَّكَ لا تَظْمَؤُا فِيها وَ لا تَضْحى» «۱».

---

(۱) سورة ۲۰ طه آية ۱۱۹

التبیان فی تفسیر القرآن، ج ۱۰، ص: ۳۶۸

و قوله (وَ اللَّيْلِ إِذا سَجى) قسم آخر، و قال الحسن: معنى (سجى) غشى بظلامه. و قال قتادة: معنى (سجى) سكن و هذا من قولهم: بحر ساج أى ساكن، و به قال الضحاك، يقال: سجا يسجو سجواً إذا هدئ و سكن، و طرف ساج قال الأعشى:

فما ذنبنا ان جاش بحر ابن عمكم و بحرك ساج لا يوارى الدعا مصا «۱»

و قال الراجز:

يا حبذا القمراء و الليل الساج و طرق مثل ملاء النساج «۲»

و قوله (ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَ ما قَلى) جواب القسم. و قيل: إنه لما تأخر عنه الوحى خمس عشرة ليلة، قال قوم من المشركين: و دع اللّه محمداً و قلاه. فانزل اللّه تعالى هـذه السورة تكذيباً لهم و تسلية للنبى صلى الله عليه و آله، لأنه كان اغتم بانقطاع الوحى عنه- ذكره ابن عباس و قتادة و الضحاك- و معنى (ما ودعك) ما قطع الوحى عنك، و معنى (قلى) أبغض- فى قول ابن عباس و الحسن و ابن زيد- و القالى المبغض يقال: قلاه يقلاه قلا إذا أبغضه. و العقل دال على انه لا يجوز ان يقلى اللّه احداً من أنبيائه. و التقدير ما قلاك، فحذف الكاف لدلالة الكلام عليه، و لأن رؤس الآى بالياء، فلم يخالف بينها، و مثله (فآوى، و فهدى، و فأغنى) لأن الكاف فى جميع ذلك محذوفة، و لما قلناه.

و قوله (وَ لَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولى) خطاب للنبى صلى اللّه عليه و آله يقول الله تعالى له إن ثواب الآخرة و النعيم الدائم فيها خير لك من الأولى يعنى من الدنيا، و الكون فيها لكونها فانية. قال ابن عباس: له فى الجنة ألف قصر من اللؤلؤ ترابه المسك، و فيه من كل ما يشتهى على أعم الوصف.

---

(۱) تفسير القرطبى ۲۰/ ۹۱ و ديوانه ۱۰۰

(۲) مجاز القرآن ۲/ ۳۰۲ و اللسان (سجى) و الكامل ۲۴۴ [.....]

التبیان فی تفسیر القرآن، ج ۱۰، ص: ۳۶۹

و قوله (وَ لَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضى) وعد من الله له أن يعطيه من النعيم و الثواب و فنون النعم ما يرضى النبى صلى اللّه عليه و آله به و يؤثره.

ثم عدد عليه النعمة فى دار الدنيا فقال (أَ لَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوى) و معناه تقريره على نعم اللَّه عليه حين مات أبوه و بقى يتيماً فآواه بأن سخر له عبد المطلب أولا، و لما مات عبد المطلب آواه إلى أبى طالب، و سخره للاشفاق عليه و الحنين على حفظه و مراعاته.

و قوله «وَ وَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدى» قيل فى معناه أقوال:

أحدها- وجدك لا تعرف الحق فهداك اليه بأن نصب لك الادلة و أرشدك اليها حتى عرفت الحق، و ذلك من نعم اللَّه.

و ثانيها- وجدك ضالا عما أنت عليه الآن من النبوة و الشريعة، فهداك اليها و ثالثها- وجدك فى قوم ضلال أى فكأنك واحد منهم.

و رابعها- وجدك مضلولا عنك فهدى الخلق إلى الإقرار بنبوتك و الاعتراف بصدقك فوجدك ضالا بمعنى مضلول كما قيل ماء دافق بمعنى مدفوق، و سر كاتم بمعنى مكتوم.

و خامسها- أنه لما هاجر إلى المدينة ضل فى الطريق، و ضل دليله فأرشدهم اللَّه الى الطريق الواضح حتى وصلوا فإذا قيل: السورة مكية أمكن أن يقال: المراد بذلك الاستقبال و الاعلام له أنه يكون هذا على وجه البشارة له به، و لم يكن فعلا له معصية، لأنه ليس ذهاباً عما كلف.

و قوله (وَ وَجَدَكَ عائِلًا فَأَغْنى) فالعائل الفقير، و هو ذو العيلة من غير جدة عال يعيل عيلة إذا كثر عياله و افتقر قال الشاعر: التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٣٧٠

و ما يدرى الفقير متى غناه و ما يدرى الغنى متى يعيل «١»

أى متى يفتقر. و قيل ان ذكر النعم من المنعم يحسن على وجهين:

أحدهما- التذكير للشكر و طلب الزيادة منها فهذا جود و كرم.

و الآخر- عند كفر المنعم عليه، فهذا التذكير على الوجه الاول.

و قوله (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ) أى لا تقهره لظلمه بأخذ ماله فكذلك من لا ناصر له لا تغلظ فى أمره، و الخطاب متوجه إلى النبى صلى اللَّه عليه و آله و هو نهى لجميع المكلفين و قيل: معناه لا تقهره على ماله.

و قوله (وَ أَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ) فالانتهار هو الصياح فى وجه السائل الطالب للرفد، يقال: نهره و انتهره بمعنى واحد، و هو متوجه إلى جميع المكلفين.

و قوله (وَ أَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) معناه اذكر نعم اللَّه و أظهرها و تحدث بها.

و قد قيل: من شكر النعمة الحديث بها.

فان قيل: فى هذا و نظائره مما عدده اللَّه على خلقه من النعم و امتنانه عليهم كيف يمنن اللَّه تعالى على خلقه بالنعم و ذلك من فعل النجل، لان الواحد منا لو منّ على غيره بما يسدى اليه كان مقبحاً؟! قبل: إنما يقبح الامتنان إذا كان الغرض الإزراء بالنعم عليه و التفضيل به، فاما إذا كان الغرض تعريف النعمة و تعديدها و إعلامه وجوهها ليقابلها بالشكر فيستحق به الثواب و المدح، فانه نعمة اخرى و تفضل آخر يستحق به الشكر فبطل ما قالوه.

---

(١) مجاز القرآن ٢/ ٣٠٢ و قد مر فى ٣/ ١٠٩ و ٥/ ٢٣٥

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٣٧١

٩٤-سورة الانشراح ..... ص: ٣٧١

اشارة

مكية فى قول ابن عباس و الضحاك، و هى ثمان آيات بلا خلاف

[سورة الشرح (٩٤): الآيات ١ الى ٨] ..... ص: ٣٧١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
أَ لَمْ نَشْرَحْ لَکَ صَدْرَکَ (١) وَ وَضَعْنا عَنْکَ وِزْرَکَ (٢) الَّذِی أَنْقَضَ ظَهْرَکَ (٣) وَ رَفَعْنا لَکَ ذِکْرَکَ (۴)
فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ یُسْراً (۵) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ یُسْراً (۶) فَإِذا فَرَغْتَ فَانْصَبْ (٧) وَ إِلی رَبِّکَ فَارْغَبْ (٨)
ثمان آیات.

روی أصحابنا ان أ لم نشرح من الضحی سورة واحدة لتعلق بعضها ببعض و لم یفصلوا بینهما ب (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ) و أوجبوا قراءتهما فی الفرائض فی رکعة و ألا یفصل بینهما. و مثله قالوا فی سورة (أ لم تر کیف) و (الإیلاف) و فی المصحف هما سورتان فصل بینهما ببسم اللَّه.

و المعنی بهذه الآیات تعداد نعم اللَّه تعالی علی النبی صلی اللَّه علیه و آله فی الامتنان بها علیه فقال (أ لَمْ نَشْرَحْ لَکَ صَدْرَکَ) فالشرح فتح الشیء باذهاب ما یصد عن إدراکه فاللَّه تعالی قد فتح صدر نبیه باذهاب الشواغل التی تصد عن إدراک الحق و تعظیمه بما یجب له. و منه قول القائل: اشرح صدری لهذا الأمر. و شرح فلان کتاب کذا، و منه تشریح اللحم إذا فتحه و رققه. و منه قوله (أ فَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٣٧٢
لِلْإِسْلامِ)
«١». و قال البلخی: کان النبی صلی اللَّه علیه و آله ضاق صدره بمغاضبة الجن و الانس له فآتاه اللَّه من آیاته و وعده ما اتسع قلبه لکل ما حمله اللَّه و أمره به. و قال الجبائی:

شرح اللَّه صدره بأن فعل له لطفاً بسنن منه إلی ما کلفه اللَّه و سهل علیه، و کان ذلک ثواباً علی طاعاته لا یجوز فعله بالکفار، و عکسه ضیق الصدر کما قیل فی قوله (فَمَنْ یُرِدِ اللَّهُ أَنْ یَهْدِیَهُ یَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ وَ مَنْ یُرِدْ أَنْ یُضِلَّهُ یَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَیِّقاً حَرَجاً کَأَنَّما یَصَّعَّدُ فِی السَّماءِ کَذلِکَ یَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَی الَّذِینَ لا یُؤْمِنُونَ) «٢» و الصدر الموضع الأرفع الذی فیه القلب، و منه أخذ صدر المجلس تشبیهاً بصدر الإنسان.

و صدرته بکذا إذا جعلته فی أول کلامک. و الصدر لأن الأوامر تصدر عنه.

و صادره إذا أخذ ما یصدر عنه و الأصل الانصراف عن الشیء.

و قوله (وَ وَضَعْنا عَنْکَ وِزْرَکَ) قال الحسن: یعنی بالوزر الذی کان علیه فی الجاهلیة قبل النبوة. و قال مجاهد و قتادة و الضحاک و ابن زید: یعنی ذنبک. قالوا:

و إنما وصفت ذنوب الأنبیاء بهذا الثقل مع انها صغائر مکفرة لشدة اغتمامهم بها و تحسرهم علی وقوعها مع ندمهم علیها. و هذان التأویلان لا یصحان علی مذهبنا، لان الأنبیاء علیهم السلام لا یفعلون شیئاً من القبائح لا قبل النبوة و لا بعدها و لا صغیرة و لا کبیرة، فإذا ثبت هذا، فمعنی الآیة هو أن اللَّه تعالی لما بعث نبیه و أوحی الیه و انتشر أمره و ظهر حکمه کان ما کان من کفار قومه و تتبعهم لأصحابه باذاهم له و تعرضهم إیاهم ما کان یغمه و یسؤه و یضیق صدره و یثقل علیه، فأزال اللَّه ذلک بأن أعلی کلمته و أظهر دعوته و قهر عدوه. و أنجز وعده و نصره علی قومه، فکان ذلک من أعظم المنن و أجزل النعم.

فإذا قیل: السورة مکیة، و کان ما ذکرتموه بعد الهجرة؟!

---

(١) سورة ٣٩ الزمر آیة ٢٢

(۲) سورة ۶ الانعام آية ۱۲۵

التبيان فى تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۳۷۳

قيل: ليس يمنع أن يكون اللَّه أخبره بأن ذلك سيكون فيما بعد ليبشره به و يسليه عما هو عليه فجاء بلفظ الماضى و أراد الاستقبال، كما قال (وَ نادى أَصْحابُ الْجَنَّةِ أَصْحابَ النَّارِ) «۱» و كما قال (وَ نادَوْا يا مالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنا رَبُّكَ) «۲» و الوزر الثقل فى اللغة، و منه اشتق اسم الوزير لتحمله أثقال الملك. و إنما سميت الذنوب أوزاراً لما فيها من العقاب العظيم.

و قوله (الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ) نعت للوزر، و وصفه بأنه انقض ظهره بمعنى أثقله، و الانقاض الأثقال الذى ينتقض به ما حمل عليه، أنقض ينقض انقاضاً و النقض و الهدم واحد، و نقض المذهب إبطاله بما يفسده. و قال الحسن و مجاهد و قتادة و ابن زيد: معنى انقض أثقل، و بعير نقض سفر إذا أثقله السفر.

و قوله (وَ رَفَعْنا لَكَ ذِكْرَكَ) قال الحسن و مجاهد و قتادة: معناه إني لا اذكر إلا ذكرت معى يعنى ب (لا إله إلا اللَّه محمد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله).

و قوله (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً) يدل على أن التأويل فى قوله (وَ وَضَعْنا عَنْكَ وِزْرَكَ) ما قلناه، لأن اللَّه بشره أنه يكون مع العسر يسراً و روى عن ابن عباس أنه قال: لن يغلب عسر واحد يسرين، لأنه حمل العسر فى الآيتين على انه واحد لكونها بالألف و اللام، و اليسر منكر فى تثنية الفائدة، و الثانى غير الاول، و العسر صعوبة الامر و شدته، و اليسر سهولته.

ثم قال له (فَإِذا فَرَغْتَ فَانْصَبْ) قال ابن عباس: معناه فإذا فرغت من فرضك فانصب الى ما رغبك الله فيه من العمل. و قال قتادة: معناه فإذا فرغت من صلاتك فانصب الى ربك فى الدعاء. و قال مجاهد: معناه فإذا فرغت من أمر دنياك فانصب الى عبادة ربك. و معنى (فَانْصَبْ) ناصب يقال: ناله هم ناصب أى ذو

---

(۱) سورة ۷ الاعراف آية ۴۳

(۲) سورة ۴۳ الزخرف آية ۷۷

التبيان فى تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۳۷۴

نصب. و يقال: أنصبنى الهم فهو منصب قال الشاعر:

تعناك هم من أميمة منصب «۱»

و قال النابغة:

كلينى لهم يا اميمه ناصب «۲»

أى فيه نصب كقوله (عِيشَةٍ راضِيَةٍ) «۳» أى ذات رضى. و الخطاب و إن كان متوجهاً إلى النبى صلى اللَّه عليه و آله فالمراد به جميع المكلفين من أمته، و الفراغ انتفاء كون الشىء المضاد لكون غيره فى المحل. و نقيضه الشغل، و هو كون الشىء المضاد فى المحل و منه أخذ شغل الافعال، و لهذا لا يوصف تعالى بأنه يشغله شىء عن شىء، لأنه تعالى يخترع ما شاء من الافعال.

و قوله (وَ إِلى رَبِّكَ فَارْغَبْ) حث له على الرغبة فى الطلب من الله تعالى دون غيره.

---

(۱) مر فى ۸/ ۵۶۷

(۲) مر فى ۵/ ۳۶۸ و ۶/ ۹۵ ۳۲۹ و ۸/ ۱۲۲، ۵۶۷

(۳) سورة ۶۹ الحاقة آية ۲۱ و سورة ۱۰۱ القارعة آية ۷

التبيان فى تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۳۷۵

٩٥-سورة التين ..... ص: ٣٧٥

اشارة

مكية فى قول ابن عباس و الضحاك، و هى ثمان آيات بلا خلاف

[سورة التين (٩٥): الآيات ١ الى ٨] ..... ص: ٣٧٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
وَ التِّينِ وَ الزَّيْتُونِ (١) وَ طُورِ سِينِينَ (٢) وَ هذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤)
ثُمَّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ (٥) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٦) فَما يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ (٧) أَ لَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحاكِمِينَ (٨)

ثمان آيات.

هذا قسم من اللَّه تعالى بالتين و الزيتون، و قال الحسن و مجاهد و عكرمة و قتادة: هو التين الذى يؤكل و الزيتون الذى يعصر. و قال ابن زيد: التين مسجد دمشق و الزيتون بيت المقدس. قال الفراء: سمعت رجلا من أهل الشام، و كان صاحب تفسير، قال: التين جبال ما بين حلوان إلى همدان، و الزيتون الذى يعصر (وَ طُورِ سِينِينَ) هو قسم آخر. و قال مجاهد و قتادة (الطور) جبل. و (سِينِينَ) معناه مبارك، فكأنه قيل: جبل فيه الخير الكثير، لأنه أضافه إضافة تعريف. و قال الحسن: طُورِ سِينِينَ هو الجبل الذى كلم اللَّه عليه موسى بن عمران عليه السلام، فهو عظيم التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٣٧٦

الشأن. و قيل: سِينِينَ بمعنى حسن، لأنه كثير النبات و الشجر- فى قول عكرمة- و قوله (وَ هذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ) قسم آخر، و قال ابن عباس و مجاهد و قتادة و ابن زيد و ابراهيم: البلد الأمين مكة، و الأمين بمعنى آمن، كما قال اللَّه تعالى (أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنا حَرَماً آمِناً) «١» قال الشاعر:

أ لم تعلمى يا اسم ويحك اننى حلفت يميناً لا أخون أمينى «٢»

يريد أمنى، و قوله (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) جواب القسم قال ابن عباس: خلق اللَّه تعالى الإنسان فى أحسن تقويم منتصب القامة و سائر الحيوان منكب. و قال الفراء: معناه إنا لنبلغ بالآدمى أحسن تقويمه، و هو اعتداله و استواء شبابه، و هو أحسن ما يكون. و قال الحسن و مجاهد و قتادة: معناه فى أحسن صورة و التقويم تصبير الشيء على ما ينبغى أن يكون عليه من التأليف و التعديل، قومه تقويماً فاستقام، و تقوم.

و قوله (ثُمَّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ) قال ابن عباس و ابراهيم و قتادة: معناه إلى أرذل العمر، و قال الحسن و مجاهد و ابن زيد: ثم رددناه إلى النار فى أقبح صورة ثم استثنى من جملتهم (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا) باللَّه تعالى و أخلصوا العبادة له (وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ) أى و أضافوا إلى ذلك الاعمال الصالحات، و بين أن من هذه صفته (فَلَهُمْ أَجْرٌ) أى ثواب على طاعاتهم (غَيْرُ مَمْنُونٍ) أى غير منقوص. و قيل غير مقطوع، و قال مجاهد: غير محسوب، و قيل غير مكدر بما يؤذى و يغم.

و قوله (فَما يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ) معناه أى شيء يكذبك أيها الإنسان بعد هذه الحجج بالدين الذى هو الجزاء. و قال قتادة: معناه فمن يكذبك أيها الإنسان

---

(١) سورة ٢٩ العنكبوت آية ٦٧

(٢) تفسير القرطبى ٢٠/ ١١٣

التبیان فی تفسیر القرآن، ج ۱۰، ص: ۳۷۷

بعدها بالدین الذی هو الجزاء و الحساب، و هو قول الحسن و عکرمة.

و قوله (أَ لَیْسَ اللَّهُ بِأَحْکَمِ الْحاکِمِینَ) تقریر للإنسان علی الاعتراف بأنه تعالی أحکم الحاکمین صنعاً و تدبیراً، لأنه لا خلل فیه و لا اضطراب یخرج عما تقتضیه الحکمة و فی ذلک دلالة علی فساد مذهب المجبرة فی أن اللَّه یخلق الظلم و الفساد. و الحکم الخبر بما فیه فائدة بما تدعو الیه الحکمة، فإذا قیل: حکم جائر فهو بمنزلة حجة داحضة مجازاً بمعنی أنه حکم عند صاحبه کما أنها حجة عنده، و لیست حجة فی الحقیقة. و قیل:

المعنی أی شیء یکذبک بالدین، و یحملک علی جحد الجزاء یوم القیامة و أنا أحکم الحاکمین. و روی عن ابن عباس أنه کان إذا قرأ (أَ لَیْسَ اللَّهُ بِأَحْکَمِ الْحاکِمِینَ) قال: سبحانک اللهم بلی، و

روی أبو هریرة عن النبی صلی الله علیه و آله أنه قال (إذا قرأ أحدکم و التین و الزیتون فأتی علی آخرها فلیقل: بلی).

التبیان فی تفسیر القرآن، ج ۱۰، ص: ۳۷۸

۹۶-سورة العلق ..... ص: ۳۷۸

اشارة

مکیة فی قول ابن عباس و الضحاک، و هی تسع عشرة آیة فی الکوفی و البصری و عشرون فی المدنیین

[سورة العلق (۹۶): الآیات ۱ الی ۱۰] ..... ص: ۳۷۸

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ الَّذِی خَلَقَ (۱) خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ (۲) اقْرَأْ وَ رَبُّکَ الْأَکْرَمُ (۳) الَّذِی عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (۴)

عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ یَعْلَمْ (۵) کَلَّا إِنَّ الْإِنْسانَ لَیَطْغی (۶) أَنْ رَآهُ اسْتَغْنی (۷) إِنَّ إِلی رَبِّکَ الرُّجْعی (۸) أَ رَأَیْتَ الَّذِی یَنْهی (۹)

عَبْداً إِذا صَلَّی (۱۰)

عشر آیات.

روی عن عائشة و مجاهد و عطاء و ابن سیار: ان أول آیة نزلت قوله (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ الَّذِی خَلَقَ) و هو قول أکثر المفسرین. و قال قوم: أول ما نزل قوله (یا أَیُّهَا الْمُدَّثِّرُ) و قد ذکرناه فیما مضی.

هذا أمر من اللَّه تعالی لنبیه صلی الله علیه و آله ان یقرأ باسم ربه الذی خلق الخلق، و أن یدعوه بأسمائه الحسنی. و فی تعظیم الاسم تعظیم المسمی، لأن الاسم وصف لیذکر به المسمی بما لا سبیل إلی تعظیمه إلا بمعناه، فلهذا لا یعظم اسم اللَّه حق التبیان فی تفسیر القرآن، ج ۱۰، ص: ۳۷۹

تعظیمه إلا من هو عارف به و معتقد لعبادة ربه، فهو معتقد بتعظیم المسمی لا وجه له یعتد به إلا تعظیم المسمی، و لهذا قال اللَّه تعالی (قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمنَ أَیًّا ما تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنی) «۱» و قال (فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّکَ) «۲» و قال اللَّه تعالی (تَبارَکَ اسْمُ رَبِّکَ ذِی الْجَلالِ وَ الْإِکْرامِ) «۳» و الباء زائدة، و تقدیره اقرأ اسم ربک.

و قوله (الذی خلق) فی موضع جر، نعت ل (ربک) الذی خلق الخلائق و أخرجهم من العدم إلی الوجود. و قوله (خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ) تخصیص لبعض ما ذکره بقوله (الذی خلق) لأنه یشتمل علی الإنسان و غیره، و إنما أفرد الإنسان بالذکر تشریفاً له و تنبیهاً علی ما خصه اللَّه به من سائر الحیوان، و بین أنه مع ذلک خلقه اللَّه من علق، و هو القطعة الجامدة من الدم، و إنما قال (علق) و هو جمع

علقة لأن المراد بالإنسان الجمع، لأنه اسم جنس، و سمى به قطع الدم التى تعلق لرطوبتها بما تمر به، فإذا جفت لا تسمى علقاً، و واحدها (علقة) مثل شجرة و شجر. و علق فى معنى الجمع، لان الإنسان جمع على طريق الجنس، و النطفة تستحيل فى الرحم علقة ثم مضغة و يسمى ضرب من الدود الأسود العلق، لأنه يعلق على الشفتين لداء يصيبها فيمتص الدم. و فى خلق الإنسان من علق دليل على ما يصح أن ينقلب اليه الجوهر.

و قوله (اقْرَأْ وَ رَبُّكَ الْأَكْرَمُ) معناه اقرأ القرآن و ربك الأكرم و معنى الأكرم:

الأعظم كرماً و فى صفة اللَّه تعالى معناه الأعظم كرماً بما لا يبلغه كرم، الذى يثيبك على عملك بما يقتضيه كرمه، لأنه يعطى من النعم ما لا يقدر على مثله غيره، فكل نعمة من جهته تعالى، إما بأن اخترعها أو سببها و سهل الطريق اليها.

---

(١) سورة ١٧ الإسراء آية ١١٠

(٢) سورة ٦٩ الحاقة آية ٥٢

(٣) سورة ٥٥ الرحمن آية ٧٨

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٣٨٠

و قوله (الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ) (الذى) فى موضع رفع، لأنه نعت لقوله (و ربك) و المعنى إنه تعالى امتن على خلقه بما علمهم من كيفية الكتابة بالقلم، لما فى ذلك من كثرة الانتفاع لخلقه، فقد نوّه اللَّه بذكر القلم إذ ذكره فى كتابه، و قد وصف بعض الشعراء القلم فقال:

لعاب الافاعى القاتلات لعابه و أرى الجنا اشتارته أيد عواسل

و قوله (عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ) امتنان من اللَّه تعالى على خلقه بأن علمهم ما لم يكونوا عالمين به إما بخلق العلوم فى قلوبهم من الضروريات أو بنصب الأدلة لهم على الوصول اليها فيما لم يعلموه ضرورة، و ذلك من أعظم نعم اللَّه تعالى على خلقه. و فى ذلك دلالة على انه تعالى عالم لان العلم لا يقع إلا من عالم.

و قوله (كلا) ردع و زجر و تقديره ارتدعوا و انزجروا معاشر المكلفين، ثم اخبر (إِنَّ الْإِنْسانَ لَيَطْغى) و يحتمل أن يكون بمعنى حقاً على وجه القسم بأن الإنسان ليطغى أى ليجاوز الحد فى العصيان و الخروج عن الطاعة (أَنْ رَآهُ اسْتَغْنى) أى إذا كثر ماله و استغنى بطر و طغى، و خرج عن الحد المحدود له، و يجوز أن يقال: زيد رآه استغنى من الرؤية بمعنى العلم، و لا يجوز من رؤية العين، زيد (رآه) حتى تقول رأى نفسه، لان الذى يحتاج إلى خبر جاز فيه الضمير المتصل لطول الكلام بلزوم المفعول الثانى. و قرأ ابو عمرو (رآه) بفتح الراء و كسر الهمزة.

و قرأ نافع و حفص عن عاصم بالفتح فيهما. الباقون بفتح الراء و بعد الهمزة الف على وزن (وعاه) على إمالة الفتحة، و ابو عمرو يميل الالف.

ثم قال على وجه التهديد لهم (إِنَّ إِلى رَبِّكَ الرُّجْعى)

فالرجعى و المرجع و الرجوع واحد أى مصيرهم و مرجعهم إلى اللَّه فيجازيهم اللَّه على أفعالهم على الطاعات بالثواب، و على المعاصى بالعقاب. التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٣٨١

و قوله (أَ رَأَيْتَ الَّذِي يَنْهى عَبْداً إِذا صَلَّى) تقرير للنبى صلى الله عليه و آله و إعلام له ما يفعله بمن ينهاه عن الصلاة. و قيل: إن الآيات نزلت فى أبى جهل بن هشام، و المراد بالعبد فى الآية النبى صلى الله عليه و آله

فان أبا جهل كان ينهى النبى صلى الله عليه و آله عن الصلاة و كان النبى صلى اللَّه عليه و آله لما قال ابو جهل: أ لم أنهك عن الصلاة انتهره و اغلظ له، فقال أبو جهل، أنا اكثر أهل هذا الوادى نادياً- ذكره ابن عباس و قتادة-

و المعنى أ رأيت يا محمد صلى اللَّه عليه و آله من فعل ما ذكرناه من منع الصلاة، و ينهى المصلين عنها؟

ما ذا یکون جزاؤه؟ و ما یکون حاله عند اللَّه؟ و ما الذی یستحقه من العقاب؟.

قوله تعالی:[سورة العلق (٩٦): الآیات ١١ الی ١٩] ..... ص: ٣٨١

أَ رَأَیْتَ إِنْ کانَ عَلَی الْهُدی (١١) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوی (١٢) أَ رَأَیْتَ إِنْ کَذَّبَ وَ تَوَلَّی (١٣) أَ لَمْ یَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ یَری (١٤) کَلَّا لَئِنْ لَمْ یَنْتَهِ لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِیَةِ (١٥)

ناصِیَةٍ کاذِبَةٍ خاطِئَةٍ (١٦) فَلْیَدْعُ نادِیَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبانِیَةَ (١٨) کَلَّا لا تُطِعْهُ وَ اسْجُدْ وَ اقْتَرِبْ (١٩)

تسع آیات.

لما قال للنبی صلی اللَّه علیه و آله (أَ رَأَیْتَ الَّذِی یَنْهی عَبْداً إِذا صَلَّی) بین ما ینبغی أن یقال له فانه یقال له (أَ رَأَیْتَ إِنْ کانَ) هذا الذی صلی (عَلَی الْهُدی) و الطریقة الصحیحة (أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوی) أی بأن یتقی معاصی اللَّه کیف یکون حال من ینهاه عن الصلاة و یزجره عنها؟! ثم قال للنبی صلی اللَّه علیه و آله (أَ رَأَیْتَ إِنْ کَذَّبَ وَ تَوَلَّی) بما یقال له و أعرض عن قبوله. و الإصغاء الیه (أَ لَمْ یَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ یَری) أی یعلم ما یفعله و یدرک ما یصنعه، فالهدی البیان عن الطریق المؤدی إلی الغرض الحکمی یقال: التبیان فی تفسیر القرآن، ج ١٠، ص: ٣٨٢

هداه إلی الحق فی الدین یهدیه هدی، و العمل بالبیان عن طریق الرشد هدی، و کذلک باللطف فیه. و التقوی تجنب ما یؤدی إلی الردی، اتقاه اتقاء و تقوی و الأصل وقیاً. فأبدلت الواو تاء، و الیاء واواً، لأن التاء أحسن أولا من الواو مع مناسبتها بالقرب و امتناع المخرج، و التقدیر أ رأیت الذی فعل هذا الفعل ما الذی یستحق بذلک من اللَّه من العقاب. ثم قال علی وجه التهدید (کَلَّا لَئِنْ لَمْ یَنْتَهِ) عن هذا الفعل و القول (لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِیَةِ) أی لنغیرن بها إلی حال تشویه، یقال:

سفعته النار و الشمس إذا غیرت وجهه إلی حال تشویه، و قیل: هو أن یجر بناصیته إلی النار، و الناصیة شعر مقدم الرأس. و هو من ناصی یناصی مناصاة إذا واصل قال الراجز:

قیّ یناصیها بلاد قیّ «١»

فالناصیة متصلة بشعر الرأس. و قوله (ناصیة) بدل من (الناصیة) بدل النکرة من المعرفة و وصفها بأنها (کاذِبَةٍ خاطِئَةٍ) و معناه أن صاحبها کاذب فی أقواله خاطئ فی أفعاله و أضاف الفعل الیها لما ذکر الخبر بها. و قوله (فَلْیَدْعُ نادِیَهُ) وعید للذی قال: أنا اکثر هذا الوادی نادیاً بأن قیل له (فَلْیَدْعُ نادِیَهُ) إذا حل عقاب اللَّه به. و قال ابو عبیدة: تقدیره، فلیدع أهل نادیه، کقوله (وَ سْئَلِ الْقَرْیَةَ) «٢» و النادی الفناء و منه قوله (وَ تَأْتُونَ فِی نادِیکُمُ الْمُنْکَرَ) «٣» ثم قال «سَنَدْعُ» نحن (الزَّبانِیَةَ) یعنی الملائکة الموکلین بالنار- فی قول ابن عباس و قتادة و مجاهد و الضحاک- و قال ابو عبیدة: واحد الزبانیة زبینة، و قال الکسائی واحدهم زبنی.

و قال الأخفش: واحدهم زابن. و قیل: زبنیة. و یجوز أن یکون اسماً للجمع مثل

---

(١) مر فی ٦/ ١١ و ٩/ ٤٧٧، ٥٠٨ [.....]

(٢) سورة ١٢ یوسف آیة ٨٢

(٣) سورة ٢٩ العنکبوت آیة ٢٩

التبیان فی تفسیر القرآن، ج ١٠، ص: ٣٨٣

أبابیل، و الزبن الدفع، و الناقة تزبن الحالب أی ترکضه برجلها، و قال الشاعر:

و مستعجب مما یری من أناتنا و لو زبنته الحرب لم یترمرم

ثم قال (کَلَّا) أی ارتدع و انزجر ف (لا تُطِعْهُ) أی لا تطع هذا الکافر، فانه لیس الامر علی ما یظن هذا الکافر و هو أبو جهل الذی نزلت

الآيات فيه «وَ اسْجُدْ» للّٰه تعالى و أطعه «وَ اقْتَرِبْ» من ثوابه بطاعته. و قيل: معناه تقرب اليه بطاعته دون الرياء و السمعة. و السجود- هنا- فرض و هو من العزائم، و هى أربعة مواضع: ألم تنزيل، و حم السجدة، و النجم، و اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ. و ما عداها فى جميع القرآن مسنون ليس بمفروض. و فيه خلاف ذكرناه فى الخلاف.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٣٨۴

٩٧-سورة القدر ..... ص: ٣٨۴

اشارة

مدنية فى قول الضحاك. و قال عطاء الخراسانى هى مكية، و هى خمس آيات بلا خلاف.

[سورة القدر (٩٧): الآيات ١ الى ۵] ..... ص: ٣٨۴

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

إِنّٰا أَنْزَلْنٰاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَ مٰا أَدْرٰاكَ مٰا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنَزَّلُ الْمَلاٰئِكَةُ وَ الرُّوحُ فِيهٰا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (۴)

سَلاٰمٌ هِيَ حَتّٰى مَطْلَعِ الْفَجْرِ (۵)

خمس آيات قرأ الكسائى و خلف «مطلع الفجر» بكسر اللام على معنى وقت طلوعه.

الباقون بالفتح على المصدر، و روى عن ابن عباس انه قرأ «من كل امرئ» بمعنى من الملائكة. الباقون «من كل أمر» بمعنى الواحد من الأمور.

يقول اللّٰه تعالى مخبراً انه أنزل القرآن فى ليلة القدر، فالهاء كناية عن القرآن، و إنما كنى عما لم يجر له ذكر، لأنه معلوم لا يشتبه الحال فيه. و قال ابن عباس:

أنزل اللّٰه القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا فى ليلة القدر، و قال الشعبى: إنا ابتدأنا إنزاله فى ليلة القدر، و ليلة القدر هى الليلة التى يحكم اللّٰه فيها و يقضى بما يكون فى السنة بأجمعها من كل أمر- فى قول الحسن و مجاهد- يقال: قدر اللّٰه هذا الأمر يقدره قدراً إذا جعله على مقدار ما تدعو اليه الحكمة. و قيل: فسر اللّٰه تعالى ليلة التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٣٨۵

القدر بقوله «فِيهٰا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ» «١» و قيل: سميت ليلة القدر لعظم شأنها و جلالة موقعها من قولهم: فلان له قدر و الأول أظهر، و ليلة القدر فى العشر الأواخر من شهر رمضان بلا خلاف، و هى ليلة الافراد بلا خلاف، و قال أصحابنا: هى احدى الليلتين إما ليلة احدى و عشرين أو ثلاث و عشرين، و جوز قوم: أن يكون سائر ليالى الافراد إحدى و عشرين و ثلاث و عشرين، و خمس و عشرين، و سبع و عشرين و تسع و عشرين، و جوزوا أيضاً تقديمها فى سنة و تأخيرها فى أخرى، و إنما لم تعين هذه الليلة ليتوفر العباد على العمل فى سائر الليالى. و القدر كون الشىء على مساواة غيره من غير زيادة و لا نقصان، ففى ليلة القدر تجدد الأمور على مقاديرها جعلها اللّٰه فى الآجال و الأرزاق و المواهب التى يجعلها اللّٰه للعباد، و يقع فيها غفران السيئات و يعظم منزلة الحسنات على ما لا يقع فى ليلة من الليالى، فينبغى للعاقل أن يرغب فيما رغبه اللّٰه بالمبادرة إلى ما أمر به على ما شرط فيه. و الأوقات إنما يفضل بعضها على بعض بما يكون من الخير الجزيل و النفع الكثير فيها دون غيرها فلما جعل اللّٰه تعالى الخير الكثير يقسم فى ليلة القدر بما جعله اللّٰه فيها من هذا المعنى، و لذلك قال «وَ مٰا أَدْرٰاكَ مٰا لَيْلَةُ الْقَدْرِ» تعظيماً لشأنها و تفخيماً، و انك يا محمد لا تعلم حقيقة ذلك.

ثم بين تعالى ذلك فقال «لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ» و المعنى إن الثواب على الطاعة فيها خير يفضل على ثواب كل طاعة تفعل فى

الف شـهر ليس فيها ليلـة القـدر. و قيل إن اللّه يتفضل على خلقه فى هـذه الليلـة و ينعم عليهم بما لا يفعل فى الف شـهر ليس فيها ليلة القدر ربما لا يكون مثله فى الف شهر و كانت أفضل من الف شهر

---

(١) سورة ۴۴ الدخان آية ۴

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٣٨۶

ليس فيها ليلة القدر. و الشـهر فى الشـرع عبارة عن ما بين هلالين من الأيام، و سمى شهراً لاشتهاره بالهلال. و قد يكون الشهر ثلاثين و يكون تسـعة و عشـرين إذا كانت هلاليـة، فان لم تكن هلاليـة فهى ثلاثون. و قوله «تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَ الرُّوحُ فِيها» معناه تنزل الملائكة و الروح الـذى هو جبرائيل بكل أمر فى ليلـة القـدر إلى سـماء الدنيا حتى يعلمه أهل سـماء الدنيا، فيكون لطفاً لهم و حتى يتصوره العباد ينزل بأمر اللّه اليها، فتنصرف آمالهم إلى ما يكون منها فيقوى رجاؤهم بما يتجدد من تفضل اللّه فيها.

و قيل: إن نزولها بالسـلامة و الخير و البركـة إلى تلك الساعة «بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ» أى ما ينزلون به كله بأمر اللّه، و يكون الوقف- هاهنا- تاماً على ما قرأ به القراء المشهورون، و على ما حكيناه عن ابن عباس و هو قول عكرمة و الضحاك:

لا يكون تاماً.

و قوله «سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ» قيل هو سـلام الملائكة عليهم السـلام بعضـهم على بعض إلى طلوع الفجر. و قيل: معناه سلام هى من الشـر حتى مطلع الفجر- ذكره قتادة- و قيل إن فضل الصلاة فيها و العبادات على الف شهر يراد بها الى وقت طلوع الفجر، و ليست كسـائر الليـالى التى فضـلت بالعبـادة فى بعضـها على بعض و المطلع الطلوع، و المطلع موضع الطلوع، و جر (مطلع) ب (حتى) لأنها إذا كانت بمعنى الغاية خفضت الاسم بإضمار (الى) و نصبت الفعل بإضمار (الى أن) كقولك:

دخلت الكوفة حتى مسجدها، أى حتى انتهيت إلى مسجدها، و الفعل كقولك:

أسير حتى أدخلها، بمعنى الى ان أدخلها.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٣٨٧

٩٨-سورة البيّنة ..... ص: ٣٨٧

اشارة

مدنية فى قول ابن عباس و الضحاك، و هى ثمان آيات فى الكوفى و المدنيين، و تسع فى البصرى

[سورة البينة (٩٨): الآيات ١ الى ٨] ..... ص: ٣٨٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ وَ الْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ (١) رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفاً مُطَهَّرَةً (٢) فِيها كُتُبٌ قَيِّمَةٌ (٣) وَ ما تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ (۴)

وَ ما أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفاءَ وَ يُقِيمُوا الصَّلاةَ وَ يُؤْتُوا الزَّكاةَ وَ ذلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (۵) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ وَ الْمُشْرِكِينَ فِي نارِ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها أُولئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (۶) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ أُولئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (٧) جَزاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ ذلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ (٨)

ثمان آيات. التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٣٨٨

قرأ نـافع و ابن عـامر- فى روايـة ابن ذكوان «خير البرئيـة» و «شـر البرئيـة» مهموزتان الباقون بغير همز. من همز جعله من (برأ اللَّه الخلق يبرؤهم) و منه البـارئ و من لـم يهمز يجوز أن يكون خفف. و يجوز أن يكون من البرى الـذى هو التراب، كمـا يقـال: بغـاك من سار إلى القوم البرىء، و روى أبو نشـيط من طريق القرطى «لمن خشـى ربه» بضم الهاء من غير إشباع. الباقون بضم الهاء، و وصلها بواو فى اللفـظ يقول اللَّه تعـالى «لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتـابِ وَ الْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَـأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَـةُ» قـال الحسن و قتادة معناه لم يكونوا منتهين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة. و قال قوم: معناه لم يكونوا منفكين من كفرهم أى زائلين. و قيل: معناه لم يكونوا ليتركوا منفكين من حجج اللَّه حتى تأتيهم البينة التى تقوم بها الحجة عليهم و قال الفراء: منعاه لم يكونوا منفكين من حجج اللَّه بصـفتهم للنبى صلى اللَّه عليه و آله أنه فى كتابهم و قيل معناه لم يكونوا زائلين من الـدنيا، و الانفكاك على وجهين: على لا يزال و لا بد لها من خبر و حرف الجحد. و يكون على الانفصال فلا يحتاج إلى خبر و لا حرف جحد، كقولك انفك الشيء من الشيء قال ذو الرمة:

قلائص ما تنفك إلا مناخة على الخسف أو يرمى بها بلداً قفرا «١»

فجعله الفراء من (انفك الشـيء من الشـيء) و جعله غيره من (ما يزال) إلا أنه ضرورة. و الانفكاك انفصال عن شدة اجتماع. و اكثر ما يستعمل ذلك فى النفى كما أن (ما زال) كذلك تقول: ما انفك من هذا الأمر أى ما انفصل منه لشدة ملابسته له. و المعنى أن هؤلاء الكفار من أهل الكتاب يعنى اليهود و النصارى و من المشـركين يعنى عباد الأصنام لا يفارقون الكفر إلى أن تأتيهم البينة يعنى الحجج الظاهرة التى يتميز بها الحق من الباطل، و هى من البينونة. و فصل الشيء من غيره

---

(١) ديوانه ١٧٣ (كمبريج) و روايته (حراجيج) بدل (قلائص)

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٣٨٩

فالنبى صـلى اللَّه عليه و آله حجـة و بينـة، و إقامـة الشـهادة العادلـة بينـة، و كل برهان و دلالة فهو بينة، و قوله «رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ» هو بيان تلك البينة، بينها بأنه رسول من قبل اللَّه يتلو عليهم صحفاً مطهرة، يعنى فى السماء لا يمسها إلا الملائكة المطهرون من الانجاس و قوله «فِيها كُتُبٌ قَيِّمَـةٌ» معناه فى تلك الصـحف كتب جمع كتاب «قَيِّمَـةٌ» فالقيمـة المسـتمرة فى جهة الصواب، فهو على وزن (فيعلة) من قام الأمر يقوم به إذا أجراه فى جهـة الاسـتقامة. و قال قتادة: صـحفاً مطهرة يعنى من الباطل و هو القرآن يـذكره بأحسن الذكر و يثنى عليه بأحسن الثناء.

و قوله «وَ ما تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ» اخبار من اللَّه تعالى أن هؤلاء الكفار لم يختلفوا فى نبوة النبى صلى اللَّه عليه و آله لأـنهم مجمعين على نبـوته بمـا وجـدوه فى كتبهم من صـفاته، فلمـا أتـاهم بالبينـة الظـاهرة و المعجزة القـاهرة تفرقـوا و اختلفوا، فـآمن بعضـهم و كفر بعضـهم. و فى ذلـك دلالـة على بطلاـن قول من يقول: إن الكفـار خلقوا كفاراً فى بطون أمهاتهم، لأنه تعـالى بين أنهم لم يختلفوا فى ذلـك قبـل مجىء معجزاته و أدلته، و لاـ يلزم على ذلك أن يكون مجيئ الآيات مفسـدة من حيث وقع الفسـاد عنـدها، لأنه ليس حـد المفسـدة ما يقع عنـده الفساد، بل حـده ما يقع عنـده الفساد و لولاه لم يقع، من غير أن يكون تمكيناً، و هاهنا المعجزات تمكين فلم يكن مفسدة.

ثم قال تعالى «وَ ما أُمِرُوا» أى لم يأمرهم اللَّه تعالى «إِلَّا لِيَعْبُـدُوا اللَّهَ» وحـده و لا يشـركوا بعبادته غيره «مُخْلِصِـينَ لَهُ الـدِّينَ» لا يخلطون بعبادته عبادة سواه.

و قوله «حُنَفـاءَ» جمع حنيف، و هو المائل إلى الحق، و الحنفيـة الشـريعة المائلـة إلى الحق، و أصـله الميل، و من ذلك الأحنف: المائل القدم إلى جهة القدم الاخرى.

و قيل: أصله الاستقامة، و إنما قيل للمائل القدم أحنف على وجه التفاؤل، و قوله التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٣٩٠

«وَ يُقِيمُوا الصَّلاةَ» أى يـدوموا عليها و يقوموا بحـدودها «وَ يُؤْتُوا الزَّكاةَ» المفروضة من أموالهم. ثم قال «وَ ذلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ» أى ذلك

الذى تقدم ذكره دين القيمة و تقديره ذلك دين الملة القيمة و الشريعة القيمة.

و قوله «وَ ما أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ» دليل على فساد مذهب المجبرة: ان اللّه خلق الكفار ليكفروا به، لأنه صرح هاهنا أنه خلقهم ليعبدوه. و ليس فى الآية دلالة على أن أفعال الجوارح من الايمان، و لا من الدين، لأنه يجوز أن يكون المراد «وَ ذلِكَ» إشارة إلى الدين، و تقديره و الدين بذلك هو دين القيمة، لأن من لا يعتقد جميع ذلك و يؤمن بجميع ما يجب عليه فليس بمسلم. و قد تقدم قوله «مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ» ثم قال «وَ ذلِكَ» يعنى و ذلك الدين «دِينُ الْقَيِّمَةِ» و ليس يلزم أن يكون راجعاً إلى جميع ما تقدم، كما لا يلزم على مذهبهم فى قوله «وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ يَلْقَ أَثاماً» «١» أن يكون راجعاً إلى الشرك، و قتل النفس و الزنا، بل عندهم يرجع إلى كل واحد من ذلك. فكذلك- هاهنا- و قد استوفينا ما يتعلق بذلك فى كتاب الأصول.

و فى الآية دلالة على وجوب النية فى الطهارة، لأنه بين تعالى أنه أمرهم بالعبادة على الإخلاص، و لا يمكن ذلك إلا بالنية و القربة، و الطهارة عبادة

لقوله صلى اللّه عليه و آله (الوضوء شطر الايمان)

و ما هو شطر الايمان لا يكون إلا عبادة.

ثم اخبر تعالى عن حال الكفار و المشركين فقال «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ وَ الْمُشْرِكِينَ» يعنى من جحد توحيد اللّه و أنكر نبوة نبيه و أشرك معه إلهاً آخر فى العبادة «فِي نارِ جَهَنَّمَ» معاقبين فيها جزاء على كفرهم «خالِدِينَ فِيها» أى مؤبدين لا يفنى عقابهم. ثم قال «أُولئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ» أى شر الخليقة، و البرية

---

(١) سورة ٢٥ الفرقان آية ٦٨

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٣٩١

(فعيلة) من برأ اللّه الخلق إلا أنه ترك فيهما الهمز، و من همز فعلى الأصل. و يجوز أن يكون (فعيلة) من البرى و هو التراب.

ثم أخبر عن حال المؤمنين فقال «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا» باللّه و أقروا بتوحيده و اعترفوا بنبوة نبيه «وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ أُولئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ» أى هم أحسنهم حالة. و إنما أطلق بأنهم خير البرية، لان البرية هم الخلق، و لا يخلوا أن لا يكونوا مكلفين، فالمؤمن خير منهم لا محالة. و إن كانوا مكلفين: فاما أن يكونوا مؤمنين أو كافرين أو مستضعفين، فالمؤمن خيرهم أيضاً لا محالة بما معه من الثواب.

و قوله «جَزاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ» يعنى جزاء إيمانهم و طاعاتهم عند اللّه يوفيهم اللّه يوم القيامة، ثم فسر ذلك الجزاء فقال «جَنَّاتُ عَدْنٍ» أى بساتين إقامة «خالِدِينَ فِيها» أى مؤبدين فيها «أَبَداً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ» أى رضى أفعالهم «وَ رَضُوا عَنْهُ» بما فعل بهم من الثواب. و الرضا هو الارادة، إلا أنها لا تسمى بذلك إلا إذا وقع مرادها، و لم يتعقبها كراهية، فتسمى حينئذ رضا، فأما الارادة لما يقع فى الحال او فيما يفعل بعد، فلا تسمى رضا، فرضى اللّه عن العباد إرادته منهم الطاعات التى فعلوها، و رضاهم عنه إرادتهم الثواب الذى فعله بهم، ثم قال «ذلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ» أى ذلك الرضا و الثواب و الخلود فى الجنة لمن خاف اللّه فترك معاصيه و فعل طاعاته.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٣٩٢

٩٩-سورة الزلزال ..... ص: ٣٩٢

اشارة

مدنية فى قول ابن عباس و قال الضحاك مكية، و هى ثمان آيات فى الكوفى و المدنى الأول، و تسع آيات فى البصرى و المدنى الأخير

[سورة الزلزلة (۹۹): الآيات ۱ الى ۸] ..... ص: ۳۹۲

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
إِذا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزالَها (۱) وَ أَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقالَها (۲) وَ قالَ الْإِنْسانُ ما لَها (۳) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبارَها (۴)
بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحى لَها (۵) يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتاتاً لِيُرَوْا أَعْمالَهُمْ (۶) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ (۷) وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (۸)

ثمان آيات.

قرأ عاصم فى رواية أبان عنه «خيراً يره و شرّاً يره» بضم الياء فيهما بمعنى انه يريه غيره. الباقون بفتح الياء بمعنى أنه يراه و يبصره. و قرأ ابن عامر- فى رواية هشام- و ابن عامر و الكسائى عن أبى بكر- بسكون الهاء- فى قوله «خيراً يره، و شراً يره» الباقون بالإشباع فيهما. قال ابو على: الاشباع هو الأصل، و هو الوجه، كما تقول: اكرمهو، و ضربهو. و إنما يجوز إسكانها فى الشعر. و قد حكى ابو الحسن أنها لغة رديئة فمن سكن فعلى هذه اللغة. و قرأ ابو جعفر من طريق التبيان فى تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۳۹۳
ابن العلاف و روح- بضم الياء- من غير صلة بواو فيهما و قد بينا الوجه فيه.

يقول اللَّه تعالى مخوفاً لعباده أهوال يوم القيامة و منذراً لهم بالآيات الباهرة بأن قال «إِذا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزالَها» فالزلزلة شدة الاضطراب بما يهدم البنيان زلزل يزلزل زلزالا، فكأنه مكرر (زل، يزل) للتكثير و التعظيم، و الزلزال- بكسر الزاى- المصدر، و بالفتح الاسم، و قال الحسن: زلزلت و رجت و رجفت بمعنى واحد و قوله «وَ أَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقالَها» قال ابن عباس و مجاهد: معناه أخرجت موتاها، و أثقال الأرض ما فيها مدفون من الموتى و غيرها، فان الأرض تلفظ بكل ما فيها عند انقضاء أمر الدنيا، و تجديد أمر الآخرة.

و قوله «وَ قالَ الْإِنْسانُ ما لَها» معناه يقول الإنسان: أى شيء اصارها إلى هذه الحالة التى ترى بها، يقول الإنسان ذلك متعجباً من عظم شأنها و أنه لأمر عظيم لفظت بما فيها، و تخلت من جميع الأمور التى استودعها. و قوله «يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبارَها» قيل معناه يظهر بالدليل الذى يجعله اللَّه فيها ما يقوم مقام اخبارها بأن أمر الدنيا قد انقضى و أمر الآخرة قد أتى، و انه لا بد من الجزاء و أن الفوز لمن اتقى و أن النار لمن عصى، و قيل: معناه تحدث أخبارها بمن عصا عليها إما بأن يقلبها حيواناً قادراً على الكلام فتتكلم بذلك أو يحدث اللَّه تعالى الكلام فيها، و نسبه اليها مجازاً او يظهر فيها ما يقوم مقام الكلام فعبر عنه بالكلام، كما قال الشاعر:

امتلأ الحوض و قال قطنى مهلا رويداً قد ملأت بطنى «۱»

و قال آخر:

---

(۱) مر فى ۱/ ۲۳۱ و ۸/ ۸۵، ۳۶۹، ۴۷۱ و ۹/ ۱۱۱، ۳۶۹

التبيان فى تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۳۹۴

و قالت له العينان سمعاً و طاعة «۱»

و يقولون عيناك تشهد لسهرك، و غير ذلك مما قد مضى نظائره. و قال ابن مسعود: الأرض تتكلم يومئذ، فتقول أمرنى اللَّه بهذا. و قوله «بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحى لَها» معناه إن الأرض تحدث بهذا، فتقول: إن ربك يا محمد أوحى اليها.

قال العجاج:

وحى لها القرار فاستقرت «۲»

أى أوحى اليها بمعنى القى إليها من جهة تخفى يقال: أوحى و وحى بمعنى واحد، ثم قال تعالى «يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتاتاً لِيُرَوْا أَعْمالَهُمْ» اخبار من اللَّه تعالى بأن ذلك اليوم يصدر الناس اشتاتاً أى مختلفين «لِيُرَوْا أَعْمالَهُمْ» أى ليجازوا على أعمالهم او ليريهم اللَّه جزاء أعمالهم، و قيل: معنى رؤية الأعمال المعرفة بها عند تلك الحال، و هى رؤية القلب، و يجوز أن يكون التأويل على رؤية العين

بمعنى ليروا صحائف أعمالهم يقرؤن ما فيها لقوله «و قالوا ما لِهذَا الْكِتابِ لا يُغادِرُ صَغِيرَةً وَ لا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصاها» و قيل ليروا جزاء أعمالهم حسب ما قدمناه، و قيل يرى الكافر حسناته فيتحسر عليها، لأنها محبطة، و يرى المحسن سيئاته مكفرة و حسناته مثبتة ثم قال تعالى على وجه الوعيد «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ» قال ابو عبيدة: مثقال ذرة شراً يره أى يرى ما يستحق عليه من العقاب، و يمكن أن يستدل بذلك على بطلان الإحباط، لان عموم الآية يدل أنه لا يفعل شيئاً من طاعة أو معصية إلا و يجازى عليها و على مذهب القائلين بالإحباط بخلاف ذلك، فان ما يقع محبطاً لا يجازى عليه و لا يدل على أنه لا يجوز

---

(١) مر فى ١/ ٤٣١ و ۶/ ۴۵ و ٨/ ۴٧١، ۴٧٩

(٢) مر فى ٢/ ۴۵٩ و ٣/ ٨۴ و ۴/ ۶١ و ۶/ ۴٠٣

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٣٩۵

أن يعفى عن مرتكب كبيرة، لأن الآية مخصوصة بلا خلاف، لأنه ان تاب عفى عنه و قد شرطوا أن لا يكون معصية صغيرة، فإذا شرطوا الامرين جاز أن نخص من يعفو اللّه عنه.

١٠٠-سورة العاديات ..... ص: ٣٩۵

اشارة

مكية فى قول ابن عباس و قال الضحاك: هى مدنية، و هى إحدى عشرة آية بلا خلاف

[سورة العاديات (١٠٠): الآيات ١ الى ١١] ..... ص: ٣٩۵

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
وَ الْعادِياتِ ضَبْحاً (١) فَالْمُورِياتِ قَدْحاً (٢) فَالْمُغِيراتِ صُبْحاً (٣) فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً (۴)
فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً (۵) إِنَّ الْإِنْسانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (۶) وَ إِنَّهُ عَلى ذلِكَ لَشَهِيدٌ (٧) وَ إِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (٨) أَ فَلا يَعْلَمُ إِذا بُعْثِرَ ما فِي الْقُبُورِ (٩)
وَ حُصِّلَ ما فِي الصُّدُورِ (١٠) إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ (١١)

احدى عشرة آية.

قوله «وَ الْعادِياتِ ضَبْحاً» قسم من اللّه تعالى بالعاديات. قال ابن عباس و مجاهد و قتادة و عطاء: يعنى الخيل تضبح ضبحاً، فضبحاً نصب على المصدر. و قال التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٣٩۶

عبد اللّه بن مسعود: يعنى الإبل، فعلى قول ابن عباس أراد ضبح الخيل فى الجهاد و الحرب، و قال ابن مسعود: أراد ضبح الإبل فى طريق الحج. و

روى عن على عليه السلام أن المراد به الإبل، لأنه لم يكن يومئذ خيل للمسلمين.

و الضبح فى الخيل اظهر عند أهل اللغة. و

روى عن على عليه السلام أن الضبح فى الخيل الحمحمة عند العدو

و قيل الضبح شدة النفس عند العدو. و ضبحت الخيل تضبح ضبحاً و ضباحاً. و قال أبو عبيدة: ضبح و ضبع بمعنى واحد أى تمد أضباعها فى السير.

و قوله «فَالْمُورِياتِ قَدْحاً» معناه المظهرات بسنابكها النار قدحاً، يقال:

أورى القادح النار يورى إيراء إذا قدح قدحاً، و تسمى تلك النار نار الحباحب لضعفها، قال النابغة:

تجذ السلوقى المضاعف نسجه و يوقدن بالصفاح نار الحباحب «١»

و هو رجل بخيل كانت ناره ضعيفة لئلا يراها الأضياف. و قال قتادة و الضحاك و عطاء «فَالْمُورِياتِ قَدْحاً» الخيل حين تورى النار بسنابكها، و قال ابن عباس: هم الذين يورون النار بعد انصرافهم من الحرب، و قال مجاهد: يعنى إبطال الرجال، و قال عكرمة: الاسنة.

و قوله «فَالْمُغِيراتِ صُبْحاً» قال ابن عباس: يعنى الخيل فى سبيل اللَّه. و قيل:

إنما ذكر (صبحاً) لأنهم كانوا يسيرون إلى العدو ليلا فيأتوهم صبحاً، و قيل: إنهم لعزهم أغاروا نهاراً، و قيل إنما أقسم بالمغيرات صبحاً لعظم شأنها فى الغارة على أعداء اللَّه من المشركين و معناه أمر الغارة عظيم، و إنما القسم تنبيه على عظم الشأن و تأكيد للاخبار.

و قوله «فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً» إخبار منه تعالى أن هذه الخيل تثير الغبار بعدوها

---

(١) مر فى ۶/ ۷۱

و سمى الغبار النقع، لأنه يغوص فيه صاحبه كما يغوص فى الماء يقال: نقعه ينقعه نقعاً، فهو ناقع، و استنقع استنقاعاً و انتقع انتقاعاً. و قال قتادة: النقع الغبار.

و قيل: الهاء فى قوله «به» عائد إلى معلوم أى بالمكان أو بالوادى.

و قوله «فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً» قال قتادة: يعنى وسطن بذلك المكان جمع العدو.

و قال مجاهد: يعنى جمع الفريقين. و قوله «إِنَّ الْإِنْسانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ» جواب القسم و معناه- فى قول ابن عباس و قتادة و الحسن و مجاهد و ابن زيد- لكفور، فالكنود الكفور و منه الأرض الكنود التى لا تنبت شيئاً، و أصله منع الحق و الخير، قال الأعشى:

أحدث لها تحدث لوصلك إنها كند لوصل الزائر المعتاد «١»

و قيل: إنها سميت كند لقطعها إياها عن سماك.

و قوله «وَ إِنَّهُ عَلى ذلِكَ لَشَهِيدٌ» قال الحسن: معناه إن حسن الإنسان على ذلك لشاهد. و قال قتادة: تقديره و إن اللَّه على ذلك لشهيد.

و قوله «وَ إِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ» قيل تقديره و إنه لشديد الحب للخير. و قيل: معناه و إنه لشديد الحب للمال، فهو يظلم الناس بمنعه.

و قال الحسن: لشديد معناه لشحيح يمنع منه حق اللَّه. و قال المبرد و الربيع: معناه من أجل حب الخير الذى هو المال أو الملك لبخيل ثم قال على وجه التنكير على الإنسان و الوعيد له «أَ فَلا يَعْلَمُ» يعنى الإنسان الذى وصفه «إِذا بُعْثِرَ ما فِي الْقُبُورِ» معناه اثير ما فى القبور و أخرج، و مثله بحثر. و قوله «وَ حُصِّلَ ما فِي الصُّدُورِ» قال سفيان: معناه ميز الحق من الباطل. و قال غيره:

معناه جمع و أبرز.

و قوله «إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ» اخبار من اللَّه تعالى و اعلام لخلقه أن الذى خلقهم و دبرهم فى ذلك اليوم بهم لعالم خبير بأحوالهم لا يخفى عليه شىء

---

(١) مجاز ٢/ ٣٠٧

من ذلك.

و

كان سبب نزول هـذه السورة أن النبى صـلى اللّه عليه و آله بعث سـرية إلى حيّين من كنانـة و اسـتعمل عليهم أحـد النقباء: المنذر بن عمرو الأنصارى، فغابت عن النبى صلى اللّه عليه و آله و لم يعلم لها مخبر فانزل اللّه تعالى السورة و أخبر بحال القوم.

١٠١-سورة القارعة ..... ص: ٣٩٨

اشارة

مكية فى قول ابن عباس و الضحاك، و هى إحدى عشرة آية فى الكوفى و عشر فى المدنيين و ثمان فى البصرى

[سورة القارعة (١٠١): الآيات ١ الى ١١] ..... ص: ٣٩٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
الْقارِعَةُ (١) مَا الْقارِعَةُ (٢) وَ ما أَدْراكَ مَا الْقارِعَةُ (٣) يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَراشِ الْمَبْثُوثِ (۴)
وَ تَكُونُ الْجِبالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ (۵) فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوازِينُهُ (۶) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ راضِيَةٍ (٧) وَ أَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هاوِيَةٌ (٩)
وَ ما أَدْراكَ ما هِيَهْ (١٠) نارٌ حامِيَةٌ (١١)

احدى عشر آية.

قرأ حمزة و يعقوب (ما هى) بحذف الهاء فى الوصل، الباقون بإثباتها، و لم التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٣٩٩
يختلفوا فى الوقف أنه بالهاء و معنى (القارعـة) البلية التى تقرع القلب بشدة المخافة تقول: قرع يقرع قرعاً و هو الصوت بشدة اعتماد، و منه انشـقت القرعـة، و تقـارع القـوم فى القتـال إذا تضـاربوا بالسـيوف، و قرع رأسه إذا ضـرب فى أعلى الشـعر حـتى يـذهبه، و القرعة كالضرب بالفال. و قال وكيع: القارعة، و الواقعة، و الحاقة القيامة.

و قوله «وَ مـا أَدْراكَ مَـا الْقارِعَـةُ» تعظيم لشأنها، و تفخيم لأمرها و تهويل لشـدتها. و معناه و أى شـيء القارعـة، و معناه إنك يا محمد صلى اللّه عليه و آله لا تعلم كبر وصـفها و حقيقة أمرها على التفصـيل و إنما تعلمها على طريق الجملة. ثم وصفها اللّه تعالى فقال «يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَراشِ الْمَبْثُوثِ وَ تَكُونُ الْجِبالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ» و المعنى إن القارعـة التى وصـفها و ذكرها تقرع القلوب يوم تكون الناس بهـذه الصـفة. و الفراش الجراد الـذى ينفرش و يركب بعضه بعضاً، و هو غوغاء الجراد- فى قول الفراء- و قال ابو عبيدة: هو طير يتفرش و ليس بذباب، و لا بعوض. و قال قتادة: الفراش هو هذا الطير الذى يتساقط فى النار و السراج. و المبثوث المتفرق فى الجهات، كأنه محمول على الذهاب فيها، يقال: بثه يبثه إذا فرقه، و أبثثته الحديث إذا ألفيته اليه، كأنك فرقته بأن جعلته عند اثنين.

و قوله «وَ تَكُونُ الْجِبالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ» فالعهن الصوف الألوان- فى قول أبى عبيدة- قال زهير:

كأن فتات العهن فى كل منزل نزلن به حب الفنا لم يحطم «١»

و يقال: عهن و عنهـة. و قيل: إن الخلائق لعظم ما يرونه من الأهوال و يغشاهم من العذاب يهيم كل فريق على وجهه، و يذهب فى غير جهة صاحبه.

و قوله «فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ راضِيَةٍ» قال الفراء الموازين

---

(١) ديوانه ٧٧ (دار بيروت)

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ۴٠٠

و الأوزان واحد، يقولون: هل لك فى درهم بميزان درهمك، و وزن درهمك.

و قال الحسن: فى الآخرة ميزان له كفتان. و هو قول الجبائى و اكثر المفسرين.

ثم اختلفوا: فمنهم من قال: يجعل اللَّه تعالى فى احدى الكفتين نوراً علامة للطاعات و فى الأخرى ظلمة علامة للمعاصى فأيهما رجح على الآخر حكم لصاحبه به. و قال آخرون: إنما يوزن صحف الاعمال فما فيها الطاعات تجعل فى كفة و ما فيها المعاصى فى كفة أخرى فأيهما رجح حكم لصاحبه به. و قال قوم: الميزان عبارة عن العدل و مقابلة الطاعات بالمعاصى، فأيهما كان اكثر حكم له به و عبر عن ذلك بالثقل مجازاً لان الاعمال أعراض لا يصح وزنها و لا وصفها بالثقل و الخفة، قال الشاعر:

لقد كنت قبل لقائكم ذا مرة عندى لكل مخاصم ميزانه «١»

يريدون كلامه فى معارضته، فبين اللَّه تعالى أن من كانت طاعته أكثر كان ثوابه أعظم، فيكون صاحبها «فِی عِیشَةٍ راضِیَةٍ» أی مرضیة، ففاعل - هاهنا- بمعنی المفعول، لان معناه ذو رضا كقولهم (نابل) أی ذو نیل، قال النابغة:

كلينى لهم يا أميمة ناصب و ليل اقاسيه بطىء الكواكب «٢»

أى ذو نصب و قال آخر:

و غررتنى و زعمت أنك لابن بالصيف تامر «٣»

أى ذو لبن و ذو تمر.

و قال مجاهد «ثَقُلَتْ مَوازِينُهُ» على جهة الميل، ثم بين من كانت معاصيه أكثر و قلت طاعاته «فَأُمُّهُ هاوِيَةٌ» أى مأواه هاوية يعنى، جهنم، و إنما سماها

---

(١) القرطبى ٢٠/ ١۶۶ و الشوكانى ۵/ ۴٧٢

(٢) فى مر ۵/ ٣۶٨ و ۶/ ٩۵، ٣٢٩ و ٨/ ١٢٢، ۵۶٧

(٣) مر فى ٨/ ۴۶٨ [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ۴٠١

(أمه) لأنه يأوى اليها كما يأوى الولد إلى أمه، و سميت هاوية- لما قال قتادة و ابو صالح- من أن العاصى يهوى إلى أم رأسه فى النار. ثم قال على وجه التفخيم و التعظيم لأمرها «وَ ما أَدْراكَ» يا محمد صلى اللَّه عليه و آله «ما هِيَهْ» أى انك تعلمها على الجملة و لا تعلم تفصيلها و أنواع ما فيها من العقاب.

و الهاء فى قوله «ماهية» للسكت إلا أنه اجرى الوصل معها مجرى الوقف، و يجوز فيها الحذف، ثم فسر اللَّه تعالى فقال «نارٌ حامِيَةٌ» أى هى نار حامية شديدة الحرارة

١٠٢-سورة التكاثر ..... ص: ۴٠١

اشارة

مكية فى قول ابن عباس و الضحاك و هى ثمان آيات بلا خلاف

[سورة التكاثر (١٠٢): الآيات ١ الى ٨] ..... ص: ۴٠١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
أَلْهاكُمُ التَّكاثُرُ (١) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقابِرَ (٢) كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ (۴)

كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (۵) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (۶) ثُمَّ لَتَرَوُنَّها عَيْنَ الْيَقِينِ (۷) ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (۸)

ثمان آيات.

قرأ ابن عامر «آلهاكم» ممدوداً، و روى عن الكسائى- بهمزتين- و المراد به الإنكار التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ۴٠٢

و قرأ ابن عامر و الكسائى «لترون» مضمومة التاء «ثم لترونها» مفتوحة التاء.

الباقون بالفتح فيهما، قال أبو على: وجه الضم أنهم يحشرون اليها فيرونها فى حشرهم إليها فيرونها، و لذلك قرأ الثانية بالفتح، كأنه أراد لترونها. و من فتح فعلى انهم يرونها. و قوله «ثُمَّ لَتَرَوُنَّها» مثل الأول فى أنه من إبصار العين، و قيل: إن هذه السورة نزلت فى حيين من قريش، و هما بنو أسهم و بنو عبد مناف، تفاخروا حتى ذكروا الأموات، فقال اللَّه تعالى مخاطباً لهم «أَلْهاكُمُ التَّكاثُرُ» فالالهاء الصرف إلى اللهو و اللهو الانصراف إلى ما يدعو اليه الهوى، يقال: لها يلهو لهواً، و لهى عن الشيء يلهى لهياً، و منه قوله (إذا استأثر اللَّه بشيء فاله عنه) و التكاثر التفاخر بكثرة المناقب، يقال: تكاثروا إذا تعادّوا ما لهم من كثرة المناقب، و المتفاخر متكبر لأنه تطاول بغير حق. فالتكاثر التباهى بكثرة المال و العدد. و قيل: ما زالوا يتباهون بالعز و الكثرة حتى صاروا من أهل القبور و ماتوا- ذكره قتادة- و قوله «حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقابِرَ» فالزيارة إتيان الموضع، كإتيان المأوى فى الالفة على غير اقامة، زاره يزوره زيارة، و منه زوّر تزويراً إذا شبه الخط فى ما يوهم أنه خط فلان و ليس به، و المزورة من ذلك اشتقت. و قيل فى معناه قولان: أحدهما حتى ذكرتم الأموات. و قال الحسن: معناه حتى متم.

و

قوله «كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا» معناه ارتدعوا و انزجروا «سَوْفَ تَعْلَمُونَ» فى القبر «ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ» بعد الموت- روى ذلك عن على عليه السلام

- و قيل إنه يدل على عذاب القبر.

و قوله «كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ» نصب «عِلْمَ الْيَقِينِ» على المصدر، و معناه ارتدعوا و انزجروا، لو تعلمون علم اليقين، و هو الذى يثلج الصدر بعد اضطراب الشك و لهذا لا يوصف اللَّه بأنه متيقن. التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ۴٠٣

و قوله «لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ» يعنى قبل دخولهم اليها فى الموقف.

و قوله «ثُمَّ لَتَرَوُنَّها» بعد الدخول اليها.

و قوله «عَيْنَ الْيَقِينِ» كقولهم هذا محض اليقين، و المعنى إنكم لو تحققتم و تيقنتم أنكم ترون الجحيم و أنكم إذا عصيتم و كفرتم عوقبتم، لشغلكم هذا عن طلب التكاثر فى الأموال فى الدنيا، و لا يجوز همز واو «لترون» لأنها واو الجمع و مثله، واو «لتبلون» لا تهمز. و قوله «ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ» يعنى معاشر المكلفين «يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ» قال الحسن: لا يسأل عن النعيم إلا أهل النار. و قال سعيد بن جبير و قتادة: النعيم فى المأكل و المشرب و غيرهما من الملاذ. و قال عبد اللَّه بن مسعود و مجاهد: النعيم الصحة. و قال قوم: يسألهم اللَّه عن كل نعمة. و الفرق بين النعيم و النعمة أن النعمة كالانعام فى التضمين لمعنى منعم، أنعم انعاماً و نعمة، و كلاهما يوجب الشكر. و النعيم ليس كذلك، لأنه من نعم نعيماً فلو عمل ذلك بنفسه لكان نعيماً لا يوجب شكراً. و النعمة- بفتح النون- من نعم- بضم العين- إذا لان.

و قيل المعنى «لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ» عن ولاية على عليه السلام. و قيل: عن شرب الماء البارد. و قيل عن الأمن و الصحة. و قيل عن النورة فى الحمام. و روى ذلك عن عمر بن الخطاب.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ۴٠۴

١٠٣-سورة العصر ..... ص: ۴٠۴

اشارة

مکیة فی قول ابن عباس و الضحاک، و هی ثلاث آیات بلا خلاف فی جملتها و إن اختلفوا فی تفصیلها.

[سورة العصر (۱۰۳): الآیات ۱ الی ۳] ..... ص: ۴۰۴

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ
وَ الْعَصْرِ (۱) إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِی خُسْرٍ (۲) إِلاَّ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَ تَواصَوْا بِالْحَقِّ وَ تَواصَوْا بِالصَّبْرِ (۳)
ثلاث آیات.

هذا قسم من اللَّه تعالی بالعصر. قال ابن عباس: المراد بالعصر- هاهنا- الدهر. و هو قول الکلبی. و قال الحسن و قتادة: هو العشی، و کلاهما فیه العبرة من جهة مرور اللیل و النهار. و أصل العصر عصر الثوب و نحوه، و هو فتله لإخراج مائه، فمنه عصر الدهر، لأنه الوقت الذی یمکن فتل الأمور کفتل الثوب.

قال العجاج:

عصراً و حضناً عیشة المعذلجا

أی الناعم، و قال فی العشی:

یروح بنا عمر و قد قصر العصر و فی الروحة الاولی الغنیمة و الأجر «۱»

و به سمیت العصر، لأنها تعصر بالتأخیر، و العصارة ما یعتصر من العنب

---

(۱) القرطبی ۲۰/ ۱۷۹ و الشوکانی ۵/ ۴۸۸

التبیان فی تفسیر القرآن، ج ۱۰، ص: ۴۰۵

و غیره، و «المعصرات» السحائب التی تنعصر بالمطر. و الاعصار غبار کالعمود یصعد إلی السماء. و العصر الالتجاء إلی الملجأ. و العصر الجاریة التی قد دنا بلوغها لأنه عصر شبابها، و انعصار ماء الشباب منها. و الاعتصار استخراج المال من الإنسان، لأنه ینحلب کما ینحلب ما یعصر. و العصران الغداة و العشی، و العصران اللیل و النهار. قال الشاعر:

و لن یلبث العصران یوم و لیلة إذا طلبا ان یدرکا ما تیمما «۱»

و قوله (إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِی خُسْرٍ) جواب القسم. و فیه اخبار من اللَّه أن الإنسان یعنی الکافر (لفی خسر) أی لفی نقصان بارتکاب المعاصی و کفره باللَّه و الخسر هلاک رأس المال للإنسان و بارتکاب المعاصی فی هلاک نفسه خسران، و هو اکبر من رأس ماله.

و قوله (إِلَّا الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ) استثناء من جملة الناس المؤمنین المصدقین بتوحید اللَّه بإخلاص عبادته العاملین بالطاعات (وَ تَواصَوْا بِالْحَقِّ) أی تواصی بعضهم بعضاً بأتباع الحق و اجتناب الباطل (وَ تَواصَوْا بِالصَّبْرِ) تواصی بعضهم بعضاً بالصبر علی تحمل المشاق فی طاعة اللَّه. و قال الحسن و قتادة: الصبر علی طاعة اللَّه. و الصبر حبس النفس عما تنازع الیه من الأمر حتی یکون الداعی إلی الفعل.

و قد أمر اللَّه تعالی بالصبر و التواضع. و الحق ما دعا الیه العقل.

---

(۱) القرطبی ۲۰/ ۱۷۹

التبیان فی تفسیر القرآن، ج ۱۰، ص: ۴۰۶

۱۰۴-سورة الهُمزة ..... ص: ۴۰۶

اشارة

مكية فى قول ابن عباس و الضحاك، و هى تسع آيات بلا خلاف

[سورة الهمزة (۱۰۴): الآيات ۱ الى ۹] ..... ص: ۴۰۶

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ (۱) الَّذِي جَمَعَ مالاً وَ عَدَّدَهُ (۲) يَحْسَبُ أَنَّ مالَهُ أَخْلَدَهُ (۳) كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (۴)
وَ ما أَدْراكَ مَا الْحُطَمَةُ (۵) نارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (۶) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ (۷) إِنَّها عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ (۸) فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ (۹)
تسع آيات.

قرأ حمزة و الكسائى و خلف و ابن عامر و ابو جعفر و روح (جمع) بالتشديد على التكثير. الباقون بالتخفيف، لأنه يقع على القليل و الكثير. و من شدد أراد جمعه من وجوه شتى شيئاً بعد شيء (و عدده) أي جعله عدة. و من قرأ مخففاً أراد جمع مالا و عدداً أى و قوماً ذوى عدد أنصاراً. و قرأ أهل الكوفة إلا حفصاً (عمد) بضمتين جعلوه جمع عمود و عمد، مثل قدوم و قدم، و زبون و زبن. الباقون بفتح العين و الميم، لأنهم قد قالوا فى جمع عمود عمد، كما قالوا فى جمع أديم أدم.

و فى جمع أهاب أهب.

هذا وعيد من اللَّه تعالى و تهديد (لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ) فالهمزة الكثير الطعن التبيان فى تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۴۰۷
على غيره بغير حق، العائب له بما ليس فيه عيب لجهله و سفهه و شدة إقدامه على مكاره غيره، يقال: همز الناس يهمزهم همزاً، و هو همزة. و مثله ضحكة أى كثير الضحک و عيبة أى كثير العيب. فكذلک همزة كثير الهمز بالطعن. و منه الهمزة فى الكلام لأنها تخرج كالطعنة بقوة اعتماد، و قال ابن عباس: الهمزة الطعّان. و اللمزة المغتاب و قال زياد الأعجم:

تدلى بودى إذا لاقيتنى كذبا و إن تغيبت فأنت الهامز اللمز «۱»

و قال ابن عباس: الهمزة اللمزة المشاء بالنميمة، المفرق بين الاحبة الباغى المبرئ العيب بالمكابرة. و قيل: نزلت فى مشرک بعينه كان يعيب الناس و يلمزهم- ذكره ابن عباس- و قال قوم: نزلت فى الوليد بن المغيرة. و قال السدى:

نزلت هذه السورة فى الأخنس ابن شريق، و كان يهمز النبى صلى اللَّه عليه و آله و يلمزه. و قيل:

نزلت فى جميل بن عامر الجهنى. و قال مجاهد و ورقاء و ابن عباس: ليست خاصة لاحد بل هى عامة.

و قوله (الَّذِي جَمَعَ مالًا وَ عَدَّدَهُ) نعت للهمزة الذى تقدم ذكره فى أنه يجمع المال و يحبه، و لا يخرج حق اللَّه منه.

و قوله (يَحْسَبُ أَنَّ مالَهُ أَخْلَدَهُ) معناه يظن هذا الذى جمع المال، و لا يخرج حق اللَّه منه أنه سيخلده. و قوله (أخلده) يخلده، كما قيل أهلكه إذا حدث به سبب الهلاک من غير أن يقع هلاكه بعد. و إنما ذلک بمعنى أوجب إخلاده و هلاكه و قيل: ليس المراد أنه يظن أنه لا يموت، و لكن يحب أنه يبقى من ماله إلى أن يموت. و قيل: معناه إنه يعمل عمل من يحسب أن ماله أخلده. و قال الحسن:

معناه يحسب أن ماله أخلده حتى يفنيه.

---

(۱) مجاز القرآن ۲۵/ ۳۱۱

التبيان فى تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۴۰۸

و قوله (كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ) معناه ليقذفن و ليطرحن من وصفناه بجمع المال و منع حق اللَّه فى الحطمة. ثم قال (وَ ما أَدْراكَ مَا

الْحُطَمَةُ) تفخيماً لها. ثم فسرها فقال (نارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ) أى هى نار اللَّه الموقدة، و الحطمة الكثيرة الحطم أى الاكل، و رجل حطمة. و حطم الشيء إذا كسره و أذهبه، و تحطم إذا تكسر و أصله الكسر المهلك.

و قوله (الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ) معناه يبلغ ألمها و وجعها الأفئدة، تقول:

اطّلعت على أرض كذا إذا بلغتها، و قوله (إِنَّها) يعنى النار (عَلَيْهِمْ) يعنى الكفار (مُؤْصَدَةٌ) أى مطبقة، يقال اصدت الباب أوصده إذا أطبقته، و أوصدته إيصاداً لغتان، و منه قوله (وَ كَلْبُهُمْ باسِطٌ ذِراعَيْهِ بِالْوَصِيدِ) «١» و ابو عمرو يهمز (مؤصدة) إذا لين الهمز، لئلا يخرج من لغة إلى لغة أخرى.

و قوله (فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ) فالعمد جمع عمود، و قيل: جمع عماد، كقولك:

أهاب و أهب، و يجوز عمد، و العمود عمود مستدير مستطيل قوى على شدة الاعتماد.

و قال ابن مسعود: معناه إن النار مطبقة بعمد ممدة. و قال ابن عباس: فى عمد مغللين بها. و قال قتادة: فى عمد يعذبون بها. و قيل: الاطباق بالعمد الممدة ليتأكد يأسهم من الخروج منها.

---

(١) سورة ١٨ الكهف آية ١٨

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٤٠٩

١٠٥-سورة الفيل ..... ص: ٤٠٩

اشارة

مكية فى قول ابن عباس و الضحاك، و هى خمس آيات بلا خلاف

[سورة الفيل (١٠٥): الآيات ١ الى ٥] ..... ص: ٤٠٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

أَ لَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحابِ الْفِيلِ (١) أَ لَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) وَ أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبابِيلَ (٣) تَرْمِيهِمْ بِحِجارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (٤)

فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ (٥)

خمس آيات.

هذا خطاب من اللَّه تعالى لنبيه محمد صلى اللَّه عليه و آله و يتوجه إلى جميع المكلفين من قومه، يقول لهم على وجه التنبيه على عظم الآية التى أظهرها و المعجزة التى فعلها، منبهاً بذلك على توحيده و وجوب إخلاص العبادة له، فقال (أَ لَمْ تَرَ) و معناه أ لم تعلم، فالرؤية- هاهنا- بمعنى العلم، لأن رؤية البصر لا تتعلق بما قد تقضى و عدم، كأنه قال: أ لم تعلم (كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحابِ الْفِيلِ) الذين قصدوا هدم البيت و هلاك أهله، فاهلكهم اللَّه تعالى، و كان الذى قصد لهدم البيت ابرهة ابن الصباح، و هو المعروف بابرهة الاشرم، و يكنى أبا يكسوم. و قيل: إنه لم يسلم من قومه غيره، فولى إلى أهله فكل ما نزل منزلاً تساقط منه عضو فلما وصل اليهم أخبرهم الخبر ثم هلك، و كان ابرهة رجلا من اليمن ملكته الحبشة عليهم، و كان سبب قصده إياها لتخريبها أنه بنى كنيسة عظيمة أراد ان يحج اليها بدل الكعبة. و قال التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٤١٠

الحسن: كان السبب فى ذلك أن العرب هدمت كنيسة للحبشة، و هم نصارى، فأراد تخريب الكعبة فى مقابلة ذلك، فاقبل فى جمع

كثيف معه أفيلة، فجعل اللَّه كيدهم فى تضليل عما قصدوا له من تخريب الكعبة (وَ أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبابِيلَ) فمعنى أبابيل جماعات فى تفرقة زمرة و زمرة لا واحد لها- فى قول أبى عبيدة و الفراء- كما لا واحد للعباديد و الشماطيط. و زعم ابو جعفر الرواسى أنه يسمع فى واحدها أبالة. و قال الكسائى: سمعت النحويين يقولون واحده (أبّول) مثل (عجول) و قال بعضهم: (ابيل) و قال ابن عباس معنى أبابيل يتبع بعضها بعضاً. و قال قتادة:

معنى أبابيل كثيرة متتابعة. و قيل: إنها كانت سود الجرية تحمل فى مناقيرها و اكفها الحجارة- فى قول عبيد بن عمير- و قيل: كان مع كل طائر ثلاثة أحجار اثنان فى رجليه و واحد فى منقاره، و قال موسى بن أبى عائشة: كانت الحجارة اكبر من العدسة و أصغر من الحمصة. و قيل كان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره و قيل: إن المعروف بأبرهة الأشرم الذى ملكته الحبشة كان يكنى أبا يكسوم و قيل: إنه لم يسلم من قومه غيره فولى إلى أهله و كلما نزل منزلا تساقط منه عضو فلما وصل اليهم أخبرهم الخبر ثم هلك.

و قيل كان الفيل إذا وجهوه نحو مكة وقف و لم يسر، و إذا وجهوه إلى جهة غيرها سار إنذاراً من اللَّه لهم و موعظة، و كان هذا من أعظم المعجزات فى ذلك الوقت أظهره اللَّه تعالى ليدل به على وجوب معرفته و إخلاص عبادته. و قال قوم:

إنه كان معجزة لنبى كان فى ذلك الزمان، و يجوز أن يكون ذلك خالد بن سنان.

و قيل إنه كان ذلك توطئاً لنبوة نبينا صلى اللَّه عليه و آله، لأنه كان ولد فى عام الفيل.

و قوله (تَرْمِيهِمْ بِحِجارَةٍ) أى تقذفهم بحجارة (مِنْ سِجِّيلٍ) قال ابو عبيدة كل شديد سجيل. قال ابن مقبل: التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٤١١

ضربا تواصى به الابطال سجيلا «١»

و قيل هى حجارة من الجحيم و هى (سجين) ثم أبدلت النون لاماً، كما قالوا فى أصيلان اصيلال. و قيل: معنى من (سجيل) أى من طين مطبوخ كالآجر.

و قيل: هو (سنگ و گل) بلغة الفرس فأعرب، و كذلك روى عن ابن عباس و قوله (فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ) فالعصف ورق الزرع- فى قول أبى عبيدة- و هو عصيفة، لان الريح تعصفه أى تذهب به يميناً و شمالا. و قيل: معنى (كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ) أى مأكول الثمرة كما يقال: فلان حسن أى حسن الوجه، فاجرى مأكول على العصف من أجل أكل ثمرته، لأن المعنى معلوم للإيجاز. و قال قتادة: العصف التبن، و معنى مأكول قد أكلت بعضه المواشى و كسرت بعضه.

و قال الزجاج: معنى مأكول وقع فيه الاكال. و قيل العصف التبن بلغة بنى حنيفة، و بلسان قريش النخالة.

و قصة أصحاب الفيل من الأدلة الواضحة و الحجج اللائحة على الملحدين، و من أنكر الصانع، لأنه لا يمكن نسب ذلك إلى طبيعة و لا موجب كما تأولوا الزلازل و الرياح و الخسوف و غير ذلك مما أهلك اللَّه به الأمم، لأنه ليس فى الطبيعة إقبال طير بأحجار و تقصد اقواماً دون غيرهم حتى تهلكهم بما ترميهم به، و لا تعدى إلى غيرهم، بل ذلك من أوضح الأدلة على انه من فعل اللَّه تعالى، و ليس لأحد أن يضعف ذلك و ينكر الخبر به، لأن النبى صلى اللَّه عليه و آله لما قرأ على أهل مكة هذه السورة، كانوا قربى عهد بالفيل، فلو لم يكن كذلك و لم يكن له اصل لأنكروه، فكيف و هم ارخوا به كما أرخوا بنيان الكعبة و موت قصى و غيره. و قد نظم الشعراء فى قصة الفيل الشعر و نقلته الرواة، فلا يمكن جحد ذلك، لأنه مكابرة.

---

(١) مر فى ٦/ ٤٥

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٤١٢

١٠٦-سورة قريش ..... ص: ٤١٢

اشارة

مكية فى قول ابن عباس و قال الضحاك هى مدنية و هى أربع آيات فى الكوفى و البصرى و خمس فى المدنيين

[سورة قريش (١٠۶): الآيات ١ الى ۴] ..... ص: ۴١٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
لِإِيلافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتاءِ وَ الصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَ آمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ (۴)
اربع آيات.

قرأ ابن عامر (لالاف قريش) بقصرها، و لم يجعل بعد هذه الهمزة ياء على وزن (لعلاف)، «إيلافهم» بياء بعد الهمزة خلاف لفظ الأول. الباقون (لإيلاف قريش إيلافهم) جميعاً بهمزة بعدها ياء. و قرأ ابو جعفر و ابن فليح (إلافهم) بهمزة بلا ياء بعدها مثل (علافهم) و رواه ابو الحسن حماد- بهمزتين مكسورتين- بعدها ياء. الباقون بهمزة بعدها ياء ساكنة مثل (عيلافهم) قال الأزهرى:

الإيلاف الاجارة بالحفارة يقال: أولف يولف و ألف يؤلف إذا أجار الإبل بالحفارة. و الفت المكان ألفة و الفاً و ألفته إيلافاً بمعنى واحد. و قد قدّمنا القول فيما رواه أصحابنا أن (أ لم تر كيف) و (لإيلاف) سورة واحدة، مثل (الضحى و ألم التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ۴١٣

نشرح) فعلى هذا العامل فى «لإيلاف» قوله (فجعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش) و هو قول الحسن. و من قال: هما سورتان لم يجز ذلك، فقال العامل فيها، قوله (فليعبدوا) فكأنه قال لذلك الانعام (فليعبدوا) و مثله فى تقديم القول فيه قوله (أَ فَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي) «١» لان تأمرونى اعتراض على هذا التفسير، و إنما جاز أن يعمل ما بعد الفاء فيما قبله لأنها زائدة غير عاطفة، كقولك زيداً فاضرب، و تريد فاضربه، فهى على شبه الجواب الذى يجوز فيه تقديم المعمول كقولك زيداً:

إن يأتنى زيداً أكرمه. و لو كانت عطفاً لم يجز التقديم، كما لا يجوز فى الواو، و لا (ثم). و قيل العامل فيه (اعجبوا) لإيلاف قريش إلا انه حذف لدلالة الكلام عليه.

و قيل هو على (أَ لَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ ... لِإِيلافِ قُرَيْشٍ) أى فعل ذلك لايلافهم و الإيلاف أصحاب الالف بحسن التدبير و التلطف، يقال: ألف يألف الفاً، و آلفه يؤلفه إيلافاً إذا جعله يألف، و ائتلف القوم ائتلافاً و تآلفوا تآلفاً و ألفهم تأليفاً. و الإيلاف نقيض الايحاش، و نظيره الإيناس. و الف الشيء لزومه على عادة فى سكون النفس اليه.

و قوله (رِحْلَةَ الشِّتاءِ وَ الصَّيْفِ) قال ابن زيد و الكلبى: كانت لهم رحلتان رحلة الصيف إلى الشام و رحلة الشتاء إلى اليمن فى التجارة.

و الرحلة حال السير على الراحلة و هى الناقة القوية على السفر، و منه

الحديث المروى (الناس كابل مائة لا يوجد فيها راحلة)

و الرحل متاع السفر و الارتحال احتمال الرحل للمسير فى السفر. و الشتاء أوان شدة البرد. و الصيف زمان شدة الحر. و فصول السنة أربعة: ربيع، و صيف و خريف، و شتاء.

و قولهَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هذَا الْبَيْتِ)

أمر من اللَّه تعالى للمكلفين أن يوجهوا عبادتهم إلى اللَّه رب البيت الحرام دون غيره من الأصنام (الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ

---

(١) سورة ٣٩ الزمر آية ۶۴

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ۴١۴

بما أعطاهم من الأموال و سبب لهم من الأرزاق بالسعى فى التجارة فى رحلة الشتاء و رحلة الصف (وَ آمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ) الغارة بالحرم

الذی جبل قلوب العرب علی تعظیمه. و قیل (آمنهم) من الجذام. قال سفیان بن عیینة: کان لنا إمام بالکوفة یقرأ (أ لم تر، و لإیلاف) و لا یفرق بینهما.

۱۰۷-سورة الماعون ..... ص: ۴۱۴

اشارة

و تسمی سورة (أ رأیت) مکیة فی قول ابن عباس و قال الضحاک مدنیة و هی سبع آیات فی الکوفی و البصری و ست فی المدنیین. عدّ أهل الکوفة و البصری (یراؤن) رأس آیة، یجوز أن یقال (أریت) بحذف الهمزة. و لا یجوز ان یقال (ریت) لان ألف الاستفهام یصیر غیرها

[سورة الماعون (۱۰۷): الآیات ۱ الی ۷] ..... ص: ۴۱۴

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ
أَ رَأَیْتَ الَّذِی یُکَذِّبُ بِالدِّینِ (۱) فَذلِکَ الَّذِی یَدُعُّ الْیَتِیمَ (۲) وَ لا یَحُضُّ عَلی طَعامِ الْمِسْکِینِ (۳) فَوَیْلٌ لِلْمُصَلِّینَ (۴)
الَّذِینَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ (۵) الَّذِینَ هُمْ یُراؤُنَ (۶) وَ یَمْنَعُونَ الْماعُونَ (۷)

سبع آیات. التبیان فی تفسیر القرآن، ج ۱۰، ص: ۴۱۵

قوله (أَ رَأَیْتَ) خطاب للنبی صلی اللَّه علیه و آله علی وجه التعجیب له من الکافر (الَّذِی یُکَذِّبُ بِالدِّینِ) و ذهابه عن الایمان به مع وضوح الأمر فیه و قیام الدلالة علی صحته و المراد بالدین الجزاء من الثواب و العقاب، فالتکذیب بالجزاء من أضرّ شیء علی صاحبه، لأنه یعدم به أکثر الدواعی إلی الخیر، و الصوارف عن الشر، فهو یتهالک فی الاسراع إلی الشر الذی یدعوه الیه طبعه لا یخاف عاقبة الضرر فیه.

و قوله (فَذلِکَ الَّذِی یَدُعُّ الْیَتِیمَ) وصف الذی یکذب بالدین، فبین أن من صفته أنه یدع الیتیم، و معناه یدفعه عنفاً، و ذلک لأنه لا یؤمن بالجزاء علیه، فلیس له رادع عنه، کما لمن یقر بأنه یکافئ علیه، دّعه یدعه دعاً إذا دفعه دفعاً شدیداً، و قال ابن عباس و مجاهد و قتادة (یدع الیتیم) معناه یدفعه عن حقه. و قوله (وَ لا یَحُضُّ عَلی طَعامِ الْمِسْکِینِ) معناه و لا یحث علی طعام المسکین بخلا به، لأنه لو کان لا یحض علیه عجزاً عنه لم یذم به، و کذلک لو لم یحض علیه من غیر قبیح کان منه لم یذم علیه، لأن الذم لا یستحق إلا بما له صفة الوجوب إذا أخل به أو القبیح إذا فعله علی وجه مخصوص.

و قوله (فَوَیْلٌ لِلْمُصَلِّینَ) تهدید لمن یصلی علی وجه الریاء و السمعة. و إنما أطلق مع انه رأس آیة یقتضی تمام الجملة، لأنه معرف بما یدل علی انه أراد من یصلی علی جهة الریاء و النفاق، ثم بین ذلک بقوله (الَّذِینَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ) قال ابن عباس و مسروق: معناه یؤخرونها عن وقتها، و قال قتادة: معناه غافلون.

و قال مجاهد: لاهون کأنهم یسهون للهوهم عنها و اللهو یوجب تأخیرها عن وقتها لأنه قال عن صلاتهم. و قیل: ساهون فیها (الَّذِینَ هُمْ یُراؤُنَ) معناه إنهم یراؤن بصلاتهم الناس دون أن یتقربوا بها إلی اللَّه. و إنما ذم السهو فی الصلاة مع انه لیس من فعل العبد بل هو من فعل اللَّه، لان الذم توجه فی الحقیقة علی التعرض للسهو التبیان فی تفسیر القرآن، ج ۱۰، ص: ۴۱۶
بدخوله فیها علی وجه الریاء و قلبه مشغول بغیرها، لا یری لها منزلة تقتضی صرف الهم الیها.

و قوله (وَ یَمْنَعُونَ الْماعُونَ) قال ابو عبیدة: کل ما فیه منفعة، فهو الماعون، و قال الأعشی:

بأجود منه بماعونه إذا ما سماؤهم لم تغم «۱»

و قال الراعى:

قوم على الإسلام لما يمنعوا ماعونهم و يضيعوا التنزيلا «٢»

و قال اعرابى فى ناقة: إنها تعطيك الماعون أى تنقاد لك، و الماعون أصله القلة من قولهم: المعن القليل قال الشاعر:

فان هلاك مالك غير معن

أي غير قليل، فالماعون القليل القيمة مما فيه منفعة من آلة البيت نحو الفاس و المقدحة و الابرة و الدلو- و هو قول ابن مسعود و ابن عباس و إبراهيم و أبى مالك و سعيد ابن جبير- و سئل عكرمة فقيل له: من منع ذلك فالويل له؟ قال: لا، و لكن من جمع ذلك بأن صلى ساهياً مرائياً و منع هذا.

و قوله (فويل للمصلين) و هو يعنى المنافقين، فدل على أن السورة مدنية لأنه لم يكن بمكة نفاق. و يقال: معن الوادى إذا جرت مياهه قليلا قليلا. و الماء المعين الجارى قليلا قليلا. و أمعن فى الامر إذا أبعد فيه قليلا قليلا. و

روى عن على عليه السلام أنه قال: الماعون الزكاة

، و هو قول ابن عمر و الحسن و قتادة و الضحاك و قال الشاعر:

---

(١) ديوانه ١٩٩ و اللسان (معن) و مجاز القرآن ٢/ ٣١٣

(٢) اللسان (معن) و مجاز القرآن ٢/ ٣١٥ و قد مر فى ٧/ ٣٧٣

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٤١٧

بمج صبيره الماعون صبا «١»

فالصبير السحاب. و قال أنس بن مالك: الحمد للّه الذى لم يجعلها فى صلاتهم و إنما جعلها عن صلاتهم، فتأولها من تركها متعمداً، و المراد بالصلاة هنا الفرض.

١٠٨-سورة الكوثر ..... ص: ٤١٧

اشارة

مكية فى قول ابن عباس و قال الضحاك مدنية، و هى ثلاث آيات بلا خلاف

[سورة الكوثر (١٠٨): الآيات ١ الى ٣] ..... ص: ٤١٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
إِنَّا أَعْطَيْناكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَ انْحَرْ (٢) إِنَّ شانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (٣)
ثلاث آيات.

هذا خطاب من اللّه لنبيه صلى اللّه عليه و آله على وجه تعداد نعمه عليه. يقول (إِنَّا أَعْطَيْناكَ الْكَوْثَرَ) فالإعطاء إخراج الشيء إلى آخذ له، و هو على وجهين: إعطاء تمليك و إعطاء غير تمليك. فإعطاء الكوثر إعطاء تمليك، كاعطاء الأجر، و أصله التناول من عطا يعطوا إذا تناول. و (الكوثر) الشيء الذى من شأنه الكثرة، و الكوثر الخير الكثير. و هو (فوعل) من الكثرة، قال عطاء: هو حوض النبى صلى اللّه عليه و آله الذى

---

(١) القرطبى ٢٠/ ٢١٩ و الشوكانى ٥/ ٤٨٧

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٤١٨

يكثر الناس عليه يوم القيامة. و قال ابن عباس: هو الخير الكثير. و روى عن عائشة: أن الكوثر نهر فى الجنة جانباه قباب الدرّ و الياقوت، و قال الحسن: الكوثر القرآن. و قال ابن عمر: هو نهر يجرى فى الجنة على الدر و الياقوت و قوله (فَصَلِّ لِرَبِّكَ) أمر من اللَّه تعالى لنبيه و يدخل معه جميع المكلفين يأمرهم بالصلاة و أن ينحروا و قال ابن عباس و أنس بن مالك و مجاهد و عطاء: معنى و انحر انحر البدن متقرباً إلى اللَّه بنحرها خلافاً لمن نحرها للأوثان، و قيل: معناه (فَصَلِّ لِرَبِّكَ) صلاة العيد (وَ انْحَرْ) البدن و الاضاحى، و قيل: معناه صل لربك الصلاة المكتوبة و استقبل القبلة بنحرك. تقول العرب: منازلنا تتناحر هذا ينحر هذا أى مستقبلة، و انشد بعضهم:

أبا حكم ها انت عم مجالد و سيد أهل الأبطح المتناحر «١»

و

روى عن على عليه السلام أن معناه ضع اليمنى على اليسرى حذاء النحر

- و هذه الرواية غير صحيحة- و

المروى عن أبى جعفر و أبى عبد اللَّه عليهما السلام أن معناه و انحر البدن و الاضاحى.

و قوله (إِنَّ شانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ) فالشانئ المبغض تقول: شنئته اشنؤه شناء إذا أبغضته، و قال ابن عباس: معناه عدوك، و هو قول سعيد بن جبير، و قال:

هو العاص بن وائل السهمى، فانه قال فى النبى صلى اللَّه عليه و آله إنه أبتر لا عقب له، فقال اللَّه تعالى (إِنَّ شانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ) يعنى الذى انقطع عنه كل خير، و قيل: إنه أراد به انه لا ولد له على الحقيقة، و أن من ينسب اليه ليس بولد له، و الأبتر هو المنقطع عن الخير، و قيل: هو الذى لا عقب له- ذكره مجاهد- و قال قتادة: معناه الأقل الأذل بانقطاعه عن الخير. و قيل: قوله (إِنَّ شانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ) جواب لقول قريش انه أبتر لا ولد له ذكر إذا مات قام مقامه يدعو اليه، و قد انقطع أمره.

---

(١) القرطبى ٢٠/ ٢١٩ و الشوكان ٥/ ٤٨٩

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٤١٩

فقيل: إن شانئك هو الأبتر الذى ينقطع ما هو عليه من كفره بموته، فكان الامر كما اخبر به، و قيل: الحمار الأبتر المقطوع الذنب، فشبه به. و قيل: فى السورة تشاكل المقاطع للفواصل و سهولة مخارج الحروف بحسن التأليف و تقابل المعانى بما هو أولى لان قوله (فصل لربك) احسن من صل لنا، لأنه يجب أن يذكر فى الصلاة بصفة الربوبية (و انحر) هاهنا أحسن من قوله (و انسكه) لأنه على برّ يعم بعد برّ يخص.

و (الأبتر) احسن من (الأخس) لأنه أدل على الكناية فى النفس، فهذه الحروف القليلة قد جمعت المحاسن الكثيرة. و ما لها فى النفس من المنزلة اكثر بالفخامة و الجزالة و عظم الفائدة التى يعمل عليها و ينتهى اليها.

١٠٩-سورة الكافرون ..... ص: ٤١٩

اشارة

مكية فى قول ابن عباس، و قال الضحاك مدنية، و هى ست آيات بلا خلاف

[سورة الكافرون (١٠٩): الآيات ١ الى ٦] ..... ص: ٤١٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ (١) لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ (٢) وَ لا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ (٣) وَ لا أَنا عابِدٌ ما عَبَدْتُّمْ (۴)
وَ لا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ (۵) لَكُمْ دِينُكُمْ وَ لِيَ دِينِ (۶)

ست آیات. التبیان فی تفسیر القرآن، ج ١٠، ص: ۴٢٠

قرأ ابو عمرو و حمزة و الکسائی (ولی دین) ساکنة الیاء. الباقون بفتحها من فتح الیاء فلخفة الفتحة. و من أسکنها فانه کره الحرکة علی حرف العلة. و قرأ (دینی) بیاء فی الحالین یعقوب. الباقون بلا- یاء فیهما. من أثبت الیاء، فلأنها الأصل. و من حذفها اجتزأ بالکسرة الدالة علیها. و قیل: إن هذه السورة نزلت جواباً لقول جماعة من المشرکین دعوا النبی صلی اللَّه علیه و آله إلی أن یعبد آلهتهم سنة و یعبدوا هم إلهه سنة. و فیهم نزل قوله «أَ فَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجاهِلُونَ» «١» هذا قول ابن عباس. و قیل: إنهم قالوا: نشرکک فی أمرنا، فان کان الذی فی أیدینا خیراً کنت قد أخذت بحظ منه، و إن کان الذی فی یدک خیراً قد أخذنا بحظ منه. و قیل: إن الذی قال ذلک الولید ابن المغیرة و العاص ابن وائل و الأسود ابن المطلب و أمیة ابن خلف. و قیل: إنهم قالوا: نتداول العبادة لیزول ما بیننا من البغضاء و العداوة، فأمر اللَّه تعالی نبیه صلی اللَّه علیه و آله أن یقول لهم «لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ وَ لا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ» و معناه لا أعبد ما تعبدون لفساد عبادة الأوثان، و لا أنتم عابدون ما أعبد لجهلکم بوجوب اخلاص العبادة للَّه، لان العقل یقتضی أنه صلی اللَّه علیه و آله لهذا امتنع و امتنعوا. و إنما کرر ذکر العبادة لتصریفها فی الفوائد المختلفة و قد نفی عبادة المؤمن للوثن کیف تصرفت الحال فی ماض أو حاضر أو مستقبل لقبحها، و نفی عبادة الکافر للَّه مع إقامته علی الجهل بوجوب إخلاص العبادة له.

و قیل: فی وجه التکریر فی السورة أن ظاهر ذلک و إن کان تکریراً، فلیس فی الحقیقة تکریراً أصلا، و لا- تکریر فی اللفظ إلا فی موضع واحد سنبینه بعد بیان المعنی إن شاء اللَّه، و ذلک أن قوماً من المشرکین سألوا رسول اللَّه صلی اللَّه علیه و آله مناقلة العبادة سنة یعبدون فیها ما یعبده صلی اللَّه علیه و آله و سنة یعبد هو ما یعبدون لزوال العادة بوقوع العبادة

(١) سورة ٣٩ الزمر آیة ۶۴

التبیان فی تفسیر القرآن، ج ١٠، ص: ۴٢١

علی هذه الجهلة فجاء الکلام علی طریق الجواب لانکار ما سألوا، فقیل «لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ وَ لا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ» و هذا نفی منه لما یعبدون فی الاستقبال ثم قال «وَ لا أَنا عابِدٌ ما عَبَدْتُّمْ» علی نفی العبادة لما عبدوا فی الماضی، و هذا واضح فی أنه لا تکریر فی لفظه و لا- معناه. و قوله «وَ لا- أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ» فعلی التکریر فی اللفظ دون المعنی من قبل أن التقابل یوجب أن معناه و لا أنتم عابدون ما عبدت إلا انه عدل بلفظه إلی اعبد للاشعار أن ما عبدت هو ما أعبد، و استغنی بما یوجبه التقابل من معنی عبدت عن الإفصاح به. و عدل عن لفظه لتضمین معنی آخر فیه، و کان ذلک اکثر فی الفائدة و أولی بالحکمة، لأنه دل علی (عبدت) دلالة التصریح باللفظ فان قیل فهلا قال: ما عبدت لیتقابل اللفظ، کما تقابل المعنی؟ قیل: هو فی حکم التقابل فی اللفظ من حیث هو دال علیه إلا انه عدل عن الإفصاح به للاشعار بأن معبوده واحد کیف تصرفت الحال، و کان هذا أبعد فی الإیهام أن معبوده فیما مضی غیر معبوده فیما یستقبل. و قد یجوز فی الماضی و المستقبل ان یقع أحدهما موقع الآخر إذا کان فی الکلام ما یدل علیه، کما قال «وَ نادى أَصْحابُ الْجَنَّةِ أَصْحابَ النَّارِ» «١» علی معنی ینادون، و منه قولهم: یدعوهم ابن رسول اللَّه فلا یجیبونه، و یدعوهم ابن زیاد إلی الباطل فیسرعون الیه.

فان قیل: فهلا- دل علی اختلاف المعنی باختلاف اللفظ إذ هو الأصل فی حسن البیان؟ قیل: إن التقابل فی ذلک قد صیر اللفظ فی حکم المختلف، لأنه مقید به، و دلالة المقید خلاف دلالة المطلق نحو: زید قائم بالتدبیر علی خلاف معنی زید قائم.

فان قیل: فهلا- دل علی ذلک من أصول مختلفة إذ هو أدل علی خلاف المعنی بصریح الجهة؟ قیل: إنه لما أرید نفی العبادة علی

تصريف الأحوال صرف لفظ

---

(١) سورة ٧ الاعراف آية ٤٣

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٤٢٢

العبادة لتصريف المعنى، و لم يصلح فيه أصول مختلفة، لئلا يوهم النفى نفى معنى غير تصريف عبادة اللَّه على الوجوه و الأسباب كلها، و كان تصريف لفظ العبادة لتصريف معناها أحق و أولى من تصريف معناها فى غير لفظها لما فيه من التشاكل المنافى للتنافر، و لفظة (الكافرون) فى السورة مخصوصة بمن علم اللَّه من حاله أنه يموت على كفره.

و لا يجوز ان يكون المراد العموم لأنا علمنا دخول كثير ممن كان على الكفر ثم دخل فى الإسلام، و قيل: ان الالف و اللام فى الاية للمعهود، لأن (أيا) لا يوصف إلا بالجنس، فخرج اللفظ على الجنس من حيث هو صفة ل (أى) و لكن (أيا) للمخاطبين من الكفار بأعيانهم فآل الى معنى المعهود فى انه يرجع إلى جماعة بعينها، و نحوه يا أيها الرجال ادخلوا الدار، فلم تأمر جميع الرجال، و لكن أمرت الذى أشرت اليهم بإقبالك عليهم. و قيل: يجوز أن تكون الآية عامة، و التقدير و لا أنتم عابدون ما أعبد بالشرط الذى ذكرتموه من أنى أعبد إلهكم، لان هذا الشرط لا يكون ابداً، و لكن يجوز أن يؤمنوا فيما بعد بغير هذا الشرط.

فان قيل: ما فائدة الكلام؟

قيل الإنكار لما لا يجوز من مناقلة العبادة على ما توهمه قوم من الكفار لتقوم الحجة به من جهة السمع كما كانت من جهة العقل مع الاعجاز الذى فيه. فان قال قائل: من أى وجه تضمن الاعجاز؟ قيل: له من جهة الاخبار بما يكون فى مستقبل الأوقات مما لا سبيل إلى علمه إلا بوحى اللَّه إلى من يشاء من العباد، فوافق المخبر بما تقدم به الخبر، و فى ذلك أكبر الفائدة و أوضح الدلالة.

فان قيل: ما معنى «لَكُمْ دِينُكُمْ وَ لِيَ دِينِ»؟.

قيل معناه لكم جزاء دينكم ولى جزاء دينى و حسبك بجزاء دينهم وبالا و عقاباً كما حسبك بجزاء دينه نعيماً و ثواباً، التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٤٢٣

فان قيل: لم لا ذكرت الحجة فى أن ما يدعون اليه لا يجوز.

قيل له: تقبيحاً لها من حيث أخرجت مخرج مقالة يكفى العلم بفسادها، حكايتها مع الاستغناء بما فى العقول عن الدلالة على بطلانها.

فان قيل: فهلا أنكر عليهم من طريق أن كل ما دعوا اليه لا يجوز للإيجاز؟

قيل: لأنه إنكار متصل على حد ما يسألوا و لو أنكر انكاراً مجملا لم يبين به تفصيل ما سألوه إلا بأن يحكى على انفراده. ثم يحمل الإنكار به فحينئذ يفهم منه معنى المفصل.

فان قيل: فهلا بين ذكرهم بصفة غير منكر؟

قيل: قد بين ذلك بعلم التعريف له إلا أنه بصفات الذم التى فيها معنى الزجر و هى دالة على أحوالهم فيما دعوا له من الباطل، و تفحموا من أحوال الجاهل.

فان قيل: فلم قال «لَكُمْ دِينُكُمْ وَ لِيَ دِينِ» مع ما يقتضى ظاهره التسليم؟

قيل: مظاهرة فى الإنكار، كما قال تعالى «اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ» «١» لما صاحبه من الدليل على التمكين و شدة الوعيد بالقبح لأنه إذا اخرج الكلام مخرج التسليم للأمر دل على أن الضرر لا يلحق إلا المسلم اليه، فكأنه قيل له: أهلك نفسك إن كان ذلك خيراً لك.

فان قال: فلم قيل: و لا أنتم عابدون ما أعبد، و لم يقل من أعبد؟

قيل له: لأنه مقابل لقوله «وَ لا أَنا عابِدٌ ما عَبَدْتُّمْ» من الأصنام، و لا يصلح هاهنا إلا (ما) دون (من) لأنه يعنى و لا أنا عابد ما عبدتم من الأصنام ثم حمل الثانى على الاول للتقابل حتى لا يتنافر. و قيل: ان معناه و لا أنا عابد عبادتكم و لا أنتم عابدون عبادتى، لان عبادته

متوجهة إلى اللَّه، و عبادتهم متوجهة إلى الأصنام

---

(١) سورة ٤١ (فصلت) حم السجدة آية ٤٠

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ۴٢۴

ف (ما) هاهنا مع ما بعدها بمنزلة المصدر.

فان قيل: فلم أنكر ما لا يجوز فى الحكمة بألين النكير مع خروجه إلى أفحش القبح؟

قيل: ليس ذلك بألين النكير فى المعنى و إن خرج لفظه ذلك المخرج، لأنه إنما عومل تلك المعاملة ليجعل فى حيز ما يكفى فيه التنبيه، حتى يظهر انه أقبح قبيح و هذا ضرب من البلاغة عجيب يفهمه كل عاقل له أدنى فطنة. و يعلم موضعه فى الحكم فان قيل: ما الدليل على ان تأويل السورة ما ذكرتم دون غيره من التأويلات قيل: الدليل على ان ذلك الكلام إذا احتمل وجهين فصاعداً فى اللغة، و أحد الوجهين يجوز، و الآخر لا يجوز، وجب ان يكون تأويله ما يجوز عليه تعالى و يليق به دون ما لا يليق به و لا يجوز عليه، تعالى اللَّه.

١١٠-سورة النصر ..... ص: ۴٢۴

اشارة

مدنية فى قول ابن عباس و الضحاك، و هى ثلاث آيات بلا خلاف

[سورة النصر (١١٠): الآيات ١ الى ٣] ..... ص: ۴٢۴

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

إِذا جاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَ الْفَتْحُ (١) وَ رَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْواجاً (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَ اسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كانَ تَوَّاباً (٣)

ثلاث آيات. التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ۴٢۵

هذا وعد من اللَّه تعالى لنبيه صلى اللَّه عليه و آله بالنصر بالفتح قبل وقوع الأمر. و قال الحسن و مجاهد: وعده اللَّه فتح مكة و نصرته على كفار قريش، فيجىء النصر وقوعه على التوقع له، و النصر المعونة على العدو للظهور عليه، لان المعونة قد تكون بالمال على نوائب الزمان، و قد تكون على العدوّ، و هى النصر دون المعونة الأخرى. و الفتح الفرج الذى يمكن معه الدخول فى الامر بملك العدوّ الناصب للحرب، و قد يكون الفرج بالفرق فقط، فلا يكون الفتح بذهاب العدو الذى صار علماً على هذا المعنى.

و قوله تعالى «وَ رَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْواجاً» يعنى فى طاعة اللَّه و طاعتك: من الإسلام و التزام الأحكام و اعتقاد صحته و توطين النفس على العمل به. و أصل الدين الجزاء. ثم يعبر به عن الطاعة التى يستحق بها الجزاء، كما قال «فِي دِينِ الْمَلِكِ» «١» أى فى طاعته. و الفوج جماعة من جماعة، و الأفواج جماعات من جماعات. و هكذا كان الناس يدخلون فى الدين جماعة بعد جماعة من جملة القبيلة حتى يتكامل اسلام الجميع.

و قوله «فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَ اسْتَغْفِرْهُ» امر من اللَّه تعالى لنبيه صلى اللَّه عليه و آله بأن ينزهه عما لا يليق به من صفات النقص، و أن يستغفره. و وجه وجوب ذلك بالنصر و الفتح، أن النعمة به تقتضى القيام بحق النعمة المنافى للمصيبة. فكأنه قال قد حدث أمر يقتضى الاستغفار مما جدده اللَّه لك فاستغفره بالتوبة يقبل ذلك منك، و مخرجه مخرج الخطاب للنبى صلى اللَّه عليه و آله و هو تعليم لجميع أمته. و معنى «فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ» نزهه عما لا يجوز عليه مع شكرك إياه. و قيل معناه: صل شكراً له على ما جدد لك من

نعمة. و الاستغفار قد يكون عند ذكر المعصية بما ينافى الإصرار، و قد يكون على

(١) سورة ١٢ يوسف آية ٧٦ [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ۴٢۶

وجه التسبيح، و الانقطاع إلى اللَّه.

و قوله «إِنَّهُ كانَ تَوَّاباً» معناه إنه يقبل توبة من بقى كما قبل توبة من مضى.

و التوّاب فى صفة اللَّه الكثير القبول للتوبة، و فى صفة العباد الكثير الفعل للتوبة. و قال قتادة: عاش النبى صلى اللَّه عليه و آله بعد هذا سنتين ثم توفى صلى اللَّه عليه و آله.

١١١-سورة اللهب ..... ص: ۴٢۶

اشارة

مكية فى قول ابن عباس و الضحاك، و هى خمس آيات بلا خلاف

[سورة المسد (١١١): الآيات ١ الى ۵] ..... ص: ۴٢۶

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ وَ تَبَّ (١) ما أَغْنى عَنْهُ مالُهُ وَ ما كَسَبَ (٢) سَيَصْلى ناراً ذاتَ لَهَبٍ (٣) وَ امْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (۴)

فِي جِيدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ (۵)

خمس آيات.

قرأ عاصم «حمالة الحطب» نصباً على الذم. الباقون بالرفع على أنه خبر الابتداء، و يجوز أن يكون ارتفع (امرأته) على انه فاعل «سَيَصْلى» فكأنه قال سيصلى أبو لهب و امرأته ناراً ذات لهب. و قرأ ابن كثير «يدا أبى لهب» ساكنة الهاء على التخفيف، كما قالوا فى نهر: نهر. الباقون بالتثقيل.

و روى أن أبا لهب كان قد عزم على أن يرمى النبى صلى اللَّه عليه و آله بحجر فمنعه اللَّه التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ۴٢٧

من ذلك، و قال تبت يداه للمنع الذى وقع به. ثم قال «وَ تَبَّ» بالعقاب الذى ينزل به فيما بعد. و قيل فى قوله «تَبَّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ» أنه الدعاء عليه نحو قوله «قاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ» «١» فاما قوله «وَ تَبَّ» فانه خبر محض، كأنه قال:

و قد تب. و قيل: إنه جواب لقول أبى لهب: تباً لهذا من دين، حين

نادى النبى صلى اللَّه عليه و آله بنى عبد المطلب، فلما اجتمعوا له قال لهم: إن اللَّه بعثنى إلى الناس عاماً و إليكم خاصاً، و أن اعرض عليكم ما إن قبلتموه ملكتم به العرب و العجم، قالوا و ما ذلك يا محمد صلى اللَّه عليه و آله قال: أن تقولوا لا إله إلا اللَّه و انى رسول اللَّه. فقال أبو لهب تباً لهذا من دين. فأنزل اللَّه تعالى قوله «تَبَّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ»

و التباب الخسران المؤدى إلى الهلاك تبه يتب تباً، و التباب الهلاك. و فى «تَبَّتْ يَدا» مع أنه إخبار ذم لابى لهب لعنة اللَّه، و إنما قال: تبت يداه و لم يقل: تب، مع انه هو الهالك فى الحقيقة لأنه جار مجرى قوله كسبت يداه، لأن اكثر العمل لما كان باليدين أضيف ذلك اليهما على معنى الخسران الذى أدى اليه العمل بهما.

و قوله «ما أَغْنى عَنْهُ مالُهُ وَ ما كَسَبَ» معناه ما نفعه ماله و لا الذى كسبه من الأموال، و لا دفع عنه عقاب اللَّه حين نزل به، فالاغناء عنه

الدفع عنه، فأما الإغناء بالمال و نحوه فهو دفع وقوع المضارّ به.

و قوله «سَيَصْلى ناراً ذاتَ لَهَبٍ» خبر من اللَّه تعالى أن أبا لهب سيصلى ناراً ذات لهب، و هى نار جهنم المتلهبة. و فى ذلك دلالة على صدق النبى صلى اللَّه عليه و آله، لأنه اخبر بأنه يموت على كفره، و كان الأمر على ذلك.

و قوله «وَ امْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ» قال ابن عباس و الضحاك و ابن زيد: إن امرأة أبى لهب كانت تحمل الشوك فتطرحه فى طريق النبى صلى اللَّه عليه و آله إذا خرج إلى الصلاة

---

(١) سورة ٩ التوبة آية ٣١ و سورة ٦٣ المنافقون آية ۴

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ۴٢٨

و قال عكرمة و مجاهد و قتادة: إنما وصفت بحمالة الحطب، لأنها كانت تمشى بالنميمة و قيل: حمالة الحطب فى النار. و فى ذلك دلالة أيضاً قاطعة على أنها تموت على الكفر. و امرأة أبى لهب أم جميل بنت حرب اخت أبى سفيان عمة معاوية، و قوله «فِي جِيدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ» فالمسد حبل من ليف، و جمعه أمساد و إنما وصفت بهذه الصفة تخسيساً لها و تحقيراً و الجيد العنق، قال ذو الرمة:

فعيناك عيناها و لونك لونها و جيدك إلا انه غير عاطل

و قال ابو عبيدة: المسد حبل يكون من ضروب، قال الراجز:

و مسد امر عن أيانق صهب عناق ذات منح زاهق «١»

و المسد الليف لان من شأنه أن يفتل للحبل. و أصل المسد المحور من حديد، لأنه يدور بالفتل، و قال قوم: هو الليف المفتل.

فان قيل: ما الذى كان يجب على أبى لهب حين سمع هذه السورة؟ أ كان يجب عليه أن يؤمن؟ فلو آمن لكان فيه تكذيب خبر اللَّه بأنه سيصلى ناراً ذات لهب، و إن لم يجب عليه الايمان فذلك خلاف الإجماع؟!! قيل: خبر اللَّه مشروط بأنه سيصلى ناراً ذات لهب إن لم يؤمن، و يجب عليه أن يعلم ذلك، و هذا أبين الاجوبة و أظهرها. و اللَّه أعلم.

---

(١) مجاز القرآن ٢/ ٣١۵

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ۴٢٩

١١٢-سورة الإخلاص ..... ص: ۴٢٩

اشارة

مكية فى قول ابن عباس، و قال الضحاك مدنية، و هى أربع آيات

[سورة الإخلاص (١١٢): الآيات ١ الى ۴] ..... ص: ۴٢٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَدْ (٣) وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ (۴)

اربع آيات.

قرأ ابو عمرو- فى رواية هارون عنه- «احد اللَّه الصمد» بغير تنوين فى الوصل. و قرأ فى رواية نصر عن أبيه و احمد بن موسى عنه بالتنوين، وجه ترك التنوين أنه ينوى به الوقف، لأنه رأس آية مع انه قد يحذف التنوين لالتقاء الساكنين، و الوجه تحريكه، قال

الشاعر:

فالفتيه غير مستعتب و لا ذاكر اللّه إلا قليلا «۱»

و قرأ «كفؤاً» بسكون الفاء- مهموزاً- حمزة و نافع على خلاف عن نافع.

الباقون بضم الفاء مهموزاً. و إنما قال فى أوائل هذه السور «قُلْ» و هى أوامر من اللّه تعالى، لان المعنى قال لى جبرائيل «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» فحكى النبى صلى الله عليه و آله ما قيل له. و قيل لسورة الإخلاص و قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ (المقشقشتان) و معناهما المبرئتان من الكفر و النفاق، كما يقشقش الهناء الجرب.

---

(۱) مر ۲/ ۷۶ و ۳/ ۲۱۵ و ۵/ ۲۳۹، ۳۹۳

التبيان فى تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۴۳۰

و هذا امر من اللّه تعالى لنبيه صلى اللّه عليه و آله ان يقول لجميع المكلفين «هُوَ اللَّهُ» الذى تحق له العبادة «أَحَدٌ» و معناه واحد، فقوله «هو» كناية عن اسم الرب، لأنهم قالوا ما ربك؟ قال هو اللّه احد. و قال الكسائى «هو» عماد، و قوله «اللّه» ابتداء، و خبره (أحد) و أنكر الفراء أن يكون العماد مستأنفاً، و اصل (أحد) وحد فقلبت الواو همزة، كما قيل: و ناه و أناه، لان الواو مكروهة أولا، و قد جاء وحد على الأصل قال الشاعر:

كأن رجلى و قد زال النهار بنا بذى الجليل على مستأنس وحد «۱»

و حقيقة الوحد شىء لا- ينقسم فى نفسه أو معنى صفته، فإذا أطلق احد من غير تقدم موصوف، فهو احد نفسه، فإذا جرى على موصوف، فهو احد فى معنى صفته، فإذا قيل: الجزء الذى لا يتجزأ واحد، فهو واحد فى معنى صفته، و إذا وصف تعالى بأنه احد، فمعناه أنه المختص بصفات لا يشاركه فيها غيره: من كونه قديماً و قادراً لنفسه و عالماً و حياً و موجوداً كذلك، و أنه تحق له العبادة لا تجوز لأحد سواه. و لا يجوز أن يكون (أحد) هذه هى التى تقع فى النفى، لأنها أعم العام على الجملة أحد، و التفصيل، فلا يصلح ذلك فى الإيجاب، كقولك ما فى الدار احد أى ما فيها واحد فقط و لا اكثر، و يستحيل هذا فى الإيجاب، و فى قوله «اللَّهُ أَحَدٌ» دليل فساد مذهب المجسمة، لأن الجسم ليس بأحد إذ هو اجزاء كثيرة، و قد دل اللّه بهذا القول على أنه احد، فصح انه ليس بجسم.

و قوله «اللَّهُ الصَّمَدُ» معناه الذى تحق له العبادة هو الموصوف بأنه (الصمد) و قيل: فى معناه قولان:

أحدهما- قال ابن عباس و شقيق و ابو وائل: إنه السيد المعظم، كما قال الاسدى:

---

(۱) اللسان (وحد، انس)

التبيان فى تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۴۳۱

الابكر الناعى بخيرى بنى أسد بعمرو بن مسعود و بالسيد الصمد «۱»

و قال الزبرقان:

و لا رهينة إلا السيد الصمد،

الثانى- ان معناه الذى يصمد اليه فى الحوائج ليس فوقه أحد، يقال: صمدت اليه أصمد إذا قصدت اليه إلا أن فى الصفة معنى التعظيم كيف تصرفت الحال.

و من قال: الصمد بمعنى المصمت، فقد جهل اللّه، لأن المصمت هو المتضاغط الاجزاء و هو الذى لا جوف له و هذا تشبيه و كفر باللّه تعالى.

و قوله «لَمْ يَلِدْ» نفى منه تعالى لكونه والد إله ولد.

و قوله «وَ لَمْ یُولَدْ» نفی لکونه مولود إله والد، لأن ذلک من صفات الأجسام و فیه ردّ علی من قال: إن عزیر و المسیح أبناء اللَّه تعالی، و إن الملائکة بنات اللَّه.

و قوله «وَ لَمْ یَکُنْ لَهُ کُفُواً أَحَدٌ» نفی من اللَّه تعالی أن یکون له مثل أو شبیه او نظیر، و الکفو و الکفاء و الکفی واحد، و هو المثل و النظیر، قال النابغة:

لا تقذفنی برکن لا کفاء له و لو تأثفک الاعداء بالرفد

و (أحد) مرفوع لأنه اسم (کان) و (کفواً) نصب، لأنه نعت نکرة متقدمة، کما تقول: عندی ظریفاً غلام، ترید عندی غلام ظریف، فلما قدمت النعت علی المنعوت نصبته علی الحال- فی قول البصریین- و علی الظرف فی قول الکوفیین- و التقدیر فی الآیة و لم یکن له کفواً، و أخص منه و لم یکن أحد کفواً له، و إنما قدم الظرف الملغی مع أن تأخیر الملغی أحسن فی الکلام لأنه أفضل بذکر الأنبه الأعرف، کما یتقدم الظرف الذی هو خبر و موضعه التأخیر لهذه العلة فی مثل قولهم: لزید مال و له عبد.

---

(۱) مجاز القرآن الشاهد ۹۵۰: ۲/ ۳۱۶

التبیان فی تفسیر القرآن، ج ۱۰، ص: ۴۳۲

و لا حی من الأحیاء إلا و له مثل إلا اللَّه تعالی، فلذلک قال «وَ لَمْ یَکُنْ لَهُ کُفُواً أَحَدٌ» و

روی أن النبی صلی الله علیه و آله کان یقف عند آخر کل آیة من هذه السورة،

و کذلک کان یقرأ ابن مجاهد فی الصلاة ابتداء.

۱۱۳-سورة الفلق ..... ص: ۴۳۲

اشارة

مکیة فی قول ابن عباس و قال الضحاک هی مدنیة، و هی خمس آیات بلا خلاف

[سورة الفلق (۱۱۳): الآیات ۱ الی ۵] ..... ص: ۴۳۲

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (۱) مِنْ شَرِّ ما خَلَقَ (۲) وَ مِنْ شَرِّ غاسِقٍ إِذا وَقَبَ (۳) وَ مِنْ شَرِّ النَّفَّاثاتِ فِی الْعُقَدِ (۴)

وَ مِنْ شَرِّ حاسِدٍ إِذا حَسَدَ (۵)

خمس آیات.

روی قتیبة إمالة (حاسد).

هذا أمر من اللَّه تعالی لنبیه محمد صلی اللَّه علیه و آله و متوجه إلی جمیع الخلق المکلفین بأن یستعیذوا من شر ما خلق، فالفلق الصبح- فی قول ابن عباس و الحسن و سعید ابن جبیر و جابر و مجاهد و قتادة و ابن زید- و فی روایة عن ابن عباس: إن الفلق التبیان فی تفسیر القرآن، ج ۱۰، ص: ۴۳۳

الخلق. و قال قوم من أهل اللغة: الفلق الخلق، لأنه مفلوق. و منه «فالِقُ الْإِصْباحِ» «۱» و «فالِقُ الْحَبِّ وَ النَّوی» «۲» و قیل للداهیة فلقة، لأنها تفلق الظهر و أصل الفلق الفرق الواسع من قولهم: فلق رأسه بالسیف یفلقه فلقاً إذا فرقه فرقاً واسعاً. و یقال: أبین من فلق الصبح، لأن عموده ینفلق بالضیاء عن و فرق الصبح الظلام. و قیل له فجر لانفجاره بذهاب ظلامه.

و قوله «مِنْ شَرِّ ما خَلَقَ» عام في جميع ما خلقه اللَّه فأنه ينبغى أن يستعاذ من شره ممن يجوز أن يحصل منه الشر، و قيل: المراد من شر الأشياء التى خلقها مثل السباع و الهوام و الشياطين و غير ذلك.

و قوله «وَ مِنْ شَرِّ غاسِقٍ إِذا وَقَبَ» قال ابن عباس و الحسن و مجاهد: من شر الليل إذا دخل بظلامه. و قيل: الغاسق كل هاجم بضرر كائناً ما كان، فالغاسق فى اللغة هو الهاجم بضرره، و هو هنا الليل، لأنه يخرج السباع من آجامها و الهوام من مكامنها، و أصله الجريان بالضرر من قولهم: غسقت القرحة إذا جرى صديدها. و الغساق صديد أهل النار لسيلانه بالعذاب، و غسقت عينه غسقاناً إذا جرى دمعها بالضرر فى الخلق. و الليل غاسق لجريانه بالضرر فى إخراج السباع، و قال كعب: الغسق بيت فى جهنم إذا فتح صاح جميع أهل النار من شدة حرّه، و معنى «وقب» دخل، وقب يقب وقوباً إذا دخل. و منه الوقبة النقرة، لأنه يدخل فيها.

و قوله «وَ مِنْ شَرِّ النَّفَّاثاتِ فِي الْعُقَدِ» قال الحسن و قتادة: يعنى السحرة الذين كل ما عقدوا عقداً نفثوا فيه، و هو شبيه بالنفخ، فأما الثفل فنفخ بريق،

(۱، ۲) سورة ۶ الانعام آية ۹۵- ۹۶

التبيان فی تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ۴۳۴

فهذا الفرق بين النفث و التفل، قال الفرزدق:

هما نفثا فی فیّ من فمويهما على النابح العاوى أشد رجام «۱»

و قيل فى شر النفاثات قولان: أحدهما- إيهامهم أنهم يمرضون و يعافون، و يجوز ذلك مما يخيل رأى الإنسان من غير حقيقة لما يدعون من الحيلة بالاطعمة الضارة و الأمور المفسدة. الثانى- أنه بضرب من خدمة الجن يمتحن اللَّه تعالى بتخليتهم بعض الناس دون بعض. و لا يجوز أن يكون النبى صلى اللَّه عليه و آله سحر على ما رواه القصاص الجهال، لأن من يوصف بأنه مسحور، فقد خبل عقله. و قد أنكر اللَّه تعالى ذلك فى قوله «وَ قالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُوراً» «۲» و لكن قد يجوز أن يكون بعض اليهود اجتهد فى ذلك فلم يقدر عليه، فأطلع اللَّه نبيه على ما فعله حتى استخرج ما فعلوه من التمويه، و كان دلالة على صدقه و معجزة له.

و قوله «وَ مِنْ شَرِّ حاسِدٍ إِذا حَسَدَ» فالحاسد هو الذى يتمنى زوال النعمة عن صاحبها، و إن لم يردها لنفسه. و الغبطة أن يريد من النعمة لنفسه مثل ما لصاحبه و أن لم يرد زوالها عنه، فالغبطة محمودة و الحسد مذموم. و فى السورة ما يستدفع به الشرور بإذن اللَّه على تلاوة ذلك بالإخلاص فيه، و الاتباع لأمر اللَّه. و

كان النبى صلى اللَّه عليه و آله كثيراً ما يعوّذ به الحسن و الحسين بهاتين السورتين.

و قيل إن اللواتى سحرن النبى صلى اللَّه عليه و آله بنات لبيد بن أعصم اليهودى، سحرنه فى أحدى عشرة عقدة، فأنزل اللَّه تعالى السورتين، و هما أحدى عشرة آية فحل بكل آية عقدة.

---

(۱) ديوانه ۷۷۱ (نشر الصاوى)

(۲) سورة ۱۷ الإسراء آية ۴۷ و سورة ۲۵ الفرقان آية ۸

التبيان فی تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ۴۳۵

۱۱۴-سورة الناس ..... ص: ۴۳۵

اشارة

و هى ست آيات بلا خلاف

[سورة الناس (١١٤): الآيات ١ الى ٦] ..... ص: ٤٣٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلهِ النَّاسِ (٣) مِنْ شَرِّ الْوَسْواسِ الْخَنَّاسِ (٤)

الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ (٦)

ست آيات.

كان الكسائى فى رواية أبى عمير يميل «الناس» لكسرة السين، و هو حسن الباقون يتركون الامالة، و هو الأصل.

هـذا أمر من اللّه تعالى لنبيه محمد صـلى اللّه عليه و آله و يدخل فيه المكلفون، يأمرهم أن يستعيذوا «بِرَبِّ النَّاسِ» و خالقهم الذى هو «مَلِكِ النَّاسِ» و مدبرهم و إلههم «مِنْ شَرِّ الْوَسْواسِ» و أن يقولوا هذا القول الذى هو «أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ...»

إلى آخرهـا و «بِرَبِّ النَّاسِ» هو الـذى خلقهم و دبرهم على حسب ما اقتضـته الحكمـة و قوله «مَلِكِ النَّاسِ» إنما خص بأنه ملك الناس مع أنه ملك الخلق أجمعين لبيان أن مدبر جميع الناس قادر أن يعيذهم من شر ما استعاذوا منه مع أنه أحق بالتعظيم من ملوك الناس.

و الفرق بين (ملك) و (مالك) حتى جازا جميعا فى فاتحة الكتاب و لم يجز التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٤٣۶

– هاهنا– إلا ملك، لأن صـفة ملك تـدل على تدبير من يشـعر بالتدبير، و ليس كذلك مالك، لأنه يجوز أن يقال: مالك الثوب، و لا يجوز ملك الثوب، و يجوز أن يقال:

ملك الروم، و لا يجوز مالك الروم، فجرت– فى فاتحة الكتاب– على معنى الملك فى يوم الجزاء، و مالك الجزاء، و جرت فى سورة الناس على (ملك) تدبير من يعقل التدبير، فكأن هذا أحسن و أولى.

و قوله «إِلهِ النَّاسِ» معناه أنه الـذى يجب على الناس أن يعبـدوه، لأنه الذى تحق له العبادة دون غيره «مِنْ شَرِّ الْوَسْواسِ» حديث النفس بما هو كالصوت الخفى و أصله الصوت الخفى من قول الأعشى:

تسمع للحلى وسواساً إذا انصرفت كما استعان بريح عشرق زجل «۱»

و قال روبة:

وسوس يدعو مخلصاً رب الفلق سراً و قد أوّن تأوين العقق «۲»

و الوسوسـة كالهمهمـة و منه قولهم: فلان موسوس إذا غلبت عليه الوسوسـة لما يعتريه من المرة. وسوس يوسوس وسواساً و وسوسـة و توسوس توسوساً. و فى معنى قوله «مِنْ شَرِّ الْوَسْواسِ» ثلاثة أقوال:

أحدها– من شر الوسوسة التى تكون من الجنة و الناس، فأمر بالتعوذ من شر الجن و الانس.

الثانى– من شـر ذى الوسواس و هو الشـيطان، كما قال فى الأثر: انه يوسوس فإذا ذكر العبد ربه خنس، فيكون قوله «مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ» بيان انه منهم، كما قال «إِلَّا إِبْلِيسَ كانَ مِنَ الْجِنِّ» «۳» فأما «و الناس» فعطف عليه كأنه قيل من الشيطان

---

(١) مر فى ۴/ ٣٩٧

(٢) مر فى ۴/ ٣٩٧ و ٩/ ٣۶٣

(٣) سورة ١٨ الكهف آية ٥١

التبيان فى تفسير القرآن، ج ١٠، ص: ٤٣٧

الذى هذه صفته و الناس الذين هذه صفتهم، الثالث– من شر ذى الوسواس الخناس على العموم، ثم يفسر بقوله– عز و جل– من «الْجِنَّةِ

وَ النَّاسِ» كما يقال: نعوذ باللّه من كل مارد: من الجن و الانس و قوله «الْخَنَّاسِ» معناه الكثير الاختفاء بعد الظهور، خنس يخنس خنوساً، و منه قوله «فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ» «۱» أى بالنجوم التى تخفى بعد ما تظهر بتصريف الحكيم الذى أجراها على حق حسن التدبير، و منه الخنس فى الانف لخفائه بانخفاضه عند ما يظهر بنتوئه. قال مجاهد: إذا ذكر العبد ربه خنس، فإذا غفل وسوس اليه و قوله «الَّذِی يُوَسْوِسُ فِی صُدُورِ النَّاسِ» قيل: ان الشيطان يعترى الإنسان بكلام خفى بفعله يصل مفهومه إلى قلبه من غير سماع صوته، كإنسان يتكلم من وراء حجاب بكلام يصل مفهومه إلى القلب من غير سماع الصوت، و هذه حالة معقولة تقع عليها الوسوسة و أما الإنسان فإنما يوسوس غيره بأن يدعوه إلى الفساد و يحسن ذلك و يغويه به و يسوفه التوبة و يمنيه العفو، و قوله «مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ» بيان لمن يكون منه الوسوسة و قد بين اللّه تعالى أنه يكون من قبيل الجن و من قبيل الانس. و الناس أصله من الأناس، فحذفت الهمزة التى هى فاء و يدل على ذلك الانس و الأناس. و اما فى تحقيره نويس، فان الالف لما كانت ثانية زائدة أشبهت الف فاعل، فلما قلبت واواً شبهة بألف فاعل كذلك جازت الامالة فى المواضع التى أميل الاسم فيها لذلك، و من سأل عن قوله «قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ. و قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ. و سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ» و ما أشبه ذلك من الأوامر المتوجهة إلى النبى صلى اللّه عليه و آله فقال: كيف جاز من النبى صلى اللّه عليه و آله أن يقول: قل للأمة؟ و لو جاز ذلك لجاز أن يقول الإنسان لغلامه قل لزيد كذا فيقول غلامه لزيد: قل كذا. و هذا خلاف الغرض.

---

(۱) سورة ۸۱ التكوير آية ۱۵

التبيان فى تفسير القرآن، ج ۱۰، ص: ۴۳۸

قلنا عنه جوابان:

أحدهما- ان الامر و إن كان متوجهاً إلى النبى صلى اللّه عليه و آله فالمراد به أمته معه، فكأنه خاطب الجميع بان يقولوا ذلك و أن يسبحوا و غير ذلك، فلا سؤال على هذا.

و الثانى- ان اللّه تعالى أمر النبى صلى اللّه عليه و آله بأن يفعل الذى أمره و أمره أيضاً بتلاوة كلامه، فلما كان قوله «قل، و سبح» من كلام اللّه وجب عليه أن يتلوه على وجهه و لو كان مأموراً بالفعل دون التلاوة لما وجب أن يأتى بلفظة «قل» فى هذه المواضع كلها و

جميع أى القرآن فى البصرى ست آلاف و مائتان و أربع آيات.

و فى المدنى الاول ست آلاف و مائتان و سبع عشرة آية.

و فى الكوفى ست آلاف و مائتان و ست و ثلاثون آية.

و فى المدنى الأخير ست آلاف و مائتان و اربع عشرة آية.

و جميع ما نزل بمكة خمس و ثمانون سورة لا خلاف فى ذلك.

و بالمدينة تسع و عشرون سورة لا خلاف فى ذلك.

فذلك مائة و أربع عشرة سورة.

و على ما رويناه على أصحابنا و عن جماعة متقدمين مائة و اثنتا عشرة سورة.

و عدد جميع كلمات القرآن تسع و سبعون ألفاً و مائتان و سبع و سبعون كلمة.

و يقال سبع و ثمانون كلمة. و يقال تسع و ثلاثون كلمة.

و جميع حروفه ثلاثمائة الف حرف و ثلاثة و عشرون الفاً و خمسة عشر الفاً.

و عدد نقطة مائة الف و ست و خمسون الفاً و إحدى و ثمانون نقطة.

تم المجلد العاشر و به تم الكتاب و الحمد للّه

تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

جاهِدُوا بِأَمْوالِکُمْ وَ أَنْفُسِکُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنَا... َ یَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ کَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخیص بحار الأنوار، للعلاّمة فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آباذی" – "رَحِمَهُ اللهُ" – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَعَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهـِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز "القائمیّة" للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهـِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشـّباب و عموم الناس إلی التّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم - مِن جهةٍ اُخرَی.

- من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَةِ

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع "مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائی/"بنایة "القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّهٔ الشمسیّهٔ (=۱۴۲۷ الهجریهٔ القمریّهٔ)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّهٔ الوطنیّهٔ: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاریّهٔ و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظهٔ هامّهٔ:

المیزانیّهٔ الحالیّهٔ لهذا المرکز، شَعبیّهٔ، تبرّعیّهٔ، غیر حکومیّهٔ، و غیر ربحیّهٔ، اقتُنِیت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّهٔ و العلمیّهٔ الحالیّهٔ و مشاریع التوسعهٔ الثّقافیّهٔ؛ لهذا فقد ترجّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمّی بالقائمیّهٔ) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحهٔ بقیّهٔ الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.